تفسير البصائر

تأليف

يعسوب الدين رستگار الجويباري

المجلد السادس والاربعون


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 015592155

Juybari

المجلد السادس والاربعون

من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

يعسوب الدين رستگارا الجويباری

ايران – قم

سورة الصف مدنية وآياتها أربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم ① يا أيها الذين آمنوا لم
تقولون ما لا تفعلون ② كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ③ إن الله
يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ④ وإذ قال موسى لقومه
يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله
لا يهدي القوم الفاسقين ⑤ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل
إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول يأتي من
بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ⑥

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّالِمِينَ ٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ
٨ هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْمُشْرِكُونَ ٩ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ١٠ تُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً
فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَ
بَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٣ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ
مَنْ أَنْصَارِي إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ ٱللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ١٤

﴿فضلها وخواصها﴾

روى الصدوق : رحمة الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : من قرأ سورة الصف ، و أدمن قرائتها في فرائضه و نوافله صفّه الله مع ملائكته ، و أنبيائه المرسلين إن شاء الله .

أقول : رواه الطبرسي في المجمع ، و البحراني في البرهان ، والحويزي في نور الثقلين ، والمجلسي في البحار .

وذلك من قرأها متدبراً ، وكان من الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم و جاهدوا في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم و كان من أنصار الله جل و علا فهو في صف الملائكة والمرسلين يوم القيامة من غير ريبة وهذا هو التجارة التي تنجي الانسان من عذاب أليم .

قال الله تعالى : « ولو أنهم فعلوا مايو عظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً واذا لاتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً و من يطع الله و الرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين وحسن اولئك رفيقاً » النساء : ٦٦ـ ٦٩) .

وفي المجمع : أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من قرأ سورة عيسى عليه السلام كان عيسى مصلياً عليه مستغفراً له مادام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه .

وفي البرهان : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأها كان عيسى عليه السلام يستغفر له مادام في الدنيا ، و إن مات كان رفيقه في الاخرة ، و من أدمن قرائتها في سفره حفظه الله و كفاه طوارقه حتى يرجع بالسلامة .

اقول : وما فى سند الروايتين الاخيرتين غير خفى على القارى الخبير ولكن ما تحتو يانه غير بعيد فتدبر .

وفى رواية : عن عبدالله بن سلام قال : تذاكرنا أيكم يأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيسئله أى الاعمال أحب إلى الله؟ فلم يفهمنا أحد، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلينا رجلا فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة (الصف) كلها .



﴿الغرض﴾

غرض السورة حثّ المؤمنين و تحريضهم على تضامم الايمان بالعمل ، و انهمار كنان أساسيان لظهورهم على أعداءهم ، و يؤيدهم الله تعالى بهما عليهم و تبشير بظهور الدين الاسلامى على الاديان كلها مفتتحة بالتسبيح تحريضاً على الايمان والعمل ، و تنبيهاً إلى أن هذا هو الذى تقتضيه الحكمة الالهيةوانه جل وعلا هو الغالب غير مغلوب.

ففيها أمران :

الاول : ان السورة تقرّر فى ضمير المسلم ان دينه هو المنهج الالهى للبشرية فى صورته الأخيرة سبقته منه صور تناسب أطواراً معينة فى تاريخ البشرية ، و سبقته تجارب فى حياة الرسل و حياة الامم ، كل ذلك تمهيد لهذه الصورة الأخيرة من الدين الواحد الذى أراد الله تعالى أن يكون خاتمةالاديان، و أن يكون رسوله خاتم الرسل ، و نبيه خاتم الانبياء و كتابه خاتم الكتب السماوية ، و أن يظهره على الدين كله فى الارض من الاديان السماوية التى تحرفت ، و الاديان الارضية التى تصنعت .

ومن ثم ذكر الله تعالى فى هذه السورة رسالة موسى عليه السلام ليقررأن قومه هم الذين أرسل إليهم موسى عليه السلام فآذوه ، و انحرفوا عن رسالته وحرفوا كتابه، فلم يكونوا امناء على دين الله تعالى فى الارض كما قال جل و علا : « و اذقال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى و قد تعلمون أنى رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين » : ٥) .

فقد انتهت دينهم بانتهاء أمانتهم فى الدين .

ثم ذكر رسالة عيسى عليه السلام ليقرر انه جاء إمتداداً لرسالة موسى عليه السلام ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وممهداً للرسالة الاخيرة، ومبشراً برسولها، و وصلة بين الدين الكتا بى الاول، و الدين الكتابى الاخير كما قال جل و علا: « و اذ قال عيسى ابن مريم يا بنىاسرائيل انى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة و مبشراًبرسول يأتى من بعدى اسمه احمد »: ٦) .

فقد جاء عيسى عليه السلام ليسلمأمانة الدينالالهىالتىحملها موسى إلىالرسول الذى يبشر به من غير يدس فيها من بين يديها ولامن خلفها، وقرّبان هذه الخطوات تنتهى إلى قرار ثابت دائم بيد رسوله الاخير.

اذ قال: « هوالذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشر كون »: ٩) .

و الثانى: ان السورة تيقظ شعور المسلم بان حفظ هذه الامانة الا لهية ليستتبعها صدق النية فى العقيدة والقول و العمل، وتضامم الايمان و العمل فى ظهور هذا الدين على الاديان كلها كما أراد الله تعالى و حكم، و عدم الفصل بين القلب والسان والعمل كما ذكر بعد اعلان تسبيح الكون وما فيهلله تعالى: « ياأيهاالذين آمنوا لم تقولونمالاتفعلون » ·

ثم دعاهم إلى أربح تجارة فى الحياة الدنيا للاخرة بقوله: «يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم ...» : ١٠) .

ثم دعاهم إلى أن يكونوا أنصاراً فى اظهار هذا الدين على الاديان كلها، فاذا اتضح فى ضمير المسلم ان دينه هو دين الله تعالى فى صورته الاخيرة فى الارض و ان امانة العقيدة فى البشرية كلها موكولة إليه يعلم انه مكلف أن يجاهد فى سبيل الله تعالى كما يحب الله تعالى ويتضح طريقه، فلايبقى فيه تردد فى عقيدته، ولافصل بين قلبه ولسانه، ولااختلاف بين قوله وعمله، ولاتضادبين ظاهره و باطنه، ولابين سريرته وعلانيته، بل هو ثابت فى طريقه متضامناً مع اخوانه كالبنيان المرصوصيحفظون هذه الامانة العظيمة الالهية فيها ربحهمدنياً

و آخرة و بها سعادتهم و عزتهم ، و يجاهدون فى حفظها بكل وسيلة و أسباب جماعة منظمة ذات ارتباط ، و ذات نظام ، و ذات هدف جماعى فى اقامة هذا المنهج الالهى فى الضمير وفى العمل مع اقامته على وجه الارض كله .

وهو لايقوم فى الارض الافى مجتمع يعيش ، و يتحرك و يعمل وينتج فى حدود ذلك المنهج الالهى لانّ الاسلام ليس ديناً فردياً من بدء ظهوره إلى يوم البعث والنشور بل هو دين جماعى فى كل اتجاه وهو مبنى على أساس ان البشر يعيشون هكذا ...

و من ثم تكون آدابه و قواعده ونظامه كلها مصوغة على هذا الاساس ، و اذا يوجه اهتمامه إلى ضمير الفرد ، فهو يصوغ هذا الضمير على أساس انه يعيش فى جماعة ، وهو و الجماعة التى يعيشون فيها يتجهون إلى الله تعالى ، و يقوم فيها على أمانة دين الله جل و علا ومنهجه فى الحياة و نظامه فى المجتمع البشرى .

فلا يقاوم فى حفظ الامانة الالهية الافراد والطبقات والدول اذقال : «صفا كأنهم بنيان مرصوص» جماعة ذات نظام بقوى جماعية و يؤلبون عليه تجمعات ضخمة ، فلابد لجنود الاسلام أن يواجهوا أعدائه صفا : سوياً مستقيماً متيناً راسخاً حتى يغلبوا على خائنى هذا الدين الثابت ممن أرادوا الخيانة وإطفاء نوره.

ولايتمكن الفرد على ذلك كما قال : « بنيان » تتعاون لبناته ، وتتضام و تتماسك ، و تؤدّى كل لبنة دورها ، وتسد ثغرتها لان البنيان كله ينهار اذا تخلت منه لبنته عن مكانها ، تقدمت أو تأخرت ، فلابد من ارتباط الافراد و تضامهم فى الشعور والحركة فى حفظ هذه الامانة كالبنيان ، فتدبر واغتنم .

«النزول»

سورة الصف مدنية نزلت بعد سورة التحريم وقبل سورة الجمعة على التحقيق، وهى السورة الثامنة والمأة نزولا والسورة الواحدة والستون مصحفاً.

وتشتمل على أربع عشرة آية، سبقت عليها ٥٩١٢/ آية نزولا، و ٥١٦٣/ آية مصحفاً على التحقيق.

ومشتملة على ٢٢١/ كلمة و ٩٠٠/ حرفاً، وقيل: ٩٢٦/ حرفاً على ما فى بعض التفاسير.

ولهذه السورة أسماء ثلاثة:

أحدها ـ سورة الصف لما جاء فيها من قوله تعالى: «ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً»: ٤).

ثانيها ـ سورة عيسى عليه السلام لما جاء فيها من البشارة لبعثة نبينا الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم: «واذ قال عيسى ابن مريم ـ ومبشراً برسول ياتى من بعدى إسمه أحمد»: ٦).

ثالثها ـ سورة الحواريين لما جاء فيها من ذكر نصرتهم الدين فى قوله تعالى: «يا ايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله»: ١٤).

فى أسباب النزول: للواحدى النيسابورى باسناده عن عبدالله بن سلام قال: قعدنا نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقلنا: لو نعلم أى الاعمال أحب إلى الله تبارك وتعالى عملناه، فانزل الله تعالى: «سبح لله مافى السموات ومافى الارض وهو العزيز الحكيم ـ إلى قوله ـ ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا...»

إلى آخر السورة فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وفيه : قوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون » قال المفسرون : كان المسلمون يقولون : لو نعلم أحب الاعمال إلى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا ، فدلّهم الله على أحب الاعمال إليه ، فقال:« ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا »الآية فابتلوا يوماً بذلك ،فولوا مدبرين ، فانزل الله تعالى :« لم تقولون مالا تفعلون » .

وفي أسباب النزول: للسيوطى : عن أبى صالح قال : قالوا : لو كنا نعلم أىّ الاعمال أحب إلى الله وأفضل ، فنزلت :« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة »الآية ، فكرهوا الجهاد ، فنزلت : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ».

وفيه : عن الضحاك قال : أنزلت « لم تقولون ما لاتفعلون »فى الرجل يقول فى القتال مالم يفعله من الضرب والطعن والقتل .

وفيه : عن مقاتل انها نزلت فى توليهم يوم احد .

وفي شواهد التنزيل : للحاكم الحسكانى باسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى: « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنه بنيان مرصوص » انه قيل له : من هؤلاء ؟ قال : حمزة أسدالله ، وأسدرسول الله ، وعلى بن أبيطالب وعبيدة بن الحرث والمقداد بن الاسود .

وفيه : باسناده عن ابن عباس قال : كان علىّ اذا صفّ فى القتال كأنه بنيان مرصوص فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وفيه : باسناده عن ابن عباس فى قوله جلّ وعزّ : « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً »قال : نزل فى على وحمزة وعبيدة ، وسهل بن حنيف ، والحرث بن الصمة وأبى دجّانة .

وفي كنز الفوائد : للكراجكى باسناده عن ابن عباس قال : على صلوات الله عليه اذا صف فى القتال كأنه بنيان مرصوص ، يتبع ماقال الله فيه، فمدحه الله ،

وما قتل المشركين كقتله أحد.

وفي المجمع: نزل قوله: « لم تقولون مالا تفعلون » في المنافقين عن الحسن.

وقيل: نزل في قوم كانوا يقولون إذا لقينا العدو لم نفر ولم نرجع عنهم ثم لم يفوا بما قالوا وانفلّوا يوم احد حتى شجّ وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكسرت رباعيته عن مقاتل والكلبي.

وقيل: نزلت في قوم قالوا: جاهدنا وأبلينا ولم يفعلوا وهم كذبة عن قتادة (مقاتل خ).

وقيل: لما أخبر الله سبحانه رسوله بثواب شهداء بدر قالت الصحابة لئن لقينا بعد قتالا لنفرغن فيه وسعنا ثم فروا يوم احد، فعيرهم الله تعالى بذلك عن محمد بن كعب.

وقيل: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: وددنا لو أن الله دلنا على أحب الاعمال إليه، فنعمل به فأخبرهم الله ان أفضل الاعمال ايمان لاشك فيه والجهاد، فكره ذلك ناس وشق عليهم وتباطأوا عنه فنزلت الاية عن ابن عباس.

وقيل: كان رجل يوم بدر قد آذى المسلمين، فقتله صهيب في القتال، فقال رجل: يارسول الله: قتلت فلاناً، ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمرو بن عبد الرحمن لصهيب: اخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم انك قتلته، وان فلاناً ينتحله، فقال صهيب انما قتلته لله ولرسوله فقال عمرو بن عبدالرحمن: يارسول الله! انما قتله صهيب فقال: كذلك ياأبا يحيى قال: نعم يارسول الله، فنزلت الآية والآية الأخرى عن سعيد بن المسيب.

وفي الجامع لاحكام القرآن: في قوله تعالى: « يريدون ليطفؤا نور الله » الخ قال: وسبب نزول هذه الاية ماحكاه عطاء عن ابن عباس: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبطأ عليه الوحي أربعين يوماً، فقال كعب بن الاشرف: يامعشر اليهود أبشروا! فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه، وما كان ليتمّ أمره، فحزن

رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى هذه الاية واتصل الوحى بعدها .

وفيه : وقال الكلبى :قال المؤمنون : يارسول الله ، لو نعلم أحبّ الاعمال إلى الله لسارعنا إليها فنزلت : « هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » فمكثوا زماناً يقولون : لو نعلم ماهى لاشتريناها بالاموال والانفس والاهلين ، فدلّهم الله تعالى عليها بقوله : « لاتؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » الاية فابتلوا يوم احد ، ففرّوا ، فنزلت تعيّرهم بترك الوفاء .



﴿القرائة﴾

قرأ أبوجعفر و نافع و إبن كثير و أبـوعمر و « من بعدى » بفتح الياء والباقون بالسكون .

وقرأ حفص وابن كثير وحمزة « متم نوره » على إضافة إسم الفاعل تخفيفاً على حدّ « ذائقة الموت » والباقون بالتنوين ونصب «نوره» على إعمال إسم الفاعل.

وقرأ إبن‌عامر « ينجيكم » بالتشديدمن باب التفعيل لقوله تعالى :«ونجّينا الذين آمنوا» و الباقون بالتخفيف من باب الافعال لقولـه تعالى : « فأنجاه الله من النار » .

وقرأ نافع وأبوجعفر وابن كثير و أبوعمرو « أنصاراً » بالتنوين و « لله » بغير ألف ، والباقون « أنصار الله » بالاضافة .

وقرأ نافع « أنصارى » بفتح الياء ، و الباقون بالسكون .



﴿ الوقف و الوصل ﴾

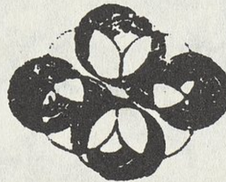
« فى الارض ج » لاحتمال العطف و الاستيناف و « إليكم ط » لتمام الكلام و « قلوبهم ط» لما تقدم و « أحمد ط» كذلك و «الاسلام ط» لاستيناف ما بعده و« المشركون ع » علامة لانتهاء الركوع وهو الحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن الكريم فى عامين .

« أليم ى » علامة العشر وتوضع عند انتهاء عشر آيات .

« و أنفسكم ط» لتمام الكلام و «تعلمون لا » للنعت الآتى أولان قوله تعالى «يغفر لكم» جواب لقوله : «تؤمنون» على انه خبر فى معنى الامر .

« عدن ط » لتمام الكلام « العظيم لا » للعطف .

و « تحبونها ط» لحق الحذف أى هى نصر و « قريب ط » لانقطاع النظم واختلاف المعنى و «إلى الله ط»لتمام السئوال و«أنصار الله ج» لتمام الكلام والتفريع و « طائفة ج » لاتفاق الجملتين مع تخصيص الثانية ببيان حال أحد الفريقين .



﴿ اللغة ﴾

٤٨ - المقت - ١٤٤٦

مقت الشيء يمقته مقتاً - من باب نصر - : أبغضه أشد البغض ، و كرهه لامر قبيح ركبه .

قال الله تعالى : « كبر مقتا عندالله أن تقولوا مالا تفعلون » الصف : ٣)

وفي الحديث : «ثلاث فيهن المقت من الله تعالى» .

وكون الشيء مبغوضاً : نفرة النفس عنه لكونه مؤلماً ، فان قوى البغض والنفرة سمى مقتاً .

ونكاح المقت - وكان هذا فى الجاهلية - كانت العرب اذا تزوج الرجل إمرأة أبيه ، فاولدها تقول للولد : مقتى وحرّمه الاسلام .

ووصف نكاح الرجل امرأة أبيه بانه مقت مبالغة فى كراهته كمافى قولهم : زيدعدل حتى كأنه لفرط قبحه هو المقت عينه، ويقال بهذا التأويل : كبرمقتاً أن تكذب ، فقد جعل الكذب مقتاً كما جعل ذلك النكاح مقتاً .

وفى الحديث : « لم يصبنا عيب من عيوب الجاهلية فى نكاحها ومقتها » .

مقت إلى الناس يمقت و مقاتة - من باب كرم - : مثل بغض بغاضة فهو مقيت أى ممقوت .

فى المفردات: المقت البغض الشديد لمن تراه تعاطى القبيح - و كان يسمى تزوج الرجل امرأة أبيه نكاح المقت .

وفى الاساس : تمقت إليه نقيض تحبب .

٣٩ - الرص والمرصوص - ٥٦٧

رصّ البنيان يرصّه رصاً - من باب نصر مد - أحكمه وجمعه ، وضم بعضه إلى بعض ، فالبنيان مرصوص .

قال الله تعالى : « كأنهم بنيان مرصوص » الصف: ٤) أى محكم كأنما بنى بالرصاص .

ورصّت على القبر الرصائص : ركمت عليه الحجارة ، والرصاصة : الحجارة الازقة بحو الى العين الجارية ، والمرصوصة : البئر طويت بالرصاص ، والرصاصة : البخيل وهو مجاز شبه بالحجر .

الرصص - محركة - : تقارب الاسنان ، والرصيص : البيض بعضه فوق بعض ورصّت الدجاجة و النعامة بيضتهما : سوّتاها بمنقارهما ورجلاهما لتقعدا عليها .

رصت المرأة نقابها : اذا ادنته من عينيها .

الارصّ : المتقارب الاسنان .

تراصّ القوم فى الصف : تضاموا وتلاصقوا حتى لايكون بينهم فرج و فى الحديث : « تراصّوا فى الصفوف لاتتخللكم الشياطين » .

و تراصّوا فى الصلاة أى تلاصقوا و تضايقوا فيها حتى لايكون بينكم خلل ولافرج .

وفى الحديث : « الصبّ عليكم العذاب صباً ثم لرصّ رصاً » .

وفى حديث ابن صياد: «فرصّه رسول الله ﷺ » أى ضم بعضه إلى بعض.

ورصّص السؤال : اذا ألح فيه .

الرصاص : معدن ، والواحدة : الرصاصة سمى بها لتداخل أجزائه .

الارصوصة - بالضم - : قلنسوة .

١٤ - الاطفاء - ٩٣١

طفأ يطفىء طفأ وطفوءاً - من باب علم - : سكن .

طفأ السراج : ذهب لهبه ونوره فخمد ، وأطفأت الفتنة : أسكنتها .

والحسّى : طفئت النار : سكن لهبها وبـرد حرّها ، وانطفأت كذلك ، و أطفأها غيرها ، ومنه على المثل : أطفأ الحرب .

و الذى فى القرآن الكريم معنوى لاطفاء نور الله جل و علا أولاطفاء نار الحرب .

قال الله تعالى : « يريدون ليطفؤا نورالله بأفواههم » الصف : ٨)

و قال : « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله » المائدة : ٦٤)

وفى الحديث : « قوموا إلى نيرانكم التى أو قدتموها على ظهوركم فاطفؤها بصلاتكم »

أراد بالنيران : الذنوب على سبيل الاستعارة أى قوموا إلى ذنوبكم التى توجب دخولكم فى النار ، فاطفؤها بصلاتكم أى كفروها بها .

وفيه دلالة صريحة على أن الصلاة تكفّر الذنوب و تسقط العقاب ، فان الحسنات تذهبن السيئات .

٧٠ - الفوه - ١١٨٩

فاه الرجل بكذا يفوه فوهاً - من باب نصر نحو قال - : نطق به وفتح به فمه.

تدور المادة على التفتح فى تلك الجارحة للانسان ، وما يشبهها من الحسى كفوّهة النهر أى فمه .

فى الحديث : «فلمّا تفوّه البقيع » أى دخل فى أوّل البقيع ، فشبهه بالفم لانه أوّل ما يدخل إلى الجوف منه ، ويقال لأول الزقاق والنهر : فوهته .

جمع الفاه : الافواه ، يقال : « دخلوا فى أفواه البلد » أى أوائله .

والفوه : سعة الفم ، والفوه : خروج الثنايا العليا وطولها .

والفم عند الاضافة و الجمع يردّ الى أصله وهو « فوه » وتحذف ميمه وورد مفرداً ومجموعاً مضافاً فرد إلى أصله فى « ليبلغ فاه » الرعد : ١١) .

قال الله تعالى : « يريدون ليطفؤا نورالله بأفواههم » الصف : ٨) .

المفوه : المنطيق ، منطق مفوه أى بليغ طيب .

فى حديث الامام على عليه السلام : « إن جامعت ليلة الجمعة وكان بينكما ولد فانه يكون خطيباً قوّالا مفوّهاً » كأنه أراد منطيقا و فى حديث الاحنف : « خشيت أن تكون مفوّها » أى بليغاً منطيقاً .

فى المفردات: أفواه جمع فم وأصل فم فوه ، و كل موضع علّق الله تعالى حكم القول بالفم ، فاشارة إلى الكذب ، وتنبيه ان الاعتقاد لا يطابقه نحو: « ذلكم قولكم بافواهكم » .

٢٢ - عدن - ٩٨٧

عدن بالمكان يعدن عدناً وعدوناً - من باب ضرب و نصر - : أقام واستوطن واستقرّ فيه ، ولزمه ولم يبرح منه .

وجنات عدن: جنات استقرار وثبات واطمئنان ،ولم يرد فى القرآن الكريم الاّ مضافاً إليه الجنات .

قال الله تعالى : « ومساكن طيبة فى جنات عدن » الصف : ١٣) أى جنات إقامة لمكان الخلود ، وجنات عدن : بطنانها ، وبطنانها : وسطها .

ويقال : ان الكلمة رومية أوسريانية ولهذا مكانه .

المعدن: منبت الجواهر ومستقرها من ذهب وفضة وحديد ونحوه .

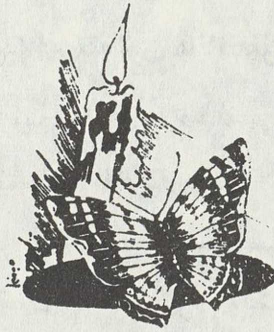
ومركز كل شيء معدنه ، يقال : « فلان معدن الخير والكرم » أى مكان

أصله ومركزه ، جمعه : معادن .

وفى الحديث : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة » والمعنى : ان الناس متفاوتون فى الطباع ومكارم الأخلاق ، ومحاسن الصفات ، وفيما يذكر عنهم من الآثار كل حسب إستعداده ، و مقدار شرفه تفاوت المعادن فيها الردى و الجيد .

وفى الحديث: « فعن معادن العرب تسئلونى ؟ قالوا: نعم » أى اصولهاالتى ينسبون إليها ، ويتفاخرون بها .

عدن : مدينة معروفة باليمن .



﴿النحو﴾

١- (سبح لله مافى السموات ومافى الارض وهو العزيز الحكيم)

« سبّح » فعل ماض من بـاب التفعيل ، « لله » متعلق بالفعل المذكورو « ما » موصولة فى موضع رفع، فاعل الفعل ، و « فـى السموات » متعلق بمحذوف وهو صله الموصول ، « وما فى الارض » عطف على « ما فى السموات » « وهو » الـواو للاستيناف ، وتحتمل الحال ، و« هـو » مبتداء ، و« العـزيـز » خبره ، و « الحكيم » خبر بعد خبر .

٢- (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون)

« يا » حرف نداء و « أيـّها » «أىّ » وصلة فى النداء تجيىء حين دخول حرف النداء على المنادى المحلى باللام ، و « ها » تنبيهية ، و « الذين » موصولة منادى ، و« آمنوا » فعل ماض من باب الأفعال صلة الموصول و « لم » اللام جارة و « ما » استفهامية أسقطت الالف لكثرة الاستعمال و قيل : حذفت لشدّة الاتصال مـع ضعف حرف الاعتلال فـى آخر الكلام لانه حرف تعيير فى موضع تعيير .

« تقولون » فعل مضارع لخطاب الجمع المذكر و« ما » موصولة فى موضع نصب على المفعول به ، و « لاتفعلون » فعل مضارع لخطاب الجمع المذكر منفى بحرف النفى صلة الموصول على حذف العائد أى لاتفعلونه .

٣- (كبر مقتا عندالله أن تقولوا مالاتفعلون) .

« كبر » فعل ماض غير متعد ، و فى فاعله وجوه :

أحدها ـ أن يكون قوله تعالى : « أن تقولوا » فى موضع رفع وهو الفاعل.

ثانيها ـ على تقدير : كبر هو .

ثالثها ـ على تقدير : كبر ذلك .

رابعها ـ فى « كبر » فاعل على شريطة التفسير لم يجر له ذكر ، وتقديره: كبر المقت مقتاً كقوله تعالى : « كبرت كلمة تخرج من افواههم » الكهف:٥) على أن « كبر » من ملحقات أفعال المدح والذم نحو : نعم رجلا زيد، فالمخصوص بالذم هو : « أن تقولوا . . . »

« مقتاً » منصوب على التمييز ، وتحتمل الحال .

وفى « أن تقولوا » وجوه :

أحدها ـ بدل من « كبر مقتاً »

ثانيها ـ فى موضع رفع على الابتداء ، و« كبر مقتاً » خبر مقدم ، على تقدير : قولكم مالا تفعلونه كبر مقتاً .

ثالثها ـ فى موضع رفع على كونه خبراً لمبتداء محذوف ، فالتقدير : هو أن تقولوا مالا تفعلون .

رابعها ـ فى موضع رفع على كونه فاعل « كبر » وتقديره : كبر هذا القول مقتاً .

خامسها ـ أن يكون « أن تقولوا » مخصوصاً بالذم على كون « كبر » من ملحقات أفعال المدح والذم .

« ما » موصولة فى موضع نصب على المفعول به ، و« لاتفعلون » صلتها على حذف العائد .

٣- (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص)

« ان » حرف تأكيد ، و « الله » اسمها ، و « يحب » فعل مضارع من باب الافعال

فى موضع رفع خبرها،و« الذين »موصولةفى موضع نصب مفعول به،و« يقاتلون » فعل مضارع من باب المفاعلة ، صلة الموصول ، و« فى سبيله » متعلق بفعل القتال.

« صفا » منصوب على المصدر بمعنى اسم الفاعل ولذا لم يجمع ، حال من ضمير « يقاتلون » أى حال كونهم مصطفين اوصافين ، ويحتمل أن يكون بمعنى المفعول أى حال كونهم مصفوفين .

« كأنهم » من الحروف المشبهة بالفعل ، وضمير الجمع فى موضع نصب إسمها ، راجع إلى المقاتلين ، و« بنيان » خبرها ، و« مرصوص » اسم مفعول صفة من « بنيان » والجملة فى موضع نصب ، حال ثانية من المقاتلين أى يقاتلون مشبهين بنيانا مرصوصاً .

٥ - (و اذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى و قد تعلمون انى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين)

« اذ » ظرف لمحذوف أى اذكر ، و« قوم » منادى على حذف ياء التكلم لدلالة الكسرة عليها ، فأصله : ياقومى ، و« لم » اللام الجارة تعليلية ، دخلت على « ما » استفهامية حذفت الالف لكثرة الاستعمال ، و« تؤذوننى » فعل مضارع لخطاب الجمع المذكر من باب الافعال ، والنون الثانى للوقاية ، والياء للتكلم فى موضع نصب ،مفعول به.

« وقد » الواو حالية ، و« قد »تأكيد للعلم لاتقليله،و« تعلمون »فى موضع نصب على الحال ، و «أنى رسول الله اليكم » فى موضع نصب على المفعول به ، و« فلما » الفاء تفريعية ومدخولها حرف وجود لوجود لان « لما » اذا دخلت على الماضى ترد لربط مضمون جملة بوجود مضمون اخرى فتقتضى جملتين ، والمقصود انها تدل على تحقق شىء لتحقق غيره .

« زاغوا » فعل ماض بمنزلة الشرط ، و« أزاغ » فعل ماض من باب الافعال جواب « لما » و« الله » فاعل و«قلوبهم » مفعول به ، والضمير راجع إلى قوم موسى

عليه السلام ، « والله » الواو للاستيناف ، و« الله »مبتداء و« لايهدى »خبره ،و« القوم » مفعول به ، و« الفاسقين » نعت من القوم .

٦ ـ (واذ قال عيسى ابـن مريم يا بنىاسرائيل أنى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يـأتى مـن بعدى اسمه أحمد فلما جاء هم بالبينات قالوا هذا سحر مبين)

« ابن » اضيف إلى «·مريم » عطف بيان مـن « عيسى » و« مريم » غيـر منصرف لوجود السببين مـن منع الصرف : التأنيث والعلمية ، و« مصدقا » اسم فاعل من باب التفعيل نصب على الحال المؤكدة والعامل فيها « رسول » أومادل عليه الكلام من الارسال،و« من التوراة » حال من الضمير فى« بين يدى »ويحتمل البيان ، و« مبشراً » حال ثانية و « ياتى » فى موضع جر ، نعت من « برسول » و« اسمه أحمد » جملة اسمية فى موضع جر ، نعت ثان مـن «برسول » وقيل : فى موضع نصب ، حال من الضمير فى « يأتى » و « أحمد » غير منصرف للسببين من منع الصرف : العلمية ووزن الفعلية .

« جاء هم »فاعل الفعل ضمير مستتر فيه راجع إلى « أحمد » وضمير الجمع فى موضع نصب ، مفعول به راجع إلى بنى إسرائيل ، « بالبينات » : جمع البينة وهى مؤنث البين .

٧ـ (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لايهدى القوم الظالمين)

« من » استفهامية ، و« أظلم » إسم تفضيل تمّ بمن و« مـن » فى « ممن » موصولة ، و« افترى » فعل ماض من باب الافتعال صلة للموصول ، و « الكذب » مفعول به ، « وهو » الواو حالية ومد خولها مبتداء ، و« يـدعى » فعل مضارع مبنى للمفعول و « إلى الاسلام »متعلق بفعل الـدعوة ، والجملة فـى موضع نصب على الحال من الموصول .

« والله » الـواو للاستيناف و« الله » مبتداء و« لايهدى » خبره و « القوم »

مفعول به و « الظالمين » نعت من « القوم » .

٨- (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)

« يريدون » فعل مضارع من باب الافعال في موضع نعت ثان من « القوم » ومفعول الفعل محذوف أى يريدون ذم الاسلام أو يريدون بهذا الافتراء :

وفي « ليطفؤا » وجوه :

أحدها - ان اللام زائدة والفعل منصوب بأن مقدرة بعد اللام ، و زيدت لتأكيد معنى الارادة لما في لام العلة من الاشعار بالارادة والقصد .

ثانيها - اللام للتعليل على حذف مفعول من « يريدون » أى يريدون الافتراء لان يطفؤا .

ثالثها - ان قوله تعالى : « يريدون » حال محل المصدر ، مبتداء واللام للتعليل والمجرور بها خبر أى إرادتهم كائنة للاطفاء .

رابعها - ان اللام مصدرية بمعنى « أن » فالمصدر المنسبك مفعول به ليريدون فليست « أن » مقدرة .

خامسها - ان « يريدون » منزّل منزلة اللازم لتأويله بيوقعون الارادة .

« نور الله » مفعول به و « بأفواههم » متعلق بفعل الاطفاء ، والأفواه : جمع الفوه ، وضمير الجمع راجع إلى « القوم الظالمين » ، « والله » الواو للحال و « الله » مبتداء ، و « متم » اسم فاعل من باب الافعال خبر للمبتداء ، اضيف إلى « نوره » و الجملة في موضع نصب على الحال ، و « لو » وصلية و « كره » فعل ماض ، و « الكافرون » فاعله .

٩- (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

« هو » مبتداء ، و « الذى » خبره ، و « أرسل » فعل ماض من باب الافعال صلة للموصول ، و « رسوله » مفعول به ، و « بالهدى » حال من « رسوله » ، و « دين الحق » عطف على « الهدى » والاضافة بيانية وقيل : الظاهر ان الاضافة في

الاصل لامية بعناية لطيفة وهي أن لكل من الحق والباطل ديناً يقتضيه ويختص به، وقد ارتضى الله تعالى الدين الذى للحق ـ و هوالحق تعالى ـ فارسل رسوله.

قال الله تعالى: ان الدين عندالله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه فالدين الذى للحق فهو ثابت لاالدين الحق لان الرسل كلهم مرسلون بالدين الحق « ليظهره » اللام تعليلية، والفعل من باب الافعال منصوب بأن مقدرة، والضمير فى موضع نصب، مفعول به، و « على الدين » اللام للجنس لقوله تعالى بعده « كله » فالمعنى: ليغلبه على جميع الاديان والباقى ظاهر مما تقدم.

١٠ـ (ياايها الذين آمنواهل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم)

« ادلكم » الفعل للتكلم وحده من المضارع، وضمير الخطاب فى موضع نصب، مفعول به، و« تنجيكم » فعل مضارع فاعله الضمير المستتر فيه راجع إلى « تجارة » وضمير الخطاب فى موضع نصب مفعول به.

١١ ـ (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)

فى « تؤمنون » وجوه:

أحدها ـ ان الجملة خبرية معناها انشائية أى آمنوا ويدل على ذلك قوله تعالى: « يغفر لكم » فجزم على الجواب، وتقديره: آمنوا إن تؤمنوا يغفر لكم، ولولا انها فى معنى الأمر لما كان للجزم وجه.

ثانيها ـ ان الجملة تفسير للتجارة.

ثالثها ـ أن تكون الجملة فى موضع جرّ على البدل من « تجارة ».

رابعها ـ أن تكون فى موضع رفع على تقدير: هى وأن محذوفة، ولما حذفت بطل عملها.

« وتجاهدون » فعل مضارع من باب المفاعلة عطف على « تؤمنون » و

« ذلكم » مبتداء ، و « خير » خبره ، والجملة فى موضع الجزاء للشرط التالى ، و « تعلمون » فى موضع نصب ، خبر لفعل الناقص .

١٢ - (يغفر لكم ذنوبكم و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم)

فى جزم « يغفر » وجوه :

أحدها ـ أن يكون جواب شرط محذوف دل عليه الكلام تقديره : إن تؤمنوا يغفر لكم ، و « تؤمنون » بمعنى آمنوا وهو امر جاء بلفظ الخبر .

ثانيها ـ أن يكون جواب لما دلّ عليه الاستفهام ، و المعنى : هل تقبلون إن دللتكم .

ثالثها ـ قال الفراء : هو جواب الاستفهام على اللفظ .

وهذا بعيد لان دلالته اياهم لاتوجب المغفرة لهم إذ قد دلّ كثيراً على الايمان ولم يؤمنوا ولم يغفر لهم .

١٣ - (واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)

فى موضع « اخرى » وجوه :

أحدها ـ نصب على تقدير : ويعظكم اخرى .

ثانيها ـ نصب بتحبون المدلول عليه بقوله : « تحبونها » .

ثالثها ـ رفع أى وثم اخرى .

رابعها ـ رفع على الخبر .

خامسها ـ رفع على الابتداء وتقديره : ولكم خلّة او نعمة او خصلة اخرى ، والجملة عطف على « يغفر لكم » .

سادسها ـ رفع قال الزجاج تقديره : ولكم تجارة اخرى ، فاخرى صفة لموصوف محذوف مرفوع بالابتداء .

سابعها ـ جرّ لانه عطف على « تجارة » تقديره: وعلى تجارة اخرى ، فحذف

الموصوف واقيمت الصفة مقامه .

« تحبونها » فعل مضارع لجمع الخطاب المذكر من باب الافعال في موضع جر صفة بعد صفة على احدى وجوه محل « اخرى » أى على تجارة اخرى محبوبة لديكم.

وقيل فى موضع نصب ، وقيل: فى موضع رفع على وجوه موضع « اخرى » « نصر » خبر لمحذوف أى هى نصر من الله ، و« فتح » عطف على « نصر » و « قريب » وصف من « فتح » يغنى عن الوصف لنصر .

« وبشر المؤمنين » عطف على الامر المفهوم من الكلام السابق كانه قيل: قل : يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم . . الخ وبشر المؤمنين بالجنة اوبالنصر والفتح.

وقيل : ان الجملة مستأنفة .

١٤- (يا ايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فامنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) .

« كونوا » فعل أمر من كان . و « أنصار » جمع الناصر والنصير اضيف إلى « الله » خبر لفعل الناقص ، و« كما قال » الكاف فى موضع نصب أى أقول لكم مثل ماقال .

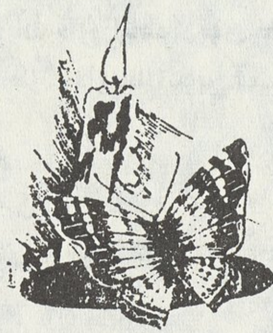
وقيل : هو محمول على المعنى أى انصروا كما نصر الحواريون عيسى ابن مريم عليه السلام « من » استفهامية في موضع رفع على الابتداء ، و« أنصارى » خبره، و « إلى » فى « الى الله » بمعنى « مع » .

« نحن » مبتداء ، و « أنصار الله » خبره والجملة مقولة للقول .

« فامنت » الفاء للنتيجة ومدخولها فعل ماض من باب الافعال ، و« طائفة » فاعل الفعل .

« فأيدنا » الفاء للنتيجة و مدخولها فعل تكلم مع الغير من الماضى من باب التفعيل ، و « الذين » فى موضع نصب ، مفعول به .

« فاصبحوا » الفاء تفريعية و مدخولها فعل ماض من باب الافعال من الافعال الناقصة ، و « ظاهرين » منصوب لانه خبر « فاصبحوا » .



﴿البيان﴾

١ ـ (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم)

جملة خبرية تقريرية بظاهرها لتسبيح كل من فى السموات ومن فى الارض لله جل وعلا وتمجيده و تعظيمه .

فالله تعالى ممجد معظم بذاته وإن لم يمجده المشركون ولم يعظمه الكافرون ومن إليهم ، وانما ينزهه جميع مافى السموات ومافى الارض سواهم عمالايليق بساحة الالوهية من الشرك في الخلق والعبادة ، ومن العجز فى التدبير ، و من الجهل فى أمر الكون وما فيه ، فأمره بيده وهو حكيم فى تدبيره ، وغالب على أمره.

ولكن الجملة مطلع تمهيدى لما بعدها بواقعها من توبيخ الذين يقولون ما لا يفعلون وإنذارهم بمقت الله جل وعلا وإزاغته قلوب الفاسقين ، و من وعد المؤمنين بالمغفرة والرضوان ، وتبشيرهم بالنصر والظفر والغلبة على اعداء هم ، فانه القادر القاهر الغالب غير مغلوب ، الحكيم فى تدبير خلقه وفق ماسنّه من السنن ، إهلاكاً وإنجاءاً ، ثواباً وعقاباً ،وفى ايثار الفعل « سبح » بصيغة الماضى وتكرير الموصول « ما » مالا يخفى على القارى الخبير فتدبر .

٢ـ (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون)

عتاب وتنديد موجّه إلى المسلمين الذين لاينفذون بالفعل مايقولونه و يعدونه باللسان ، وفيه مبالغة فى منع القول بلا عمل ، و توبيخ شديد عليهم لو فعلوا ذلك ، وانكار غليظ عليهم أن يلبسوا ثوب الايمان ظاهراً وباطنهم عار عنه،

أو تقول ألسنتهم ماليس فيقلوبهم وهذا إحدى وجوه النفاق لايليق بالمؤمن أن يلمّ به أويدخل شيئاً منهفي ايمانه.

« لم » مركبة من اللام الجارة ، و« ما » الاستفهامية حذفت ألفها تخفيفاً لكثرة استعمالها معاً كما في « عمّ » و« فيم » ونظائرهما . .

ومعناها : لايّ شيء تقولون : نفعل مالا تفعلون من الخير والمعروف على أن مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم إلى قولهم تنبيهاً على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد بهأيضاً ،وقد كانوا يحسبونه معروفاً ، فلوقيل : « لم لاتفعلون ماتقولون » لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود .

٣- (كبرمقتاً عند اللهأن تقولوا ما لاتفعلون)

بيان لغاية قبح مافعلوه ، وفرط سماجته ، وانه بلغ الغاية في بغض الله جل وعلا ، وفيشدة التنديد دلالة علىأن موقف المندد بهمكان مثيراً للمقت والسخط إما بتكرره وإما في ظروفه ، وهذا لايكون علىالارجح الاّ من المنافقين .

وفي الايتين تنبيه إلىان هذا الموقف مماآلم النبي الكريم ﷺ وآذاه ، وتشير إلى ذلك الايات التالية التي تذكر مواقف قوم موسى عليه السلام المؤذية من نبيهم رغم اعترافهم بنبوته وتنددبهم وتصفهم بالفسق والانحراف .

وسياق الايتين عام وتلقينهما مستمر المدى لجميع المسلمين في كل وقت ومكان ، وقوّتهما تهزّ النفس هزّاً وتدعوانها إلى الصدق .

« كبر » من باب «نعم وبئس» اضمرفيه ضميرمبهم يفسره النكرة التيبعده ، و « أن تقولوا » هو المخصوص بالذم ، ويحتمل أن يقصد منه التعجب من غير لفظه ، واسند إلى « أن تقولوا » ونصب « مقتاً » على تفسيره دلالة على أن قولهم « مالاتفعلون » مقت خالص لا شوب فيه كبرعند من يحقردونه كل عظيم .

وفي الاية ضروب مبالغة ؛ من جهة صيغة التعجب ، وان التعجب لايكون

إلاّ من شيء خارج عن نظائره وأشكاله ، ومن ناحية إسناد الفعل الى «أن تقولوا» ومن جانب ان المقت أشد من البغض ، ومن جهة وصفه بانه «عند الله» لان الممقوت عنده جل وعلا ممقوت عند كل ذى لب .

ومن المحتمل أن تكون الاية بصدد التعليل لمضمون الاية السابقة ، فالله جل وعلا يبغض من يقول ما لايفعله لانه من النفاق وهذا غير من لايفعل مايقوله لان الاول من النفاق والثانى من ضعف الارادة ، ووهن العزم ، وهو رذيلة تنافى لسعادة النفس البشرية ، فان الله تعالى جعل سعادة النفس على فعل الخير واتيان الحسنة من طريق الاختيار ، ومفتاحه العزم والارادة ، ولاتأثير الاّ للراسخ من العزم والارادة ، وتخلّف الفعل عن القول معلول وهن العزم وضعف الارادة ، ولا يرجى للانسان مع ذلك خير ولاسعادة .

٤- (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص)

تقرير لما هو مرضى عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده ، وهذا صريح فى أن ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال ، فتخلفوا بانهم يأمرون الناس بالقتال ، وينسون أنفسهم لان مناط التعبير والتوبيخ هو خلافهم لاوعدهم كما اشير إليه «كأنهم بنيان مرصوص» فيه بيان غاية اتحادهم فى القتال مع أعداءهم اذ رصّ بعضه إلى بعض حتى صار شيئاً واحداً .

وحث على القتال بنوع آخر ، وذلك انه نسب اولا ترك القتال بعد تمنيه إلى المقت ثم نسب القتال إلى الحب : حث على القتال فى سبيل الله بعزم وتراض ودعوة إلى التضامن فى القتال فى سبيل الله وإيذان بحب الله جلّ وعلا للذين يفعلون ذلك .

«صفاً» و «كأنهم» حالان متداخلان أى صافين أنفسهم أو مصفوفين كأنهم فى تراميهم من غير فرجة ولا خلل ، ويجوز أن يراد صف معنوى وهو اتفاق كلمتهم واستواء نياتهم فى الثبات ، وعلى الاول استدل بعضهم به على تفضيل القتال

راجلا بناء على أن الفرسان لايصطفون من غير فرجة .

«مرصوص» المرصوص : المنضم بعضه على بعض كناية عن استقامته في القتال

وقيل : ان الاية تعلل خصوص المورد ـ وهو أن يعدوا الثبات في القتال ثم ينهزموا ـ بالالتزام كما ان الاية السابقة تعلل التوبيخ على مطلق أن يقولوا مالا يفعلون ، وذلك ان الله سبحـانه إذا أحبّ الذين يقاتلون ، فيلزمون مكانهم ولا يزولون كان لازمه أن يبغض الذين يعدون أن يثبتوا ثم ينهزمون اذا حضروا معركة القتال .

٥ـ (واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدي القوم الفاسقين)

مستأنف سيق لتقرير ما قبله من شناعة ترك القتال على طريق التلوين لان التقدير : اذكر أيها الرسول لهؤلاء المعرضين عن القتال حين قال موسى عليه السلام لبني اسرائيل ، وندبهم إلى قتال الجبابرة بقوله : « يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين» .

فلم يمتثلوا بأمره وعصوه أسد عصيان اذ قـالوا : « يا موسى ان فيها قوماً جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون ـ إلى قوله ـ اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون » المائدة : ٢١ـ ٢٤) .

فاصرّوا على ذلك وآذوه تمام الأذية . . .

وفي الاية : تذكير على سبيل العظة والزجر والتمثيل بما كان من قوم موسى إزاء موسى عليه السلام من مواقف مؤذية مزعجة مع تأكيدهم بانه رسول الله إليهم وبماكان من إنتقام الله منهم حينما انحرفوا عن جادة الحق حيث أزاغ الله قلوبهم وقساها لان الله جل وعلا لايمكن أن يوفق ، ويسعد الفاسقين الخارجين عن طريق الرشاد .

وفيها : إشارة إلى موقف الذين يقفون من النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مواقف مثيرة

مؤلمة مستوجبة لمقت الله وغضبه على سبيل الاستطراد، وتسلية لرسول الله ﷺ عما يرى من ضعفاء الايمان: من القول بلا عمل، و المخالفة عما امروا بـه، والانحراف عن جادة الحق، والانحياز إلى المشركين والممالأة للكافرين.

وهذا هو موسى عليه السلام قد لقي من قومه اليهود ـ الذين يرى النبي الكريم ﷺ أبناءهم يكيدون له، ويكيدون لدعوته ـ ألواناً من الخداع وضروباً من الاذى، وقد كانوا يرون تسع آيات بينات جرت بيد موسى عليه السلام وقد كانوا أبداً في لجاج وعناد وتكذيب، ولقد أنجاهم الله تعالى بيد موسى عليه السلام من فرعون ومما يسومهم من سوء العذاب.

و في ذلك نهي إلتزامي للمسلمين عن أن يؤذوا رسول الله ﷺ فيؤل أمرهم إلى ما آل إليه أمر قوم موسى عليه السلام من إزاغة القلوب.

قوله تعالى: «وقد تعلمون اني رسول الله إليكم» جملة حالية مؤكدة لانكار الايذاء ونفي سببه، و «قد» لتحقيق العلم، فتفيد التأكيد كأنه قال: وتعلمون علماً يقيناً لامرية لكم فيه، وايثار المضارع للدلالة على استمراره، وعلى ان هذا العلم قائم بينهم، وعلى أنّ الايات والمعجزات لاتزال تتنزل عليهم، وفي هذا ما يشير إلى ما في طبايعهم من عناد ولجاج عن الانقياد للحق.

و يجوز أن تكون للتكثير لان «قد» مع الفعل المضارع تارة تأتي للتقليل، يقال: ان الكذوب قد يصدق، واخرى تأتي للتكثير، وفيه أشارة إلى نهاية جهلهم إذا عكسوا القضية، و صنعوا مكان تعظيم رسول الله ﷺ ايذاء.

وقوله تعالى: «فلما ازاغوا أزاغ الله قلوبهم» تقرير لعاقبة ايذاءهم، و تمردهم وعصيانهم ومخالفتهم لامر الله جل وعلا ورسوله.

وذلك انهم لما زاغوا عن الحق حكم عليهم بالزيغ عنه وحكمه بذلك أن يأمر أولياءه بذمهم و لعنهم و البراءة منهم وغضب عليهم، وضرب عليهم الذلة و المسكنة عقوبة لهم على ذميم فعلهم.

و يجوز أن يكون المعنى : انهم لما زاغوا عن الحق أبعدهم عنه ، وأضاف الله سبحانه الفعل إلى نفسه على طريق الاتساع لما كان وقوع الزيغ منهم مقابلا لامره لهم باتباع الحق وسلوك طريق النهج الحق كقوله تعالى : « فاتخذ تموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكرى » المؤمنون : ١١٠)

أى دفع نسيانكم لذكرى عن مقابلة أمر اولئك العباد الصالحين لكم بأن تسلكوا الطريق الاسلم و تتبعوا الدين الاقوم ، فكأنهم تسبّبوا لمزيد الانحراف عن الجادة ، فالطاعة تجرّ الطاعة ، و المعصية تجرّ المعصية ...

وقوله تعالى : « و الله لايهدى القوم الفاسقين » اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ، و مؤذن بعلته أى لايهدى القوم الخارجين عن مدار الايمان و دائرة الطاعة وصالح العمل ، و انحرف عن منهاج الحق ، و الداخلين فى الضلالة و الغواية ، و المنهمكين فى الفسق .

و فى ذكر « القوم » إشارة إلى أن المراد بهم قوم مخصوصون و هم قوم موسى عليه السلام وهم اليهود المؤذية المعتدية المغضوب عليهم .

٦- (و اذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة و مبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاء هم بالبينات قالوا هذا سحرمبين) .

ان الاية والتى قبلها وثلاث آيات بعدها سيقت لتسجيل ان النبى الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسول معلوم الرسالة عند المؤمنين فجاء بنور ساطع من عندالله جل وعلا يريد الكافرون من أهل الكتاب اطفائه بأفواههم ، و جاء بدين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره مشركو مكة ، فعلى المؤمنين أن لايؤذوا النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وهم يعلمون انه رسول الله إليهم ، وأن ينصروه ويجاهدوا فى سبيل ربهم لاعلاء كلمة الله تعالى ونشر دينه وإزهاق كلمة الباطل و تقطيع أذناب أهلها كما كانت اليهود يؤذون نبيهم موسى عليه السلام وهم يعلمون انه رسول الله

ولا ينصرونه ولايجاهدون في سبيل الله بل كانوا يتخذون العجل آلهة لهم و يعبدونه .

فقوله تعالى : « واذ قال عيسى ابن مريم.. » الخ كالتوطئة لما سيذكر من كون رسول‌الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً مبشراً به‌من قبل أرسله‌الله تعالى بالهدى ودين الحق وهوالنور الذى يهتدى به‌الناس ، وتوكيد رسالته صلى الله عليه وآله وسلم و قوة ما فيها من الحق والنور الالهى وحمل المؤمنين بهاعلى‌الثبات و التأييدالى‌ما كان من‌بشارة بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم حيث حكت قوله لبنى اسرائيل انه رسول‌الله اليهم مصدق للتوراة التى انزلت‌من قبل ، ومبشر بنبى بعده إسمه أحمده ، وتقرير لموقف بنى‌اسرائيل فيمابشرهم عيسى عليه السلام به.

قوله : « يابنى‌اسرائيل » ناداهم بذلك إستمالة لقلوبهم إلى تصديقه .

قيل : انما قال عيسى عليه السلام : « يابنى‌اسرائيل » ولم يقل : ياقوم كما قال موسى عليه السلام لانه لانسب له فيهم .

أقول : و هذا مردود بقوله‌تعالى : « ومن ذريته داود و سليمان و ايوب ويوسف وموسى و هارون ـ وزكريا ويحيى وعيسى و إلياس » الأنعام: ٨٤ـ٨٥)

و قيل : نسب عيسى عليه السلام إلى امه لانه نسب له فى الناس اذلا أب له من بنى آدم ، وانما هو نفحة من روح‌الله .

و نادى عيسى عليه السلام بنى اسرائيل بقوله : « يا بنى اسرئيل » و لم يقل : يا قوم كما هو حديث الانبياء إلى أقوامهم لانه ـ و ان ولد فيهم ـ ليس ابناً لرجل منهم .

و ان اليهود لاينسبون أحداً إليهم الا اذا كان‌مولوداً من أبوين يهوديين او من أب يهودى على الأقل .

مع ان اليهود كانوا ينسبون عيسى عليه السلام نسبة غير شرعية إلى يهودى منهم ، وهو يوسف النجار وانه بهذا لامانع عندهم من أن ينسب عيسى عليه السلام اليهم الا انه عليه السلام رفض هذا النسب المدّعى له محتفظاً بنسبه السماوى الذى

كرمه الله به متحدياً بهت اليهود ضارباً فى وجوههم بهذا الافتراء الذى افتروه عليه وعلى أمه البتول ... لانه لايقول غير الحق ولايقبل الا ماهو حق .

و قوله : « انى رسول الله إليكم » ايذان بأصل دعوته عليه السلام وإشارة إلى انه لاشأن له الا أنه حامل رسالة من الله تعالى إليهم قيل : فيه دلالة على انه عليه السلام رسول الله إلى بنى اسرائيل خاصة كما ان موسى كان رسولا من عندالله إليهم خاصة .

وقوله : « مصدقا لما بين يدى من التوراة » إشارة إلى الشطر الاول من رسالته ، و تقرير لمتن ما ارسل إليهم لاجل تبليغه فى رسالته ، و بيان ان دعوته لاتغاير نهج التوراة ولاتناقض شريعتها بل تصدقها و إن جاء بنسخ بعض أحكامها . . و فى هذا قال عيسى عليه السلام فى الانجيل : « ماجئت لانقض الناموس وانما جئت لاكمل » اى لاقيم ماهدمتم من تلك الشريعة وما نقضتم من ناموسها.

وقوله : « ومبشراً برسول يأتى من بعدى إسمه أحمد » إشارة إلى الشطر الثانى من رسالته .

و لمافى معنى البشارة يفيد الكلام أن ما يأتى به النبى الكريم أحمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو أرقى واكمل مما تضمنته التوراة وبعث به عيسى عليه السلام .

وهو كذلك فان إمعان النظر و التأمل فى المعارف الالهية التى يدعو إليها الاسلام يعطى أنها أدق مما فى غيره من الشرائع السابقة : اصولها وفروعها ...

ان تسئل : لما ذا قال عيسى عليه السلام : « اسمه احمد » و لم يقل : محمد و محمد صلى الله عليه وآله وسلم أشهر أسماء نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ؟

تجيب : انما قال : أحمد لانه مذكور فى الانجيل بعبارة تفسيرها أحمد لا محمد ، و انما كان كذلك لان إسمه فى السماء أحمد وفى الارض محمد فنزل فى الانجيل اسمه السماوى ، و قيل : ان أحمد أبلغ فى معنى الحمد من محمد من جهة كونه مبنياً على صيغة التفضيل التى هى للتكثير .

ويؤيد الاول قول حسان :

صلّى الاله و من يحف بعرشه و الطيبون على المبارك أحمد

ومن أشعار أبى طالب عليه السلام قوله :

و قالوا لاحمد أنت امرء خلوف اللسان ضعيف السبب
ألا إن أحمد قد جاء هم بحق ولم يأتهم بالكذب

و قوله مخاطباً للعباس وحمزة و جعفر و علىّ يوصيهم بنصر النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم :

كونوا فدى لكم امّى وما ولدت فى نصر أحمد دون الناس أتراساً

ومن شعره فيه صلى الله عليه وآله وسلم وقد سمّاه باسمه الاخر محمد :

ألم تعلموا انا وجدنا محمداً نبياً كموسى خطّ فى أوّل الكتب

والمستفاد من البيت انهم عثروا على وجود البشارة به صلى الله عليه وآله وسلم فى الكتب السماوية التى كانت عند أهل الكتاب يومئذ ذاك .

ويؤيد ذلك ايمان جماعة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى وفيهم قوم من علمائهم عبد الله بن سلام و غيره ، وقد كانوا يسمعون هذه الايات القرآنية التى تذكر البشارة به صلى الله عليه وآله وسلم وذكره فى التوراة والانجيل ، فتلقّوه بالقبول من غير تكذيب ولا امراء فيه .

ان تسئل : لما ذا قال تعالى : « فلما جاء هم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » ولم يقل :هذه وما اشير إليه هو البينات وهى مونث ؟

تجيب : ان معناه : هذا الذى جاء بهم ، فالاشارة إلى المأتى به .

٧ - (ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لايهدى القوم الظالمين)

إستنكار وتنديد بما كان من موقف الكفار من النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وردّ لقولهم : « هذا سحر مبين » وتوكيد لانتصار دينه وانتشار نور الله تعالى وايمانه نتيجة لذلك حتى يغلبا ماعداهما بالرغم من كل المحاولات المعطلة من الكفار والمشركين ، فقوله : « وهو يدعى إلى الاسلام » يتضمن الحجة على كون قولهم:

« هذا سحر مبين » افتراء على الله جل وعلا ، اذا تقرر الاية انه ليس من أحد أشد ظلماً ممن يفترى على الله الكذب ، فيقول عن آياته البينة والدعوةالصريحة إليه وإلى دينه القويم أنها سحر .

قوله تعالى : « و هو يدعى إلى الاسلام » نظير ما مر من قوله : « و قد تعلمون أنى رسول الله إليكم » اذ فى كل منهما تعكيس القضية ، حيث جعل مكان إجابة النبى الكريم ﷺ إلى الاسلام الذى فيه سعادة الدارين إفتراء الكذب على الله جل وعلا وهو قولهم للمعجزات : هى سحر لان السحر كذب وتمويه .

وفى قوله تعالى : « و الله لايهدى القوم الظالمين » من تعليق الحكم على الوصف ما لايخفى ، فالله تعالى لايهدى من اتصف بالظلم ، فالنقص من جانب القابل حيث أوجده فيه بسوء اختياره لامن قبل المعطى .

٨- (يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم و الله متم نوره و لو كره الكافرون) .

تقرير لغرض هؤلاء المعطلين وموقفهم من هذا الافتراء كأنه قال: يريدون بالافتراء إطفاء نور الله جل وعلا وفى ايثار صيغة المضارع دلالة على الاستمرار و حقاً ان فى هذا منتهى السخف و القحة اذ زعموا أن نور الله تعالى وهو دينه و أساسه نور ضعيف كنور الشمع او السراج الذى يطفأ بأدنى نفخة فم فرموه بالسحر و انقطاع نسبته إلى الله تعالى ، و قد أخطأوا فى مزعمتهم فهو نور الله الذى لايطفاء أبداً .

قوله تعالى : « بافواههم » إشارة إلى الكذب و الافتراء الذى تتفوه به أفواههم ، فكأن تلك الكلمات الباطلة التى تخرج من أفواههم - هى نفثات تخرج من صدور مغيظة محنقة ، ينفخون بها فى هذا المصباح الهادى ، ليطفؤا نور الله جل وعلا .

وقوله تعالى : « والله متم نوره و لو كره الكافرون » وعد للمؤمنين و وعيد للكافرين ،وإنذار للفجارو المستكبرين وتبشير لاهل التقوى و اليقين ، وهذا تعقيب على موقف هؤلاء المفترين من نورالله تعالى ومن دينه الحق الذى يدعو إليهالنبى الخاتم ﷺ . . نور سيبسط سلطانه على الافاق كلها ، وسيبلغ به الله جل وعلا تمام كماله وإن احترقت اكباد الكافرين حسرة و كمداً لما سيبلغه هذا الدين من قوة وسلطانوتمام نورالله جل وعلا انما يكون حين يطلع على آفاق الارض كلها ، ويملاء الكون برغم الكافرين .

٩- (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

تعليل لقوله تعالى : « والله متم نوره » فالمعنى : والله نوره لانه هوالذى أرسل رسوله ﷺ . . الخ ووعد من الله تعالى للمؤمنين بنصر هذا الدين و بسط سلطانه على كل دين وانه جل وعلا جاعل لهذا الدين السيادة والغلبة والظهور على الاديان كلها حتى يصبح دين العالم أجمع برغم المشركين ، و تنديد بمن يحاول الوقوف فى وجه دين الله الحق وهوالذى جاء بـه النبى الكريم ﷺ قيل : انما قال اولا : « ولو كره الكافرون » وقال ثانياً : «ولو كره المشركون» لانه ذكر اولا النور واطفاؤه فاللائق به الكفر ، لانه سترو تغطية ، و ذكرثانيا الحاسدين للرسول ، واكثرهم من قريش ، فناسب ذكر المشركين .

١٠ - (ياايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم)

نداء من الله تعالى إلى هؤلاء المؤمنين ودعوة لهم إلى تجارة تنجيهم من الذل والمسكنة فى الحياة الدنيا و من أليم العذاب فى الاخرة ، فانهم الذين استجابوالله تعالى ورسوله ﷺ ودانوا بهذا الدين فيه عزتهم وسعادتهم فى الدارين.

وهذا اسلوب يفيدالتشويق والاهتمام والحث والترغيب فيما يأتى بعده كما تقول : هل أدلك على عالم عظيم ذى خلق حسن ، وينبوع من العلم والفضل ؟ هو

فلان ، فيكون ذلك أروع فى الخطاب وأجلب لقبوله .

فى قوله: « هل أدلكم على تجارة تنجيكم » الاستفهام للعرض فى معنى الامر و فى تنكير « تجارة » تفخيم أى تجارة جليلة القدر ، عظيمة الشأن ، وجعل الربح الحال من التجارة النجاة من عذاب أليم لاتقدر قدره .

قيل : مصداق هذه النجاة الموعودة المغفرة والجنة ، ولذا بدّل ثانياً النجاة من العذاب من قوله : « يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات » الخ وأمّا النصر و الفتح الموعودان فهما خارجان عن النجاة الموعودة ، ولذا فصلهما عن المغفرة والجنة ، فقال : « واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب »

١١ - (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خيرلكم ان كنتم تعلمون)

مستأنف مبين للتجارة ، وهى مركبة من العقيدة والعمل : العمل الجسمى والمالى ، فللتجارة كفتان: كفة العقيدة ، و كفة العمل كأنهم قالوا : كيف نعمل أو ماذا نصنع وماهى هذه التجارة ؟ فقيل : تؤمنون بالله . . الخ وهو خبر فى معنى الامر على سبيل التلطف جيىء به للايذان بوجوب الامتثال فكأنه وقع ، فأخبر بوقوعه.

ويجوز أن تكون دعوتهم إلى الايمان بعد ماخاطبهم بالايمان اذ قال :« يا ايها الذين آمنوا » دعوة إلى ايمان خالص من الريب مبرّأ من الشرك والرياء اذليس كل من دخل فى الايمان مؤمناً حقا اودعوة إلى التزام مايقتضيه الايمان وهو العمل فلا ايمان لمن لاعمل له و فى ذكر الايمان بالرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم مع الايمان بالله تعالى دلالة على وجوب طاعته فيما امر به والاّ فالايمان لايعدّ ايماناً بالله جل وعلا الاّ مع الايمان برسالة الرسول قال الله تعالى : « ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله - اولئك هم الكافرون حقا » النساء:١٥)

وقدم الايمان اذ لولاه لما أفاد العمل والجهاد ، فان العمل المؤثر مادام

منضماً ، لعقيدة ،وقدم الاموال على الانفس فى الذكر لان الاموال هى التى يبدأ بها فى الانفاق والتجهيز إلى الجهاد اولعزتها فى ذلك الوقت اولانها قوام النفس فالمال بمنزلة الثمن الذى يدفعه المشترى ، وفى تقديم الانفس علىالاموال فى بعض الايات فباعتبار ان النفس هوالاصل فى الجهاد ، واذا قدّم الاصل ، فتقديم الفرع ـ وهو المال ـ سهل يسير .

« ذلكم » إشارة إلى ما ذكرمن الايمان والعمل بقسميه : الجهاد النفسى والجهاد المالى ، ومعنى البعد فيها لبعد مرتبتهما . . .

١٢ـ (يغفرلكم ذنوبكم و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار و مساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم)

جواب لشرط مقدرتدل عليه الاية السابقة أى ان تؤمنوا بالله يغفرلكم الخ وتقرير لفوائد التجارة الرابحة : عاجلها وآجلها ، وقدّم الاخر على الاول لفضل الاخرة على الاولى ولكونها خيراً وأبقى .

« ذلك الفوز العظيم » تأكيد لذلك ، وفى الاية حثّ وتشويق إلى ماينال به الانسان إلى ذلك .

١٣ـ (واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)

تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الاجل اذ فيهم من يحاول عاجل النصر تأييداً لهذا الدين ، فوعدهم الله ذلك ، وفى الاية ما يدخل الطمأنينة والرضا فى قلوب المؤمنين ويمدّهم بأمداد السكينة والثبات والصبر على ما كانوا يعانون من شدة وضيق ، وماكانوا يلقون من كيد وبلاء . . . وفيهاإشارة إلىفوائد التجارة الرابحة المنجية من عاجلها ، وزيادة ترغيب فيها .

قوله تعالى : « نصر من الله وفتح قريب » بيان لاخرى .

وقوله تعالى : « وبشر المؤمنين » إلتفات من خطاب إلى خطاب وفيه ما لا يخفى على المتأمل الخبير .

وفى الاية والتي سبقت عليهاترتيب الامرين علىالامرين : المغفرة وإدخال

الجنة على الايمان ، والنصر والفتح على الجهاد .

١٤ - (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فامنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين)

تمثيل وتذكير وحث على نصرة دين الله تعالى ونشره وإعلاء كلمة الحق بالجهاد ، ودعوة إلى التأسى ، فالمؤمنون مدعوون إلى أن يكونوا أنصار الله جل وعلا ، وعليهم أن يتأسّوا بالحواريين الذين استجابوا إلى دعوة عيسى ابن مريم عليه السلام حينما هتف : من أنصارى إلى الله تعالى ؟ فاعلنوا : انهم أنصار الله ، فكانت نتيجة ذلك أن آمنت طائفة من بنى اسرائيل بعيسى ورسالته ، وكفرت طائفة فأيّد الله تعالى المؤمنين على أعدائهم الكافرين ، فظهروا عليهم وانتصروا .

قوله تعالى: « كما قال عيسى ابن مريم » إن التشبية باعتبار المعنى أى كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار الله تعالى اذ قال لهم عيسى عليه السلام : من أنصارى إلى الله ؟ اومعناه : قل لهم: كونوا كما قال عيسى للحواريين .

وقوله تعالى : « نحن أنصارالله » مستأنف بيانى كأنّ سائلا سئل فما ذا قال الحواريون حينئذ ؟ اجيب : انهم قالوا : نحن أنصارالله ، وقولهم لا يخالف كونهم ، فيعود معنى الاية إلى قول القائل: كونوا أنصارالله مثل كون الحواريين أنصار عيسى وقت قوله : من أنصارى ، على أنّ ما مصدرية ، والمصدر يستعمل مقام الظرف اتساعاً كقولك : جئتك قدوم الحاج و خفوق النجم أى وقت القدوم والخفوق والسر فى العدول عن العبارة الواضحة إلى العبارة الموجودة هو ان سوق الكلام بطريق الكناية حيث جعل المشبه به لازم ماهو المشبه به أبلغ من التصريح وان بناء الكلام على السؤال والجواب أوكد ، وان المجاز وهو استفادة كونهم من قولهم أبلغ من الحقيقة .

وقوله تعالى : « فامنت طائفة من بنى اسرائيل و كفرت طائفة » تقرير

لما انتهى إليه امر استنصار عيسى عليه السلام وتلبية الحواريين فتميّز بنو اسرائيل، مؤمنهم من كافرهم ومطيعهم من طاغيهم فتفرّقوا تجاة الدعوة إلى طائفة مؤمنة واخرى كافرة.

وفى قوله تعالى: « فأيّدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين » بشارة ضمنية اخرى للمؤمنين اذا ما استجابوا إلى دعوة الجهاد ونصرة دين الله تعالى واعلاء كلمته جل وعلا فالله تعالى مؤيدهم على الذين كفروا ومظهرهم عليهم.

وفيه تلويح إلى ان امّة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يجرى فيهم ماجرى فى امة عيسى عليه السلام فتومن منهم طائفة و تكفر طائفة، فان أجاب المؤمنون استنصاره صلى الله عليه وآله وسلم - وقدقام الله تعالى مقامه فى الاستنصار اعظاماً لامره واعزازاً له - أيّدهم الله على عدوهم، فيصبحون ظاهرين كما ظهر أنصار عيسى عليه السلام والمؤمنون به.

«الاعجاز»

و من وجوه إعجاز هذه السورة أخبار غيبية جائت فيها ، فوقعت على ما اخبرت به :

منها قوله تعالى : حكاية عن عيسى ابن مريم عليه السلام : «يابنى اسرائيل إنّى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة و مبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » الاية : ٦)

وذلك انه لايدور فى خيال ولا يخطر ببال ان رجلا من متوسطى العقول ومتعارفى البشر يدّعى لنفسه ذاك المقام الرفيع ، ثم يأتى - حاشا لله بشيء - من الكذب الشنيع ، ثم لايكتفى بان يقول للواحد والاثنين من أهل الملل : ان اسمى موجود فى كتبكم المنزلة من السماء ، وقد بشّر بمجيىء من جاءكم قبلى من الرسل ، حتى يأتى بوحى يتضمن ذلك يتلوه على كل سامع ، ويردّده ، فى حافل الجوامع والمجامع ، واليهود والنصارى إلى جنبه وأخبارهم وقسسهم بقربته ، والتوراة والانجيل ملء أفواههم ، وعلى طرف ألسنتهم وهم يسمعون قوله فى وحيه الصادع ، ونوره المبين الساطع .

وهو يقول : « الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل » الاعراف : ١٥٧)

فلولا ان لهذا الامر واقع ، ووراء هذا الحق حقيقة لجاؤا إليه ، وقالوا : يا محمد ! هذه التوراة والانجيل فأين فيهما يصرّح باسمك ؟ وأى بشارة بها تدل عليك بزعمك ؟ ومن الواضح المسلّم ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأنس

إليهم ويحادثهم ويجتمع إليهم ويتلوا عليهم آيات الله تعالى ،حتى كان من الامتناع عن المباهلة وقبول الجزية ما تزول به كل شبهة ومرية .

وهذا برهان ساطع ودليل قاطع على ثبوت البشارة به فى التوراة والانجيل والا لنقل إلينا محاجتهم معه فى ذلك مع توفر الدواعى إليه ، وإلى نقله بل الذى نقل وشوهد هو قبول الجزية والامتناع عن المباهلة والمقاتلة ، ثم ليس لك الرجوع فى تلك الايات هنا علينا قائلا : بان هذا بناقض ما ثبت من عدم كون ما فى أيدى القوم من الكتب هذا اليوم ،هى تلك التوراة والانجيل التى ذكرها القرآن الكريم، وأعرب عنها بالشرف وأبان .

فاجيب عن هذه الكريمة ، ونظائرها من كرايم هذا الكتاب مما يدل بظاهره على وجود نفس التوراة والانجيل فى زمن نزول هذا القرآن المبين وظهور هذا الدين من مثل قوله تعالى : « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين » آل عمران : ٩٣)

وقوله تعالى : « وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون » المائدة : ٤٧) وغيرها من الايات الكريمة ونحن لا نمنع بل نقول لعله يلزم أن يبقى الله تعالى منها فى أيـدى امتها مقدار ما تتم به الحجة ، وتنقطع به منهم المعذرة ، لطفاً منه فى حفظ دينه ، ورأفة منه برسله وعباده ، وهذا الباقى من تلك الأصول الصحيحة فى غضون تلك الملفقات الموضوعة، هو موضع الاحتجاجات ، ومورد البشارات، ومحل الامر بتلاوته لظهور الحق فى طيته و أما قوله جل وعلا : « فليحكم أهل الانجيل » فهو على التحريف أدل منه على عدمه ، فان ظاهـره ان القوم كانـوا يحكمون بغيره ، ويبعد ذلك الا بان يجعلوا ما يوافق أهواء هم ومصالحهم انجيلا ، فيحكمون به تمويهاً على العوام ان هـذه هى أحكام الله كما دلت على ذلك آيات مـن هذا الكتاب الكريم اذا رجعت إليها وجدتها نصب عينيك و طوع يديك .

هذا مضافاً الى احتمال أن يكون التحريف والتبديل قد تدرّج قليلاقليلا

من بعد ذلك العصر إلى هذه العصور بحيث قد بادت إلى اليوم نضراؤها وخضراؤها ولم يبق منها الا اسماؤها فانك ترى بعض الكتب بحسب تعدد المطابع تختلف كثيراً فى قرن واحد، فكيف بما يزيد على العشرات من القرون.

ولكن الذى ثبت فى محله: ان الانجيل هو الوحى الذى أنزله الله تعالى إلى خصوص عيسى ابن مريم عليه السلام الذى ألفه و جمعه هو فى زمانه، لاما لفقه وألفه أصحابه بعده باعوام متطاولة، وقرون مترامية من (بولس) و (مرقس) و (يوحنا) و (متى) و (لوقا) من الرسائل والضمائم التى لايبعد اندراج شىء من الانجيل الاصيل فيها، ولكن بحيث ضاع جوهره ودرس أثره، ولا يمتاز من ورقه ثمره.

ومن المحتمل ان شيئا من هذه الكتب منزلات من السماء، او وحى من الله اوحى به إلى الانبياء بعد ماوجدنا فيها من الخلل والفساد فى مضامينها ومعانيها وألفاظها ومبانيها.

واما أساطير تلك الكتب فمن البديهى انها تنادى بانها ليست من كلام الله سبحانه ولا من انبيائه، أين الحكم والاحكام؟ أين العلوم والاعلام؟ أين العظات الزاجرة؟ أين الامثال السايرة؟ أين التقديس والنواميس؟ أين التحميد والتمجيد أين التحدى والتوحيد؟ أين الوعد والوعيد؟ أين الاخلاق الكريمة؟ أين الملكات العادلة؟ وأين ما يحصى من الشرف؟ ويعد من العدل والنصف؟؟؟

هل هذه الفجاجة والسماجة؟ هل هذه الركاكة والفلاكة؟ هل هذه العنجهية والخشونة؟ هل هذه البرودة والعفونة من الزنا بالمحصنات من نسبة الخداع و المفتريات من الكعك الذى يأمر أنبياء الله بأكله؟ ام إلى قذف الانبياء بالمعاصى والخطايا وهم رسل الله بالمحاسن والمحامد؟ أم إلى تحليل الخمر والخنزير وهى أم القبائح والمفاسد؟ أم إلى جحود النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم؟ والانجيل يشهد عليه، أم إلى ترك الختان وغير ذلك من المفتريات الفاحشة لايليق بيانها وحى من الله سبحانه؟ معاذ الله من ذلك كله أمن العدل ان يعادل هذا بذاك او يوازن؟ او

يقارب منه اويقارن ؟

أين الانجيل السماوى من تلك الضلالات وهذه الجهالات التى سو د وجهه ؟ عساك أيها القارى الكريم - مسلماً او مسيحياً أو . . . - أن تنتصر للحق فتنتصف منه ، وتكون أنت حكماً منصفا ، وقاضياً عادلا ، وفيصلا قاطعاً فانظر واحكم ، وأضحك وابك . . .

ومن التأسف والتعجب من طبع تلك الضلالات والجهالات الصرفة التى الصق بها اسم (الهداية) وما يشد التأسف من نشر تلك فى عاصمة من عواصم الاسلام (كمصر القاهرة) كأن علمائها غافلون عنها أوهم موتى ليسوا باحياء ، وأى اجحاف بحقوق الاسلام و المسلمين اعظم من ذلك ؟ !

فنرجع إلى كلام عيسى ابن مريم عليه السلام : « يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه احمد» الصف : ٦) هذه بشرى من عيسى عليه السلام وفيها معجزة لعيسى عند ظهور نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزة لهذا القرآن الكريم اذ قدآمن كثير من اليهود والنصارى بنبوة محمد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم فى زمن حياته وبعد مماته .

وفى ذلك دلالة قطعية على وجود هذه البشارة فى التوراة والانجيل فى زمان دعوته ، اذ لو لم تكن البشارة مذكورة فيهما ، لكان ذلك دليلا كافيا لليهود و النصارى على تكذيب القرآن فى دعواه ، وتكذيب النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى دعوته ولانكروا عليه أشد الانكار ، فيكون اسلام الكثير منهم فى عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد وفاته ، وتصديقهم دعوته دليلا قطعيا وبرهانا ساطعاً على وجود هذه البشارة فى ذلك العصر .

و على هذا فان الايمان بموسى وعيسى عليهما السلام يستلزم الايمان بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من غير حاجة إلى وجود معجزة اخرى تدل على صدقه .

نعم يحتاج إلى ذلك بالنسبة إلى الامم الاخرى التى لم تؤمن بموسى و عيسى عليهما السلام وبكتابيهما .

وقد ثبت بالادلة القاطعة والبراهين الساطعة : ان القرآن الكريم حجة الهية ومعجزة خالدة على صدق رسول الله الاعظم ﷺ وصحة دعواه .

ومن آيات السورة : قوله تعالى : « يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » : ٨) .

وذلك ان الغرض منه بيان نوع ثالث من سوء الافعال وقبيح الأقوال الصادرة من بعض رؤساء اليهود والنصارى ، وهو سعيهم في ابطال أمر محمد ﷺ وجدهم في اخفاء الدلائل الواضحة على صحة ما جاء به ، والبراهين الساطعة على قوة شرعه و كمال دينه .

قال الله تعالى : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » آل عمران : ٧١)

والمراد من النور الدلائل النيرة على صحة نبوة محمد ﷺ وهي مستمرة باقية ، وهذه هي أحوال الدلائل النيرة والبراهين الباهرة ، و كان هولاء الكافرون يريدون في طوال الاعصار من بزوغ الاسلام إلى يومنا هذا ـ وتستمر ارادتهم ـ إبطال هذه الدلائل بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة ، وأنواع كفرهم و مكرهم وخداعهم ، ولكن الدلائل ليست على ما تخمد نائرته وينقص كماله ويطفأ نوره .

وحقاً كان سعيهم هذا جارياً مجرى من يريد إطفاء نور الشمس بان ينفخ فيها ، وإخماد نيرانها بماء الفيه .

كيف وقد وعد الله تعالى محمداً رسوله الخاتم ﷺ مزيد النصرة واعلاء الدرجة وظهور دينه الحق على الاديان المحرفة الباطلة والمصنوعة الخيالية الواهية .

اذ قال : « ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون »

التوبة : ٣٢)

وقال : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » الحجر : ٩)

ولقد تكرر وعدالله تعالى بتمكين دينه ونصر رسوله ﷺ والمؤمنين في عديدة آيات مكية والمدينة غير أن الوعد باظهار هذا الدين على الاديان كله يأتي في هذه السورة لأوّل مرّة، و قد تكرر بعد ذلك مرتين : واحدة في سورة الفتح التي نزلت بفصل قليل بعد هذه السورة فقال : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » الفتح : ٢٨) واخرى في سورة التوبة : ٣٣)

وينطوي في هذا بالاضافة إلى ما في الجملة القرآنية من تحدى الكافرين و المشركين ، والايذان بمشيئة الله تعالى باظهار دين الاسلام على سائر الاديان تقرير رباني بما شاءت حكمة الله جل وعلا أن يكون في هذا الدين من المزايا و الحلول في مختلف المطالب و المجالات ما يسدّ حاجة البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم ونحلهم وأفكارهم ، و في مختلف الازمنة والامكنة ليكون دين العالم أجمع .

وفي هذا مافيه من بواعث الثقة والاعتزاز وحوافز العزيمة والاندفاع في المسلمين للعمل على تحقيق وعد الله تعالى ونشر دينه حتى يظهر على الاديان كلها بمختلف الاساليب وبخاصّة تنظيم الدعوة اليه .

وهذا واجب لازب على كل مسلم وبخاصّة على زعماء المسلمين وعلمائهم ، وعناصر الاستجابة القوية المتوفرة في القرآن الكريم والسنة النبوية وأئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين كفيلة بانجاح الدعوة إلى أبعد الحدود .

وعلى كل حال فنحن واثقون من تحقيق وعد الله تعالى عاجلا اوآجلا لان الله جل وعلا لا يخلف وعده ، والايمان بهذا والعمل بما يقتضيه واجب على كل مسلم ومسلمة في كل ظرف ومكان .

وعنها قوله تعالى : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » الصف : ٩) .

ومن غير مراء ان تمام الدين و كمال الرسالة تنتهي إليها الرسالات يختم بامور : أحدها ـ كثرة الدلائل الواضحة والمعجزات وهو المراد من قوله تعالى

« أرسل رسوله بالهدى » .

ثانيها ـ أن يكون هذا الدين مشتملا على امور يظهر لكل متأمل كونه موصوفاً بالصواب والصلاح ومطابقاً للحكمة ولما تقتضيه الفطرة البشرية وموافقاً لمنافع الدنيوية والاخروية ، وهو المراد من قوله تعالى : « ودين الحق » .

ثالثها ـ أن يصير هذا الدين مستعلياً على سائر الاديان فى اصوله وفروعه وفى دساتيره الاسروية والاجتماعية ، وفى حكومته وسياساته . . . غالباً لاضداده ، قاهراً لمنكريه ، وهو المراد من قوله تعالى : « ليظهره على الدين كله » .

وقد أيد الله تعالى نبيّه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، وأعلن شريعته ، وأظهر دينه على جميع الاديان بالاستعلاء والقهر واعلان الشأن ، واقامة الحجة والبرهان كما وعده ذلك فى حال الضعف وقلة الاعوان فهل هذه الامعجزة دالة على صحة القرآن الكريم ، وصحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها قوله تعالى : « واخرى تحبّونها نصر من الله وفتح قريب وبشّر المؤمنين » الصف : ١٣) .

إخبار بما يأتى من نصرة دين الله تعالى وفتح مكة ، فوقع ما اخبر به قريباً ومغانم يسّرها الله تعالى للمسلمين اشير إليها فى سورة الفتح ، وكان ذلك من معجزات القرآن الباهرة .



«التكرار»

ان السور التى بدئت بالتسبيح سبع على الترتيب الاتى :

إحداها ـ بصيغة المصدر وهى سورة الاسراء .

و ثلاثة منها ـ بصيغة الماضى : ١ ـ سورة الحديد) ٢ ـ سورة الحشر) ٣ـ سورة الصف) .

وثنتان منها ـ بصيغة المضارع : ١ ـ سورة الجمعة) ٢ ـ سورة التغابن)

وواحدة ـمنها بصيغة الامر: سورةالاعلى)

وقد تكرر قوله تعالى : « يريدون ليطفؤا نورالله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » الصف : ٨) مرتين فى القرآن الكريم على زيادة و نقيصة ، اذ فى سورة التوبة : « يريدون أن يطفؤا نورالله بافواههم و يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » : ٣٧)

ولعل الفرق بينهما ان الغرض من آية التوبة هو نفس إطفاء نورالله تعالى فانهم « اتخذوا أحبارهم ورهباناً أرباباً من دون الله . . » والغرض من آية الصف هو السبب الموصل ـ وهو الافتراء ـ إلى اطفاء نورالله تعالى.

و لذلك قال فى آية الصف : « و الله متم » لمكان الفصل بالعلة كانه قال : يريدون الافتراء لغرض اطفاء نورالله تعالى ، وعطف فى آية التوبة « ويابى الله » على « يريدون »

وقد تكرر قوله تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق .. » الخ ثلاث مرات : ١ـ الصف : ٩) ٢ـ الفتح : ٢٨) ٣ـ التوبة : ٣٣) على زيادة

و نقيصة حسب مايقتضيه المقام فتدبر جيداً .

ونشير في المقام إلى صيغ خمس لغات ـ أوردنا معانيها اللغويةعلى سبيل الاستقصاء في بحث اللغة ـ الصيغ التي جاءت في هذه السورة ، و في غيرها من السور القرآنية :

١ ـ جاءت كلمة (المقت) بصيغها في القرآن الكريم نحو : ست مرات:
١ ـ الصف : ٣) ٢ و ٣ ـ غافر : ١٠) ٤ ـ النساء : ٢٢) ٥ ـ فاطر : ٣٩) ٦ ـ غافر ٣٥) .

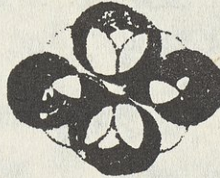
٢ ـ جائت كلمة (المرصوص) مرة واحدة : الصف : ٤) .

٣ ـ » » (الاطفاء) على صيغها في القرآن الكريم نحو: ثلاث مرات:
١ ـ الصف : ٨) ٢ ـ المائدة : ٦٤) ٣ ـ التوبة : ٣٢) .

٤ ـ » » (الفوه) » » » :ثلاث عشرة مرة

٥ ـ » » (عدن) » » » :احدى عشرة مرة

وقد جاء قوله تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب » ههنا بالالف واللام وفي غيرها :« افترى على الله كذباً » بالنكرة لانها اكثر استعمالا في المصدر من المعرفة ، وخصت هذه السورة بالمعرفة لانه اشارة إلى ما تقدم من قول اليهود والنصارى « قالوا هذا سحر مبين » السورة : ٦) .



﴿ التناسب ﴾

إنّ البحث فى المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولا .

ثانيها ـ التناسب بينها وسابقتها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

اما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة التحريم ، و لما جاء فى سورة التحريم هتاف ودعوة للمؤمنين إلى وقاية أنفسهم وأهليهم ، وان النار شديدة هائلة وحرّاسها أشداء أقوياء من الملائكة لا يعصون الله تعالى ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وليس يومئذ عذر لمن لا ايمان ولا عمل .

ودعوة لهم إلى التوبة ، ولسوف يقرّ الله جل وعلا فيه عيون النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمخلصين من المؤمنين معه ، فلا يخزيهم ، ويشع نورهم أمامهم وعلى جوانبهم ، ويدعون الله جل وعلا بان يتمّ نوره ونعمته عليهم ، ويغفر لهم ذنوبهم مقرين انه على كل شيء قدير .

جاء فى هذه السورة حث المؤمنين و تحريصهم على تضامم الايمان بالعمل من غير فكاك بينهما، فعليهم أن يتأسّوا بالملائكة ، فيفعلوا بما يقولون ،يفعلوا بما يؤمرون ، ويفعلوا بما يقتضيه الايمان ، وهذه هى تجارة تنجيهم من الشدة و والعذاب .

ولما أمر الله تعالى النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى سورة التحريم بالمجاهدة والشدة على الكافرين والمنافقين اجمالا أشار فى هذه السورة إلى مواقف الفريقين تلويحاً

و تفصيلا .

واما الثانية : فلما نهى الله تعالى فى سورة الممتحنة المؤمنين عن اتخاذ الكافرين اولياء لهم وحثّهم على الجهاد وأن يظهروا البغض والعداوة على أعداء هم ماداموا كافرين و أن يتأسوا فى ذلك بابراهيم عليه السلام والذين آمنوا به، وبّخ فى هذه السورة الذين يقولون بما لايفعلون و يدّعون الايمان ولا يلتزمون بلوازمه منها الشدة على الكفار ، و الرحمة بين أهل الايمان .

و أشار فى هذه السورة إلى ما يوجب معاداتهم و قتالهم و الشدة عليهم و والاصطفاف فى مقابلهم فى ميدان الجهاد لايذائهم الرسول و كفرهم وطغيانهم طلباً لمرضاة الله تعالى وتحطيماً لاركان الفساد وتقطيعا لاذناب أهله ، وأساس هذا المنهج هو الافعال الصادرة عن قلب المؤمن ، وعن مشاعر مستجيبة لهذا الايمان لا الاقوال التى لايصاحبها العمل ، فلابد من التوافق بين الايمان والعمل ، بين الظاهر والباطن ، وبين القول والفعل . . .

وأما الثالثة: فلما افتتحت السورة بتنزيه الله تعالى عن كل مالا يليق بساحة قدسه ، ووصفت ذاته بصفات الكمال أخذت بذكر ما يلحق المخلوقين من صفات النقص ، وبتوبيخ من ادعى الايمان و لم يلتزم بلوازمه ، وقال من غير أن يفعل بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لم تفعلون » .

ثم أشارت إلى شدة قبح ذلك ، وانه بلغ الغاية فى البغض عند الله تعالى بقوله : « كبر مقتاً عندالله » الخ . . .

ولمّا ذمّت المخالفين فى أمر القتال تلويحاً ، وهم الذين وعدوا ، ولم يفعلوا ، مدحت الذين قاتلوا فى سبيل الله تعالى ببذل الاموال والانفس ، وبالغوا فيه لنشر دين الحق وإعلاء كلمة الله وإبطال الباطل بقوله تعالى : « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا » الخ . . .

ثم حذّرت المؤمنين ـ أن تشبه حالهم حال بنى اسرائيل مع موسى عليه السلام حين ندبهم إلى قتال الجبارين فآذوه ـ وذكّرتهم على سبيل العظة والزجر و

التمثيل بماكان من قوم موسى عليه السلام ازاء موسى من مواقف مؤذية مزعجة مع تأكدهم بانه رسول الله إليهم ، وبما كان من انتقام الله منهم حينما انحرفوا عن جادة الحق حيث أزاغ الله قلوبهم اوقساها لان الله لايوفق ولايسعد الفاسقين المتمردين عليه بقوله تعالى: « واذقال موسى لقومه » الخ مع الاشارة إلى عاقبة عصيانهم ومخالفة أمرالله بقوله : « فلمازاغوا أزاغ الله قلوبهم » مع تأكيد ازاغته لقلوبهم وبيان علتها بقوله تعالى : « والله لايهدى الفاسقين »

مع ان ذكر قصة موسى عليه السلام وصدق نيته وثبات عزيمته على الصبر في أذى قومه تسلية للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى تكذيبهم اياه ، ولئلا يفعل امّته صلى الله عليه وآله وسلم بنبيّهم ما فعل بنواسرائيل بنبيهم موسى عليه السلام .

ثم استطردت السورة على سبيل توكيد رسالة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و قوة ما فيها من الحق والنور الالهى : وحمل المؤمنين بها على الثبات والتأييد إلى ما كان من بشارة عيسى عليه السلام برسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم حيث حكت قوله عليه السلام لبنى اسرائيل : أنه رسول الله إليهم مصدق للتوراة التى انزلت من قبل ، ومبشر بنبى بعده اسمه أحمد بقوله تعالى : « واذ قال عيسى ابن مريم » الخ .

ثم أخذت بالتنديد بما كان من موقف الكفار من النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتوكيد انتصار دينه ، وانتشار نورالله واتمامه نتيجة لذلك حتى يغلبا ماعداهما بالرغم من كل المحاولات المعطلة من الكفار والمشركين ، وانهم دعوا إلى الاسلام والخضوع لخالق الخلق ومبدع العالم ، واقيمت لهم على ذلك الادّلة الواضحة و نصب لهم المنار لكنهم ظلموا أنفسهم ، وجحدوا النورالواضح والبرهان الساطع بقوله تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب » الخ مع الاشارة إلى سبب ذلك بكونهم ظالمين .

ثم أشارت إلى جدّهم وسعيهم فى اطفاء نورالله جل و علا بقوله تعالى : « يريدون ليطفؤا نورالله بافواهم » مع الاستهزاء بما اتخذوه من الوسائل بقوله: « والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

ثم بيّنت العلة فى إخماد دعوتهم ، وانه لاسبيل لقبولها لدى العقول بقوله تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى » .

ان هذه السورة لما حثّت المؤمنين على الجهاد فى سبيل الله تعالى تلويحاً ونهاهم أن يكونوا مثل قوم موسى عليه السلام فى التخاذل والتكاسل ، و نهاهم أيضاً أن يكونوا مثل قوم عيسى عليه السلام فى العصيان بعد أن أتى لهم البراهين القاطعة على صدق نبوته ، اخذت بان الايمان بالله تعالى والجهاد بالاموال والانفس فى إعلاء كلمة الله ، ونشر دينه تجارة رابحة منجية ينال بها المجاهد إلى سيادة الدنيا و سعادة الاخرة بقوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة » الخ .

ثم بيّنت هذه التجارة بقوله تعالى : « تومنون بالله » الخ مع الاشارة إلى نتاجها عاجلا وآجلا بقوله : « يغفر لكم دنوبكم » الخ . . .

ثم ضربت لهم مثلا بقوم عيسى عليه السلام اذ انقسموا على طائفتين : طائفة مؤمنة ، وطائفة اخرى كافرة فانتهت أمر الاولين إلى ظهورهم على الاخرين ، فضربت عليهم الذلة والمسكنة حثاً للمؤمنين فى كل حين أن يكونوا أنصار دين الله تعالى من غير تخاذل ولا تكاسل ، فيكونوا فى حماية الله ونصره ، وغالبين على أعدائهم كما فعل حواريو عيسى عليه السلام بقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كونوا أنصارالله » الخ . . .

وان التناسب بين بدء هذه السورة وختمها مالايخفى على القارىء الخبير فتأمل جيداً .

﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

ما وجدت من الباحثين كلاماً يدل على أن فى هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً .

وقد زعم بعض المفسرين : ان قوله تعالى : « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين » الصف : ٥) من المتشابهات .

أقول: وهذا غير وجيه جداً لوضوح معنى الاية :

وذلك لان الزيغ فى الاصل : هو الميل عن القصد والاستقامة ، فلماأصرّوا على الزيغ ، وأخذت نفوسهم فى الانحراف عن جادة الهدى والصلاح ، وكان ذلك على اثر لجاجهم مع الحق وصمودهم على رفض الدعوة ، صرف الله تعالى قلوبهم ، وأمالها عن قبول الحق لصرف اختيارهم إلى العمى والضلال .

قال الله تعالى : « ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم » التوبة : ١٢٧) .

فلما فارقوا الاستقامة عاملهم الله تعالى بذلك ، فخذلهم وتركهم فى ظلمات غيّهم يعمهون إذ لم يك ينفعهم نصح الناصحين ، فالاية فى معنى : ان الله جل و علا لايزيغ أحداً حتى يزيغ هو وكان هو الفاعل للزيغ ، ولم يذكر انه سبحانه ابتدأ قوماً بالازاغة إذ قال : « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » على سبيل العقوبة و الجزاء على فعلهم ، فان جزاء سيئة سيئة مثلها .

فلما ألقوا أنفسهم بأيديهم إلى التهلكة أهلكم الله تعالى ، ولما اتخذوا سبيل الغى لهم سبيلا خلاّهم فيه ، وتركهم فى ظلمات الغى يعمهون ، والدليل الواضح على ذلك هو ختام الاية : « والله لايهدى القوم الفاسقين » فالسبب هو الفسق منهم

فكلما استبد صاحبه فى هذا الانعطاف غير الطبيعى ازداد إعوجاجاً عن الجادة الوسطى المستقيمة ، واقتراباً إلى ملتويات الطريق ، وأخيراً إلى سقوط هائل فى مهاوى الضلال السحيق .

مع أن قوله تعالى : « فلما زاغوا » قد صيّر قوله : « أزاغ الله قلوبهم » فى حكم المفهوم الظاهر .

فاضلال الله تعالى وإزاغته ليسا كاضلال ابليس وازاغته فان الله تعالى ذمّ ذلك ، وبرىء منهما ، فالله سبحانه لايضل ـ من حيث يضل ـ عن الحق ، وهو يدعو إليه ، ولايمنع منه ، وهو يأمر به .

وبالجملة : ان بنى اسرائيل لما مالوا عن جادة الحق ، وعن أوامر الله تعالى وعندوا ما فرض الله عليهم من فرائضه جاز أن يقال : قد أزاغهم كقوله تعالى : « فزادتهم رجساً إلى رجسهم » التوبة : ١٢٥) .

وقوله حكاية عن نوح عليه السلام : « فلم يزدهم دعائى الاّ فراراً » نوح : ٦) .

أو يكون لما منعهم الله تعالى ألطافه ورحمته الخاصة علي اثر استكبارهم عن قبول الهدى جاز أن يقال : انه أزاغهم مجازاً ، و إن كان تعالى لم يرد إزاغتهم .

فكان الزيغ الاول منهم والثانى من الله تعالى على سبيل العقوبة لهم ، فالاول غير الثانى ، وان الاول قبيح إذ كان معصية ، والثانى حسن إذ كان عقوبة وجزاء ، فان زيغهم كان عن الايمان ، وازاغته تعالى لهم انما كانت عن طريق الجنة والثواب ، فالعقوبة لاتكون من جنس المعصية وهى قبيحة ، وعقوبتها حسنة، فالله تعالى منعهم الالطاف التى يؤتيها المؤمنين ، فوقف عند حدّه ، وخلاّهم و اختيارهم وأخلاهم من زيادة الهدى التى قال : « والذين اهتدوا زادهم هدى و آتاهم تقواهم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ١٧) .

فلما فسقوا بسوء إختيارهم لم يهدهم الله تعالى إلى طريق ثوابه .

فآيات السورة محكمات والله تعالى هو أعلم .

﴿تحقيق في الاقوال﴾

٢ - (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون)

فى الخطاب أقوال :١ ـ عن الجبائى قال : خطاب للمؤمنين تعييراً لهم أن يقولوا شيئا ، ولايفعلونه .

وذلك على ضربين :

أحدهما ـ : أن يقول: سأفعل ، ومن عزمه أن لايفعله ، فهذا قبيح مذموم.

ثانيهما ـ أن يقول : سأفعل ، ومن عزمه أن يفعله ، والمعلوم انه لايفعله، وهذاقبيح أيضاً لانه لايدرى أيفعله ام لا ، وينبغى فى مثل هذا أن يقرن كلامه بلفظة : انشاء الله تعالى .

٢ ـ قيل :خطاب للمنافقين خاصة،فنداء هم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم، وتقريع لهم حيث يظهرون الايمان ولايبطنونه ، وهم الذين يلبسون ثوب الايمان ظاهراً ، وباطنهم عار عن ذلك ، فليس خطاباً للمؤمنين لجلالة قدرهم . عن الحسن قال : نزلت الاية فى المنافقين ، وسماهم بالايمان لاظهارهم له .

٣ ـ قيل : اريد به العموم .

قال ابن عباس : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لوددنا ان الله تعالى دلّنا على أحبّ الاعمال إليه فنعمل به فاخبر الله تعالى نبيه ﷺ إن احب الاعمال اليه هو الايمان بالله تعالى وحده ، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الايمان ولم يقرّوا به ، فلما نزل الجهاد كره ذلك اناس من المؤمنين وشق عليهم أمره ، فوبخهم الله تعالى على ماتمنّوه من معرفة أفضل الاعمال ، فعرّ

فهم الله جل وعلا اياه فلمّا عرفوا قصّروا فعوتبوا بذلك ، وأحب الاخرون منهم من غير كراهة وتثاقل وتخلّف عن الخروج للجهاد .

اقول: والاخير هو الانسب بظاهر السياق ، و خاصة من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله - إلى - فآمنت طائفة من بني اسرائيل و كفرت طائفة .. الخ » : ١٤) .

مع ان الايات الكريمة التي تتضمن لتوبيخ المؤمنين وعتابهم ، وخاصة الايات النازلة في الغزوات ، وما يلحق بها كاحد والاحزاب وحنين وصلح الحديبية وتبوك والانفاق في سبيل الله تعالى وغير ذلك كثيرة جداً ، فأما الصالحون منهم فأصلحوا أنفسهم بمثل هذه التوبيخات والعتابات المتوجهة إليهم تدريجاً و لم يتصفوا بذلك من عند أنفسهم ، وهم في زمرة المؤمنين حقاً ، وأمّا المتخلفون منهم فهم يستحقون بالتوبيخ و العتاب ، وهم متعلقوهما إذ تخلّفوا عما وعدوه من الثبات و الصبر و الاستقامة في ميدان القتال ، و عدم الانهزام و الفرار عنه أو لتثاقلهم أو تخلفهم عن الخروج للقتال ، أو عدم الانفاق في تجهيز أنفسهم أو تجهيز غيرهم..

وفي قوله تعالى: « لم تقولون مالاتفعلون » أقوال : ١ـ قيل : أي لم تعدون من أنفسهم شيئاً لاتفون به .

٢ـ عن سفيان بن عيينة قال : أي لم تقولون ماليس الامر فيه إليكم ، فلاتدرون هل تفعلون أولا تفعلون، فعلى هذا يكون الكلام محمولاً على ظاهره من إنكار القول .

٣ـ قيل : توبيخ على من يقول عن نفسه من الخير مالايفعله ، أما الماضي فيكون كذباً ، و أمّا في المستقبل فيكون خلفاً .

أقول : ولكل وجه فالاقوال من قبيل ذكر بعض المصاديق من غير منافاة بينها فتدبر جيداً .

٣ـ (كبر مقتا عندالله أن تقولوا مالاتفعلون)

في الاية أقوال : ١ـ قيل : أي كبر قولهم مالايفعلون مقتاً ، بناء على

أن « مقتاً » تمييز ٢ـ قيل : أى كبر هـذا القول و عظم مقتاً عندالله وهو أن تقولوا مالاتفعلونه . ٣ـ قيل : أى كبر ماتعدون من أنفسكم مالاتفون . ٤ـ عن ابن زيد : كـانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه : لـو خرجتم لخرجنا معكم و كنا فى نصركم و فىّ ، فاخبرهم انه كبر و عظم جرماً عندالله أن تقولـوا مالاتفعلون.

٥ـ قيل : أى كبر مقتكم مقتاً .

٦ ـ قيل : أى ان الله تعالى يبغض من الانسان أن يقول مالا يفعله لانـه من النفاق ، وأن يقول الانسان مالا يفعله غير أن لايفعل ما يقوله ، فالاول من النفاق ، والثانى من ضعف الارادة ،ووهن العزم .

أقول: والثالث والرابع هما المؤيدان بالرواية الاتيةمن غير تناف بينهما وبين غيرهما مع تقارب الاكثر فى المعنى .

٤ـ (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)

فى قوله تعالى : « صفا كأنهم بنيان مرصوص » أقوال : ١ـقيل : أى كأنه بنى بالرصاص لتلاؤمه ولشدة اتصاله كقوله تعالى : « آتونى افرغ عليه قطراً » على أنّ هذا كناية عن كمال استحكام المؤمنين فى ايمانهم و ثباتهم فيـه ، و تماسكهم وتعاضدهم فى كل مايعود إليهم من الخير والصلاح واتحادهم فى إعلاء دينهم .

فالمراد بالصف صف معنوى اريد به إستواء نياتهم فى الثبات حتى يكونوا فى اجتماع كلمتهم كالبنيان المرصوص حيث ينضمّ بعضهم ببعض بحيث لافرجة بين صفوفهم ، وهو من الرصيص ، وهـو إنضمام الاسنان بعضها ببعض ، وقيل مـن رصصت البناء اذا لأمت بينه، وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة .

وقيل : أى كأنهم حائط ممدود على رصّ البناء أى فى احكامهو إتصاله وإستقامته ، والمرصوص المتلائم الذى لاخلل فيه ، فكأنهم فى تراصهم من غير فرجة وخلل بنيان رص بعضه إلى بعض .

٢ ـ عن قتادة قال : ألم تر صاحب البنيان كيف لايحب أن يختلف بنيانه كذلك الله تبارك وتعالى لايختلف أمره ، وان الله جل و علا وصف المؤمنين فى قتالهم وصفهم فى صلاتهم و نظامهم فى أمور حياتهم ، فعليكم بأمر الله فانه عصمة لمن أخذبه .

فلايكون بينهم ولافى فعالهم الاسروية والاجتماعية والعسكرية والسياسية خلل ولافرجة وشتات ، فكأنهم وفعالهم بنيان متلاحم الاجزاء كأنها قطعة واحدة قد صبّت صباً ، وعلى هذه الطريقة تسير الجيوش فى العصر الحاضر .

وذلك لانهم لو كانوا كذلك لزادت قوتهم المعنوية ، وتنافسوا فى الطعان والنزال والكرّ والفرّ ، وما فى ذلك من إدخال الروع والفزع فى نفوس العدو ، وما فى ذلك من حسن النظام وامضاء العمل بالدقة والاحكام ، و من ثم أمرنا بتسوية الصفوف فى الصلاة ، كما ان لابد فى كل عمل من النظم وإن كثر وتعدّد لئلا يتوانى العامل ولا يتكاسل أينما تكرر . .

٣ ـ عن سعيد بن جبير قال : هذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم ، وان الله تعالى يحبّ من ثبت فى القتال ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص ، ومعنى محبة الله تعالى اياهم انه يريد ثوابهم ومنافعهم.

وان الصف : هو جعل الاشياء على خط مستو كالناس والاشجار .

أقول: والثالث هو المؤيد بالرواية الاتية .

٥- (واذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذونني وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين)

فى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : « لم تؤذونني أقوال : ١ ـ قيل الايذاء هو ان موسى عليه السلام لما أمر بنى اسرائيل بالقتال خالفوه وقالوا له :« اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون »

٢ ـ قيل : الايذاء هو ما كانوا ينتقصونه عليه السلام ويعيبونه فى نفسه .

٣ ـ قيل : الايذاء هو ما كانوا يجحدون آيات الله تعالى التى جاءبهم وهم

عصوه وعبدوه البقرة ، ومن حماقتهم انهم كانوا يكذبون بنبوة موسى عليه السلام لكونه بشراً مثلهم ، ويعبدون البقرة ويتخذونها الهاً لهم .

٤ ـ قيل : الايذاء : ما يطلبون من موسى عليه السلام رؤية الله سبحانه جهرة .

٥ ـ قيل : الايذاء هو رميهم اياه بالادرة يشير اليه قوله تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا » الاحزاب : ٦٩)

٦ ـ قيل : الايذاء هو ماجاء فى قصة قارون : انه دسّ إلى امرأة تدعى على موسى عليه السلام الفجور .

٧ ـ قيل : الايذاء هو قولهم له « اجعل لنا الها كما لهم آلهة » .

٨ ـ قيل : الايذاء هو قولهم له : انك قتلت أخاك هارون :

أقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق المتقدم من ذكر القتال .

وفى قوله تعالى : « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » أقوال : ١ ـ عن أبى مسلم: أى فلما مالوا عن الحق أما لها الله تعالى عن الهدى ، ولما عدلوا و جاروا عن قصد السبيل أمال الله جل وعلا قلوبهم عنه .

٢ ـ قيل : أى فلما زاغوا عن الطاعة أزاغ الله قلوبهم عن الهداية فكأنهم تسببوا فى الانحراف عن الجادة ، فان الطاعة تجر الطاعة والمعصية تجرّ المعصية، وان الايمان يوجب القرب من الله تعالى والكفر يوجب البعد عنه جل وعلا .

٣ ـ قيل : أى فلما زاغوا عن الايمان أزاغ الله قلوبهم عن الثواب .

٤ ـ قيل : أى لما تركوا ما أمرهم الله تعالى به من احترام الرسول و طاعة الرب خلق الله تعالى الضلالة ، والكفر فى قلوبهم عقوبة لهم على فعلهم .

٥ ـ قيل : أى أزاغ الله تعالى قلوبهم عما يحبون إلى مايكرهون .

٦ ـ عن أبى أمامة قال : هم الخوارج .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين ، ومآل اكثر الاقوال واحد ..

وفى قوله تعالى : « والله لايهدى القوم الفاسقين » أقوال : ١ ـ قيل :عن

أبي مسلم : أى لايفعل بهم الالطاف التى يفعلها بالمؤمنين بل يخليهم واختيارهم.

٢ ـ قيل : أى لايهديهم الله تعالى إلى ثواب الاعمال ، و كرامتهم عندالله والجنة التى وعدها المؤمنين .

٣ ـ عن أبي امامة : أى والله لايوفق لاصابة الحق الذين اختاروا الكفر على الايمان .

أقول : وعلى الاخير أكثر المفسرين .

٦ ـ (واذ قال عيسى ابن مريم ـ فلما جاء هم بالبينات قالوا هذا سحر مبين)

فى قوله تعالى : « فلما جاء هم بالبينات » أقوال : ١ ـ قيل : أى فلما جاء عيسى عليه السلام بنى اسرائيل بالمعجزات الباهرة من إحياء الموتى وشفاء المرضى ..

٢ ـ قيل : أى فلما جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنى اسرائيل بعد بشارة عيسى عليه السلام اياهم بمجيئه بالمعجزات القاهرة والادلة القاطعة..

٣ ـ قيل : أى فلما جاء كل واحد من عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم بنى - اسرائيل . . .

أقول : والسياق يؤيد الثانى وخاصة قوله تعالى : « وهو يدعى إلى الاسلام »

٧ ـ (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لايهدى القوم الظالمين)

فى قوله تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب » أقوال : ١ـ قيل: أى ومن أشد ظلماً وعدواناً ممن اختلق على الله الكذب وجعل له أنداداً وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والاخلاص .

٢ ـ قيل : أى ومن أشد ظلماوعناداً ممن اختلق على الله الكذب ، وقال لمعجزاته : سحر ، ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم انه ساحر كذاب .

٣ ـ قيل : أى من أظلم ممن افترى على الله تعالى ؟ اذ ينفى نسبة دين الله تعالى إليه وهو يدعى إلى الاسلام ، وتقوم بين يديه،أمارات الحق وشواهدالهدى

فيفترى الكذب اختلاقاً ثم يرمى بهذا الكذب المفترى فى وجه الحق بلا حياء.

أقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « القوم الظالمين » أقوال : ١ ـ قيل : هم اليهود ، فانهم تركوا دعوة عيسى بن مريم عليه السلام وبهتوه ودعوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم و كذبوه .

٢ ـ عن ابى جريج : هم الكفار والمنافقون .

٣ ـ قيل : هم عموم الكفار .

أقول : والاخير هو المؤيد بظاهر السياق .

٨- (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)

فى النور أقوال : ١ ـ عن السدى : نوره أى دينه الحق ، على انهم يريدون أن يبطلوا الدين الاسلامى بالشبهات حوله وتكذيبه ودفعه بالقول السخيف منهم

٢ ـ عن ابن عباس وابن زيد : نوره : كتابه الكريم ، فهم يريدون أن يبطلوا القرآن بالتكذيب وانه شعر وانه من أساطير الاولين .

٣ ـ عن ابن بحر : نوره : حججه ودلائله فى الدين .

٤ قيل نوره : هو القائم الحجة بن العسكرى عليه السلام فيريدون أن يشتبهوا على الناس أمره بظهوره من ناحية الأعداء وخاصة اليهود المغضوب عليهم .

٥ ـ عن الضحاك : نوره هو محمد رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، فيريدون هلاكه بالاراجيف ، و قيل : يريدون إبطال شأنه صلى الله عليه وآله وسلم بانهم يقولون : انه مجنون ، وساحر و كذاب ومفترى .

٦ ـ عن ابن عيسى : انه مثل مضروب أى من أراد إطفاء نور الشمس بفيه فوجده مستحيلا ممتنعاً ، فكذلك من أراد إبطال الحق وإذهاب نور الايمان و الاسلام بفاسد الكلام الجارى مجرى تراكم الظلام ، فمثلهم فيه كمثل من حاول إطفاء نور الشمس بفيه .

أقول : وعلى الاول اكثر المفسرين ، والرابع هو المروى ، ولكل وجه فتدبر .

٩ ـ (هوالذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

فى « الهدى » أقوال : ١ ـ قيل : أى بالحق والرشاد .

٢ ـ قيل : أى بالقرآن الكريم . ٣ ـ قيل : أى بالمعجزات الباهرة التى تثبت بها النبوة . ٤ ـ قيل الهدى : التوحيد واخلاص العبادة له جل وعلا .

أقول : لكل وجه ، والا وجه هو الثاني .

وفى « ليظهره على الدين » أقوال : ١ ـ أى ليغلبه على جميع الاديان المخالفة للاسلام فما بقى دين من الاديان الآ وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام فى حججه وبيانه

٢ ـ قيل : و من الظهور الغلبة باليد والسيف فى القتال ، و ليس المراد بالظهور ألاّ يبقى دين آخر من الاديان ، بل المراد أن يكون أهل الاسلام عالين غالبين ، ومن الاظهار ألا يبقى دين سوى الاسلام فى آخر الزمان .

قال مجاهد : وذلك اذا نزل عيسى عليه السلام لم يكن فى الارض دين الا دين الاسلام .

٣ ـ قيل : أى ليطلع محمداً صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الاديان حتى يكون عالماً بها عارفاً بوجوه بطلانها ، وبما حر فوا وغيّروا منها .

أقول : والثانى هو الانسب بظاهر السياق من غير تناف بينه وبين الاول .

وفى « الدين » أقوال :١ـ قيل : أى الأديان الباطلة غير السماوية ٢ـ قيل : أى الاديان الحقة السماوية لان رسل الله كلهم مرسلون بالدين الحق ولكن لكل واحد منها دور خاص ولقوم خاصة ينتهى دوره واحداً بعد واحد بظهور الدين الاسلامى عليها لشمول دوره جميع الاقوام على وجه الارض اذلاشريعة بعده ومن هنا ضمنه الله تعالى إلى يوم القيامة ، ولم يضمن ديناً غيره فتحرفت الاديان لا تصلح لقيادة الحياة .

٣ ـ قيل : أى الاديان الحقة السماوية التى تحرفت ، والاديان الباطلة التى صنعتها يد الاستعمار والمتنبئين .

اقول : وعلى الاخير اكثر المفسرين .

١٠- (ياأيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم)

فى الخطاب أقوال :

١- قيل : خطاب لجميع المؤمنين الذين إستجابوا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ودانوا بهذا الدين الثابت من الحاضرين فى زمان الخطاب والغائبين إلى يوم القيامة .

٢ ـ قيل : خطاب لاهل الكتاب .

٣ ـ قيل : خطاب للعموم من هذه الامة الاسلامية والامم السالفة .

٤ ـ قيل : خطاب لمن تقدم ذكرهم من أول السورة .

٥ ـ قيل : أى سأدلكم أى الغائبين .

أقول : والاول هو ظاهر السياق وعليه جمهور المحققين .

١١- (تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)

فى قوله تعالى : « تؤمنون بالله ورسوله » أقوال :

١- عن الزجاج والمبرد فقالا : انه فى معنى : « آمنوا » ولذلك جاء « يغفر لكم » مجزوماً على أنه جواب الامر .

٢ ـ عن الفراء : ان قوله تعالى : « يغفر لكم » جواب للاستفهام وهذا انما يصح على الحمل على المعنى ، وذلك أن يكون « تؤمنون الخ » عطف بيان من قوله : « هل أدلكم على تجارة » الخ كأن التجارة لم تدر ما هى فبيّنت بالايمان والجهاد ، فهى هما فى المعنى ، فكأنه قال : هل تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون يغفر لكم .

قال الزمخشرى : وجه قول الفراء ان متعلق الدلالة هو التجارة التى فسّرت بالايمان والجهاد كأنه قيل : هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم .

وقال المهدوى : فان لم تقدر هذا التقدير لم تصح المسألة لان التقدير يصير

ان دللتم يغفر لكم ، والغفران انما نعت بالقبول والايمان لابالدلالة .

وقال الزجاج : ليس اذا دلّهم على ما ينفعهم يغفر لهم انما يغفر لهم اذا آمنوا وجاهدوا .

٣ ـ قيل : أى اثبتوا على ايمانكم وأخلصوا لله العمل الخ .

٤ ـ قيل : ان الايمان الاول هو الرسم والصورة ، وهو الايمان التقليدى الذى لاينفع ، والايمان الثانى هو العريق الواقع .

٥ـ قيل : تقرير للتجارة المفروضة عليهم كأنه قيل : ماهذه التجارة؟ قيل : تؤمنون بالله ورسوله الخ .

أقول : والاخير هو الانسب المؤيد بالايات الكريمة الاتية .

وفى قوله تعالى : « وتجاهدون فى سبيل الله » أقوال :

١ ـ قيل : المجاهدة هى القتال فى سبيل الله بنشر دينه ، واعلاء كلمته ، وتقطيع دابر المتكبرين فيكون الدين لله تعالى وحده .

٢ ـ قيل : المجاهدة هى الجهد فى الطاعة وترك المعاصى فقط .

٣ـ قيل : المجاهدة هى الجهد فى العمل والامتثال لاوامر الله تعالى والطاعة سواء كانت عبادة كالصلاة والصوم والحج أو الجهاد فى ميدان القتال .

أقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق وخاصة قوله تعالى : « نصر من الله وفتح قريب » .

وفى « ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » أقوال :

١ـ قيل : أى الايمان والجهاد بالمال والنفس أيها المؤمنون خير لكم على الاطلاق من كل شىء فى الدنيا من نفس ومال وولد إن كنتم من أهل العلم و الادراك بوجوه المنافع وفهم المقاصد ، فان الامور انما تتفاضل بغاياتها ونتائجها .

٢ ـ قيل : أى خير لكم من الايمان بلا جهاد فى الاموال والانفس إن كنتم تعلمونه كيف خير لكم ، وذلك لان الجهلة لايعتدّ باعمالهم .

٣ ـ قيل : أى ان التجارة التى دللتكم عليها خير لكم من التجارة التى أنتم

تشتغلون بها لان تلك التجارة تؤدّي إلى ربح لايزول وملك لايبلى ، وهذه تؤدى إلى ربح يبيد وملك لايبقى إن كنتم تعلمون مضار الاشياء ومنافعها .

٤ ـ قيل : المراد تعلمون خيرية ذلك إن كنتم من أهل العلم والفقه .

أقول : ولكل وجه والاخير أوجه .

١٣ـ (واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)

فى « الفتح » أقوال :

١ ـ عن الحسن وابن عباس : أى فتح فارس والروم .

٢ ـ قيل : هو فتح مكة .

٣ ـ قيل : فتح فارس .

٤ ـ قيل : فتح الروم .

٥ ـ قيل : هو فتح مكة ، وفتح قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم العالم كله ، فيكون الدين كله لله جل وعلا .

٦ ـ عن عطاء : هو فتوح الاسلام على العموم لمكان التنكير والتنوين .

٧ ـ قيل : أى قريب منكم يقرب الرجوع منه إلى اوطانكم .

أقول : والخامس هوالانسب بالسياق المتقدم من اتمام النور واظهارالحق على الباطل ، من غير تناف بينه وبين السادس .

وفى « بشّر المؤمنين » أقوال :

١ ـ أى وبشر المؤمنين بالنصر والفتح .

٢ ـ قيل : أى وبشرهم بالنصر فى الحياة الدنيا وبالجنة ونعيمها فى الاخرة .

فالمعنى: وبشر المؤمنين بهذين الثوابين عاجلا وآجلا ـ للايمان والجهاد ـ : وهو النصر فى الدنيا ، والجنة فى العقبى .

٣ ـ قيل : أى وبشرهم فى الآخرة بالجنة .

٤ ـ قيل : أى وبشرهم برضا الله تعالى عنهم .

أقول : والثانى هو الانسب بظاهر الاطلاق .

١٤- (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فامنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) .

فى قوله تعالى : « الذين آمنوا كونوا أنصار الله » أقوال :

١ ـ عن قتادة ومعمر : هم سبعون رجلا بايعوا النبى الكريم ﷺ ليلة العقبة ، فنصروه وآووه حتى أظهر الله تعالى دينه .

٢ ـ عن قتادة أيضاً : هم عشرة من قريش بايعوه ﷺ .

٣ ـ عن مجاهد : انهم اثنان وسبعون رجلا من الانصار بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة .

٤ ـ قيل : خطاب لجميع المؤمنين : الحاضرين منهم ، والغائبين فى طوال الاعصار .

أقول : والاخير هو الانسب بالاطلاق المتقدم من اتمام النور واظهار دين الحق على الدين كله . . .

وفى تسمية « الحواريين » أقوال :

١ ـ عن الزجاج : سموا بذلك لانهم أخلصوا من كل عيب و رياء ونفاق . . .

٢ ـ عن ابن عباس : سموا بذلك لبياض ثيابهم ، وهم كانوا صيادى السمك ، وقال : لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى ابن مريم عليه السلام إلى السماء خرج إلى أصحابه ، وهم فى بيت اثنى عشر رجلا من عين فى البيت ، ورأسه يقطر ماء ، قال فقال : ان منكم من سيكفر بى اثنى عشرة مرة بعد أن آمن بى قال : ثم قال : أيكم يلقى عليه شبهى ، فيقتل مكانى ، ويكون معى فى درجتى ؟ قال : فقال : شاب من أحدثهم سناً ، قال : فقال : أنا فقال له اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا قال : نعم أنت ذاك .

قال : فألقى عليه شبه عيسى عليه السلام ورفع عيسى من روزنة فى البيت إلى السماء ، قال : وجاء الطلب من اليهود ، وأخذوا شبهه ، فقتلوه وصلبوه و كفر به بعضهم اثنى عشرة مرة بعد أن آمن به فتفرّقوا ثلاث فرق : فقالت فرقة :كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء ، وهؤلاء اليعقوبية ، وقالت فرقة :كان فينا ابن الله ماشاء الله ثم رفعه إليه ، وهؤلاء النسطورية ، وقالت فرقة :كان فيناعبدالله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه ، وهؤلاء المسلمون ، فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على المسلمة ، فقتلوها ، فلم يزل الاسلام طامساً حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فآمنت طائفة من بنى اسرائيل ، و كفرت طائفة يعنى الطائفة التى كفرت من بنى اسرائيل فى زمن عيسى ، والطائفة التى آمنت فى زمن عيسى ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ، فاصبحوا ظاهرين فى إظهار محمد صلى الله عليه وآله وسلم دينهم على دين الكفار فاصبحوا ظاهرين .

٣ ـ قيل : سموا بالحواريين لانهم كانوا قصارين .

٤ ـ عن الضحاك : سموا بذلك لانهم كانوا غسّالين ، وبالنبطية يقال للغسّال : حوارى .

أقول : سموا بذلك لكونهم أخصّاء عيسى ابن مريم عليه السلام وأصفياءه ، وهذا هو المروى .

وفى قوله : « من أنصارى إلى الله » أقوال : ١ ـ قيل : أى قل يا محمد : انى ادعوكم إلى هذا الامر كما دعا عيسى عليه السلام قومه فقال : من أنصارى مع الله ينصرمن مع نصرة الله تعالى إياى .

٢ ـ قيل : أى فيما يقرب إلى الله كما يقال : اللهم منك وإليك .

٤ـ قيل : أى من أنصارى إلى الله فى سلوكى سبيل الله وتوجهى إلى الله جل وعلا ، وهو التوحيد وإخلاص العبادة لله سبحانه ، فكونوا أنصارى أيها المؤمنون فى نشر الدعوة ، واعلاء كلمة الحق بالجهاد ، والايمان والطاعة فيما تأمرون به وتنهون عنه .

أقول : والرابع هو الانسب بظاهر السياق .

وفي « فآمنت طائفة من بني اسرائيل و كفرت طائفة » قولان :

أحدهما - أي فآمنت طائفة من بني اسرائيل بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم و كفرت طائفة به

ثانيهما - أي فآمنت طائفة من بني اسرائيل بعيسى ابن مريم عليه السلام و كفرت به طائفة آخرون .

أقول : والثاني هو الظاهر .

وفي قوله تعالى : « فايدنا الذين آمنوا على عدوهم » أقوال :

١ - عن ابن عباس : أي ايد الله تعالى الذين آمنوا في زمن عيسى باظهار محمد صلى الله عليه وآله وسلم على دين الكفار .

٢ - عن مجاهد : أي أيدالله تعالى المؤمنين في زمانهم على من كفر بعيسى عليه السلام .

٣ - قيل : أي أيدنا الان المسلمين على الفرقتين الضالتين : من قال : كان الله فارتفع ، ومن قال : كان ابن الله ، فرفعه الله إليه لان عيسى ابن مريم لم يقاتل أحداً ، ولم يكن في دين أصحابه بعده قتال .

٤- قيل : أي فقوينا الذين آمنوا من الطائفتين من بني اسرائيل على عدوهم الذين كفروا منهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لتصديقه اياهم أن عيسى عليه السلام عبدالله ورسوله وتكذيبه من قال : هو إله ، ومن قال : هو ابن الله تعالى ، فاصبحوا ظاهرين ، فاصبحت الطائفة المؤمنون ظاهرين على عدوهم الكافرين منهم .

أقول : وعلى الاخير اكثر المفسرين .

وفي « فاصبحوا ظاهرين » اقوال :

١ - عن زيد بن علي وقتادة : أي غالبين بالحجة والبرهان لانهم قالوا فيما روى : ألستم تعلمون ان عيسى كان ينام ، والله لاينام ، وان عيسى كان يأكل والله تعالى لايأكل .

٢ - قيل : أي عالين .

٣ ـ قيل : أي غالبين على الكافرين بعد ما كانوا مستخفين مضطهدين .

٤ ـ عن ابراهيم : لما بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ونزل تصديق من آمن بعيسى أصبحت حجة من آمن به ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وآله وسلم بان عيسى كلمة الله وروحه .

٥ ـ عن مجاهد : أي فاصبحوا ظاهرين من آمن مع عيسى عليه السلام .

اقول : والثالث هو الانسب بظاهر السياق .



﴿التفسير والتأويل﴾

١- (سبح لله مافى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم)

سبح لله جل وعلا كل مافى السموات وجميع ما فى الارض ، فعلى الانسان كافة أن يسبّح له تعالى ويمجّده ويقدّسه وينزّهه عما لا يليق بساحة الوهيته لما فضّل الله تعالى هذا الانسان على غيره بما أودع فيه من الاستعداد إلى الكمال المعنوى مالم يجعله فى غيره ، فلا ينبغى له أن ينقص تسبيحه لله تعالى عن تسبيح غيره ، ولا يفعل ما ينقص عن فضله ، ولا يعمل بما يصدّه عن النيل إلى الكمال الانسانى.

وهو القاهر فوق عباده ، الغالب غير مغلوب اذ كتب للمؤمنين من إعزاز و نصر وفتح وجنة ونعيم ، وللكافرين من ذلة وخزى وهوان وجحيم وعذاب .

وهو الحكيم فى تدبير خلقه وفق ما سنّه من السنن وهداه إلى ما فيه الكمال.

قال الله تعالى : « وان من شىء الا يسبّح بحمده ولكن لا **تفقهون** تسبيحهم » الاسراء : ٤٤)

٢- (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون)

يا ايها الذين أقررتم بوحدانية الله تعالى واعترفتم بنبوة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و صدّقتم كتابه لاىّ شىء تقولون : قد فعلنا كذا و كذا وأنتم لم تفعلوه ؟ ولاىّ غرض تقولون : لوددنا أن نعمل كذا و كذا من خير الاعمال وبرّ الافعال حتى اذا طلب منكم ذلك كرهتم ولا تفعلونه ؟ فلم تقولون القول الذى لا تصدّقونه بالعمل حيث **أعمالكم** تخالف **أقوالكم** ؟

انّ الله تعالى ينهى من عما يقول ولا يعمل ، يأمر غيره بالبر وينسى نفسه ،

وينهى غيره عن المعصية وهو منهمك فيها .

قال اللهتعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » البقرة : ٤٤)

و قال حكاية عن شعيب النبى عليه السلام : « وما اريد أن اخالفكم إلى ما أنهاكم عنه » هود : ٨٨) .

٣- (كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالا تفعلون)

انّ الله تعالى يبغض بغضاً شديداً من يقول مالا يفعله ، ويأمر غيره بما لا يأتمر به ، وينهى غيره عما لا ينتهيه عنه ووعد وتخلّف وهكذا . . .

قال الله تعالى : « كبرت كلمة تخرج من افواههم إن يقولون الاّ كذباً » الكهف : ٥)

٤- (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص)

ان الله تعالى يحب الذين يقاتلون فى سبيل الله جل وعلا يصطفون فى القتال، ويسوّون صفوفهم فى معركة القتال ، ويثبتون فى ميدانه ويلزمون مكانهم كثبوت البناء المرصوص .

فالذين لم يكونوا كذلك فيبغضهم الله تعالى والاية فى معنى قوله تعالى: « يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولّوهم الادبار و من يولهم يومئذ دبره الاّ متحرفاً لقتال اومتحيّزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير - يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » الانفال : ١٥ - ٤٥) .

وما ورد فى « فى سبيله » فمن التأويل ،

٥- (واذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذونني وقد تعلمون انى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين)

واذكر لقومك يامحمد قصة موسى عليه السلام وبنى اسرائيل اذ قال لقومه : يا

قوم لم تؤذوننى اذخالفوه وعصوه حين أمرهم بالقتال فقالوا له : « إذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون » المائدة : ٢٤)

وآذوه بأنواع الاذى الاخرى : من انتقاصه وعيبه فى نفسه « آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا » الاحزاب : ٦٩) .

ومن جحودهم آياته، وعبادتهم العجل ، وطلبهم منه عليه السلام رؤية الله سبحانه جهرة ، وتكذيبهم برسالته ، ورميهم اياه بالادرة والبرص وغيرها من التّهم و الافتراءات اليهودية . . .

والحال انكم تعلمون علماً قطعياً مستمراً لاشبهة لكم فيه بالادلة الوافية ، والبراهين القاطعة ، ومشاهدة ماظهر بيدى من المعجزات القاهرة التى معظمها إهلاك عدوكم وانجاؤكم من شرّه ، وتعلمون أنّى رسول الله إليكم ، والرسول يعظّم ويوقر ويحترم ولايؤذى ، وانما الرسول يرشد الانسان إلى خير الدنيا و وسعادة الاخرة ، إلى عزة الدنيا ونعمة الاخرة ، فينبغى لعلمكم بذلك أن تبالغوا فى تعظيمى وتسارعوا إلى طاعتى .

فلما مالوا عن الحق والهدى أمال الله تعالى قلوبهم عنهما ، فمنع ألطافه عنهم ، ولما أصرّوا على الزيغ عن الحق الذى جاء به موسى عليه السلام واستمرّوا عليه صرف الله جل وعلا قلوبهم عن قبول الحق وعن الميل إلى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغى والضلال .

وذلك لان من اختار السقوط من السطح يتعقبه الهلاك ومن اختار النزول منه بالسلم تسلم .

وان الزيغ هو الميل عن الاستقامة، ولازمه الانحراف عن الحق إلى الباطل، عن الايمان إلى الكفر ، عن السعادة إلى الشقاء ، عن الطاعة إلى المعصية ، و عن الخير إلى الشر ...

فزيغهم هو سبب للازاغة كما ان الكفر والنفاق والطغيان والتكبر والظلم من أسباب ختم القلب وطبعه .

قال الله تعالى : « ان الذين كفروا ـ ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على ابصارهم غشاوة » البقرة : ٦ ـ ٧)

وقال : « بل طبع الله عليها بكفرهم » النساء : ١٥٥)

و قال : « كذلك نطبع على قلوب المعتدين » يونس : ٧٤).

وقال فى المنافقين : « رضوابان يكونوا مع الخوالف و طبع على قلوبهم فهم لايفقهون » التوبة : ٨٨).

وقال : « كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » غافر : ٣٥)

وفى الجميع من تعليق الحكم على الوصف إشعاراً بعلية الوصف فى الحكم مالايخفى على القارىء الخبير

فليست الازاغة و الطبع والختم والاضلال بدئية كما توهمت الجبرية من الاشاعرة وبعض المعتزلة فانها لاتليق بساحة قدسه جل وعلا.

وإلى ذلك أشار تعالى بقوله : « والله لايهدى القوم الفاسقين » لان الفسق مانع عن الهداية وعن اللطف اليهم، فانهم خرجوا بالفسق من أهلية الهدى واللطف من الله تعالى.

٦ـ (واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين)

واذكر لقومك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً قصة عيسى بن مريم عليه السلام وبنى اسرائيل اذ قال لهم : يابنى اسرائيل اني رسول الله إليكم بالانجيل مصدقاً لما بين يدى من التوراة المنزل على موسى عليه السلام اذ فيها صفتى وانى لم آتكم بشىء يخالف التوراة فتنفروا عنى ، فلا تناقض بين مافى التوراة وما جئتكم به الا بعض مانسخ أو ما كنتم فيه تختلفون فابيّن لكم . . .

قال : « ومصدقاً لمابين يدى من التوراة و لاحلّ لكم بعض الذى حرم عليكم » آل عمران : ٥٠)

وقال : « ولابيـّن لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون »
الزخرف : ٦٣)

وأنا ابشر كم برسول يأتى من بعدى إسمه أحمد ، فلما جاءهم أحمد المبشر به بالادلة الواضحة ، والبراهين القاطعة ، والمعجزات الباهرة القاهرة .. فمنهم من آمن برسالته ﷺ واتبعوه نتيجة لذلك ومنهم من كفروا فقالوا لاحمد ﷺ : ما جئتنا هذا سحر مبين لاواقع له .

« فامنت طائفة من بنى اسرائيل و كفرت طائفة » : ١٤) .

قال الله تعالى : « ليسوا سواء من أهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات اولئك من الصالحين- وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم » آل عمران : ١١٣ - ١٩٩) .

وقد كانت اليهود والنصارى يجدون نبينا محمداً ﷺ وامته مكتوبين عندهم بصفاتهم وعلائمهم فى التوراة والانجيل ..

قال الله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم »
الاعراف : ١٥٧)

وقال : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل » الفتح : ٢٩) .

٧- (و من أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لايهدى القوم الظالمين)

من أشد ظلماً وعدواناً و من أشد عناداً ولجاجا ممن اختلق الكذب على الله جل وعلا ، فيقول عن آياته البينة والدعوة الصريحة إليه تعالى وإلى دينه

القويم انها سحر، فينفى نسبةهذا الدين إلى الله سبحانه‌عنه، ويقول لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم انه ساحر كذاب ، والحال انه يدعى إلى‌الاسلام الذى فيه عيشه الهنيىء فى‌الدنيا ، ونجاته من العذاب فى الاخرة وسعادته فى الدارين .

ومن فعل ذلك فهوظالم ، وحقاً ليس أحد أظلم منه والله تعالى لايهدى‌القوم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والعناد ، والمعصية واللجاج ، فضلوا عن الحق‌الذى كان من شأنهم أن يهتدوا إليه لوخلى وطبعه .

وان الظالمين لايفلحون وهم يوم القيامة فى النار .

قال الله تعالى : « فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون » آل عمران : ٩٤) .

وقال : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين »
هود : ١٨)

وقال : « قل ان الذين‌يفترون على الله الكذب لايفلحون » يونس : ٦٩)

وقال : « فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون » القصص : ٧٥)

وقال : «انمايفترى الكذب الذين‌لايؤمنون بآيات الله واولئك هم‌الكاذبون»
النحل : ١٠٥)

٨- (يريدون ليطفؤا نورالله‌بأفواههم‌والله متم نوره ولوكره الكافرون)

يريدون بالافتراء ، ويحملون أنفسهم عليه ليطفؤا نورالله تعالى وهوالدين الاسلام بأفواههم ومواقفهم وأقوالهم ويجدّون فى إخماد نوره ، والله تعالى متمّ نوره ، مبلغ غايته بنشره واعلائه فى‌الآفاق ، ومؤيد نبيّه ومظهر كلمته حتى‌تملأ الكون برغم الكافرين .

قال الله تعالى : « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه »
الزمر : ٢٢)

وما ورد فى المقام فمن التأويل والتطبيق .

٩ - (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

ان الله جل وعلا هو الذى أرسل رسوله محمداً ﷺ بكتاب يهدى به الناس ، وقد جاء كثيراً فى وصف القرآن الكريم بالهدى باعتبارانه الهادى .

قال الله تعالى : « قل انما اتبع ما يوحى إلى من ربى هذا بصائرمن ربكم وهدى ورحمة لقوم يومنون واذا قرى القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » الاعراف : ٢٠٣ ـ ٢٠٤) .

وقال : « ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » النحل : ٨٩) .

وقال حكاية عن الجن : « وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به » الجن : ١٣)

« ودين الحق » وهو الملة الحنيفية لانها محض التوحيد ومبطل الشرك ، وهو الدين الاسلامى الثابت ليس له دور خاص ولا لجماعة خاصة ، وهو الدين الخالد يكون فى ضمان الله تعالى و حمايته ، يجرى مجرى الشمس فى مجارى الحياة ليس بعده دين ولاشريعة لكماله ، وهذا هو الدين القيم الذى بنى على الفطرة البشرية .

قال الله تعالى : « قل اننى هداينى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك امرت وأنا أول المسلمين » الانعام : ١٦١ـ١٦٣)

وقال : « فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » الروم : ٣٠)

وقال : « ان الدين عندالله الاسلام ـ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » آل عمران : ١٩ ـ ٨٥) .

وقال : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » المائدة : ٣)

« ليظهره على الدين كله » ليعليه على جميع الاديان من حقها وباطلها بالحجج الواضحة والبيان وقاطع البرهان ، ويقهرها ويغلب عليها بالتأييد والنصرة فالله تعالى لجاعل لهذا الدين وأهله سيادة وغلبة وظهوراً على الاديان كلها وأهلها حتى يصبح دين العالم أجمع برغم المشركين .

قال الله تعالى : « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة و يكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى و نعم النصير » الانفال : ٣٩ ـ ٤٠)

وقال : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين لاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين » آل عمران : ١٣٨ ـ ١٣٩)

وقال : « فأيّدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » الصف : ١٤)

وسيتحقق هذا الوعد بتمامه عند قيام القائم الحجة بن الحسن العسكرى الامام الثانى عشر من ولد الحسين بن على عليهم السلام .

١٠ - (ياايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم)

يا أيها الذين آمنوا بالله تعالى و صدقوا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أترغبون فى صفقة رابحة وتجارة منجية لكم من عذاب مؤلم ، فتنالون بها الربح العظيم والنجح الخالد الباقى .

ان الله جل وعلا جعل الايمان والعمل تجارة، وجعل رأس مالها النفس البشرية وربحها النجاة من العذاب الاليم ،والتنعم من نعيم الجنة ورضوان الله أكبر من ذلك .

فالاية فى معنى قوله تعالى :« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والفرقان ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم » التوبة : ١١١)

ونظير قوله تعالى لادم عليه السلام : « يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لايبلى ـ فمن تبع هداى فل يضلّ ولايشقى » طه ١٢٠ ـ ١٢٣)

١١- (تؤمنون باللهورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)

تلك التجارة المنجية هي أن تومنوا بالله تعالى وتصدقوا رسوله ﷺ و تجاهدوا بالأموال والانفس في سبيل الله جل وعلا بنشر دينه، واعلاء كلمته، فقاتلوا ائمة الكفر واقطعوا دابر المتكبرين فيكون الدين كله لله وحده إن كنتم تعلمون خيرية ذلك.

قال الله تعالى: «انما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا و جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله» الحجرات: ١٥)

وقال: «فقاتلوا ائمة الكفر انهم لاايمان لهم لعلهم ينتهون» التوبة: ١٢)

وقال: «وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين» البقرة: ١٩٣) والانفال: ٣٩)

١٢- (يغفر لكم ذنوبكم و يدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم)

اذا آمنتم بالله وصدقتم رسوله ﷺ و جاهدتم في سبيله يستر عليكم ربكم ذنوبكم فيصفح ويعفو عنكم، ويدخلكم بساتين تجري من تحت أشجارها الانهار، ويدخلكم أيضاً مساكن طيبة تسكنونها مستلذة مستطابة في بساتين اقامة لاظعن عنها وبساتين ثبات لاتبغون عنها حولا، وذلك النجاة من نكال الآخرة وأهوالها، و تلك النعم الدائمة فيها نيل إلى المطلوب، وهو السعادة الكبيرة الابدية.

قال الله تعالى: «اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم» الاحقاف: ٣١)

و قال: «والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله و الذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقالهم مغفرة ورزق كريم» الانفال: ٧٤).

و قال: «وعد الله المؤمنين و المؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن و رضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز

العظيم »التوبة : ٧٢) .

١٣- (واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)

ولكم ايها المؤمنون المجاهدون مع ذلك الفوز العظيم ، و تلك النعمة الاجلة الاخروية نعمة عاجلة اخرى ، وهى رغيبة اخرى تحبونها ، و تتطلعون إليها ، وهى ماستلقون من نصر من الله جل و علا ، ومن فتح قريب عاجل بما يفتح الله تعالى لكم مكة « وأثابكم فتحاً قريباً » الفتح : ١٨)

وما تلا ذلك من فتوح لمملكتى الفارس والروم ، وما يمكن لكم من نصر على أعدائكم ، فتح لبلادهم، ويلى ذلك من فتح قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم العالم كله فيكون الدين كله لله تعالى ،وبشر يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم المؤمنين الحاضرين والغائبين بهاتين النعمتين : العاجلة والاجلة .

١٤- (ياايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فامنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين)

يا ايها الذين آمنوا بالله تعالى وصدّقوا رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كونوا أنصار دين الله ، وأعوان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ببذل الاموال والانفس فى نشر دينه واعلاء كلمته ليظهركم الله تعالى على من خالفكم ويجعلكم فوقهم « انتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » آل عمران : ١٣٩)

كما قال عيسى ابن مريم عليه السلام للحواريين : من انصارى منكم إلى نصرة دين الله ؟ قال الحواريون لعيسى عليه السلام : نحن أنصارك إلى نصرة دين الله بالقول و العمل ، فآمنت بعيسى عليه السلام طائفة من بنى اسرائيل ، و كفرت به عليه السلام طائفة اخرى منهم ، فقوّينا الذين آمنوا من الطائفتين من بنى اسرائيل على عدوهم الكافرين ، فاصبحت الطائفة المؤمنة ظاهرين على طائفة الكافرة .

قال الله تعالى : «فلما احسّ عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ـ وجاعل الذين اتبعوك

فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » آلعمران : ٥٢ ـ ٥٥)

وذلك لما بلغ عيسي عليه السلام رسالة ربه إلى قومه ، ووازره من الحواريين من وازره اهتدت طائفة من بنى اسرائيل بما جاء هم به وضلت طائفة اخرى إما جحوداً لرسالته ورميه هو وامّه بالعظائم كما فعلى اليهود ، واما بالغلو واعطائه فوق ما أعطاه الله تعالى من مرتبة النبوة فمن قائل : انه ابن الله سبحانه ، ومن قائل : انه ثالث ثلاثة : الاب والابن وروح القدس ، ومن قائل : انه الله .

فعل المؤمنين ان يتأسّوا بالحواريين ـ وهم أخصّاء عيسى ابن مريم عليه السلام وأصفيائه وهم اول من آمن به من بنى اسرائيل ـ الذين استجابوا إلى دعوة عيسى عليه السلام حينما هتف : من أنصارى إلى الله ، فاعلنوا : انهم أنصار الله .

امّا الحواريون فهم على مايستفاد من الاناجيل والاسفار المتداولة اثنى عشر رجلا ، وكانوا هم يسمّون فيها بتلاميذ عيسى حيناً وبرسله حيناً ، وهم :لمعان الذى له اسم آخر وهو بطرس ، وأندرواس ، و يعقوب ، ويوحنا ابنى زبدى ، و متى وفيلبس ، وبرتلماوس : وتوما ، و تداوس ، ويعقوب ابن حلفى ، ولسمعان (سمعان خ) القانوى ، ويهوذا الاسخر يوطى .

والاخير هوالذى أخذ رشوة من اليهود ودلّ على عيسى حيث اعتقله جنود الرومان بناء على طلب رؤساء اليهود .

وانّ من سنن الله جل وعلا أن ينصر من ينصر من دينه وجاهد فى سبيله من الانبياء والمؤمنين ببذل الاموال والانفس . . .

فهم لايزالون فى نصرة الله جل وعلا وحمايته ، ولا محالة هم غالبون على مخالفيهم من غير ناصر للمخالفين .

قال الله تعالى : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وانّ جندنا لهم الغالبون » الصافات : ١٧١ـ ١٧٣) .

وقال : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » غافر : ٥١)

وقال : « يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »
محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٧)

وقال : « ان ينصركم الله فلا غالب لكم » آل عمران : ١٦٠) .

وقال : « ان الله يدافع عن الذين آمنوا ـ وان الله على نصرهم لقدير ـ ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » الحج : ٣٨ ـ ٤٠) .

وقال : « وما للظالمين من أنصار » البقرة : ٢٧٠) .



﴿ جملة المعانى ﴾

٥١٦٤ - (سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم)

سبح لله ونزهه كل مافى السموات وجميع ما فى الارض عما لايليق بساحة قدسه وهو القاهر الغالب غير مغلوب ، الحكيم فى تدبير أمره .

٥١٦٥ - (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون)

يا ايها الذين آمنوا بالله تعالى وصدّقوا رسوله ﷺ لاى شىء تقولون: انا نفعل كذا وكذا ، وأنتم لا تفعلونه ولا تريدونه ؟ ؟ .

٥١٦٦ - (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالاتفعلون)

عظم بغضاً واشتدّ كرهاً عند الله جل وعلا أن تقولوا : انا نفعل كذا وكذا وانتم لاتفعلونه .

٥١٦٧ - (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) .

انّ الله تعالى يحب الذين يقاتلون فى سبيل الله لنشر دينه الحق واعلاء كلمته، وتحطيم أركان الباطل ، وتقطيع أذناب أهله ، وهم يسوّون صفوفهم فى معركة القتال ويثبتون فى ميدانه ويلزمون مكانهم كثبوت البناء المرصوص .

٥١٦٨ - (واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون انى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين)

واذكر لقومك يامحمد ﷺ قصة موسى عليه السلام لبنى اسرائيل اذ قال لهم : يا قوم لم تؤذونني فيما أمرتكم به حال كونكم عالمين بانى رسول الله إليكم ،

فلما مالت قلوبهم عن الهدى والصلاح أمال الله قلوبهم عن القبول اذخلاّهم فان الله لايهدى من اتصف بالفسق وأصرّ عليه.

٥١٦٩- (واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقاً لمابين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاء هم بالبينات قالوا هذا سحر مبين)

واذ كرلقومك يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً قصة عيسى ابن مريم عليه السلام وبنى اسرائيل اذ قال لهم: يا بنى اسرائيل انى رسول من الله تعالى ارسلت إليكم بالانجيل حا-لكونى مصدّقاً لما بين يدىّ من التوراة المنزل على موسى عليه السلام من قبل، وحالكونى مبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد، فلما جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنى إسرائيل بالادلة الواضحة والبراهين القاطعة قالوا: ما جئتنا هذا سحر مبين لا واقع له.

٥١٧٠- (و من أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لايهدى القوم الظالمين)

ومن أشد ظلماً وعدواناً ممن اختلق الكذب على الله جلّ وعلا فيقول فيما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انه سحر، والحال انه يدعى إلى الاسلام، والله لايهدى القوم الذين ظلموا على أنفسهم بالكفر والعناد.

٥١٧١- (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)

يريدون هؤلاء المفترون ليخمدوا الدين الاسلامى بافتراء اتهم والله جل وعلا متم نوره بنشره فى الافاق ولو كرهه الكافرون.

٥١٧٢- (هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون).

ان الله تعالى هو الذى أرسل رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بكتاب يهدى به من اهتدى، و بدين الحق الاسلامى الخالد ليغلبه على جميع الاديان ولو كره

المشر كون ذلك .

٥١٧٣- (يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) .

ياأيها الذين آمنوا بالله تعالى ، وصدقوا رسوله ﷺ أترغبون فى صفقة رابحة تنالون بها ربحاً عظيماً ، وتجارة منجية لكم من عذاب مؤلم .

٥١٧٤ - (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم و أنفسكم ذلكم خيرلكم ان كنتم تعلمون)

تلك التجارة المنجية أن تؤمنوا بالله تعالى وتصد قوارسوله ﷺ وتجاهدوا بالاموال والانفس فى سبيل الله جل وعلا لنشر دينه ، واعلاء كلمته ، وهذا الايمان وذاك الجهاد خير لكم ان كنتم تعلمون خيرية ذلك .

٥١٧٥- (يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار و مساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم)

يغفر لكم ربكم ذنوبكم ، ويدخلكم بساتين تجرى من تحت أشجارها الانهار ، ويدخلكم أيضاً مساكن طيبة تسكنونها مستلذة مستطابة فى بساتين اقامة وثبات ، وذلك النجاة وتلك النعم الاخروية نيل إلى المطلوب وهو السعادة الكبيرة الابدية.

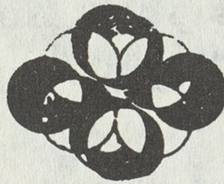
٥١٧٦ - (واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)

ولكم ايها المؤمنون المجاهدون مع تلك النعيم الاخروية الاجلة نعمة عاجلة اخرى ، و هى رغيبة اخرى لكم ، و هى ما ستلقون من نصر من الله على اعدائكم ، وفتح قريب لبلادهم ، وبشر المؤمنين يامحمد ﷺ بهاتين النعمتين.

٥١٧٧ - (ياأيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فامنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين)

يا أيها الذين آمنوا بالله تعالى ، وصد قوا رسولـه محمداً ﷺ كونوا

أنصار دين الله وأعوان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ببذل الاموال والانفس في نشر دينه واعلاء كلمته كما قال عيسى ابن مريم عليه السلام للحواريين : من أنصاري منكم إلى نصرة دين الله تعالى ؟ قال الحواريون لعيسى عليه السلام : نحن أنصارك إلى نصرة دين الله جل وعلا ، فآمنت بعيسى عليه السلام طائفة من بني اسرائيل ، و كفرت به عليه السلام طائفة اخرى منهم فقوّينا الذين آمنوا من الطائفتين من بني اسرائيل على عدوهم الكافرين ، فاصبحت الطائفة المؤمنة غالبين عالين على الطائفة الكافرة .



﴿ بحث روائي ﴾

فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون » قال : مخاطبة لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين وعدوه أن ينصروه و لا يخالفوا أمره ، ولاينقضون عهده فى أمير المؤمنين عليه السلام فعلم الله انهم لايفون بما يقولون ، فقال : « لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عندالله . . » الاية وقد سمّاهم الله مؤمنين باقرارهم ، وإن لم يصدقوا .

أقول : ويؤيد ذلك ماوردفى النزول فراجع فالايتان فى معنى قوله تعالى : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » الحجرات : ١٤)

وفى الكافى : باسناده عن هشام بن سالم قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : عدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له ، فمن أخلف فبخلف الله بدأ ولمقته تعرض ، و ذلك قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالا تفعلون »

وفى نهج البلاغة : قال الامام مولى المتقين أمير المؤمنين على عليه السلام : « و الخلف يوجب المقت عندالله والناس قال الله سبحانه : « كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالا تفعلون »

وفى حديث المعراج : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أتيت ليلة اسرى بى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت قلت : من هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هؤلاء خطباء امتك الذين يقولون ولايفعلون ويقرؤن كتاب الله

ولايعملون ».

أقول: وليس معنى قول النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « لاتنظروا إلى من قال و انظروا إلى ماقال » ان الناس لاينظرون إلى أعمال الهداة والقادة والوعاظ، وانما معناه : ان الجاه والمقام لايمنعاكم عن التفكر فى كلام أصحابهما ، ففيه بيان لحرية الانسان فى التفكر والتدبر فى الكلام من أىّ شخص صدر .

وفى مكارم الاخلاق : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابن مسعود : يا ابن مسعود! لاتكن ممن يشدد على الناس ، ويخفف عن نفسه ، يقول الله تعالى : « لم تقولون ما لاتفعلون »

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كانهم بنيان مرصوص » قال : يصطفّون كالبنيان الذى لايزول .

وفى الكافى: باسناده عن مالك بن اعين فى حديث ـ قال : حرّض أمير المؤمنين عليه السلام الناس بصفين فقال : « ان الله عزوجل دلّكم إلى أن قال عليه السلام وقال جل جلاله : « ان الله يحبّ الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كانهم بنيان مرصوص» فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، فقدموا الدارع ، وأخروا الحاسر، و عضوا على النواجذ ، فانه أنبأ للسيوف على الهام ،والتووا على أطراف الرماح فانه أمور للاسنة ، وغضوا الابصار فانه أربط للجأش ، وأسكن للقلوب ، وأميتوا الاصوات ، فانه اطرد للفشل .وأولى بالوقار، ولاتميلوا براياتكم ،ولاتزيلوها،ولا تجعلوها الاّ مع شجعانكم ، فان المانع للذمار والصابر عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ »الحديث .

قوله عليه السلام « الدارع » : لابس الدرع ، و« الحاسر » : الذى لامغفر له ولا درع ، و« النواجذ » : أقصى الاسنان والضواحك منها ، و « أنبأ » أبعد و أشد دفعاً وذلك لان العض على الاضراس يشد شئون الدماغ ،ورباطاته،فلا يبلغ السيف مبلغه.

وقوله عليه السلام « الهام » : جمع الهامة وهى الرأس ،قيل : أمرهم بان يلتووا اذا طعنوا لانهم اذا فعلوا ذلك ، فبالحرى أن يمور الانسان أى يتحرك عن موضعه فيخرج زالقاً وإذا لم يلتووا لم يمر السنان ولم يتحرك عن موضعه فينخرق و

وينفذ ويقتل ، وأمرهم بغض الابصار فى الحرب لانه أربط للجأش أى أثبت للقلب لان الغاض بصره فى الحرب أحرى أن لايدهش ولايرتاع لهول ما ينظر .

وأمرهم باماتة الاصوات وإخفائها لانه أطرد للفشل وهو الجبن والخوف ، وذلك لان الجبان يرعد ويبرق والشجاع صامت ، و أمرهم بحفظ راياتهم أن لا تميلوها لانها اذا مالت انكسر العسكر لانهم ينظرون إليها ، وأن لايخلوها عن محام عنها ، و أن لايجعلوها بايدى الجبناء كيلا يجنبوا عن إمساكها .

وقوله: عليه السلام « للذمار » : ما يلزم حفظه وحمايته سمي ذماراً لانه يجب على أهله التذمر له أى الغضب ، و « الحقائق » : جمع الحاقة وهى الامر الصعب الشديد ، ومنه قوله تعالى : « الحاقة ما الحاقة »

و فى المصباح : فى خطبة خطب بها الامام أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير فقال فيها : « و اعلموا أيها الناس ان الله عزوجل قال : « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » أتدرون ما سبيله؟ أنا سبيل الله الذى نصبنى للاتباع بعد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

وفى المجمع : فى قوله تعالى : « واذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى وقد تعلمون انى رسول الله إليكم » روى فى قصة قارون انه دس إليه إمرأة وزعم انه زنى بها ورموه بقتل هارون .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : «ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه احمد » الاية قال :وسئل بعض اليهود لعنهم الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لم سميت أحمد ومحمداً وبشيراً ونذيراً ؟ فقال: أما محمد فانى فى الارض محمود ، وأما أحمد فانى فى السماء أحمد منى فى الارض ، واما البشير فابشر من أطاع الله بالجنة ، و أما النذير فانذر من عصى الله بالنار .

و فى الدر المنثور : عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لى خمسة أسماء :أنا محمد ، وأنا أحمد ،وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا الماحى الذى يمحوالله بى الكفر ، وأنا العاقب ، والعاقب الذى ليس بعده نبى

وفيه: عن العرباض بن سارية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : انى عبدالله في ام الكتاب ، وخاتم النبيين ، وان آدم لمنجدل فى طينة وسوف انبئكم تأويل ذلك ، أنا دعوة ابراهيم ، وبشارة عيسى قومه ، ورؤيا امّى التى رأت انه خرج منها نور أضاء له قصور الشام .

وفى الخصال: عن ابى جعفر عليه السلام ان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرة أسماء :خمسة فى القرآن ، وخمسة ليست فى القرآن ، فاما التى فى القرآن فمحمد ، وأحمد ، وعبدالله ، ويس ، ون .. الحديث.

وفى العيون : باسناده عن صفوان بن يحيى صاحب السابرى قال : سئلنى أبوقرّة صاحب الجاثليق أن اوصله إلى الرضا عليه السلام فاستأذنته فى ذلك ، قال :ادخله علىّ ، فلما دخل عليه قبّل بساطه، وقال : هكذا علينا فى ديننا أن نفعل بأشراف أهل زماننا .

ثم قال : اصلحك الله ماتقول فى فرقة إدعت دعوى فشهدت لهم فرقة اخرى معدّلون ؟ قال : الدعوى لهم ، قال فادّعت فرقة اخرى دعوى فلم يجدوا شهوداً من غيرهم ؟ قال : لاشيء لهم ، قال : فانا نحن ادّعينا أنّ عيسى روح الله و كلمته فوافقنا على ذلك المسلمون ، وادّعى المسلمون ، ان محمداً نبى فلم نتابعهم عليه ، وما أجمعنا عليه خير مما افترقنا فيه

فقال أبوالحسن عليه السلام : مااسمك ؟ قال : يوحنّا ، قال :يا يوحنّا إنّا آمنّا بعيسى روح الله و كلمته الذى كان يؤمن بمحمد ويبشّر به و يقرّ على نفسه أنّه عبد مربوب ، فان كان عيسى الذى هو عندك روح الله و كلمته ليس هو الذى آمن بمحمد وبشر به ، ولا هو الذى أقرّ لله بالعبودية ، فنحن منه براء فأين اجتمعنا ؟ فقام وقال لصفوان بن يحيى : قم فما كان أغنانا عن هذا المجلس .

وفى التوحيد: فى مجلس الرضا عليه السلام مع أصحاب الملل والمقالات قال الجاثليق للرضا عليه السلام : ماتقول فى نبوة عيسى و كتابه صلى الله عليه وآله هل تنكر منها شيئاً قال الرضا عليه السلام :انا مقرّ بنبوة عيسى و كتابه وما بشر به امته وأقرت به الحواريون

و كافر بنبوة كل عيسى لم يقر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله و بكتابه ولم يبشر به امته ، قال الجاثليق : أليس انما تقطع الاحكام بشاهدى عدل ؟ قال : بلى قال : فأقم شاهدين من غير أهل ملتك على نبوة محمد لاتنكره النصرانية ، وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا ، قال الرضا عليه السلام : الان جئت بالنصفة يا نصرانى ، ألاتقبل منى العدل المقدم عند المسيح بن مريم ؟

قال الجاثليق : ومن هذا العدل؟ سمّه لى ،قال : ماتقول فى يوحنا الديلمى؟ قال : بخ بخ ذكرت أحب الناس إلى المسيح ، قال عليه السلام : فأقسمت عليك هل نطق الانجيل أن يوحنا قال : أن المسيح أخبرنى بدين محمد العربى ، وبشرنى به أن يكون من بعده ، فبشرت به الحواريين فآمنوا به ؟ قال الجاثليق : قد ذكرنا ذلك يوحنا عن المسيح وبشر بنبوة رجل وأهل بيته و وصيته و لم يلخص متى يكون ذلك .

ولم يسمّ لنا القوم فنعرفهم ، قال الرضا عليه السلام فان جئناك بمن يقرأ الانجيل فتلا عليك ذكر دين محمد وأهل بيته أتؤمن به ؟ قال : سديداً (شديداً خ)قال الرضا عليه السلام : لنسطاس الرومى : كيف حفظك للسفر الثالث من الانجيل ؟ قال: ما أحفظنى له ! ثم التفت إلى رأس الجالوت ، فقال : ألست تقرأ الانجيل ؟

قال : بلى لعمرى قال :فخذ علىّ السفر الثالث ، فانه كان فيه ذكر محمد وأهل بيته وامته ، فاشهدوا لى ،وإن لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا ، ثم قرأ عليه السلام السفر الثالث حتى اذا بلغ ذكر النبى صلى الله عليه وآله وقف ثم قال : يا نصرانى اسئلك بحق المسيح وامه أتعلم انى عالم بالانجيل ؟ قال : نعم ثم تلا علينا ذكر محمد و أهل بيته وامته ، ثم قال : ماتقول يانصرانى ؟

هذا قول عيسى بن مريم ، فان كذبت ما ينطق به الانجيل فقد كذبت عيسى وموسى ، ومتى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل لانك تكون قد كفرت بربك وبنبيّك وبكتابك ، قال الجاثليق : لاانكر ما قدبان لى من الانجيل وانا أقرّ به ،قال الرضا عليه السلام : اشهدوا علىّ اقراره ، ثم: قال : ياجاثليق سل عما

بذالك ، قال الجاثليق : أخبرني عن حواري عيسى بن مريم كم كان عدتهم وعن علماء الانجيل كم كانوا ؟

قال الرضا عليه السلام : على الخبير سقطت ، أمّا الحواريون فكانوا اثنى عشر رجلا ، و كان أعلمهم وأفضلهم ألوقا : وأما علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال : يوحنا الاكبر بأخ ، ويوحنا بقرقيسا ويوحنا الديلمي بزجار وعنده كان ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر أهل بيته وامته ، وهو الذى بشر امة عيسى وبني اسرائيل به.

قوله : عليه السلام « بأخ » أخ: موضع بالبصرة ، و« قرقيسا »: بلدة على الفرات سميت بقرقيسا بن طهمورث ، و « زجار » : واد بنجد ، وموضع بفارس .

وفي كمال الدين : باسناده عن يعقوب بن شعيب عن أبي عبدالله عليه السلام قال كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم خمس مأة عام : منها ما تان وخمسون عاماً ليس فيها نبيّ ولاعالم ظاهر ، قلت : فما كانوا ؟ قال : كانوا متمسّكين بدين عيسى عليه السلام قلت : فما كانوا ؟ قال : كانوا مؤمنين ، ثم قال : ولا يكون إلاّ وفيها عالم.

أقول: ولعل عدّ الفصل بين المسيح وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم خمس مأة عام على سبيل التقريب فلا يخالف ما عليه المشهور في التاريخ ، والمراد بالعالم هو الامام وصيّ النبي وهو حجة الله في أرضه .

وفي الكافي : باسناده عن عبد الحميد بن أبي الديلم عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث _ قال : فلمّا أن بعث الله عزوجل المسيح قال المسيح عليه السلام انه سوف يأتي من بعدي نبي اسمه أحمد من ولد اسمعيل عليه السلام يجيئ بتصديقي وتصديقكم وعذري وعذركم .

وفيه : باسناده عن ابي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال : لم تزل الانبياء تبشر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعث الله تبارك وتعالى المسيح عيسى بن مريم ، فبشر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وذلك قوله تعالى :« يجدونه »يعني اليهود والنصارى « مكتوباً» يعني صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم « عندهم » يعني في التوراة والانجيل « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » وهو قول الله عزوجل يخبر عن عيسى:« ومبشراً برسول يأتي من بعدي

اسمه أحمد» وبشر موسى وعيسى بمحمد كما بشر الانبياء صلوات الله عليهم بعضهم ببعض، حتى بلغه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم .. الحديث.

وفيه: باسناده عن على بن عيسى مرفوعاً قال: ان موسى عليه السلام ناجاه الله تبارك وتعالى، فقال له فى مناجاته: اوصيك ياموسى وصية الشفيق المشفق بابن البتول عيسى بن مريم صاحب الاتان والبرنس و الزيت و الزيتون و المحراب، ومن بعده بصاحب الجمل الاحمر الطيب الطاهر المطهر، فمثله فى كتابك انه مؤمن مهيمن على الكتب كلها، راكع ساجد راغب راهب اخوانه المساكين، وأنصاره قوم آخرون، ويكون فى زمانه ازل وزلازل، وقتل وقلة من المال اسمه أحمد محمد الامين من الباقين من ثلة الاولين الماضين .. الحديث.

اقول: قوله عليه السلام «أزل»: ضيق و «زلازل»: بلايا.

و فى الذقيه: باسناده عن محمد بن قيس عن أبى جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام قال: ان اسم النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى صحف ابراهيم الماحى، و فى توراة موسى الحاد، وفى انجيل عيسى أحمد، و فى الفرقان محمد، قيل: فما تأويل الماحى؟ فقال: الماحى صورة الاصنام وماحى الازلام والاوثان و كل معبود دون الرحمن، قيل: فما تأويل الحاد؟

قال: يحاد من حاد الله ودينه قريباً كان أو بعيداً، قيل: فما تأويل أحمد قال: حسن ثناء الله عزوجل فى الكتب بما حمد من أفعاله، قيل: فما تأويل محمد؟ قال: ان الله و ملائكته وجميع أنبيائه ورسله، وجميع اممهم يحمدونه ويصلون عليه.

وفى الكافى: باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبى الحسن الماضى عليه السلام قال: سئلته عن قول الله عزوجل: «يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم» قال: يريدون ليطفؤا نور الله ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بافواههم قلت: «و الله متم نوره» قال: والله متم الامامة لقوله: «الذين آمنوا بالله و رسوله و النور الذى أنزلنا» فالنور هو الامام.

و فى تحف العقول: فى مناجاة الله عزوجل لموسى بن عمران عليه السلام فى وصف نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم - إلى أن قال - : اسمه أحمد و محمد الامين من الباقين الاولين يؤمن بالكتب كلها ويصدّق جميع المرسلين ، امّته مرحومة مباركة ، لهم ساعات موقّتات يؤذّنون فيها بالصلوات ، فبه صدّق فانه أخوك ياموسى انه أمينى وهو عبد صدق مبارك له فيما وضع يده عليه ، ويبارك عليه ، كذلك كان فى علمى ، و كذلك خلقته ، به أفتح الساعة وبامته أختم مفاتيح الدنيا ، فمر ظلمة بنى اسرائيل أن لايدرسوا اسمه ولايخذلوه وانهم لفاعلون ، وحبّه لى حسنة وأنا معه وأنا من حزبه وهو حزبى وحزبى هم الغالبون .. الحديث .

أقول: قول الله تعالى : « وأنا من حزبه » : كناية عن النصرة أى انى انصره واعينه على أعدائه.

و فى كمال الدين: باسناده عن عمار بن عمار الساباطى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سمعته وهويقول : لم تخل الارض من حجة عالم يحيى فيهامايميتون من الحق ، ثم تلا هذه الاية : «يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم و الله متم نوره ولو كره الكافرون » .

وفى تفسير القمى: فى قوله تعالى : « يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم والله متم نوره » قال : بالقائم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى اذا خرج يظهره الله على الدين كله حتى لايعبد غير الله وهو قوله عليه السلام : يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

و فى المجمع: وروى العياشى بالاسناد عن عمران بن ميثم عن عباية انه سمع امير المؤمنين عليه السلام يقول : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله » : أظهر بعد ذلك قالوا : نعم قال: كلا فوالله نفسى بيده حتى لاتبقى قرية الاّ وينادى فيها بشهادة « أن لا اله الاّ الله » بكرة وعشياً .

و فى رواية: عن ابن عباس قال فى قوله تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » : لايكون ذلك حتى لايبقى يهودى

ولانصراني ولاصاحب ملة الآصار إلى الاسلام ، حتى تأمن الشاة و الذئب والبقرة والأسد والانسان والحية ، حتى لاتقرض فارة جراباً ، وحتى توضع الجزية ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ،وهوقوله تعالى: « ليظهره على الدين كله »و ذلك يكون عند قيام القائم عليه السلام .

وفى تاريخ دمشق لابن عساكر ما لفظه : قال أبو بكر ـ عند استشارته عليا فى فتح الروم ـ : ماذا ترى يا أبا الحسن ؟ فقال : أرى انك إن سرت اليهم بنفسك او بعثت اليهم نصرت عليهم ان شاء الله تعالى فقال : بشرك الله بخير، ومن أين علمت ذلك ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لايزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناواه حتى يقوم الدين والله ظاهرون ، فقال : ما أحسن هذا الحديث لقد سررتنى به سرك الله .

وفى الكافى : باسناده عن مالك بن أعين قال : حرض أمير المؤمنين عليه السلام الناس بصفين فقال : ان الله عز وجل دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم و تشفى بكم على الخير والايمان بالله والجهاد فى سبيل الله ، وجعل ثوابه مغفرة للذنب ومساكن طيبة فى جنات عدن .

وفى تفسير القمى : فى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » فقالوا : لو نعلم ما هى انبذلن فيها الاموال والانفس والاولاد ، فقال الله : « تؤمنون بالله و رسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم ـ إلى قوله ـ ذلك الفوز العظيم » .

وفى البرهان : بالاسناد عن النوفلى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : أنا التجارة المربحة المنجية من العذاب الاليم التى دل عليها فى كتاب الله فقال : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » .

وفيه : عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لمبارزة على عليه السلام لعمرو بن عبدود : أفضل من عمل امتى إلى يوم القيامة وهى التجارة المربحة المنجية من العذاب الاليم

يقول الله تعالى : « هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم - إلى قوله - ذلك الفوز العظيم » .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب » يعنى فى الدنيا بفتح القائم عليه السلام وأيضاً قال : فتح مكة.

وفى الكافى : باسناده عن أبى يحيى كوكب الدم عن أبى عبد الله عليه السلام قال : ان حوارى عيسى عليه السلام كانوا شيعته ، وان شيعتنا حواريّونا، وماكان حوارى عيسى بأطوع له من حوارينا لنا ، وانما قال عيسى عليه السلام للحواريين : «من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله » .

فلا والله ما نصروه من اليهود ، ولا قاتلوهم دونه ، وشيعتنا والله لم يزالوا منذ قبض الله عزّ ذكره رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ينصرونا ويقاتلون دوننا ويحرقون ويعذّبون ويشرّدون فى البلدان جزاهم الله عنا .

وفى البرهان : بالاسناد عن معمر قال : تلا قتادة « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله » قال : كان محمد صلى الله عليه وآله بحمد الله قد جائه حواريون ، فبايعوه ونصروه حتى أظهر الله دينه ، والحواريون كلهم من قريش فذكر علياً وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وآخرين عليهم السلام .

وفى الاحتجاج : عن الامام أمير المؤمنين على عليه السلام فى حديث - : ولم يخل أرضه من عالم بما يحتاج الخليقة إليه ، ومتعلّم على سبيل النجاة ، اولئك هم الاقلون عدداً ، وقد بين الله ذلك من امم الانبياء ، وجعلتهم مثلا لمن تأخرمثل قوله فى حوارى عيسى حيث قال لسائر بنى اسرائيل : « من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون » يعنى مسلمون لاهل الفضل فضلهم ، ولا يستكبرون عن أمر ربهم ، فما أجابه منهم إلا الحواريون .

أقول: ان الرواية وإن جائت فى تفسير آية آل عمران ولكن لها فائدة

في المقام .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ـ إلى قوله ـ فآمنت طائفة من بني اسرائيل و كفرت طائفة » قال : التي كفرت هي التي قتلت شبيه عيسى عليه السلام وصلبته ، والتي آمنت هي التي قبلت ، فقتلت الطائفة التي قتلته وصلبته وهو قوله : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » .

وفي الدر المنثور : عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للنفر الذين لاقوه بالعقبة : أخرجوا إلي إثني عشر رجلا منكم يكونوا كفلاء على قومهم كما كفلت الحواريون لعيسى بن مريم .

وفي البحار : عن ابن أبي يعفور قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام وعنده نفر من أصحاب فقال لي : يا ابن أبي يعفور هل قرأت القرآن ؟ قال : قلت : نعم هذه القراءة ، قال : عنها سئلتك ليس عن غيرها قال : فقلت : نعم جعلت فداك ، ولم ؟ قال : لأنّ موسى عليه السلام حدّث قومه بحديث لم يحتملوه عنه فخرجوا عليه بمصر ، فقاتلوه فقاتلهم فقتلهم ، ولأنّ عيسى عليه السلام حدّث قومه بحديث ، فلم يحتملوه عنه فخرجوا عليه بتكريت ، فقاتلوه فقاتلهم فقتلهم ، وهو قول الله عزّ وجل : « فآمنت طائفة من بني إسرائيل و كفرت طائفة فأيّدنا الذين آمنوا على عدوّهم فاصبحوا ظاهرين » وانه اوّل قائم يقوم منا أهل البيت يحدّثكم بحديث لا تحتملونه فتخرجون عليه برميلة الدّسكرة ، فتقاتلونه فيقاتلكم فيقتلكم ، وهي آخر خارجة تكون . . الخبر .

اقول: وقوله عليه السلام : « ولم » أي ولم لم تسئلني عن غير تلك القراءة ، و المراد من غير القراءة هو التأويل .

وفي المجمع : في قوله تعالى : « و كفرت طائفة اخرى » به قال ابن عباس : يعني في زمن عيسى عليه السلام وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق: فرقة قالت : كان الله فارتفع ، وفرقة قالت :كان ابن الله فرفعه إليه ، وفرقة قالوا :كان

عبد الله ورسوله فرفعه إليه ، وهم المؤمنون ، واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا ، وظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرين وذلك قوله : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين » اى عالين غالبين .



﴿ بحث فقهي ﴾

و قد كان السلف من الفقهاء يستدلون على وجوب الوفاء بالوعد بقوله تعالى : « يا أيها الذين امنوا لم تقولون مالاتفعلون » الصف : ٢)

وذلك بناءاً على أن التوبيخ والانكار موجه إلى تركهم ماوعدوا به .

وقد صح عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « آية المنافق ثلاث : اذا وعد أخلف، واذا حدث كذب ، واذا اؤتمن خان » وفيه تقرير و تلقين رائعان عن قوة أثر الايمان في نفس المؤمن .

و في توجية التوبيخ و الانكار الى القول دون العمل لبيان أن معصيتهم مزدوجة ، وانهم ارتكبوا جرمين : تركهم فعل الخير ، و قد وعدوا بفعله .

وقد قال كثير من المفسرين : ان الآية الثانية والثالثة عامتا الشمول لكل اخلاف بوعد او نكول عن نذر او قول يكذبه الفعل .

أقول : ومن الاتفاق : ان من التزم شيئاً لامعصية فيه لزمه شرعاً .

وان الملتزم على ضربين : أحدهما ـ النذر ، وهو على قسمين : نذر تقرب مبتداء كقولك : « لله علي صلاة او صوم او صدقة . . . » و هذا ما يجب الوفاء به إجماعاً .

و نذر مباح و هو ما علق بشرط رغبة كقولك : « إن قدم غائبي فعلي صدقة كذا » اوعلق بشرط رهبة كقولك : « إن كفاني الله شر كذا فعلي صوم » .

واختلف فيه الفقهاء فذهب الاكثرون إلى وجوب الوفاء به ، مستدلين عليه باطلاق الاية الكريمة ، إذ تذم من قال مالايفعله مطلقاً كان ام مقيداً بشرط

ثانيهما - الوعد وهو اذا لم يكن فيه معصية يجب الوفاء به الا لعذر .

واحتج الشافعي في أحد قوليه على وجوب الوفاء في اللجاج والغضب بقوله تعالى : « كبر مقتاً عندالله أن تقولوا ما لاتفعلون » الصف : ٣)

أقول: وفساده ظاهر لايحتاج إلى بيان .

واستدل بعض الاخرين بالاية الكريمة على أن كل من ألزم نفسه عبادة او قربة ، وأوجب على نفسه عقداً لزمه الوفاء به ، فان ترك الوفاء به يوجب أن يكون قائلا مالا يفعله ، والله تعالى يذمه .

و هذا فيما لم يكن معصية إذ لاوفاء في المعصية لماثبت عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « لانذر في معصية » .

واستدل بعض أصحاب التأويل على أن قتال الراجل أفضل من قتال الفارس بقوله تعالى : « ان الله يحب الذين يقاتلون صفا » الصف : ٤)

على أن الفرسان لايصطفون على هذه الصفة .

أقول: وهذا مردود بما جاء في فضل الفارس في الاجر و الغنيمة ،مع أن الفرسان لاتخرج من مدلول الاية لمعنى الثبات فيها .

ويستدل على عدم جواز خروج المقاتلين عن الصف بقوله تعالى: « صفا كأنهم بنيان مرصوص » الا ماورد من الجواز : من حاجة تعرض لمقاتل ، او في رسالة يرسلها الامام ، اوفي منفعة تظهر في المقام كفرصة تنتهز ونحوها . . .

﴿ بحث مذهبي ﴾

قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم - إلى قوله - ذلك الفوز العظيم » الصف : ١٠ - ١٢).

ردّ على المستشرقين الذين زعموا : ان الغنائم هي هدف الجهاد في الاسلام إذ قالوا : ان القرآن كان يثير في نفوس المسلمين مطامع الغنائم والفتح ليحملهم على القتال حتى لقد قال بعضهم : انّ بعض الوقائع الحربية كوقعة خيبر لم تكن الاّ وسيلة إلى ملء أيدي المسلمين بالمغانم ومكافأة لهم على الاسلام.

وذلك لان القرآن الكريم لم يقتصر في أيّ موضع منه في حث المسلمين على القتال على الاغراء بنتائجه الدنيوية ، وانما كان الترغيب في ذلك يأتي على الهامش كما يظهر من الاية التالية في المقام « واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » ومن آيات كثيرة اخرى اذ قدمت البشارة الاخروية وهي رضاء الله تعالى ومغفرته وجناته.

بل ان اكثر الايات التي تحثّ المسلمين على الجهاد قد اقتصرت على الترغيب برضاء الله جل و علا وجزائه الاخروي ، وعلى بيان ما في الجهاد من واجب عظيم ، وضرورة مبرمة لاعلاء كلمة الله تعالى ومقابلة العدوان ، وضمان حرية الدعوة إلى دين الله ، وحرية المسلمين وأمنهم ، وتحطيم أركان الفتنة في المجتمع البشري وما فيه من حكمة سامية ترشح الشريعة الاسلامية للخلود ،

قال الله تعالى : « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الاّ على الظالمين - كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا

شيئا وهو خير لكم - يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير - و الفتنة اكبر من القتل » البقرة : ١٩٣- ٢١٧) .

وقال : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما » النساء : ٧٤) .

وقال : « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » الانفال : ٧٣) .

وقال : «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون - فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » التوبة : ١١١) .



بشارة رسول الاسلام

فى الكتب السماوية

قال الله تعالى حكاية عن عيسى ابن مريم عليه السلام : « واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لمابين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه احمد » الصف : ٦) .

ان الاية الكريمة تحكى ما قاله عيسى عليه السلام فى صدد رسالته من الله تعالى إلى بنى اسرائيل ، وبشارته بالنبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وتسميته أحمد ، وهذا الاسم مرادف فى المعنى والاشتقاق لاسم محمد الوارد فى القرآن الكريم ، وهو صفة ثناء أيضاً مثل محمد .

وقد نزلت الاية فى وسط فيه يهود ونصارى ، وفيه مسلمون من اليهود و النصارى ، وفيه أعداء للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من العرب واليهود والنصارى يتربصون به ويعدون عليه أنفاسه ليجادلوه ويكذبوه ، فلا يمكن ان تكون نزلت جزافاً ، ولابد من أن تكون الحقيقة التى تضمنتها معروفة غير منكورة فى هذا الوسط .

وان الانجيل الذى يتحدث عنه القرآن الكريم هو كتاب واحد ، واما الذى فى أيدى الناس اليوم فليس انجيلا واحداً ، وانما هوأربعة أناجيل ، وقد كان فى وقت ما خمسة وسبعين انجيلا ، وقد وقع خلاف فيما بينها . . لانها لا تعتمد على أصل واحد ، ولاترجع إلى الانجيل الذى أنزل على المسيح عليه السلام وانماهى مرويات تتحدث عن عيسى بن مريم عليه السلام وعن سيرته وأخباره فيمايرويه عنه بعض حوارييه

أو من اتصل بحوارييه ، وسمع منهم وتتلمذ عليهم ، وفي هذه السيرة عبارات من **عظات المسيح عليه السلام ووصاياه ، وقد يكون فيها بعض آيات من الانجيل السماوى** كان المسيح عليه السلام يضمنها عظاته ووصاياه .

وإذن فالاناجيل التى ذكرت سيرة عيسى ابن مريم عليه السلام تختلف في تشخيص شخصية المسيح عليه السلام وفي تناول مواقفه ، وفي نقل عباراته و كلماته باختلاف الكتاب الذين كتبوا هذه السيرة ، ونفضوا عليها من عواطفهم ومشاعرهم ، ومن ألوان ثقافاتهم ماجعل الاناجيل تختلف هذا الاختلاف كما يختلف انسان عن انسان في تفكيره وفي تصوره للاحداث . . .

في انجيل يوحنا: فصل (١٦) آية ٨ ـ ١٦ يروى على لسان المسيح عليه السلام مخاطبا تلاميذه وحوارييه : « لكنى أقول لكم : الحق انه خير لكم أن أنطلق لانه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزّى ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ومتى جاء ذاك يبكّت العالم على خطيّة ، وعلى برّ ، وعلى دينونة . .وأما على خطية فانهم لايؤمنون بى . . وأما على برّ فانى ذاهب إلى أبى ، ولاترونني أيضاً . . وأما على دينونة ، فلان رئيس هذا العالم قد أدين !

ان لى اموراً كثيرة أيضاً لاقول لكم ، ولكن لاتستطيعون أن تحتملوا الان ، وأما متى جاء بروح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لانه لايتكلم من نفسه بل كل مايسمع يتكلم به ، ويخبركم بامور آتية . . . ذاك يمجّدنى لانه يأخذ ممالى ويخبركم ، كل ما للاب هولى ، لهذا قلت انه يأخذ ممالى ويخبركم بعد قليل لا تبصرونني ، ثم بعد قليل أيضاً ترونني لانى ذاهب إلى الاب » .

وكان المسيح عليه السلام يتحدث إلى أتباعه عن شخص سيجيىء بعده ، اذا هو ترك مقامه فيهم ، وفارق هذه الدنيا .

وكان يحدّد صفات هذا الشخص بما يأتى :

١ ـ ان المعزّى الذى يجيىء بعده مواسياً ومعزياً فيما أصيب به المسيح عليه السلام في شخصه ، ومارمى به من تهم ، . . وكلمة المعزى هى إحدى المعانى التى

فسرت بها كلمة « بار قليت » اليونانية والتى فسرت أيضاً بمعنى المحامى ، أو مستشار الدفاع .

٢ ـ انه سيبكّت العالم على امور ثلاثة :

الاول: على خطية هى انهم لم يؤمنوا بالمسيح على الوجه الذى جاء عليه .

الثانى : على برّ و هو انه ذاهب إلى الله سبحانه لينزل المنزل الكريم الذى اعده له ، ولكن الناس أنزلوه فى غير هذه المنزلة ، حيث رفعه أتباعه إلى مقام الاله ذاته ، على حين أنزله اليهود منازل الضالين .

الثالث : على دينونة وهى هذا الحكم الظالم الذى حكم به اليهود على المسيح عليه السلام .

٣ـ ان المعزى هو الذى سيرشد أتباع المسيح إلى الحقيقة كلها،ومعنى هذا : ان هناك أشياء لم يكشف عنها المسيح عليه السلام وان هذه الأشياء هى مماجدّ بعد عيسى ابن مريم عليه السلام من امور ، اختلط على الناس وجه الحق فيها ، و هذا هو موضوع القضية الذى سيكون من عمل المحامى ، الدفاع عنه ، و دفع الشبه التى ألقيت عليه .

٤ـ ان هذا المحامى لايتكلم من تلقاء نفسه ، بل بما قد سمع .. و معنى ذلك . انه انما يأخذ دفاعه تلقّياً من جهة غير جهته ، هى التى تلقّنه المقولات، والحجج التى يلقيها على الشبه المتلبسة بتلك القضية .

٥ـ ان هذا المحامى سيمجد المسيح عليه السلام .

٦ـ ان هذا التمجيد الذى يقدمه المحامى فى شأن المسيح ليس مديحاً، تستجلب به صفات لم يكن متصفاً بها ، وانما هـو تمجيد بكشف حقيقته للناس ، وإزالة ماعلق بذاته من شبه وضلالات ... هذا ماتنطق به كلمات الانجيل على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام فى أوصاف المعزى الذى سيجيىء بعده .

ولكن بعض النصارى خرّج هذه الكلمات تخريجاً على غير وجهها .

يقول صاحب المسيحية الاصلية ص ٢٧ ـ٢٨ : « وقدبلغ الامر بيسوع من

حيث ثقته و اقتناعه من مكانه الرئيسى فى قصد الله - بلغ به حداً جعله يأخذ على عاتقه أن يرسل شخصاً ليحلّ محله بعد صعوده إلى السماء ، ألا وهو الروح القدس ، و قد دعاه « المعزى » (بـاراكليت) وهى تسمية مشروعة ، و معناها المحامى او مستشار الدفاع .

و بذلك يكون عمل (الروح القدس) هو الدفاع عن قضية يسوع أمام العالم ، و قال عنه يسوع : « هو يشهدلى » (يوحنا ١٥ : ٢٦) ثم قال : « ذاك يمجدنى لانه يأخذ ممالي ويخبركم » (يوحنا ١٤ : ١٦) .

ومفهوم هذا القول أن الشخص الذى سيرسله المسيح هو « روح القدس » لامحمد ﷺ ولاغيره من البشر .. !!

و اذا علمنا أن معتقد المسيحية هو ان المسيح هو « الله » وأن « روح - القدس » هو الله ، بمعنى أن كلاً منهما هو فى اقنوم من أقانيمه الثلاثة - اذا علمنا ذلك كان عجباً أن يكون « المعزى » شخصاً ، و أن يكون هذا الشخص هو الله ، ثم أن يكون المسيح - وهو الله - يرسل « روح القدس » وهو الله !! .

الله يذهب فى صوره المسيح « الابن » ويجيىء فى صورة روح القدس ! ثم من جهة اخرى .. ما معنى ان المحامى - اذا كان هو « روح القدس » الذى هو الله ذاته - ما معنى انه لايتكلم من عند نفسه .. « بل يتكلم بما يكون قد سمع ، و يخبركم » ؟ أروح القدس ، أو الله ينتظر من يلقّنه مايقول ، و يأذن له به .. فيتكلم بما يكون قد سمع ؟

وهذا من حيث الشكل - كما يقال فى لغة القضاء - أما من حيث الموضوع فاذا ننظر نجد :

اولا : أن « روح القدس » الذى يقال : أن المسيح وعد بارساله بعد أن يمضى لم يرله أحد وجهاً ، لامن أتباع المسيح ، ولامن غيرهم .

و ثانياً : أن روح القدس هذا ، وهو المحامى او مستشار الدفاع لم يعرف له أحد موقفاً ، ولم يكن له قول مأثور فى شأن المسيح ، و فى تمجيده .. فأين

إذن هو روح القدس ؟ وأين أعماله ، وأقواله التى واجه بها الناس لتمجيد المسيح؟

و لسنا نجد جواباً لهذا الآن اذا نظرنا فى القرآن الكريم ، و وقفنا عند ماجاء فيه دفاع مشرق مفحم عن عيسى ابن مريم عليه السلام .. هذا الدفاع المشرق المفحم ، هو تمجيد وتعزية لعيسى ابن مريم عليه السلام لما أصابه فى شخصه ، و فى شخص امه ، من ضر وأذى !

جاء ت بعثة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد مضى على الدعوة المسيحية نحو ستة قرون ، و كان هذا الزمن الممتد كافياً لان يفسح للدعوة مجال الحركة فى الحياة ، و أن يبلغ بها أقصى ما تبلغه فى عقول الناس و قلوبهم .. من أولياء الدعوة و أعدائها على السوء .. إذ قد استنفد أعداؤها كل مالديهم من مقولات يقولونها فى المسيح و دعوته ، كما استنفد أولياؤها كل ماعندهم من مقولات فى تصويرها ، وتقرير حقائقها والاحتجاج لها ..

ومن هذا الشد والجذب والهجوم والدفاع تشكلت للمسيح « قضية » من أشد ماعرف الناس من قضايا غموضاً وتعقيداً .. والمسيح هو « الضحية » التى تنوشها رميات المتنازعين فيه ، و المختلفين عليه من أعدائه وأوليائه جميعاً ! ..

و هنا تبرز الحكمة فى الحاجة إلى محام ، او مستشار للدفاع ، ليقول فى هذه القضية شيئاً ، لاشيئاً من عند نفسه ، بل بما يكون قد سمع ، و يخبر به ! و ليس ثمة شك فى أن هذا المحامى ، او مستشار الدفاع او المعزى هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فهذا كما تنطق كلمات عيسى ابن مريم عليه السلام :

أولا : هو المحامى الذى كان له دور معروف فى قضية المسيح ، و كان بمشهد أو بمسمع من الناس جميعاً ..

و ثانياً : هو الذى دافع فى هذه القضية دفاعه المعروف عن شخص المسيح و عن امه ، وكان دفاعه هذا تمجيداً لهما ، و عزاء مما أصابهما من رميات و طعنات ...

وثالثاً : لم يقل هذا المحامى كلمة من عند نفسه ، بل كل ماقاله هو مما تلقاه وحياً من ربه . . « لأنه لايتكلم من عند نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به » .

ورابعاً : أن هذا الذى سمعه وحيامن ربه ، لم يحتفظ به لنفسه، بل أخبر به وبلّغه للناس ، وفى هذا يقول عيسى ابن مريم عليه السلام : « بل يتكلم بما يكون قد سمع ويخبركم » .

لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم بما تلقى من كلمات الله تعالى ، هو المحامى الذى ردّ للمسيح ولأمه اعتبارهما ، وهو الذى مجدهما ورفع قدرهما فى العالمين ، وكان فى ذلك العزاء الجميل لهما ، والمواساة الكريمة لما أصابهما من بلاء عظيم .!

ولنا الرجوع إلى كلمات المسيح عليه السلام مرة اخرى لنقف منها اموراً :

١ـ « إن فى انطلاقي لخيراً لكم » .. فهذا الخير هو ما ينكشف لهم من أمر المسيح على لسان « المحامى » الذى يتولى الدفاع عن قضيته ، ويعرضه لهم فى المعرض الذى يجلّى حقيقته ، ويكشف عن شخصه الكريم .

٢ـ « فانى أرسله إليكم » . . وهذه المقولة توحى بأن المسيح هو الذى يرسل هذا المحامى ، أو بمعنى آخر ، هو الذى يملك إرسال الرسل ، او بمعنى ثالث ، هو الاله المتصرف فى هذا الوجود .

وهى مقولة إن حملت على ظاهرها هذا ، كانت إقراراً من الله ـ الذى هو المسيح ـ بالعجز عن الدفاع عن نفسه ، فيقيم محامياً يتولى الدفاع عنه !!

وعلى هذا ، فان هذه المقولة إما أن تكون قد حرّفت ليستقيم عليها الفهم الذى وقع لاتباع المسيح من أنه هو الله تعالى ! وإما أن تحمل على غير ظاهرها، ويكون قول المسيح : « إنى ارسله إليكم » محمولاً على المجاز السببى ، إذ لما كان وجود المسيح مانعاً من وجود المحامى الذى يتولى الدفاع فى قضيته ، إذ القضية لاتتشكل بصورتها الكاملة الا بعد أن يذهب المسيح ، وتكثر المقولات فيه ـ فان ذهاب المسيح هو الذى يهيىء للمحامى سبيلاً إلى الظهور . . وبهذا

يمكن القول بان المسيح هو الذى أرسله ، بمعنى أنه كان سبباً من أسباب إرساله ! .

٣- فى قوله : « يخبركم بما يأتى » فيه إشارة إلى تلك المقولات التى ستقال فى المسيح بعد ذهابه ، والتى ستشكّل منها تلك القضية التى تولّى القرآن الكريم الكشف عن وجه الحق فيها .

٤- فى قوله : « يأخذ مما لى ويخبركم » إشارة الى أن ما يقوله المحامى الذى يتولى الدفاع عن المسيح ، ليس شيئاً غريباً عن المسيح ، بل هو مماله ، أى مما اشتملت عليه ذاته ، سواء أكان ذلك عن مولده ، أو عن بشريته كما نطق بذلك القرآن الكريم .

واذاكان القرآن الكريم ، قد قال على لسان المسيح : « يا بنى اسرائيل انى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » الصف : ٦) .

وفى الباب الثامن عشر من سفر التثنية :

(١٧) فقال الرب لى نعم جميع ما قالوا .

(١٨) وسوف اقيم لهم نبياً مثلك من بين اخوتهم ، واجعل كلامى فى فمه ، ويكلمهم بكل شيء آمره به .

(١٩) ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى، فأنا أكون المنتقم من ذلك

(٢٠) فأما النبى الذى يجترى بالكبرياء ، ويتكلم فى اسمى ما لم آمره بانه يقوله أم باسم الهة غيرى فليقتل .

(٢١) فان أجبت وقلت فى قلبك كيف أستطيع ان أميز الكلام الذى لم يتكلم به الرب .

(٢٢) فهذه تكون لك آية : ان ماقاله ذلك النبى فى اسم الرب ، ولم يحدث فالرب لم يكن تكلم به ، بل ذلك النبى صوره فى تعظم نفسه ولذلك لا تخشاه .

اقول: وهذه بشارة بمجيىء نبينا محمد ﷺ لوجوه :

الاول : ان اليهود الذين كانوا فى زمن عيسى ابن مريم عليه السلام ينتظرون نبياً آخر مبشراً به كما ذكر فى الباب ، وكان هذا المبشر به عندهم غير المسيح ولا يوشع ، فيكون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانى : ورد فى البشارة لفظ « مثلك » وان يوشع وعيسى لم يكونا مثلى موسى لانهما كانا من بنى إسرائيل ، ولايقوم أحد من بنى اسرائيل مثل موسى ، كما فى الباب الرابع والثلاثين من سفر التثنية الاية :

(١٠) لم يقم بعد ذلك نبى فى اسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه .

مضافاً ان موسى كان صاحب كتاب وشريعة جديدة مشتمل على أوامر ونواهى وان يوشع ليس كذلك لانه كان متبعاً لشريعته ، وان عيسى لم يكن مثل موسى كما زعمت النصارى لان عيسى على زعمهم كان الهاً رباً وموسى كان عبداً له .

الثالث : ورد فى البشارة لفظ « سوف اقيم » وان يوشع كان حاضراً عند موسى عليه السلام داخلا فى بنى اسرائيل نبياً فى ذلك الوقت ، فكيف يصدق عليه هذا اللفظ كما زعمت اليهود .

الرابع : ورد فى البشارة لفظ « اجعل كلامى فى فمه » فيه دليل على نزول الكتاب الجديد من الله تعالى إلى هذا النبى الذى سيجيىء بعده ، وانه يكون امياً حافظاً للكلام ، فكيف يصدق على يوشع مع انتفاء الأمرين فى حقه .

الخامس : ورد فى البشارة قوله : « ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به فانا اكون المنتقم منه » فالانتقام ليس العذاب الدنيوى اوالاخروى ، وانما المراد هوالانتقام التشريعى من منكرى الدين باحكام الحدود والقصاص والتعزير والجهاد لم تكن ذلك فى شريعة عيسى لخلوها عن ذلك .

وفى الباب الثالث من كتاب الاعمال :

(١٩) فتوبوا وارجعوا كى تمحى خطايا كم .

(٢٠) حتى اذا تأتى ازمنة الراحة من قدام وجه الرب ، ويرسل المنادى

به لكم وهو يسوع المسيح .

(٢١) الذى اياه ينبغى للسماء أن تقبله إلى الزمان الذى يسترد فيه كل شيء تكلم به الله على أفواه أنبيائه القديسين منذ الدهر .

(٢٢) ان موسى قال : ان الرب الهكم يقيم لكم نبياً من اخوتكم مثلى له تسمعون من كل ما يكلمكم به .

(٢٣) او يكون كل نفس لا تسمع ذلك النبى تهلك من الشعب .

أقول: ان العبارة بظهورها وصراحتها تدل على ان هذا النبى غير المسيح وان المسيح لابد أن تقبله السماء إلى زمان ظهور دين هذا النبى ،وكان هذا النبى من إخوة بنى اسرائيل لانه من بنى اسمعيل ، وكان امياً جعل الكلام فى فمه ، وكان ينطق بالوحى كما قال الله تعالى : « وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى » النجم : ٣ ـ ٤) .

وكان هذا النبى مأموراً بالجهاد لحفظ نواميس الدين وسنن الله تعالى ، فقد انتقم الله لاجله من اليهود والنصارى ، ومن صناديد قريش والاكاسرة والقياصرة وغيرهم ، وظهر قبل نزول المسيح من السماء ، وبه اكمل الدين ، وبوصيه يكمل العمل .

السادس: انه صرح فى البشارة : ان النبى الذى ينسب إلى الله جل وعلا مالم يأمره يقتل ، فلولم يكن محمد ﷺ نبياً حقاً لقتل ، ولم يقتل ، ولم يقدر أحد على قتله حتى لقى الرفيق الاعلى ، ولو كان عيسى قتل و صلب على زعم اهل الكتاب للزم انه كان كاذباً ولو كان ذلك فى حق عيسى فكيف قتل ؟؟

السابع : ان الله تعالى بيّن علامة النبى الكاذب ، وهى ان اخباره عن الغيب المستقبل لاتخرج صادقة ، وان محمداً ﷺ اخبر عن الامور الكثيرة المستقبلة و ظهر صدقه فيها بعضها فى زمنه ﷺ كانتصاره على المشركين ، و دخوله المسجد الحرام مع المؤمنين آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين ، وغلب الروم والفرس . . . وبعضها لاصحابه كفتح مصر و بلاد كسرى وقيصر ، و ان

سلمان الفارسى ليوضع على رأسه تاج كسرى فوضع ، وقتل الفئة الباغية لعمار، وان امته بعده سيفترقون على ثلاث و سبعين فرقة ، والاخبار بموت النجاشى ، و شهادة زيدبن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبدالله بن رواحة ، وعن نباح كلاب حوأب على عائشة ، والاخبار عن قتال الامام على بن ابيطالب عليه السلام الناكثين و القاسطين والمارقين ، وعن استشهاد سبطه صلى الله عليه وآله وسلم الامام الحسين بن على بن ابى طالب عليه السلام وعن صلح الحسن بن على عليه السلام بين الفئتين الكثيرتين . . . ولايزال يظهر منها عصراً بعد عصر ، ومن أغربها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « صنفان من أهل النار لم ارهما بعد رجال معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهن كأسمة البخت المائلة لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها» وغيرها من الأخبار الغيبية . . .

الثامن : ان علماء اليهود سلموا كونه مبشراً به فى التوراة كما بيّن:أنهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناء هم ، ولكن بعضهم اسلم وبعضهم بقى على كفره .

قال الله تعالى : « ولما جاء هم كتاب من عند الله مصدق لما معهم و كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاء هم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ـ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناء هم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » البقرة : ٨٩ ـ ١٤٦)

وقال : « و لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لايستكبرون و اذا سمعوا ما انزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ومالنا لانؤمن بالله وماجائنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين » المائدة : ٨٢ ـ ٨٤)

و فى رواية : أبن مخيريقا كان يعرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصفته ، وغلبت عليه الفة دينه ، فلم يزل على ذلك حتى كان يوم غزوة احد ، و كان يوم السبت، فقال : يا معشر اليهود ! والله انكم لتعلمون ان نصر محمد عليكم لحق ، قالوا :

فان اليوم يوم السبت ، قال : لاسبت ، ثم أخذ سلاحه و خرج حتى أتى رسول الله ﷺ باحد ، وكان يوم السبت ، و عهد إلى من ورائه من قومه ، إن قتلت هذا اليوم فما لمحمد يصنع فيه ما أراه الله تعالى ، فقاتل حتى قتل ، فكان رسول الله ﷺ يقول : « مخيريق خير يهود » و قبض رسول الله ﷺ أمواله ، فعامة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها .

وفي رواية : ان رسول الله ﷺ أتى بيت المدارس ـ أى المعلم ـ فقال : اخرجوا إلى أعلمكم ، فقالوا : عبدالله بن صوريا ، فخلا به رسول الله ﷺ فنا شده بدينه ، و بما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسلوى و ظللهم من الغمام أتعلم أنى رسول الله ؟ قال : اللهم نعم ، وان اليهود يعرفون ما اعرف ، وان صفتك و نعتك لمبين فى التوراة ، ولكن حسدوك ، قال : فمايمنعك أنت ؟ قال : ا كره خلاف قومى ، عسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم .

و فى سفر التكوين : ٤٩ ـ ١٠ « فلايزول القضيب من يهوذا ، والمدبر من فخذه حتى يجيىء الذى له الكل ، واياه تنتظر الامم » هذا من ترجمة سفر التكوين بالعربية سنة ١٨٤٤ م وفى ترجمة سنة ١٨١١ م جاء : « فلايزول القضيب من يهوذا ، و الراسم من تحت أمره إلى أن يجيىء الذى هو له إليه تجتمع الشعوب » .

أقول : وفيه دلالة على مجيىء نبينا محمد ﷺ بعد تمام حكم موسى وعيسى عليه السلام فان المراد من القضيب من يهوذا هو موسى ، والراسم والمدبر هو عيسى لانهما بعد يعقوب وهو يهوذا كانا صاحبا شريعة ، وبعدهما ماجاءصاحب شريعة الا محمد رسول الله ﷺ ، فعلم ان المراد من قول يعقوب فى آخر الايام هو نبينا محمد ﷺ لانه فى آخر الزمان بعد مضى حكم القضيب والراسم فى ترجمة ، والمدبر فى نسخة اخرى ماجاء الا سيدنا محمد ﷺ .

و قوله : « و إليه تجتمع الشعوب » صريح فى ان المراد هو سيدنا محمد ﷺ وان البشارة الثانية مافى الزبور الخامس والاربعين ماتقرأه :

١- فاض قلبي كلمة صالحة ، أنا أقول أعمالي للملك .

٢- لساني قلم كاتب سريع الكتابة .

٣- بهي في الحسن أفضل من بني البشر .

٤- انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الدهر تقلد سيفك على فخذك أيها القوي بحسنك وجمالك .

٥- استله وانجح واملك من أجل الحق والدعة والصدق وتهديك بالعجب يمينك .

٦- نبلك مسنونة أيها القوي في قلب أعداء الملك ،الشعوب تحتك يسقطون.

٧- كرسيك يا الله إلى دهر الداهرين ، عصا الاستقامة عصا ملكك .

٨- احببت البر ، وأبغضت الاثم لذلك مسحك الله الهك بدهن الفرح أفضل من أصحابك .

٩- المرو الميعة و السليخة من ثيابك من منازلك الشريفة العاج التي أبهجتك .

١٠- بنات الملوك في كرامتك قامت الملكة من عن يمينك مشتملة بثوب مذهب موشى .

١١- اسمعي يا بنت ، وانظري وانصتي باذنيك ، وانسي شعبك وبنت أبيك.

١٢- فيشتهي الملك حسنك لانه هو الرب الهك وله تسجدين .

١٣- بنات صور يأتينك بالهدايا بالوجهك يصلي كل اغنياء الشعب .

١٤- كل مجد ابنة الملك من داخل مشتملة بلباس الذهب الموشى.

١٥- يبلغن إلى الملك عذارى في أثرها قريباتها إليك يقدمن .

١٦- يبلغن بفرح وابتهاج يدخلن إلى هيكل الملك .

١٧- ويكون بنوك عوضاً من آبائك ، و تقيمهم رؤساء على سائر الارض .

١٨- ساذكر اسمك في كل جيل وجيل من أجل ذلك تعترف لك الشعوب إلى الدهر وإلى دهر الداهرين .

فانظر كيف أبشر بظهور نبى بعد زمانه ، و لم يظهر إلى هذا الحين عند اليهود نبى يكون موصوفاً بالصفات المذكورة فى هذا الزبور .

و فى الباب الثانى من المشاهدات :

٢٦- ومن يغلب ، ويحفظ أعمالى إلى النهاية ، فاعطيه سلطاناً على الامم .

٢٧- فيرعاهم بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف كما اخذت أيضا من عند أبى .

٢٨- واعطيه كوكب الصبح .

٢٩- من له اذن فليسمع مايقول الروح بالكنائس .

أقول : و من المعلوم ان هذا الغالب الذى اعطى سلطاناً على الامم ، و يرعاهم بقضيب من حديد هو محمد رسول‌الله ﷺ كما قال الله تعالى فى حقه: « و ينصرك الله نصراً عزيزاً » الفتح : ٣) .

وقد سماه سطيح الكاهن صاحب الهراوة .

و فى رواية : ان ليلة ولادة محمد ﷺ انشق ايوان كسرى انوشيروان، وسقط منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نارفارس ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغارت بحيرة ساوة بحيث صارت يابسة ، ورأى الموبذان فى نومه : ان ابلاصعابا تقود خيلاعرابا،فقطعت دجلة ، وانتشرت فى بلادها، فخاف كسرى من حدوث هذه الامور ، وأرسل عبد المسيح إلى سطيح الكاهن الذى كان فى الشام،ولما وصل عبد المسيح إليه وجده فى سكرات الموت ، فذكر هذه الامور عنده ، فاجاب سطيح اذ كثرت التلاوة و ظهر صاحب الهراوة ، غاضت بحيرة ساوة ، و خمدت نارفارس ، فليست بابل للفرس مقاماً ، ولاالشام لسطيح مناماً ، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات ، و كل ماهو آت آت .

ثم مات سطيح من ساعته ، و رجع عبدالمسيح ، فاخبر أنوشيروان بما قال سطيح قال كسرى إلى أن يملك أربعة عشر ملكا كانت امور ، وامور فملك منهم عشرة فى أربع سنين ، وملك الباقون إلى خلافة عثمان فهلك آخرهم يزد جرد

فى خلافته ، والهراوة - بكسر الهاء العصا الضخمة، و كوكب الصبح هو القرآن كما قال الله تعالى : « و أنزلنا إليكم نوراً مبيناً » النساء : ١٧٤) .

وقال : « فامنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا » التغابن : ٨) .

و فى الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا - عن التراجم العربية المطبوعة سنة ١٨٢١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ فى بلدة لندن :

١٥- إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى .

١٦- وانا اطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الابد .

١٧- روح الحق الذى لن يطيق العالم أن يقبله لانه ليس يراه ، ولايعرفه، وأنتم تعرفونه لانه مقيم عند كم ، وهو ثابت فيكم .

٢٦- والفار قليط روح القدس الذى يرسله الاب باسمى هو يعلمكم كل شيء وهو يذكر كم كل ماقلته لكم .

٣٠- والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنون .

وفى الباب الخامس عشرمن انجيل يوحنا :

٢٦- فاما إذا جاء الفار قليط الذى أرسله انا إليكم من الاب روح الحق الذى من ينبثق ، فهو يشهد لأجلى ، و انتم تشهدون لانكم معى من الابتداء .

وفى الباب السادس عشر من انجيل يوحنا :

٧- لكننى أقول لكم الحق انه خيرلكم ان انطلق لانى ان لم انطلق لم يأتكم الفار قليط ، فاما ان انطلقت ارسلته إليكم .

٨- فاذا جاء ذاك يوبخ العالم على خطيئة وعلى برّ وعلى حكم .

٩- اما على الخطيئة فانهم لم يؤمنوا بى .

١٠- واما على البر فلأنى منطلق إلى الاب ولستم ترونني بعد .

١١- واما على الحكم فان اكون رئيس هذا العالم قد دين .

١٢- وان لى كلاماً كثيراً أقوله لكم، و لكنكم لستم تطيقون حمله الآن.

١٣- واذا جاء روح الحق ذاك ، فهو يعلمكم جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل مايسمع ، ويخبركم بماسيأتي .

اقول : ومن غير مراء ان اهل الكتاب كانوا منتظرين لخروج نبي في زمان النبي ﷺ كما ان النجاشي ملك الحبشة لما وصل إليه كتاب محمد ﷺ قال : « اشهد بالله انه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب » و كتب في الجواب: « اشهد انك رسول الله صادقاً ومصدقا ، وقد بايعتك ، و بايعت ابن عمك (جعفر بن ابيطالب) واسلمت على يديه لله رب العالمين » .

وان النجاشي كان قبل الاسلام نصرانياً .

و كتب المقوقس ملك القبط في جواب كتاب النبي ﷺ :

« إلى محمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك ، أما بعد فقد قرأت كتابك ، وضحت ما ذكرت فيه ، وتدعو إليه ، و قد علمت ان نبياً قدبقي ، وقد كنت اظن انه يخرج بالشام ، وقد اكرمت رسولك » .

ان المقوقس و إن لم يسلم لكنه يعلم ، واقر في كتاب النبي ﷺ : « اني قد علمت ان نبياً قدبقي » و كان نصرانياً ، فهذان الملكان ماكانا يخافان في ذلك الوقت من محمد ﷺ لاجل شوكته الدنياوية .

وجاء الجارود بن العلاء في قومه إلى رسول الله ﷺ فقال : « و الله لقد جئت بالحق : ونطقت بالصدق ، والذي بعثك بالحق نبياً لقد وجدت وصفك في الانجيل ، وبشر بك ابن البتول ، فطول التحية لك و الشكر لمن أكرمك لااثر بعد عين ، ولاشك بعد يقين مد يدك ، فأنا أشهد أن لا اله الا الله و انك محمد رسول الله ثم آمن قومه » و كان الجارود من علماء النصارى .

و من المعلوم أن البشرى هي الخبر الذي يسر المبشر و يفرحه ، ولا يكون الا بشيء من الخير يوا فيه ويعود إليه ، والخير المترقب من بعثة النبي ودعوته هو انفتاح باب من الرحمة الالهية على الناس فيه سعادة دنياهم و عقباهم من عقيدة حقة أوعمل صالح او كليهما ، و البشرى بالنبي بعد النبي ، وبالدعوة

الجديدة بعد حلول دعوة سابقة و استقرارها والدعوة الالهية واحدة لاتبطل بمرور الدهور وتقضّي الازمنة ، واختلاف الايام و الليالي - انما تتصوراذا كانت الدعوة الجديدة أرقى فيما تشتمل عليه من العقائد الحقة و الشرائع المعدّلة لاعمال المجتمع وأشمل لسعادة الانسان فى دنياه وعقباه .

و بذلك يظهر ان معنى قوله عليه السلام : « و مبشراً برسول يأتي من بعدى » الخ يفيد كون ما أتى به النبى أحمد صلى الله عليه وآله وسلم أرقى و أكمل مما تضمنته التوراة وبعث به عيسى عليه السلام وهو عليه السلام متوسط رابط بين الدعوتين .

و يعود معنى كلامه : « اني رسول الله إليكم مصدقا » الخ إلى أنى رسول من الله إليكم أدعو إلى شريعة التوراة و منها جها - ولاحلّ لكم بعض ماحرّم عليكم - وهى شريعة سيكملها الله ببعث نبى يأتى من بعدى اسمه أحمد .

وهو كذلك فامعان التأمل فى المعارف الالهية التى يدعو إليها الاسلام يعطى أنها أدق مما فى غيره من الشرائع السماوية السابقة وخاصة ماينـدب إليه من التوحيد الذى هو أصل الاصول الذى يبتنى عليه كل حكم ، ويعود إليه كل من المعارف الحقيقية .

و كذا الشرائع و القوانين العملية التى لم تدع شيئاً مما دقّ وجلّ من أعمال الانسان الفردية و الاجتماعية الا عدّلته وحدّت حدوده وقرّرته على أساس التوحيد و وجّهته إلى غرض السعادة .

أشار تعالى إلى ذلك بقوله : « الذين يتبعون النبى الامى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكرويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم» الاعراف : ١٥٧) .

وفى مقدمة ترجمة القسيس سائل - وهو المستشرق الانجليزى للقرآن الكريم ذكر بشارة انجيل برنابا لمجيىء محمد صلى الله عليه وآله وسلم و هذه ترجمتها : اعلم يا برنابا ان الذنب وإن كان صغيراً يجزى الله عليه لان الله غير راض عن الذنب،

و لما اكتسب امتى و تلاميذى لأجل الدنيا سخط الله لأجل هذا الامر ، و أراد باقتضاء عدله أن يجزيهم فى هذا العالم على هذه العقيدة غير اللائقة ليحصل لهم النجاة من عذاب جهنم ولايكون لهم أذية هناك وانى وإن كنت بريا لكن بعض الناس لما قالوا فى حقى انه الله وابن الله كره الله هذا القول ، و اقتضت مشيئته أن لاتضحك الشياطين يوم القيامة منى ، ولايستهزئون بى ، فاراد بمقتضى لطفه و رحمته أن يكون الضحك و الاستهزاء فى الدنيا بسبب موت يهوذا ، ويظن كل شخص انى صلبت لكن هذه الاهانة و الاستهزاء تبقيان إلى أن يجيىء محمد رسول الله ، فاذا جاء فى الدنيا ينبه كل مؤمن على هذا الغلط ، وترتفع هذه الشبهة من قلوب الناس .

و فى الفصل الثانى و السبعين من انجيل برنابا (٧) فبكى حينئذ الرسل قائلين : يامعلم لما ذا تتركنا لان الأحرى بنا أن نموت من أن تتركنا .

٨- أجاب يسوع لاتضطرب قلوبكم ولاتخافوا .

٩- لأنى لست ان الذى خلقكم بل الله الذى خلقكم يحميكم .

١٠- اما من خصوصى فانى قد آتيت لاهيء الطريق لرسول الله الذى سيأتى بخلاص العالم .

١١- ولكن احذروا أن تغشوا لانه سيأتى انبياء كذبة كثيرون يأخذون كلامى ، وينجسون إنجيلى .

١٢- حينئذ قال اندراوس : يا معلم اذكر لنا علامة لنعرفه .

١٣- أجاب يسوع انه لايأتى فى زمنكم بل يأتى بعدكم بعدة سنين حينما يبطل انجيلى ، ولايكاد يوجد ثلاثون مؤمنا .

١٤- فى ذلك الوقت يرحم الله العالم ، فيرسل رسوله الذى تستقر على رأسه غمامة بيضاء يعرفه أحد مختارى الله ، وهو سيظهره للعالم .

١٥- وسيأتى بقوة عظيمة على الفجار ، ويبيد عبادة الاصنام من العالم .

١٦- وانى أسر بذلك لانه بواسطته سيعلن ويمجد الله ويظهر صدقى .

١٧ـ وسينتقم من الذين سيقولون انى اكبر من انسان .

١٨ـ الحق أقول لكم : ان القمر سيعطيه رقاداً فى صباه و متى كبر هو اخذه كفيه .

١٩ـ فيلحذر العالم ان ينبذه لانه سيفتك بعبده الاصنام .

٢٠ـ فان موسى عبدالله قتل اكثر من ذلك كثيراً ، ولم يبق يشوع على المدن التى احرقوها وقتلوا الاطفال .

٢١ـ لان القرحة المزمنة يستعمل لها الكى .

٢٢ـ وسيجيىء بحق اجلى من سائر الانبياء و سيوبخ من لايحسن السلوك فى العالم .

٢٣ـ وسيجيىء طرباً أبراج مدينة آبائنا بعضها بعضاً .

٢٤ـفمتى شوهد سقوطعبادة الاصنام إلى الارض ، واعترف بأنى بشر كسائر البشر فالحق أقول لكم : ان نبى الله حينئذ يأتى .

أقول : فانظروا يااولى الابصار كيف اخبر عيسى بن مريم عليه السلام الحواريين بمجيىء نبى بعده تكون صفاته كما بينت ...

و فى الفصل السادس و التسعين من محاورة بين المسيح عليه السلام ورئيس الكهنة من اليهود ان الكاهن سئله عن نفسه فأجاب بذكر اسمه واسمامه بمانص فى الانجيل :

٣ـ أجاب الكاهن انه مكتوب فى كتاب موسى ان الهنا سيرسل لنا مسيا الذى سيأتى ليخبر نابما يريد الله ، وسيأتى للعالم برحمة الله .

٤ـ لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق هل أنت مسيا الله الذى ننتظره .

٥ـ أجاب يسوع حقاً ان الله وعد هكذا ، ولكنى لست هولانه خلق قبلى وسيأتى بعدى .

أقول : وهكذا فى انجيل يوحنا فصل (١) آية (١٥)

٦ـ أجاب الكاهن اننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال انك نبى

وقدوس الله .

٧- لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها و اسرائيل أن تفيدنا حباً فى الله بآية كيفية سيأتى مسيا .

٨- أجاب يسوع لعمر الله الذى تقف بحضرته نفسى انى لست مسيا الذى تنتظره كل قبائل الارض كما و عدالله أبانا ابراهيم قائلاً بنسلك ابارك كل قبائل العرب .

٩- ولكن عندما يأخذ نى الله من العالم سيثير الشيطان مرة اخرى لهذه الفتنة الملعونة بان يحمل عادم التقوى على الاعتقاد بانى الله وابن الله.

١٠- فيتنجس بسبب هذا كلامى وتعليمى، حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً .

١١- حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذى خلق كل الاشياء لاجله.

اقول : كما قال الله تعالى : « و ما أرسلناك الا رحمة للعالمين » الانبياء : ١٠٧) .

١٢- الذى سيأتى من الجنوب بقوة وسيبيد الاصنام وعبدة الاصنام.

١٣- وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر .

١٤- وسيأتى برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به .

اقول : كما قال الله تعالى : « او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » العنكبوت : ٥١) .

١٥- وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا .

اقول : قال الله تعالى : « هذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون » الانعام : ١٥٥) .

ثم قال فى الفصل (٩٧) مانصه :

١- ومع انى لست مستحقا ان احل سير حذائه قد نلت نعمة و رحمة من الله لاراه .

٢- فاجاب حينئذ الكاهن مع الوالى والملك قائلين : لاتزعج نفسك يا يسوع

قدوس الله لان هذه الفتنة لاتحدث فى زمننا مرة اخرى لاننا سنكتب إلى مجلس الشيوخ الرومانى المقدس باصدار امر ملكى ان لااحد يدعوك فيما بعد الله او ابن الله.

٣ ـ فقال حينئذ يسوع : ان كلامكم لايعزينني لانه يأتى ظلام حيث ترجون النور.

٤ ـ ولكن تعزيني هى فى مجيء الرسول الذى سيبيد كل رأى كاذب فى وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره لانه هكذا والله ابانا ابراهيم.

اقول: قال الله تعالى : « تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » الفرقان : ١).

وقال : « وأرسلناك للناس رسولا » النساء : ٧٩).

وقال : « وما أرسلناك الاكافة للناس بشيراً ونذيراً » سباء : ٢٨).

٥ ـ وان ما يعزيني هو ، وأن لانهاية لدينه لان الله سيحفظه صحيحاً.

اقول : قال الله تعالى: « انا نحن نزّلنا الذكر وانا له لحافظون » الحجر: ٩)

٦ـ أجاب الكاهن أيأتى رسل آخرون بعد مجييء رسول الله.

٧ـ فأجاب يسوع لايأتى بعهده انبياء صادقون مرسلون من الله.

٨ـ ولكن يأتى عدد غفير من الانبياء الكذبة وهو مايحزنني.

٩ـ لان الشيطان سيثيرهم بحكم الله العادل ، فيستترون بدعوى الانجيل.

١٠ـ أجاب هيد روس كيف ان مجييء هؤلاء الكافرين يكون بحكم الله العادل.

١١ـ أجاب يسوع من العدل ان من لايؤمن بالحق لخلاصه يؤمن بالكذب للعنته.

١٢ـ لذلك أقول لكم : ان العالم كان يمتهن الانبياء الصادقين دائماً واحب الكاذبين كما يشاهد فى أيام ميشع وارميا لان التشبيه يحب شبيهه.

١٣ـ فقال الكاهن حينئذ ماذا يسمى مسيا وماهى العلامة التى تعلن مجيئه.

١٤ـ أجاب يسوع ان اسم مسيا عجيب لان الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها فى بهاء سماوى .

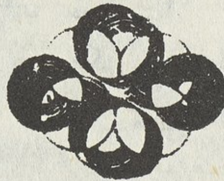
١٥ـ قال الله : اصبر يا محمد لأنى لاجلك اريد ان اخلق الجنة و العالم وجماً وغفيراً من الخلائق التى اهبها لك حتى ان من يباركك يكون مباركا ، ومن يلعنك يكون ملعونا .

اقول : وفى الحديث القدسى قال الله تعالى لنبيه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم : « لولاك لما خلقت الافلاك »

(١٦) ومتى أرسلتك إلى العالم اجعلك رسولى للخلاص ، وتكون كلمتك صادقة حتى ان السماء والارض تهنان ، ولكن ايمانك لايهن ابداً .

(١٧) ان اسمه المبارك محمد .

(١٨) حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : ياالله ارسل لنا رسولك يامحمد تعال سريعاً لخلاص العالم .



بحث روائي في بشارة الكتب السماوية

بمجييء رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم

وقد وردت روايات كثيرة في بشارة الانجيل وعيسى بن مريم عليه السلام بمجييء نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نشير إلى ما يسعه المقام:

١ـ في الاحتجاج عن الحسن بن محمد النوفلي ـ في حديث احتجاج علي بن موسى الرضا عليه السلام على أهل الكتاب ـ قال: فلما أصبحنا أتانا الفضل بن سهل فقال له: جعلت فداك ان ابن عمك ينتظرك، اجتمع القوم فما رأيك في اتيانه؟

فقال له الرضا عليه السلام: تقدمني فاني صائر إلى ناحيتكم إن شاء الله، ثم توضأ وضوء الصلاة، و شرب شربة سويق وسقانا، ثم خرج وخرجنا معه، حتى دخل على المأمون، واذا المجلس غاص باهله، ومحمد بن جعفر في جماعة الطالبيين والهاشميين والقواد حضور.

فلما دخل الرضا عليه السلام قام المأمون، وقام محمد بن جعفر، وجمع بني هاشم، فمازالوا وقوفاً ـ والرضا عليه السلام جالس مع المأمون ـ حتى أمرهم بالجلوس، فجلسوا فلم يزل المأمون مقبلا عليه يحدثه ساعة، ثم التفت إلى الجاثليق فقال:

يا جاثليق! هذا ابن عمي علي بن موسى بن جعفر وهو: من ولد فاطمة بنت نبينا عليها السلام وابن علي بن أبي طالب عليه السلام فاحب أن تكلمه وتحاجّه وتنصفه.

فقال الجاثليق: يا أمير المؤمنين كيف احاجّ رجلا يحاجّ عليّ بكتاب أنا منكره، ونبي لا اومن به؟

فقال الرضا عليه السلام : يا نصرانى فان احتججت عليك بانجيلك أتقرّ به ؟

قال الجاثليق : وهل أقدر على دفع ما نطق به الانجيل ؟ نعم والله اقرّ به على رغم أنفى .

فقال له الرضا عليه السلام : سل عما بدالك واسمع الجواب .

قال الجاثليق : ما تقول فى نبوة عيسى و كتابه هل تنكر منهما شيئاً ؟

قال الرضا عليه السلام : أنا مقرّ بنبوة عيسى و كتابه ، وما بشربه امته ، وأقرت به الحواريون ، وكافر بنبوة كل عيسى لم يقرّ بنبوة محمد و كتابه ولم يبشر به امته !

قال الجاثليق : أليس انما تقطع الأحكام بشاهدى عدل ؟

قال عليه السلام : بلى .

قال . فأقم شاهدين من غير أهل ملتك على نبوة محمد ممن لا تنكره النصرانية وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا .

قال الرضا عليه السلام : الان جئت بالنصفة يا نصرانى ! ألا تقبل منى العدل والمقدم عند المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ؟

قال الجاثليق . ومن هذا العدل سمه لى ؟

قال عليه السلام : ما تقول فى (يوحنا) الديلمى ؟

قال : بخ بخ ! ذكرت أحب الناس إلى المسيح .

قال : أقسمت عليك هل نطق الانجيل ان يوحنا قال : ان المسيح أخبرنى بدين محمد العربى وبشرنى به انه يكون من بعدى ، فبشرت به الحواريين فآمنوا به ؟

قال الجاثليق : قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح ، وبشر بنبوة رجل وأهل بيته ووصيه وأهل بيته ، ولم يلخص متى يكون ذلك ، ولم يسمّ لنا القوم فنعرفهم .

قال الرضا عليه السلام : فان جئناك بمن يقرأ الانجيل فتلا عليك ذكر محمد وأهل بيته وامته أتؤمن به ؟

قال : أمر سديد .

قال الرضا عليه السلام لغسطاس الرومي : كيف يكون حفظك للسفر الثالث من الانجيل ؟

قال : ماأحفظني له ، ثم إلتفت إلى رأس الجالوت فقال عليه السلام : ألست تقرأ الانجيل ؟

قال : بلى لعمرى .

قال : فخذ على السفر الثالث ، فان كان فيه ذكر محمد وأهل بيته وامته فاشهدوا لى ، وان لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لى .

ثم قرأ السفر الثالث حتى بلغ ذكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقف ثم قال : يا نصرانى انى اسئلك بحق المسيح وامه ، أتعلم انى عالم بالانجيل ؟

قال : نعم ، ثم تلا علينا ذكر محمد وأهل بيته وامته ، ثم قال : ماتقول يا نصرانى ؟ هذا قول عيسى بن مريم ، فان كذبت مانطق به الانجيل فقد كذبت موسى وعيسى عليه السلام ومتى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل لانك تكون قد كفرت بربك ونبيك وبكتابك .

قال الجاثليق : لاانكر ما قد بان لى من الانجيل ، وانى لمقرّ به .

قال الرضا عليه السلام : اشهدوا على إقراره ! - إلى أن قال - ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال : يا يهودى اقبل علىّ اسئلك بالعشر الايات التى انزلت على موسى بن عمران هل تجد فى التوراة مكتوباً نبأ محمد صلى الله عليه وآله وسلم وامته اذا جائت الامة الاخيرة أتباع راكب البعير ، يسبحون الرب جداً جداً تسبيحاً جديداً فى الكنائس الجدد فليفزع بنواسرائيل إليهم وإلى ملكهم لتطمئن قلوبهم فان بايديهم سيوفاً ينتقمون بها من الامم الكافرة فى أقطار الارض ، هكذا هوفى التوراة مكتوب ؟

قال رأس الجالوت : نعم انا لنجد ذلك كذلك .

ثم قال للجاثليق : يا نصرانى كيف علمك بكتاب شعيا ؟

قال : أعرفه حرفاً حرفاً .

قال لهما : أتعرفان هذا من كلامه : ياقوم انى رأيت صورة راكب الحمار

لابساً جلابيب النور، ورأيت راكب البعير ضوئه ضوء القمر؟

فقالا: قد قال ذلك شعيا.

قال الرضا عليه السلام: يا نصرانى أهل تعرف فى الانجيل قول عيسى: امن ذاهب إلى ربكم وربى، و (البار قليطا) جائى هوالذى يشهد لى بالحق كماشهدت له وهوالذى يفسرلكم كل شيء، وهوالذى يبدى فظايح الامم، وهوالذى يكسر عمود الفكر؟ فقال الجاثليق: ماذكرت شيئاً من الانجيل الا ونحن مقرّون به

فقال عليه السلام: أتجد هذا فى الانجيل ثابتاً؟

قال: نعم

قال الرضا عليه السلام: ياجاثليق ألا تخبرنى عن الانجيل الاول حين افتقدتموه عند من وجدتموه؟ ومن وضع لكم هذا الانجيل؟

قال له: ماافتقدنا الانجيل الا يوماًواحداًحتى وجدناه غضاً طرياً، فأخرجه إلينا يوحنا ومتى.

فقال الرضا عليه السلام: ماأقل معرفتك بسنن الانجيل وعلمائه، فان كان كما تزعم فلم اختلفتم فى الانجيل؟ وانما الاختلاف فى هذا الانجيل الذى فى أيديكم اليوم، فان كان على العهد الاول لم تختلفوا فيه، ولكنى مفيدك علم ذلك، اعلم انه لما افتقد الانجيل الاول اجتمعت النصارى إلى علمائهم: فقالوا لهم: قتل عيسي بن مريم وافتقدنا الانجيل وأنتم العلماء فما عندكم؟

فقال لهم الوقا و مرقانوس ويوحنا ومتى: ان الانجيل فى صدورنا نخرجه إليكم سفراً سفراً فى كل أحد، فلاتحزنوا عليه ولاتخلوا الكنائس، فانا سنتلوه عليكم فى كل أحد سفراً سفراً حتى نجمعه كله.

فقال الرضا عليه السلام: ان الوقا و مرقانوس و يوحنا و متى وضعوا لكم هذا الانجيل بعدما افتقدتم الانجيل الاول، وانما كان هؤلاء الاربعة تلاميذ: تلاميذ الاولين، أعلمت ذلك؟

قال الجاثليق: اما قبل هذا فلم أعلمه و قد علمته الآن، و قدبان لى من

فضل علمك بالانجيل ، وقدسمعت أشياء مما علمته شهد قلبى انها حق ، واستزدت كثيراً من الفهم .

فقال الرضا عليه السلام فكيف شهادة هؤلاء عندك ؟

قال : جائزة هؤلاء علماء الانجيل ، و كل ماشهدوا به فهو حق .

قال الرضا عليه السلام ـ للمأمون ومن حضره من أهل بيته و غيرهم ـ اشهدوا عليه قالوا : شهدنا .

ثم قال للجاثليق : بحق الابن امه ، هل تعلم أن (متى) قال فى نسبة عيسى عليه السلام : ان المسيح بن داود بن ابراهيم بن اسحق بن يعقوب بن يهود بن خضرون ؟

وقال (مرقانوس) فى نسبة عيسى عليه السلام : انه كلمة الله أحلها فى الجسد الآدمى فصارت انساناً ؟

و قال (الوقا) : إن عيسى بن مريم وامه كانا انسانين من لحم ودم فدخل فيهما روح القدس ؟

ثم انك تقول فى شهادة عيسى على نفسه حقاً أقول لكم إنه لايصعد إلى السماء الامن نزل منها الا راكب البعير خاتم الانبياء ، فانه يصعد إلى السماء و ينزل فما تقول فى هذه القول ؟

قال الجاثليق : هذاقول عيسى لاننكره .

قال الرضا عليه السلام : فما تقول فى شهادة الوقا و مرقانوس و متى على عيسى عليه السلام ومانسبوا إليه ؟

قال الجاثليق : كذبوا على عيسى .

قال الرضا عليه السلام : يا قوم أليس قد زكاهم و شهد انهم علماء الانجيل و قولهم حق ؟

فقال الجاثليق : ياعالم المسلمين احب أن تعفينى من أمر هؤلاء .

قال الرضا عليه السلام : قد فعلنا سل يانصر انى عما بدالك !

قال الجاثليق : ليسئلك غيرى، فو الله ماظننت أن فى علماء المسلمين مثلك.

فالتفت الرضا عليه السلام إلى رأس الجالوت فقال له : تسئلنى أوأسئلك ؟ قال : بل أسئلك ، ولست أقبل منك حجة الا من التوراة او من الانجيل اومن زبور داود أوفى صحف ابراهيم وموسى قال الرضا عليه السلام : لاتقبل منى حجة الا بما تنطق به التوراة على لسان موسى بن عمران عليه السلام والانجيل على لسان عيسى بن مريم عليه السلام والزبور على لسان داود .

قال رأس الجالوت : من أين تثبت نبوة محمد ؟

قال الرضا عليه السلام : شهد بنبوته موسى بن عمران ، وعيسى بن مريم ، وداود خليفة الله فى الارض .

فقال له : ثبت قول موسى بن عمران !

قال الرضا عليه السلام : تعلم يايهودى ان موسى أوصى بنى اسرائيل فقال لهم : انه سيأتيكم نبى من اخوانكم ، فيه فصدقوا ، ومنه فاسمعوا ، فهل تعلم ان لبنى إسرائيل اخوة غير ولد اسمعيل ، إن كنت تعرف قرابة اسرائيل من اسمعيل و النسب الذى بينهما من قبل ابراهيم عليه السلام ؟

فقال رأس الجالوت : هذاقول موسى لاندفعه .

فقال له الرضا عليه السلام : هل جاء كم من اخوة بنى اسرائيل غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : لا .

و فى العيون : فقال الرضا عليه السلام : أفليس قدصح هذا عندكم ؟

قال : نعم ولكنى احب أن تصححه لى من التوراة ،

فقال له الرضا عليه السلام : هل تنكرون التوراة تقول لكم : جاء النور من قبل طورسيناء وأضاء للناس من جبل ساعير ، واستعلن علينا من جبل فاران ؟

قال رأس الجالوت : اعرف هذه الكلمات وما اعرف تفسيرها

قال الرضا عليه السلام : أنا اخبرك به أما قوله : « جاء النور من قبل طورسيناء » : فذلك وحى الله تبارك وتعالى الذى أنزله على موسى على جبل طورسيناء وأما قوله «واضاء الناس فى جبل ساعير » فهو : الجبل الذى اوحى الله عزوجل إلى عيسى بن

مريم عليه السلام ـ وهو عليه ـ وأماقوله : « واستعلن علينا من جبل فاران » : فذاك جبل من جبال مكة ، وبينه وبينها يومان أويوم قال شعيا النبى ـ فيما تقول أنت وأصحابك في التوراة رأيت راكبين أضاء لهما الارض أحدهما على حمار ، والآخر على جمل ، فمن راكب الحمار ، ومن راكب الجمل ؟

قال رأس الجالوت : لاأعرفهمافخبرنى بهما ؟

قال : اماراكب الحمار فعيسى ، وأما راكب الجمل فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أتنكر هذا من التوراة ؟

قال : لاما انكره.

قال الرضا عليه السلام : هل تعرف حيقوق النبى عليه السلام ؟

قال : نعم انى به لعارف !

قال : فانه قال ـ وكتابكم ينطق به ـ جاء الله تعالى بالبيان من جبل فاران وامتلات السماوات من تسبيح أحمد وامته ، يحمل خيله فى البحر كما يحمل فى البر ، يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس ، يعنى بالكتاب : (القرآن) أتعرف هذا و تؤمن به ؟ قال رأس الجالوت : قدقال ذلك من حيقوق النبى عليه السلام ولاننكر قوله.

قال الرضا عليه السلام : فقد قال داود عليه السلام فى زبوره ـ و أنت تقرأه ـ : اللهم ابعث مقيم السنة بعدالفترة ، فهل تعرف نبياً أقام السنة بعدالفترة غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟

قال رأس الجالوت : هذا قول داود نعرفه ولا ننكره ، ولكن عنى بذلك : (عيسى) وامامه هى الفترة .

قال الرضا عليه السلام : جهلت ان عيسى لم يخالف السنة ، وكان موافقاً لسنة التوراة حتى رفعه الله إليه ، وفى الانجيل مكتوب : ان ابن البرة ذاهب و (الفار قليطا) جائى من بعدى ، هو يخفف الآضار ، و يفسر لكم كل شيء ويشهد لى كما شهدت له ، أناجئتكم بالامثال ، وهو يأتيكم بالتأويل ، أتؤمن بهذا فى الانجيل ؟

قال نعم لاانكره

قال الرضا عليه السلام : اسئلك عن نبيك موسى بن عمران عليه السلام .

فقال : سل !

قال : ماالحجة على ان موسى ثبتت نبوته ؟

قال اليهودى : انه جاء بمالم يجيء احد من الانبياء قبله .

قال له عليه السلام : مثل ماذا ؟

قال مثل فلق البحر ، و قلبه العصاحية تسعى ، و ضربه الحجر فانفجر منه العيون ، وإخراجه يده بيضاء للناظرين ، و علامات لايقدر الخلق على مثلها .

قال الرضا عليه السلام : صدقت فى انها كانت حجته على نبوته ، انه جاء بمالايقدر الخلق على مثله ، أفليس كل من ادعى انه نبى ، وجاء بما لايقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه ؟

قال : لا لان موسى لم يكن له نظير لمكانه من ربه وقربه منه ، ولا يجب علينا الاقرار بنبوة من ادعاها ، حتى يأتى عن الاعلام بمثل ماجاء .

قال الرضا عليه السلام : فكيف أقررتم بالانبياء الذين كانوا قبل موسى ، و لم يفلقوا البحر ، ولم يفجروا من الحجر اثنتى عشر عيناً ، ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء ، ولم يقلبوا العصاحية تسعى ؟ .

قال له اليهودى : قدخبرتك انه متى جاؤا على نبوتهم عن الآيات بمالايقدر الخلق على مثله ، ولو جاؤا بمثل مالم يجيء به موسى ، أو كانوا على ماجاء به موسى وجب تصديقهم .

قال الرضا عليه السلام : يا رأس الجالوت ! فما يمنعك من الاقرار بعيسى بن مريم وكان يحيى الموتى ، ويبرىء الاكمه والابرص ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائراً باذن الله ؟ ! .

قال رأس الجالوت يقال : انه فعل ذلك ، ولم نشهده .

قال الرضا عليه السلام :أرايت ماجاء به موسى من الايات و شاهدته ، أليس انما جاء الاخبار من ثقاة أصحاب موسى انه فعل ذلك ؟ .

قال بلى .

قال : كذلك أيضاً أتتكم الاخبار المتواترة بمافعل عيسى بن مريم ، فكيف صدقتم ، بموسى ولم تصدقوا بعيسى ؟ !

فلم يحر جواباً .

فقال الرضا عليه السلام : و كذلك أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به ، وأمر كل نبى بعثه الله و من آياته انه كان يتيما فقيراً راعياً أجيراً و لم يتعلم ، و لم يختلف إلى معلم .

ثم جاء بالقرآن الذى فيه قصص الانبياء عليهم السلام وأخبارهم حرفاً حرفاً ،و أخبار من مضى ومن بقى إلى يوم القيامة ، ثم كان يخبرهم بأسرارهم ومايعملون فى بيوتهم بآيات كثيرة لا تحصى .

قال رأس الجالوت : لم يصح عندنا خبر عيسى ، ولاخبر محمد ، ولايجوز لنا أن نقرلهما بمالا يصح عندنا .

قال الرضا عليه السلام : فالشاهد الذى يشهد لعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم شاهد زور ؟

فلم يحر جواباً . الحديث .

٢ ـ فى السيرة النبوية لابن هشام : قال ابن اسحق : وقد كان فيما بلغنى عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله فى الانجيل لاهل الانجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما أثبت يحنس الحوارى لهم حين نسخ لهم الانجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام ، فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم انه قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب، و لولا انى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الان بطروا و ظنوا أنهم يعزوننى ، وأيضاً للرب ، ولكن لابد من ان تتم الكلمة التى فى الناموس : انهم أبغضونى مجاناً أى باطلا فلو قدجاء المنحمنا هذا الذى يرسله الله إليكم من عندالرب و روح القدس ، هذا الذى من عندالرب خرج ، فهو شهيد على و أنتم أيضاً ، لانكم قديماً كنتم معى ، فى هذا قلت لكم لكيما لاتشكوا .

والمنحمنّا - بضم الميم وسكون النون ثم فتح الحاء والميم - بالسريانية: محمد وهو بالرومية : البر قليطس صلى الله عليه وآله وسلم .

٣- في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عبدالله بن سليمان وكان قارئاً للكتب قال : قرأت في الانجيل : يا عيسى جدّ في أمري و لاتهزل و اسمع و أطع ، يا ابن الطاهرة الطهر البكر البتول ، أنت من غير فحل ، أنا خلقتك آية للعالمين ، فاياي فاعبد ، وعليّ فتوكل ، خذالكتاب بقوّة فسّر لاهل سوريا بالسريانية ، بلّغ من بين يديك أنّي أناالله الدائم الذى لا أزول ، صدّقوا النبي الامي صاحب الجمل و المدرعة والتاج ، وهي العمامة ، والنعلين ، والهراوة وهي القضيب ، الآنجل العينين ، الصلت الجبين ، الواضح الخدّين ، الاقنى الانف مفلّج الثنايا ، كأنّ عنقه ابريق فضّة ، كأنّ الذهب يجرى في تراقيه ، له شعرات من صدره إلى سرّته ، ليس على بطنه ولاعلى صدره شعر ، أسمر اللون ، دقيق المسربة ، ششن الكف والقدم ، اذا إلتفت إلتفت جميعاً ، و اذا مشى كأنما يتقلّع من الصخرة ، وينحدرمن صبب ، واذا جاء مع القوم بذّهم ، عرقه في وجهه كاللؤلؤ ، وريح المسلك ينفح منه ، لم ير قبله مثله ولابعده ، طيّب الريح ، نكّاح النساء ذوالنسل القليل ، انما نسله من مباركة لهابيت في الجنة لاصخب فيه ولا نصب ، يكفّلها في آخر الزمان كما كفّل زكريا امّك ، لها فرخان مستشهدان كلامه القرآن ، ودينه الاسلام ، وأنا السلام ، طوبى لمن أدرك زمانه وشهدأيامه، و سمع كلامه .

قال عيسى : يارب و ما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنة أنا غرستها ، تظل الجنان، أصلها من رضوان ، ماؤها من تسنيم ، برده برد الكافور ، و طعمه طعم الزنجبيل من يشرب ، من تلك العين شربة لايظماء بعدها أبداً ، فقال عيسى : اللهم اسقني منها ، قال : حرام ياعيسى على البشر أن يشربوا منها حتى يشرب ذلك النبي ، و حرام على الامم أن يشربوا منها حتى يشرب امة ذلك النبي ، أرفعك الىّ ثم أهبطك في آخر الزمان لترى من امة ذلك النبي العجائب ، و لتعينهم على اللعين

الدجال ، أهبطك فى وقت الصلاة لتصلى معهم ، انهم امة مرحومة .

أقول : قوله عليه السلام : « سوريا » مصحف سورى كبشرى : موضع بالعراق من أرض بابل وهى مدينة السريانيين و« الهراوة » بالكسر : العصا الضخمة كهراوة الفأس والمعمول و« الانجيل » من نجل الرجل : وسعت عينه وحسنت فهو أنجل « الصلت الجبين » أى واسعه « الاقنى الانف » القنا فى الانف : طوله ورقة أرنبته مع حدب فى وسطه « مفلّج الثنايا » الفلج : فرجة ما بين الثنايا و الرباعيات « المسربة » بضم الراء : الشعر المستدق الذى يأخذ من الصدر إلى السرة « ششن الكف والقدم » أى أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر ، وقيل : هو الذى فى أنامله غلظ بلا قصر « كأنما يتقلع من الصخرة » أراد قوة مشيه كأنه يرفع رجليه من الارض رفعا قويا لا كمن يمشى اختيالا ويقارب خطاه « ينحدر من صبب » أى من موضع منحدر « مع القوم بذّهم » أى غلبهم فى المشى « لاصخب » الصخب : اختلاط الاصوات و« لا نصب » النصب : البلاء والداء .

٤ ـ فى مواعظ الله تعالى لعيسى بن مريم عليه السلام ـ إلى أن قال ـ : ثم اوصيك يابن مريم البكر البتول بسيّد المرسلين و حبيبى ، فهو أحمد صاحب الجمل الاحمر ، والوجه الاقمر المشرق النور الطاهر القلب الشديد البأس الحيىّ المتكرّم فانه رحمة للعالمين سيّد ولد آدم يوم يلقانى ، أكرم السابقين علىّ ، وأقرب المرسلين منى ، العربى الامى الديان بدينى ، الصابر فى ذاتى ، المجاهد المشركين ببدنه عن دينى ، أن تخبر به بنى اسرائيل ، وتأمرهم أن يصدّقوا به ، وأن يؤمنوا به ، و أن يطيعوه وينصروه .

قال عيسى : إلهى افمن هو حتى أرضيه ، فلك الرضا ؟

قال : هو محمد رسول الله إلى الناس كافة ، أقربهم منى منزلة ، واوجبهم عندى شفاعة ، طوبى له من نبىّ ، وطوبى لامته إن هم لقونى على سبيله ، يحمده أهل الارض ، ويستغفر له أهل السماء ، أمين ميمون طيّب مطيّب خير الباقين عندى ، يكون فى آخر الزمان ، اذا خرج أرخت السماء عز اليها ، وأخرجت

الارض زهرتها حتى يروا البركة ، وابارك لهم فيما وضع يده عليه ، كثير الازواج قليل الاولاد ، يسكن مكة موضع أساس ابراهيم .

ياعيسى ! دينه الحنيفية قبلته مكية وهو من حزبى وأنا معه ، فطوبى له ثم طوبى له ، له الكوثر والمقام الاكبر فى جنات عدن ، يعيش أكرم معاش ويقبض شهيداً ، له حوض أبعد من بكة إلى مطلع الشمس من رحيق مختوم ، فيه آنية شبه نجوم السماء و أكواب مثل مدر الارض ماؤه عذب فيه من كل شراب وطعم كل ثمار فى الجنة ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، و ذلك من قسمتى له و تفضيلى اياه ، أبعثه على فترة بينك وبينه يوافق سرّه علانيته ، وقوله فعله ، لايأمر الناس الآ بما يبدأهم به .

دينه الجهاد فى عسر ويسر ، تنقاد له البلاد ، ويخضع له صاحب الروم على دينه ودين أبيه ابراهيم ، يسمّى عند الطعام ، ويفشى السلام ، و يصلّى و الناس نيام ، له كل يوم خمس صلوات متواليات ، ينادى إلى الصلاة نداء الجيش بالشعار و يفتح بالتكبير و يختم بالتسليم ، ويصفّ قدميه فى الصلاة كما تصف الملائكة أقدامها ، ويخشع لى قلبه ورأسه ، النور فى صدره ، والحق على لسانه ، وهو على الحق حيثما كان .

أصله يتيم ضال برهة من زمانه عما يراد به ، تنام عيناه ولا ينام قلبه ، له الشفاعة وعلى امته تقوم الساعة ، ويدى فوق إيديهم اذا بايعوه ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن اوفى بما عاهد عليه وفيت له بالجنة ، فمر ظلمة بنى اسرائيل أن لايدرسوا كتبه ولايحرّفوا سننه ، وأن يقرؤوه السلام فان له فى المقام شأناً من الشأن الحديث .

٥- فى تفسير ابن كثير عن عبدالله بن مسعود : « ان عمرو بن العاص قال المنجاشى حينما جاء إليه موفداً من قريش للوشاية بالمهاجرين الاولين واسترجا عهم انهم يخالفونك فى عيسى بن مريم فقال لهم : ما تقولون ؟ قال : نقول كما قال الله عزوجل : هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التى لم يمسها

بشر ولم يعترضها ولد فرفع عوداً من الارض ثم قال :يا معشر الحبشةوالقسيسين والرهبان والله مايزيدون على الذى نقول فيه ما يساوى هذا قال لهم مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده أشهد انه رسول الله وانه الذى نجد فى الانجيل وانه الذى بشر به عيسى بن مريم انزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لاتيته حتى اكون أنا أحمل نعليه وأوضئه .

٦ـ فى التبيان قال الشيخ قدس سره : فى الانجيل بشارة بالفارقليط فى مواضع : منها « يعطيكم فارقليط آخر يكون معكم آخر الدهر كله » و فيها « اذا جاء فنِد أهل العلم» وفيها « انه يدبر كم بجميع الخلق ، ويخبر كم بالامور المزمعة ويمدحنى ويشهدلى »

٧ ـ فى البحار ـ فى باب البشائر بمولد النبى ونبوته ﷺ ـ : من ذلك بشائر موسى فى السفر الاول ، وبشائر ابراهيم عليه السلام فى السفر الثانى ،وفى السفر الخامس عشر ، وفى الثالث والخمسين من مزامير داود عليه السلام و بشائر عويديا ، و حيقوق وحزقيل و دانيال وشعيا ، وقال داود فى زبوره : اللهم ابعث مقيم السنة بعد الفترة .

قوله : « عويديا » فى قاموس التوراة : « عوبدياء » بالباء والمد : هو أحد انبياء بنى اسرائيل كان فى سنة ٥٧٨ قبل ميلاد المسيح تقريباً ، ويظن انه كان معاصر الارمياء ، وحزقيل ، وله كتاب يعد من كتب العهد القديم .

﴿ بشارة موسى و كتابه بمجيىء النبى الخاتم صلى الله عليه وآله ﴾

وقد جاء ت روايات عديدة فى بشارة موسى عليه السلام و التوراة بمجيىء نبينا محمد صلى الله عليه وآله نشير إلى نبذة منها :

١- فى روضة الكافى فى حديث موسى - فى مناجاته قال الله تعالى له - : اوصيك ياموسى وصية الشفيق المشفق بابن البتول عيسى ابن مريم ، صاحب الأتان و البرنس والزيت و الزيتون ، ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر الطيب الطاهر المطهّر ، فمثله فى كتابك انه مؤمن مهيمن على الكتب كلها ، و انه راكع ساجد ، راغب راهب ، إخوانه المساكين ، وأنصاره قوم آخرون ، و يكون فى زمانه أزل وزلزال ، وقتل وقلّة من المال ، اسمه أحمد محمد الامين من الباقين من ثلة الاولين الماضين ، يؤمن بالكتب كلها ويصدّق جميع المرسلين ، و يشهد بالاخلاص لجميع النبيين ،امته مرحومة مباركة مابقوا فى الدين على حقائقه ، لهم ساعات موقتات يؤدّون فيها الصلوات أداء العبد إلى سيّده نافلته ، فبه فصدّق ومنهاجه فاتبع فانه أخوك .

ياموسى انه امي وهو عبد صدق يبارك له فيما وضع يده عليه ، ويبارك عليه كذلك كان فى علمي و كذلك خلقته ، به أفتح الساعة ، وبامته أختم مفاتيح الدنيا فمر ظلمة بني اسرائيل أن لايدرسوا إسمه ولايخذلوه ، وانهم لفاعلون .

وحبّه لى حسنة ، فأنامعه وأنا من حزبه ، وهو من حزبى وحزبهم الغالبون، فتمّت كلماتى لاظهرنّ دينه على الاديان كلها ، ولاعبدن بكل مكان ، ولانزلنّ عليه قرآنا فرقاناً شفاءاً لمافى الصدور من نفث الشيطان ، فصلّ عليه ياابن عمران

فانی اصلی علیه وملائکتی .

اقول : « الآتان » : الحمارة و « البرنس » - بالضم - : قلنسوة طويلة ، والمراد بالزيت والزيتون : الثمرة المعروفة و دهنها لانه عليه السلام كان يأكلها او نزلتا له في المائدة من السماء ، اوالمراد بالزيتون : مسجد دمشق او جبال الشام ، اوأعطاه الله تعالى بلاد الشام ، والمراد بالزيت : دهنه روى انه كان في بني اسرائيل كان غليانها من علامات النبوة والمراد من « المحراب » : لزومه و كثرة العبادة فيه.

« مهيمن » : مشاهد ومؤنمن و «قوم آخرون » أي ليسوا من قومه وعشيرته « في زمانه أزل » : ضيق وشدة و « به افتح » اريد به اتصال امته و دولته ونبوته بقيام الساعة و« وأنا من حزبه » أي أنصره وأعينه .

وقوله: « فاني اصلي عليه و ملائكتي »قال الله تعالى: « ان الله وملائكته يصلون على النبي» الاحزاب : ٥٦) .

٢ - في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عايه باسناده عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام قال : ان يهودياً كان له على رسول الله دنانير فتقاضاه ، فقال له : يا يهودي ! ماعندى ما اعطيك قال : فاني لا افارقك يا محمد حتى تقضيني ، فقال إذاً اجلس معك فجلس معه حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخرة والغداة ، وكان أصحاب رسول الله يتهددونه ويتواعدونه ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم ، فقال : ما الذي تصنعون به ؟ .

فقالوا : يا رسول الله يهودي يحبسك ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم لم يبعثني ربي عزوجل بان اظلم معاهداً ولا غيره ، فلما علا النهار قال اليهودي : اشهد أن لا اله الا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله ، وشطر مالي في سبيل الله أما والله مافعلت بك الذي فعلت الا لانظر إلى نعتك في التوراة ، فاني قرأت في التوراة محمد بن عبدالله مولده بمكة ومهاجره بطيبة ، وليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا متزين (مترين) بالفحش، ولاقول الخنا ، وأنا اشهد أن لا اله الا الله ، وانك رسول الله ، وهذا مالي فاحكم فيه بما أنزل الله ، وكان اليهودي كثير المال .

٣ ـ في السيرة النبوية لابن هشام قال ابن اسحق : وكانت الاحبار من يهود والرهبان من النصارى، والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل مبعثه لما تقارب من زمانه ، أما الاحبار من يهود و الرهبان من النصارى فعمّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، و ماكان من عهد أنبيائهم إليهم فيه . الخبر .

٤ ـ و في التبيان قال الشيخ قدس سره : في التوراة « اتانا الله من سينا و اشرف من ساعير ، واستعلن من جبال فاران » وفيها « ساقيم لهم نبياً من إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه ، فيقول لهم : كلما اوصيه به » وفيها « وأما ابن الامة ، فقد باركت عليه جداً جداً ، وسيلد اثنى عشر عظيما ، واؤخره لامّة عظيمة»



﴿وحدة الاديان عند ظهور الاسلام﴾

قال الله تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » الصف : ٩) .

هذه الاية ثالثة ثلاث من الايات الكريمة على الترتيب المصحفى :١- التوبة ٣٣) ٢ ـ الفتح : ٢٨) ٣ ـ الصف : ٩) ـ جاء فيها وعدالله جل وعلا باظهار الدين الاسلامى الذى جاء به خاتم الانبياء محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الاديان ، وانتشاره فى العالم البشرى ، وغلبته على الكفر ، وظفر المسلمين على الكافرين لاشتمال هذاالدين على العقائد والاحكام المنطبقة على الواقع الحق ، وعلى الفطرة البشرية من غير عروض الدس والتحريف عليه ، ولما في هذا الدين الحنيف من المزايا والحلول فى مختلف المطالب والمجالات ما يسدّ حاجات المجتمع البشرى على اختلاف أجناسهم وألوانهم ونحلهم وأفكارهم ، وفى مختلف الازمنة والامكنة ليكون دين الاسلام دين العالم أجمع .

ومن المعلوم ان الاسلام إذ ظهر تجلّى بنوره الحق لافى الجزيرة وحدها بل وصل نوره إلى المعمور من الارض كلها قبل مضى نصف قرن مِن بدؤه ، ظهر فى امبراطورية كسرى كلها ، وفى قسم كبير من امبراطورية قيصر ، وتجلّى فى الهند والصين ، وفى جنوب آسيا فى الملايو وغيرها ، وفى جزر الهند الشرقية (اندونسيا) وكان هذا هو معظم المعمور من الارض يومئذ ، وما يزال كان دين الحق ظاهراً على جميع الاديان والمذاهب والمسالك والسبل كلها حتى بعد انحساره السياسى عن جزء كبير من الارض التى فتحها ، وبخاصة فى اروبا ، وجزر البحر

الابيض ، وانحسار قوة أهله فى الارض كلها بالقياس إلى القوى التى ظهرت فى الشرق والغرب يومئذ .

أجل ما يزال دين الحق ظاهراً على الدين كله من حيث هو دين يبتنى على الواقع الحق ، وينطبق على الفطرة البشرية تمام الانطباق ، وهذا الدين قوى بذاته قوى بطبيعته ، ثابت بلا سيف ولا مدفع من أهله لما فى طبيعته من استقامة مع الفطرة ، ومع نواميس الوجود الاصيلة ، ولما فيه من تلبية بسيطة عميقة لحاجات العقل والروح ، وحاجات العمران والتقدم ، وحاجات البيئات المتنوعة من ساكنى الاكواخ إلى سكان ناطحات السحاب .

ولا يكون غير أهل الاسلام أن ينظروا فى الاسلام نظرة مجردة من التعصب والهوى من غير اتباع الشيطان والاوهام - الا القليل منهم - حتى يقرّوا باستقامة هذا الدين وقوته الكامنة وقدرته على قيادة البشرية، قيادة رشيدة، وتلبية حاجاتها النامية المتطورة فى يسر واستقامة ، فوعد الله تعالى بظهور الدين الحق على الدين كله بقوله تعالى : « هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » .

وقد تحقق قبل مضى قرن من الزمان بعد البعثة المحمدية ﷺ ووعد الله تعالى ما يزال متحققا فى الصورة الموضوعية ، وما يزال هذا الدين ظاهراً على الدين كله فى حقيقته بقوله تعالى : « وكفى بالله شهيداً » الفتح : ٢٨) .

وفى هذا ما فيه من بواعث الثقة والاعتزاز وحوافز العزيمة والاندفاع فى المسلمين للعمل على تحقيق وعد الله جل وعلا ونشر دينه حتى يظهر على الدين كله بمختلف الاساليب ، وبخاصة تنظيم الدعوة إليه ، وهذا واجب لازب على كل مسلم وبخاصة على زعماء المسلمين وعلمائهم ودعاتهم . . . وانما الدين الوحيد الباقى هو الاسلام الذى يقدر على العمل والقيادة فى جميع الاحوال . . .

ولعل أهل هذا الدين هم وحدهم لا يدركون هذه الحقيقة بل غير أهله يدركونها ويخشونها ويحسبون لها فى سياساتهم كل حساب . . .

وعلى كل حال ، فنحن واثقون من تحقيق وعدالله جل وعلا من اظهاردينه تمام الظهور عاجلا اوآجلا لان الله لايخلف وعده والايمان بهذا والعمل له واجب على كل مسلم ومسلمة فى كل ظرف ومكان .

فى تفسير المنار (ج ٩ ص ٢٦٨ ط القاهرة سنة ١٣٧١ هـ) : « انه سيظهر إن شاء الله المهدى عليه السلام ويكون خليفة الله فى الارض ، ويكون الدين كله لله فى عهده الشريف » .

وفيه : (ج ٩ ص ٢٥٥ الطبع) : « ان هذا الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبرنا على أتم تفصيل واكمل وجه بحيث لايبقى ريب ما بكثرتهم وقت ظهور المهدى عليه السلام وهذا الوقت قريب إن شاء الله ، وسيظهر الامام ، ويظهر الحق عن قريب ، ويكون الدين كله لله جعلنا الله من أنصاره وخدامه آمين » .

اقول: ورد فى المقام روايات كثيرة نشير إلى نبذة منها :

وفى اكمال الدين :باسناده عن أبى بصير قال : قال أبو عبدالله عليه السلام فى قوله عزوجل : «هوالذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشر كون» فقال : والله مانزل تأويلهابعد ولاينزل تأويلهاحتى يخرج القائم عليه السلام فاذا خرج القائم لم يبق كافر باالله العظيم ، ولا مشرك بالامام الا كره خروجه حتى لو كان كافر اومشرك فى بطن صخرة لقالت : يامؤمن فى بطنى كافرفا كسرنى واقتله .

و فى تفسير العياشى : عن أبى المقدام عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله : «ليظهره على الدين كله ولو كره المشر كون » يكون أن لايبقى أحد الا أقر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم :

و فيه : عن سماعة عن أبى عبدالله عليه السلام « هوالذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره مشر كون » قال : إذا خرج القائم لم يبق مشرك بالله العظيم ولاكافر الا كره خروجه .

و فى الكافى: باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبى الحسن الماضى عليه السلام

قال : سئلته عن هذه الآية قلت : « والله متم نوره » قال : « يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم » : ولاية أمير المؤمنين عليه السلام « والله متم نوره » : الامامة لقوله عز وجل « الذين آمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا » والنور هو الامام ، قلت له : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق » قال : هو الذى أمر الله رسوله بالولاية لوصيه والولاية هى دين الحق قلت : « ليظهره على الدين كله » قال : على جميع الاديان عند قيام القائم لقول الله تعالى : « والله متم نوره » بولاية القائم « ولو كره الكافرون » بولاية علىّ قلت : هذا تنزيل ؟ قال : نعم ، أما هذا الحرف فتنزيل ، و أما غيره فتأويل .

و فى كنز الفوائد : باسناده عن عباية بن ربعى انه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول : « هو الذى أرسل رسوله » الاية أظهر ذلك بعد ؟ كلا والذى نفسى بيده حتى لايبقى قرية الاّ ونودى فيها بشهادة أن لااله الاّ الله وان محمداً رسول الله بكرة وعشياً .

وفى البحار : بالاسناد عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام فى حديث قال المفضل : يامولاى ! فكيف بدؤ ظهور المهدى عليه السلام وإليه التسليم ؟ قال عليه السلام يا مفضل يظهر فى شبهة ليستبين ، فيعلو ذكره ، ويظهر امره ، وينادى باسمه و كنيته ونسبه ، ويكثر ذلك على أفواه المحقين والمبطلين والموافقين والمخالفين لتلزمهم الحجة بمعرفتهم به على انه قد قصصنا ودللنا عليه ، ونسبناه وسميناه و كنّيناه ، وقلنا سميّ جدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كنّيه لئلا يقول الناس : ما عرفنا له اسماً ولا كنية ولانسباً .

والله ليتحقق الايضاح به وباسمه ونسبه و كنيته على ألسنتهم ، حتى ليسمّيه بعضهم لبعض ، كل ذلك للزوم الحجة عليهم ، ثم يظهره الله لماوعد به جده صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله عزوجل : « **هوالذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين** كله ولو كره المشركون » .

قال المفضل : يا مولاى فما تأويل قوله تعالى : « ليظهره على الدين كله

ولو كره المشركون » قال عليه السلام : هوقوله تعالى : « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله » .

فوالله يامفضل ليرفع عن الملل و الاديان الاختلاف ، و يكون الدين كله واحداً كما قال جل ذكره : « ان الدين عندالله الاسلام » و قال الله : « و من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » قال المفضل : قلت : يا سيدى ومولاى والدين الذى فى آبائه ابراهيم ونوح وموسى و عيسى و محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الاسلام ؟ قال : نعم يامفضل هو الاسلام لاغير .

قلت : يا مولى أتجده فى كتاب الله ؟ قال : نعم من أوّله إلى آخره ، منه هذه الاية : « ان الدين عندالله الاسلام » وقوله تعالى : « ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين » ومنه قوله تعالى فى قصة إبراهيم واسمعيل : « و اجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك » وقوله تعالى فى قصة فرعون : « حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لااله الاّ الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين » و فى قصة سليمان وبلقيس : « قبل أن يأتونى مسلمين » وقولها : « أسلمت مع سليمان لله رب العالمين »

وقول عيسى عليه السلام : « من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون » وقوله جل وعز : « وله أسلم من فى السموات والارض طوعاً و كرها » وقوله فى قصة لوط : « فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » وقوله : « قولوا آمنا بالله وما انزل إلينا - إلى قوله - لانفرّق بين أحد منهم و نحن له مسلمون » وقوله تعالى : « ام كنتم شهداء اذا حضر يعقوب الموت - إلى قومه - ونحن له مسلمون »

قلت : ياسيدى كم الملل ؟ قال : أربعة وهى شرائع - إلى أن قال - قال المفضل يا مولاى فقوله : « ليظهره على الدين كله » ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظهر على الدين كله ؟ قال : يا مفضل لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظهر على الدين كله ما كانت مجوسيّة ولا يهودية ولاصابئية ولانصرانية ، ولا فرقة ولا خلاف ولاشك ولاشرك

و لا عبدة أصنام ولا أوثان ، ولا اللات والعـزى ، ولا عبدة الشمس والقمر ، ولا النجوم ولا النار ولا الحجارة ، وانما قوله : « ليظهره على الدين كله » فى هذا اليوم وهذا المهدى وهذه الرجعة ، وهو قوله : « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة و ويكون الدين كله لله »

و فى رواية : عن الامام على عليه السلام قال: «ان هذا الاسلام أذل الاديان بعزته، ووضع الملل برفعته ، وأهان أعدائه بكرامته »

و فى البرهان : عن ابن عباس فى الاية قال : لايكون ذلك حتى لايبقى يهودى ولانصرانى ولاصاحب ملة الا صار إلى الاسلام حتى تـأمن الشاة والذئب و البقرة و الانسان ، و الحية حتى لاتقرض فأرة جراباً ، و حتى توضع الجزية ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ،وهو قوله تعالى : « ليظهره على الدين كله ولو كره المشر كون » وذلك يكون عنه قيام القائم عليه السلام .

تمت سورة الصف والحمدلله رب العالمين
وصلى اللهعلىمحمد واهل بيته المعصومين

سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم ١ هو الذي بعث
في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا
من قبل لفي ضلال مبين ٢ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ٣
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ٤ مثل الذين حملوا التورية
ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله والله
لا يهدي القوم الظالمين ٥ قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من
دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ٦ ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم و
الله عليم بالظالمين ٧ قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى
عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ٨ يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة
من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ٩ فاذا
قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم
تفلحون ١٠ واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو و
من التجارة والله خير الرازقين ١١

﴿فضلها و خواصها﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الأعمال باسناده عن منصور بن حازم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من الواجب على كل مؤمن اذا كان لنا شيعة أن يقرأ في ليلة الجمعة بالجمعة ، و سبّح اسم ربك الاعلى ، وفي صلاة الظهر بالجمعة و المنافقين ، فاذا فعل ذلك فانما يعمل بعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كان جزاؤه وثوابه على الله الجنة .

رواه الطبرسي في المجمع والبحراني في البرهان والحويزي في نور الثقلين والمجلسي في البحار .

اقول : قوله عليه السلام : « فكأنما يعمل بعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » أي انه يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هاتين الصلاتين .

وفي الدر المنثور : عن ابن عباس قال : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في الجمعة بسورة الجمعة ، واذا جاءك المنافقون .

وفي الكافي : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان الله اكرم بالجمعة المؤمنين ، فسنّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشارة لهم و المنافقين ،توبيخاً للمنافقين ولاينبغي تركهما ، ومن تركهما متعمداً فلا صلاة له .

وفي البرهان: روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : من قرأ هذه السورة كتب الله له عشر حسنات بعدد من اجتمع في الجمعة في جميع الامصار ، ومن قرأها في كل ليلة اونهار أمن مما يخاف ، وصرف عنه كل محذور .

وفيه : قال الصادق عليه السلام من قرأها ليلا أو نهاراً في صباحه و مسائه أمن من

وسوسة الشيطان ، وغفر له مايأتى فىذلك اليوم إلى اليوم الثانى .

وفىالمجمع : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من قرأ سورة الجمعة اعطى عشر حسنات بعدد مناتى الجمعة وبعدد من لم يأتها فى أمصار المسلمين .

اقول : و كل ذلك لمن آمن بالله تعالى وعمل بماتحويه السورة .



﴿ الغرض ﴾

تستهدف السورة حكمة بعث النبى الكريم ﷺ - بعد ماجاء فى السورة السابقة (الصف) بشارة بمجيئه ﷺ - وانما الحكمة هى تزكية الانسان من أرجاس الشرك والمعصية ، وانجائه من ظلمة الجهل والضلالة بتعليم الكتاب السماوى والحكمة والعمل بما تعلّم لئلا يكون مثل هذا الانسان مثل حمار يحمل أسفاراً من غير فهم مافى حمله كاليهود حيث لم يحافظوا على شريعتهم ولم يعملوا بما تعلّموا ثم تأتى بحكم يتعلق بالجمعة يظهر بها الدين الاسلامى على الدين كله ولو كره المشركون .

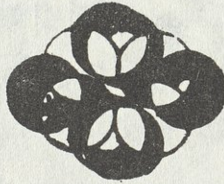
فعلى المسلمين السعى على حفظ هذه الشريعة ، والدفاع عنها بالتعليم و التعلم والعمل بها ، وانما الطريق الوحيد للحفظ و الظهور هو الاتحاد تشير إليه كلمة (الجمعة) و هذا هو الذى يتشكل و يبرز بتجمع أفراد المجتمع فى كل اسبوع يوماً لامتثال أمر الله تعالى وصلتهم بالله جل وعلا ، فيصيروا ابنياناً مرصوصاً بصلاة الجمعة ، و هى صلاة جامعة لاتصح الا جماعة ، و هى صلاة اسبوعية يتحتم أن يتجمّع فيها المسلمون ، ويلتقوا ويستمعوا إلى خطبة تذكرهم بالله تعالى ، وتربط قلوبهم وتتحد ضمائرهم ولسانهم وشعورهم وحركاتهم . . .

وان خطورة اجتماع يوم الجمعة الاجتماعية واضحة بالاضافة إلى خطورته الدينية حيث يجتمع المسلمون جميعهم فى مساجد المدن والقرى فى مشهد رائع عظيم ، فيذكرون اسم الله جل وعلا ، ويصلون له ويستمعون لوعظ الخطباء خطباً تتناول امور المسلمين العامة الحاضرة : اجتماعية ، واخلاقية ، و اقتصاديـة ، و

سياسية ، وحربية حثا وزجراً وتعليماً وارشاداً واخباراً واستشارة . . .

وحقاً يبرز بها البنيان المرصوص لايمكن الهدم ، ولايقبل التخريب اشير إليه فىسورة (الصف) .

فعلىالأمة الاسلامية الاهتمام بامرها و القيام بواجبها ، فانها من شعائرالله المعظمةالتى فىتعظيمهاوالاهتمام بامرها صلاح دنياهموآخراهم .



﴿النزول﴾

سورة الجمعة مدنية نزلت بعد سورة الصف ، وقبل سورة التغابن تحقيقاً ، وهي السورة التاسعة والمأة نزولا ، والثانية والستون مصحفاً ، وتشتمل على إحدى عشر آية ، سبقت عليها / ٥٩٢٦ آية نزولا و / ٥١٧٧ آية مصحفاً على التحقيق.

ومشتملة على / ١٨٠ كلمة ، وعلى / ٧٢٠ حرفاً ، وقيل : / ٧٤٨ حرفاً ، وقيل : / : ٩٢٠ حرفاً على مافي بعض التفاسير .

في أسباب النزول : للواحدي عن جابر بن عبدالرحمان قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت عير قد قدمت ، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه الا اثناعشر رجلا ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « وإذا رأوا تجارة أولهواً إنفضوا إليها وتركوك قائماً » .

وفيه : عن جابر بن عبدالله قال : كنا مع رسول الله ﷺ في الجمعة، فمرت عير تحمل الطعام ، فخرج الناس الا اثنى عشر رجلا ، فنزلت آية الجمعة .

وفي اسباب النزول: للسيوطي عن جابر قال : كان الجواري اذا نكحوا يمرون بالكير والمزامير ، ويتركون النبي ﷺ قائماً على المنبر ، وينفضون اليها فنزلت ـ الاية .

ثم قال السيوطي : وكأنها نزلت في الامرين معاً ـ أي قصة النكاح وقدوم العير .

وفي قرب الاسناد : عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : بينما رسول الله ﷺ قائما يخطب يوم الجمعة ، وكانت سوقاً يقال لها : البطحاء ، و كانت

بنوسليم تجلب إليها السبى و الخيل والغنم ، و كانت الانصار اذا تزوّجوا ضربوا بالكبر والمزمار ، واذا سمعوا ذلك خرج الناس اليهم ، وتركوارسول الله ﷺ قائما فعيّرهم الله عزوجل بذلك ، فانزل الله تعالى : « و اذا رأوا تجارة أولهواً انفضّوا إليها و تركوك قائماً قل ما عندالله خير من اللهو و من التجارة و الله خير الرازقين » .

و فى المجمع : وقال الحسن وابومالك أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام ، و النبى ﷺ يخطب يوم الجمعة ، فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع خشية أن يسبقوا إليه ، فلم يبق مع النبى ﷺ الاّ رهط ، فنزلت الآية فقال: والذى نفسى بيده لو تتابعتم حتى لايبقى احد منكم لسال بكم الوادى ناراً .

وفيه : و قال المقاتلان بينا رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبى ثم أحد بنى الخزرج ثم أحد بنى زيدبن منالاّ من الشام بتجارة ، و كان اذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق الاّ أتته ، وكان يقدم اذا قدم بكل مايحتاج إليه من دقيق أوبرّ أوغيره ، منزل عند أحجار الزيت ، وهو مكان فى سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه ، فيخرج إليه الناس ليتبايعوا معه ، فقدم ذات جمعة ، و كان ذلك قبل أن يسلم ، و رسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب .

فخرج الناس فلم يبق فى المسجد الاّ اثنى عشر رجلا وامرأة ، فقال ﷺ :لولا هؤلاء لسومت عليهم الحجارة من السماء وأنزل الله هذه الاية .

وقيل : لم يبق فى المسجد الاّ ثمانية رهط عن الكلبى عن ابن عباس .

وقيل : الاّ أحد عشر رجلا عن ابن كيسان .

وقيل : انهم فعلوا ذلك ثلاث مرات فى كل يوم مرة لعير تقدم من الشام ، و كل ذلك يوافق يوم الجمعة عن قتادة ومقاتل .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « وإذا رأوا تجارة أولهواً انفضوا اليها

كان رسول‌الله يصلي بالناس يوم الجمعة دخلت ميرة، وبين يديها قوم يضربون بالدفوف والملاهي، فترك الناس الصلاة، ومرّوا ينظرون إليهم، فانزل‌الله الاية.

وفي البرهان: بالاسناد من جابربن عبدالله قال: ورد المدينة عير فيها تجارة من الشام، فضرب أهل المدينة بالدفوف، و فرحوا و ضحكوا و دخلت، و النبي صلى الله عليه وآله يخطب يوم الجمعة، فخرج الناس من المسجد، و تركوا رسول ـ الله صلى الله عليه وآله قائماً ولم يبق معه في المسجد إلاّ إثنيعشر رجلا: علي بن ابيطالب عليه السلام منهم.

وفي المناقب: لابن شهرآشوب قدس سره عن ابن عباس في قوله تعالى «واذا رأوا تجارة اولهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً» ان دحية الكلبي جاء يوم الجمعة من الشام بالميرة، فنزل عند حجارة (احجار) الزيت، ثم ضرب بالطبول لتؤذن الناس بقدومه، فنفر الناس إليه إلاّ علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام وسلمان وابوذر والمقداد وصهيب، وتركوا النبي صلى الله عليه وآله قائماً يخطب على المنبر فقال النبي صلى الله عليه وآله لقد نظر الله يوم الجمعة إلى مسجدي، فلولا هؤلاء الثمانية (الفئة خ) الذين جلسوا في مسجدي لاضرمت (لانضرمت خ) المدينة على أهلها ناراً وحصبوا بالحجارة كقوم لوط ونزل فيهم: «رجال لاتلهيهم تجارة» الاية.

وفي المجمع: قال جابر بن عبد الله: أقبل عير ونحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله فانفضّ الناس إليها فما بقي غيراثني عشر رجلا أنا فيهم فنزلت الاية: «واذا رأوا تجارة أو لهواً»

وفي عوالي اللئالي: روى مقاتل بن‌سليمان قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب يوم الجمعة اذاقدم دحية الكلبي من‌الشام بتجارة، وكان اذا قدم لم يبق في المدينة عاتق الاّ أتته، وكان يقدم ـ اذا قدم ـ بكل مايحتاج إليه الناس من دقيق وبرّ وغيره ثم ضرب الطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج الناس فيبتاعون منه، فقدم ذات جمعة وكان قبل أن يسلم، ورسول الله صلى الله عليه وآله يخطب على المنبر فخرج الناس فلم يبق في المسجد إلا اثنا عشر، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لو لا هؤلاء

لسوّمت عليهم الحجارة من السماء وأنزل الله الاية فى سورة الجمعة .

أقول: قوله : « عاتق » العاتق : الجارية أوائل ما أدركت .

وفى البرهان : بالاسناد عن جعفر الاحمر بن سيار عن أبى عبدالله عليه السلام « واذا رأوا تجارة اولهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً » قال : انفضوا عنه الا على بن ابيطالب عليه السلام فانزل الله عزوجل : « قل ما عندالله خيرمن اللهو ومن التجارة والله خيرالرازقين» وغيرها من الروايات المختلفة فى عدد من بقى منهم فى المسجد بين واحد إلى أربعين نفراً وفى أكثرها : هم اثنا عشر رجلا .



﴿القرائة﴾

قرأ أبو العالية ونصر بن عاصم : « الملك » وما بعده بالرفع على الاستيناف أى هو الملك ، وقرء الباقون بالجر على النعت .

وقرأ الجمهور : « القدوس » بضمّ القاف ، وقرىء بفتحها ، وهما لغتان .

وقرأ حمزة وابو عمرو : « التوراة و« الحمار » بالامالة .

وقرأ الاعمش وعبدالله بن زبير : « الجمعة » بسكون الميم على التخفيف وهما لغتان ، وجمعهما : جمع وجمعات .

قال الفراء : يقال : « الجمعة » بسكون الميم ، و« الجمعة » بضمها وفتحها فيكون صفة اليوم أى تجمع الناس كما يقال : ضحكة للذى يضحك .

﴿الوقف والوصل﴾

« الحكمة ق » لوقف بعض العلماء و «مبين لا» للعطف أى وفى آخرين بهم ، و « لما يلحقوا بهم ط » لتمام الكلام ، و « من يشاء ط » لاستيناف الجملة الاتية و « أسفاراً ط » لتمام الكلام ، و « بآيات الله ط » لماتقدم ، و «أيديهم ط» كذلك .

« تعلمون ع » و « ذكر الله م » فيلزم الوقف لاختلاف وجهة الخطاب من الحث السابق ، والتنديد اللاحق و « البيع ط » لتمام الكلام ، و « تفلحون ى » لتمام عشر آيات ، و « قائما ط» لتمام الكلام ، و « التجارة ط » لاستيناف الجملة الاتية ، وتحتمل الحال .

﴿ اللغة ﴾

١٣- لحقاً و لحاقاً - ١٣٥٠

لحق به يلحق لحقاًولحاقاً - من باب علم - : أدركه فى زمان أو مكان ، ولحق إلى قوم كذا : لصق بهم ولزمهم ، ولحق به ولحقه : اتبعه ، لازم ومتعد و لحقه الثمن : لزمه ، ومنه لحقه الاثم .

قال الله تعالى :« وآخرين منهم لمايلحقوا بهم »الجمعة : ٣) أى لم يدركوهم فى زمانهم بعد ، أولم يعاصروهم بعد ، و سيأتون من بعدهم و تبلغهم دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال : « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم »آل عمران :١٧٠) أى بالذين لم يموتوا من بعدهم من إخوانهم بل ظلوا أحياء .

وفى دعاء زيارة القبور : « وانا إن شاء الله بكم لاحقون » .

وفى الحديث : « أسرعكن لحاقاً بى أطولكن يداً » .

ألحق الشيء : جعله مثله فى الحكم .

قال الله تعالى :«قل اروني الذين ألحقتم به شركاء » سباء : ٢٧) أى جعلتموهم مثله فى الالهية .

وقال : « ألحقنا بهم ذريتهم » الطور : ٢١) أى اتبنا ذريتهم مثلهم .

وقال : « وألحقنى بالصالحين » يوسف :١٠١) أى اجعلنى صالحاً مثلهم حتى احظى برضاك واحشر فى زمرتهم .

اللاحق : مايلى السابق ، ويقال للثمر بعد الثمر الاول : اللاحق ، جمعه : لواحق .

اللحاق ـ بالكسر ـ : غلاف القوس ، واللحق ـ محركة ـ : شيء يلحق بعد الاول ، جمعه : ألحاق .

الملحق ـ اسم مفعول ـ : الدعى الملصق .

وفى دعاء القنوت : «ان عذابك بالكافرين ملحق » و اسم الفاعل ـ : لاحق .

التحق به : لحقه ولصق به .

استلحق فلان فلانا : ادعاه ونسبه إلى نفسه .

تلاحقت المطايا : لحق بعضها بعضاً ، وتلاحقت الاخبار : تتابعت ، وتلاحقت أحوال القوم : تتابعت .

٢٥ ـ الندى والنداء ـ ١٥٠٠

نادى ينادى مناداة و نداء ـ من باب قاتل ـ : صاح ودعا .

وأصل النداء من الندى أى الرطوبة ، يقال : صوت ندى رفيع ، ثم استعير للصوت من حيث ان من كثير رطوبة فمه حسن كلامه ، ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق .

والندى ـ بالفتح والقصر ـ : المطر والبلل ، وما يسقط آخر الليل .

ويأتى للنداء معان آتية :

١ـ يقال : نادى الحيوان : صاح به وزجره ، والحيوان حين يزجر انما يسمع الصوت ، ولا يفهم معانى مفرداته .

قال الله تعالى : « ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بمالا يسمع الادعاء ونداء » البقرة ١٧١) النداء هنا صوت غير مفهوم المفردات .

وقال : « اولئك ينادون من مكان بعيد » فصلت : ٤٤) أى لا يفهمون مايلقى

إليهم ، واستعمال النداء فيهم تنبيه على بعدهم عن الحق .

٢ ـ النداء : الاذان من حيث انه دعاء إلى الصلاة .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة » .
الجمعة : ٩)

وقال : « واذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً » المائدة : ٥٨) النداء هنا : الاذان ، فان نداء الصلاة مخصوص فى الشرع بالالفاظ المعروفة .

ومنه : « سئلته عن النداء قبل طلوع الفجر » و «لوعلم الناس مافى النداء» أى لوعلموا فضل الاذان ، وفى حديث الدعاء : « اثنتان لاتردان عند النداء وعند البأس » أى عند الاذان وعند القتال .

٣ـ يقال : نادى من هومن ذوى العلم : وجّه إليه الخطاب ودعاه ، وأغلب ما يكون ذلك علانية مع رفع الصوت ، وقد يكون النداء خفياً ، وينادى العبد ربه تعالى ، فيدعوه بانواع الدعاء ، وينادى الله جل وعلا من شاء من عباده ، فيلقى إليه بعض الكلام .

ندا القوم يندون ندواً ـ واوىّ من باب نصر نحو قال ـ : اجتمعوا .

وندا فلان : حضر وجاد ، وندا الشىء : تفرّق ، فهو من الاضداد .

وندت الابل : خرجت من الحمض إلى الخلة .

ندى الشىء يندى ندا ً ونداوة وندوة ـ من باب علم ـ : ابتلّ .

وندت الارض : أصابها ندى ، وندى الصوت : بعد .

أندى الرجل انداءاً : كثر عطاؤه ، وقيل : حسن صوته وتسخى وتفضّل .

تنادى القوم تنادياً : اجتمعوا وحضروا النادى ، وتجالسوا فى النادى .

النادى : مجلس القوم حيث يجتمعون للحديث ، وانما يسمى نادياً ماداموا فيه ، فاذا تفرّقوا عنه فليس نادياً الاّ على سبيل التجوز ، واشتقاقه من قولهم: ندا القوم يندون : اذا اجتمعوا وجمع النادى : أندية وأنداء :

ومنه الحديث : « متعرض المقال فى أندية الرجال » أى مجالسهم .

و فى‌حديث أبى‌سعيد : « كنا أنداء فخرج علينا رسول الله أى كنا قوماً مجتمعين .

و يطلق النادى على‌القوم المجتمعين للحديث ، و هذا من التجوز باطلاق المحل على من‌يحل فيه .

قال‌الله تعالى: « تأتون فى‌ناد كم المنكر» العنكبوت : ٢٩) أى‌فى‌مجلسكم و قال : « فليدع ناديه » العلق : ١٧) أى‌الذين يجتمعون‌معه فى‌النادى .

الندى : النادى قال تعالى : « أى الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً » مريم : ٧٣) .

الندوة ـ بالفتح ـ : المرة ، والجماعة والاجتماع للمشورة ، و دار الندوة مكان بمكة كانوا يجتمعون فيها ، بناها قصى لانهم كانوا يجتمعون فيها .

والندوة ـ بالضم ـ : موضع شراب الخيل .

هو ندىّ الصوت : أى بعيده ، وندى الكف : جواد سخى وهى ندية ، و الأندى : اسم تفضيل‌يقال: فلان أندى من‌فلان اذا كان اكثرخيراً وفضلا وسخاء ومنه كقوله : « وأندى العالمين بطون‌راح » .

يقال : فلان أندى صوتاً من‌فلان اذا كان بعيد الصوت ، و هو كناية عن قوته و حسنه .

وفى‌الدعاء : «اللهم اجعلنى‌من‌الندى الاعلى » أى‌اجعلنى من‌الملاء الاعلى أى الملائكة .

تنادى القوم تنادياً ، نادى بعضهم بعضاً قال‌الله تعالى : « فتنادوا مصبحين » القلم : ٢١) .

يوم التناد : يوم القيامة ، واصله : التنادى فحذفت الياء ، وهذايوم ينادى أصحاب الجنة أصحاب النار والعكس .

فى المفردات: النداء رفع الصوت وظهوره ، وقديقال: ذلك للصوت‌المجرد واياه قصد بقوله : « الا دعاء ونداء » أى لايعرف الا الصوت المجرد دون‌المعنى

الذى يقتضيه تركيب الكلام ، ويقال : للمركب الذى يفهم منه المعنى .

٤٨- الجمع و الجمعة - ٢٦٤

جمع المتفرّق يجمعه جمعاً -من باب منع - لمّ الاشياء المتفرقة وضمّها بعضها إلى بعض ، ومثله أجمع .

وأكثر مايستعمل «جمع» فى الاعيان ، وأكثر مايستعمل «أجمع» فى الآراء.

الاجماع : اجتماع الآراء فى امر ، والاتفاق عليه .

قال الله تعالى : « فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى » طه : ٦٠) .

وقال : « قل ان الاولين و الاخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم » الواقعة : ٥٠) .

جمع أمره وأجمعه وأجمع عليه : اذا أقرّه وعزم عليه كأنه جعله جميعاً ، وأجمع القوم على امر : اتفقوا عليه .

قال الله تعالى : « فاجمعوا أمركم وشركاءكم » يونس : ٧١) .

واجمع المطر الأرض : سال رغابها وجهادها كله ، و أجمع زيد الابل : ساقها جميعاً .

جامعه على كذا : اجتمع معه و وافقه .

الجمع : مصدر جمع ، والجمع : الجماعة من الناس ، ويوم الجمع : يوم القيامة .

قال الله تعالى : « ان علينا جمعه وقرآنه » القيامة : ١٧) .

وقال: « قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون » الاعراف:٤٨).

أى جماعتكم و كثرتكم وقال : « يوم التقى الجمعان » آل عمران : ١٥٥) اى الجماعتان و قال : « لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه » الشورى : ٧) .

يوم الجمع : يوم عرفة ، أيام جمع : أيام منى .

يوم الجمعة : معروف وكان يسمى قبل الأسلام يوم العروبة ، وانماسمى: « الجمعة » لاجتماع الناس فيه للصلاة والخطبة .

قال الله تعالى: « ياأيها الذين آمنوا اذانودى للصلاة من يوم الجمعة» الجمعة٩)

جمع الجمعة : جمع وجمعات .

ومن اسماء الله الحسنى : « الجامع » لانه هو الذى يجمع الخلائق ليوم الحساب ، ويؤلف بين المتضادات والمتماثلات فى الوجود وقد جاء هذا اللفظ فى القرآن الكريم صفة لله تعالى قال حكاية : « ربنا انك جامع الناس لاريب فيه » آل عمران : ٩) على انه صفة لله جل وعلا .

والامر الجامع : هو الذى يقتضى أن يجتمع له الناس و يتعاونوا عليه قال تعالى : « و اذا كانوا معه على أمر جامع » النور : ٦٢) يراد به : الامر الذى يقتضى أن يجتمع له الناس .

جامع الكلم : ماقلّت ألفاظه و كثرت معانيه من الكلام ، جمعه : جوامع يقال : «فلان يتكلم بجوامع الكلم» و « أخذت محبته بمجامع قلبى» أى بجميع أجزائه ، و « حمدت الله تعالى بمجامع الحمد » أى بكلمات جمعت أنواع الحمد والثناء على الله جل وعلا .

و فى الحديث : « اوتيت جوامع الكلم » يعنى القرآن الكريم اذ جمع الله تعالى بفضله ولطفه معانى كثيرة فى الالفاظ اليسيرة من القرآن .

وفى وصف النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « انه كان يتكلم بجوامع الكلم » أى انه كان كثير المعانى قليل الالفاظ .

الجامعة : مؤنث الجامع ، و الجامعة : الغل لضرب من الحلى لانها تجمع اليدين إلى العنق .

و المجمع : موضع الاجتماع ، ومجمع البحرين : حيث يلتقيان .

قال الله تعالى : « واذقال موسى لفتاه لا ابرح حتى أبلغ مجمع البحرين »

الكهف : ٦٠) يريد به المكان الذى وعد فيه موسى عليه السلام للقاء الخضر عليه السلام وهو ملتقى بحرفارس و الروم ، و بحرالروم ممايلى المغرب وبحر فارس ممايلى المشرق .

الجميع : بمعنى الجمع من الناس ، قال الله تعالى: «تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » الحشر : ١٤) أى مجتمعين متساندين .

و يرد الحكم على الجميع باعتبار الافراد قال تعالى : « وان كل لما جميع لدينا محضرون » يس : ٣٢) الحكم فيه باعتبار الافراد .

وقد يرد الحكم فيه باعتبار المجموع قال تعالى : « وانا لجميع حاذرون » الشعراء : ٥٦) .

جميعاً : يؤتى بها لتوكيد معنى الجمع قال الله تعالى : «هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعاً » البقرة : ٢٩) .

وفي قوله تعالى : « لايقاتلونكم جميعاً » الحشر :١٤) هى توكيد او بمعنى مجتمعين .

وأجمعون وأجمعين : تأتيان للتوكيد .

قال الله تعالى : « فسجد الملائكة كلهم أجمعون » الحجر : ٣٠) .

وقال : « اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين» البقرة:٦١) .

الجماع : كناية عن المواقعة ، و الجماع : مصدر جامع ، و قدر جماع عظيمة ، و فى الحديث : « الخمر جماع الاثم » أى مجمعه ومظنته ، و فى حديث الحسين عليه السلام : « اتقوا هذه الاهواء فان جماعها الضلالة» وفى الحديث : «حدثنى بكلمة تكون جماعاً » .

الجماع : ماجمع عدداً أى كلمة تجمع كلمات ، وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه : « ولاجماع لنافيما بعد » أى لا اجتماع لنا .

الجماعة : الفرقة جمعها : الجماعات .

اجتمع القوم: انضم بعضهم إلى بعض حتى صاروا جمعاً .

قال الله تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » الاسراء : ٨٨) أى انضم بعضهم إلى بعض للتعاون على معارضة القرآن .

اجتمع الغلام : بلغ أشده واستوت لحيته ، ولايقال للجارية .

تجمّع القوم : انضموا من ههنا وههنا ، وقد كانوا متفرقين من قبل .

فى المفردات : الجمع : ضمّ الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال : جمعته فاجتمع .

وفى النهاية : فى حديث ابن عباس : «بعثنى رسول الله ﷺ فى الثقل من جمع بليل » جمع : علم للمزدلفة ، سميت بـه لان آدم عليه السلام و حواء لما اهبطا اجتمعا بها .

وفى اللسان : الجميع : ضدّ المتفرّق ، والجميع الحى المجتمع ، والجمعة مجلس الاجتماع ،والمجمعة : الارض القفر ، والمجمعة ما اجتمع من الرمال و هى المجامع .

والمسجد الجامع : الذى يجمع أهله ، نعت له لانه علامة للاجتماع ، وقد يضاف ، فيقال : مسجد الجامع .

جامعها مجامعة وجماعاً : نكحها، والمجامعة والجماع : كناية عن النكاح والجمعة ـ مثلث الميم : الضم والفتح والسكون ـ : يوم معروف .

وان كعب بن لوىّ جد نبينا محمد ﷺ أولّ من سمى يوم العروبة و هو أوّل من جمّع الناس فى هذا اليوم ، ولم تسمّ العروبة بيوم الجمعة قبل الاسلام ، فلما جاء الاسلام سماها الجمعة .

و كانت قريش تجتمع فى هذا اليوم فيخطبهم و يذكرهم بمبعث النبى و يعلمهم انه من ولده ويأمرهم باتباعه ﷺ والايمان به .

وأجمع : من الالفاظ الدالة على الاحاطة ، وليست بصفة ولكنه يلمّ به ما قبله من الاسماء ، ويجرى على اعرابه ، فلذلك قال النحويون صفة

والدليل على انه ليس بصفة قولهم : أجمعون ، فلو كان صفة لم يسلم جمعه ولكان مكسّراً ، والانثى جمعاء .

وأجمعون جمع أجمع ، و أجمع واحد فى معنى جمع ، وليس له مفرد من لفظه .

ومجمع - بتشديد الميم - : لقب قصى بن كلاب سمى بذلك لانه كان جمّع قبائل قريش ، وأنزلها مكة وبنى دار الندوة .

و فى القاموس وشرحه : الجميع : الجيش ، والجميع : الحلى المجتمع .

وفى الكشاف : الجمعة بالسكون - الفوج المجموع .

٢٤- الوذر - ١٦٥٧

وذره يذره وذراً - من باب علم نحو وعد - : قطعه و وعده وتركه أوألقاه لايعتنى به .

والامر : ذر قال الله تعالى : « وذروا البيع ذلكم خيرلكم » الجمعة: ٩).

وانما يستعمل من هذه المادة المضارع والامر تقول : هو يذر قول السوء ، وذر مالايطمئن إليه قلبك ، وقد يحذف المفعول للعلم به من المقام .

قال الله تعالى : « أتذر موسى و قومه ليفسدوا فى الارض » الاعراف : ١٢٧) والوذر جمع وذرة وهى القطعة من اللحم - مثل تمرو تمرة - و تسميتها بذلك لقلة الاعتداد بها ، يقال فيما لايعتد به : هو لحم على وضم .

وفى الحديث : « فاتينا بثر يده كثيرة الوذر » أى كثيرة قطع اللحم .

وفيه : « شر النساء الوذرة المذرة » هى التى لاتستنجى عند الجماع .

فى المفردات : يقال : فلان يذر الشيء أى يقذفه لقلّة إعتداده به و لم يستعمل ماضيه .

و فى القاموس وشرحه : الوذرة - بالفتح والسكون - : القطعة الصغيرة

من اللحم لاعظم فيها .

٤٢- الفض -١٦١١

فضّ الشيء يفضّه فضاً - من باب نصر نحو مدّ - : كسره متفرّقاً ، وفضّ القوم : فرّقهم ، يقال : « فضّ الله جمعهم » و «فضّ الله فاه» أى كسره ونثر أسنانه

انفضّ الشيء : انكسر ، وتفرّق ، وانفضت الدموع : انصبت كأنها كانت مختومة فانفض ختامها ، وافتضّ الماء : صبّه شيئاً بعد شيء .

من الحسّي فضض الحصى : ما تفرّق منه ، والفضّ : تفريق وتجزءة ، ففضت الشيء : فرّقته ، ومنه فضّ الختم عن المختوم ، ويجيىء منه الفضاض : الواسع ، ويستعمل فى التفرق المعنوى ، والفضة من المادة ، ولاحاجة لما يلتمس فى بيان أصلها من تهافت القول .

والفض : كسر الشيء والتفريق بين بعضه وبعضه كفض ختم الكتاب ، وعنه استعير انفض القوم .

وورد الماضى والمضارع من التفرق فى قوله تعالى : « واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائما » الجمعة : ١١) .

وقوله : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » آلُ عمران : ١٥٩) أى لتفرقوا .

وقوله : « حتى ينفضوا » المنافقون : ٧) .

المفضوض : المكسور ، ومنه حديث معاذ فى عذاب القبر: « حتى يفض كل شيء منه » و كل شيء كسرته وفرّقته فقد فضضته وطارت عظامه فضاضاً ، وفضاضاً اذا تطايرت عند الضرب . والانفضاض : التفرق فى عجلة وفى غير انتظام .

الفاضة : الداهية ، جمعها : فواض .

الفضة : جوهر معروف ابيض نقىّ اختص بادون المتعامل به من الجواهر.

قال الله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » التوبة : ٣٤) .

فى النهاية : ومنه حديث عائشة : « قالت لمروان : ان النبى لعن آباك و أنت فى صلبه ، وأنت فضض من لعنة الله » أى قطعة وطائفة منها .

وفى اللسان : الفض : تفريقك حلقة من الناس بعد اجتماعهم يقال : فضضتهم فانفضوا أى فرقتهم ، و كل ما انقطع من شىء او تفرق : فضض ، وشىء مفضّض مموّه بالفضة او مرصّع بالفضة ، والفضيض من النوى : الذى يقذف من الفم .

﴿ النحو ﴾

١ - (يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم)

« يسبّح » فعل مضارع من باب التفعيل و « لله » مفعول لاجله ، وقيل اللام زائدة جيئت للحصر و « ما » موصولة فى موضع رفع على الفاعلية لفعل التسبيح ، و « فى السموات » متعلق بمحذوف وهو صلة الموصول ، « وما فى الارض » عطف على ما قبله ، و « الملك » وما بعده نعت بعد نعت من « لله » .

٢ - (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)

« هو » مبتدأ ، و « الذى » موصولة ، و « بعث » فعل ماض فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى الموصول ، والجملة صلة الموصول ، وجملة الموصول وصلته فى موضع رفع خبر المبتداء ، و « فى الاميين » متعلق بفعل البعث ، و « رسولا » مفعول به ، و « منهم » فى موضع نصب لانه نعت من « رسولا » و « يتلوا » فى موضع نصب ، نعت ثان من « رسولا » و « عليهم » متعلق بفعل التلاوة ، و « آياته » جمع آية مفعول به لفعل التلاوة والضمير راجع إلى الموصول .

« و يزكيهم » فعل مضارع من باب التفعيل ، والضمير فى موضع نصب مفعول به راجع إلى « الاميين » والجملة عطف على « يتلوا » و « يعلمهم » عطف أيضا على « يتلوا » والضمير مفعول به الاول و « الكتاب » مفعول ثان « والحكمة » عطف على ماقبله ، « وإن كانوا » وصلية ، وقيل : مخففة من « انْ » و « من قبل » مبنى

لتقدير المضاف إليه أى من قبل بعثة الرسول ﷺ و «لفى ضلال» اللام للتاكيد، و المجرور متعلق بمحذوف خبر لفعل الناقص ، و « مبين » نعت من « ضلال » .

٣ - (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم)

فى « آخرين » وجهان: أحدهما ـ النصب عطفاً على ضمير الجمع فى « يعلمهم » ويحتمل أن يكون منصوباً حملا على معنى « يتلوا عليهم آياته » لكونها فى موضع نصب نعت من « رسولا » .

ثانيهما ـ الجر على انه صفة لمحذوف معطوف على « الاميين » فالتقدير : بعث فى الاميين رسولا منهم وفى قوم آخرين ، و « من » فى «منهم» للتبيين ، و قيل : للتبعيض والضمير راجع إلى « الاميين » و «لما» حرف ترد لاستمرار نفى الفعل فى الزمان الماضى إلى زمان الحال يتوقع حصول الفعل المنفى فى المستقبل و «يلحقوا» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب مجزوم بحرف «لمّا» وضمير الفاعل راجع إلى «آخرين» و « بهم » متعلق بفعل اللحاق والضمير راجع إلى «الاميين» والجملة فى موضع نصب أوجرّ صفة من « آخرين » .

« و هو » الواو للاستيناف ، و « هو » مبتداء راجع إلى «الذى» و يحتمل أن يكون عطفاً على « هو » المتقدم ، و « العزيز » خبره و « الحكيم » خبر بعد خبر ويحتمل النعت .

٤ - (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

« ذلك » مبتداء ، و « فضل الله » خبره ، و « يؤتيه » فعل مضارع من باب الافعال ، وفاعله الضمير المستتر فيه ، راجع إلى « الله » وضمير الوصل فى موضع نصب ، مفعول به الاول ، و «من» موصولة فى موضع نصب مفعول ثان ، و « يشاء » صلة الموصول على حذف العائد و الجملة تمامها فى موضع جرّ ، نعت من «الله» .

« والله » الواو للاستيناف ، و « الله » مبتداء ، و « ذو » خبره أضيف إلى « الفضل » و « العظيم » نعت من « الفضل » .

٥ - (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً

بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين)

« مثل الذين » مبتداء ، و « حملوا » فعل ماض مبنيّ للمفعول من باب التفعيل ، و « التوراة » مفعول ثان ناب مناب مفعول به الاول الذى ناب مناب الفاعل لبناء الفعل للمفعول ، و « ثم » للتراخي الزماني ، و « لم يحملها » عطف على « حملوا » و الضمير « ها » راجع إلى « التوراة » ، و « كمثل الحمار » في موضع رفع خبراً للمبتداء ، و « يحمل » في موضع نصب حالا من « الحمار » و عامل الحال معنى المثل ، والتقدير: كمثل الحمار حاملا أسفاراً، وذهب الكوفيون إلى أن «يحمل» صلة لموصول محذوف ، فالتقدير: الذى يحمل، فحذف الموصول والبصريون يمنعون حذف الموصول .

و « أسفاراً » جمع قلة من سفر مفعول به ، و « بئس » من أفعال الذم ، و « مثل القوم » فاعل الفعل ، و في موضع « الذين » وجهان : أحدهما ـ الجر نعتاً من « القوم » فالمخصوص بالذم محذوف أى هذا المثل اومثلهم .

ثانيها ـ الرفع على تقدير: بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا ، فمثل المحذوف هو المخصوص بالذم ، وقد حذف واقيم المضاف إليه مقامه ، و « كذبوا » فعل ماض من باب التفعيل ، صلة الموصول .

« والله » الواو للاستيناف ، و « الله » مبتداء ، و « لايهدى » فعل منفى فى موضع رفع خبر المبتداء ، و « القوم » مفعول به و « الظالمين » نعت من «القوم»

٦ ـ (قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين)

« قل » فعل أمر خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و « هادوا » فعل ماض لجمع المذكر الغائب نحو قالوا فان أصله ، هودوا ، و « ان » حرف شرط ، و « زعمتم» فعل الشرط ، و «انكم اولياء لله » سدّ مسدّ المفعولين ، و «فتمنوا » الفاء جزائية، ومدخولها فعل أمر من باب التفعل ، و « الموت » مفعول به .

٧ ـ (ولايتمنونه أبداً بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين)

الواو للحال ، « لايتمنونه » فعل مضارع منفى من باب التفعل ، و الضمير فى موضع نصب مفعول به ، و « أبداً » ظرف زمان لاستغراق النفى ، ولا فرق بين «لا » و «لن » فى نفى المستقبل الآ ان فى «لن» تاكيداً وتشديداً فى النفى ، ويدل على استمرار النفى ، وليس هذا فى « لا » ولكن اذا قيدت بكلمة «ابداً» تدل على معنى « لن » وأتى الله تعالى بكلتا الكلمتين بقوله : « ولن يتمنوه أبداً » البقرة : ٩٥) و«بما» الباء سببية، ومدخولها موصولة و « قدمت » فعل ماض من باب التفعيل و «ايديهم» جمع يد ، و هى فاعل الفعل ، و ضمير الجمع راجع إلى اليهود ، و الجملة صلة الموصول على حذف العائد أى بما قدمته .

«والله» الواو استينافية ، و «الله » مبتداء ، و «عليم» خبره ، و «بالظالمين» متعلق بعليم .

٨- (قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بماكنتم تعملون)

« الذى » نعت من «الموت » وجملة « فانه ملاقيكم» فى موضع رفع لانها خبر « ان » ، وفى الفاء وجهان : أحدهما ـ أن تكون زائدة لان الفاء انما تدخل اذا وقعت فى خبر « الذى » و ههنا لم تقع فى خبر « الذى » و انما وقعت خبراً لموصوفها ، وهو « الموت » .

ثانيهما ـ انها غير زائدة لان « الذى » لماجرى وصفاً لما وقعت خبراً عنه والوصف فى المعنى هو الموصوف ، جاز أن تدخل الفاء فى خبر «الذى» اذا وصل بفعل لمافيه من الابهام فاشبه الشرط فدخلت فى خبرها الفاء كماتدخل فى الشرط ، و يحتمل أن يكون « الذى تفرون منه » هو الخبر ، و تكون الفاء جوابا للجملة كقولك : زيد عالم فاكرمه .

«فينبئكم» الفاء تفريعية ، ومدخولها فعل مضارع من باب التفعيل ، وفاعل الفعل هو الله تعالى يدل عليه عالم الغيب والشهادة ، وضمير الخطاب فى موضع نصب مفعول به، و« ما » فى « بما » موصولة ، و « تعملون » فى موضع نصب خبر لفعل

الناقص « كنتم » والجملة صلة الموصول على حذف العائد أى تعملونه او تعملون به.

٩ - (يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله و ذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)

« نودى » فعل ماض مبنى للمفعول من باب المفاعلة ، و «من» فى «من يوم الجمعة » بيانية وقيل : بمعنى «فى» و « الجمعة » بضم الميم بناءاً على الاصل ، و بفتحها بناءاً على نسبة الفعل إليها كأنها تجمع الناس ، و على انها بمعنى الفاعل أى يوم المكان الجامع ، وبسكونها بناءاً على التخفيف وعلى انها مصدر بمعنى الاجتماع .

« فاسعوا » الفاء جزائية ، و مدخولها فعل أمر ، « وذروا » فعل أمر عطف على « فاسعوا » و « البيع » مفعول به ، و « ذلكم » مبتداء و « خير » خبره ، و الجملة جزاء مقدم للشرط المتأخر ، و « تعلمون » فى موضع نصب ، خبر لفعل الناقص « كنتم » على حذف المفعول أى تعلمون ذلك حذف لدلالة المتقدم عليه .

١٠- (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض و ابتغوا من فضل الله و اذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)

« فاذا » الفاء تفريعية ، « قضيت » فعل ماض مبنى للمفعول ، و « الصلاة » نابت مناب الفاعل اللام للعهد أى الصلاة التى تقدم ذكرها وهى التى وجب السعى إليها و « فانتشروا » الفاء جزائية ومدخولها فعل أمر من باب الانفعال ،و«ابتغوا» فعل امر من باب الافتعال ، و أصله ابتغيوا ، فنقلت ضمة الياء إلى الغين لثقلها عليها ، فحذفت كسر الغين ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين ،و « اذكروا» عطف على« فانتشروا » و « الله » مفعول به ، و« كثيراً »نعت لمصدر محذوف أى ذكراً كثيراً والدليل عليه قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً» الاحزاب : ٤١) .

« لعل » حرف ترج تختص بالممكن ، و ضمير الوصل فى موضع نصب ، اسم لحرف الترجى ، و « تفلحون » فعل مضارع لخطاب الجمع المذكر من باب

الافعال فى موضع رفع ، خبرها .

١١ـ (واذا رأوا تجارة اولهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً قل ماعند الله خيرمن اللهو و من التجارة والله خيرالرازقين)

فى إفراد الضمير وتأنيثها فى « إليها » وجوه :

أحدها ـ ان الضمير تعود إلى التجارة لانها كانت أهم عندهم .

ثانيها ـ ولم يقل : « إليهما » اكتفاء بالثانى عن الاول .

وأنشد للانصارى :

نحن بما عندنا و انت بما عندك راض والرأى مختلف

ولم يقل : بما عندنا راضون .

ثالثها ـ كنى عن أحدهما دون الاخر للعلم بانه داخل فى حكمه كقوله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها » التوبة : ٣٤) .

وقوله : « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة » البقرة: ٤٥) .

﴿ البيان ﴾

١ - (يسبح لله ما فى السموات و ما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم)

ان الاية الكريمة مطلع تمهيدى برهانى لمابعدها ، تحتوى تقرير خضوع كل من فى السموات و كل من فى الارض لله جل وعلا ، وتقديسهم له ، و هو العظيم القدسية ، العزيز الحكيم ، وفى تكرير الموصول « ما » للشمول و الاستغراق لما سوى الله تعالى وفى ذكر « ما » دون « من » تغليب للاكثر .

وفى افتتاح العديدة من السور القرآنية تارة بالمصدر ، وأخرى بالماضى ، وثالثة بالمستقبل ، ورابعة بالامر إشارة إلى نزاهة ذاته المتعال عن كل ما لايليق بساحة قدسه من العيوب و النقائص . . . فلابد لخلقه ان ينزهه عنه فى الازمنة الثلاثة كلها . . .

و فى الصفات الأربعة المتعقبة ـ الملك ، القدوس ، العزيز ، الحكيم ـ من اللطائف على طريق البرهان والاستدلال حيث ان الاولى تختصّ بالحكم فى نظام المجتمع البشرى و فى نظام التكوين ، والثانية تبالغ فى نزاهة الحاكم و طهارته عن كل نقص و عيب ، والثالثة تشير إلى قوة الحاكم و إنفاذ أمره ، و الرابعة تنبّه على ان هذا الحاكم الغالب لايفعل عن جهل ولا يحكم عن جزاف .

فنظام التكوين والتشريع فى حاجة إلى هذا الحاكم ، فيحكم فى أهل مملكته وعليهم إن يسبحوا له كل بحسبه .

٢- (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم

و يعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)

تقرير لما فعل الحكيم في نظام التشريع من ارسال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و تقرير لحكمة البعث ومنهج دعوته لهم على طريق وصف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بصفات المدح و الكمال وهي ثلاث : احدها ـ أن يتلوا على مبعوث عليهم آيات قرآنية فيها هدايتهم وسعادتهم لخير الدارين .

ثانيها ـ أن يطهرهم من أرجاس الشرك والمعصية ، و من أدناس الطغيان والضلالة ومن سوء اخلاق الجاهلية ، فيجعلهم منيبين إلى الله تعالى ، مخبتين إليه في أعمالهم واقوالهم ، وعابدين له وحده من غير خضوع لسلطة مخلوق غيره من ملك اوبشر اوحجر . . .

ثالثها ـ ان يعلمهم الكتاب والحكمة .

ولايخفى : ان الصفتين الأخيرتين مترتبتان في الوجود على التلاوة ، و انما وسط بين التلاوة والتعليم بالتزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العلمية ، وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الأمور المترتبة نعمة عظيمة جليلة على حيالها ، مستوجبة للشكر ، فلوروعي ترتيب الوجود لتبادر إلى الفهم كون الكل نعمة واحدة .

وهذا هو السرّ في التعبير عن القرآن الكريم بالايات تارة ، وبالكتاب تارة اخرى وبالحكمة ثالثة رمزاً إلى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حده .

وفي هذه دعوة إلى هذا الدين أن يستمع لكتابه السماوي ، و يتزكّى و يتعلم مافيه من المعارف والحكم ، فانه كتاب جامع لكل ما في الكتب السماوية ومايحتاج إليه المجتمع البشري إلى يوم القيامة، وانه موطن العلم ومعدن الحكمة فلابد للانسان تجاه هذه النعمة العظيمة أن يسبح لله تعالى وينزهه عن كل مالا يليق بساحة قدسه ويحمد ربّه .

وفي قوله تعالى: « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم » امتنان على الامة

العربية ، وردّ على اليهود وابطال لدعواهم : ان الله سبحانه اختارهم على العالمين واختصّهم بفضله واحسانه ، وانهم هم الذين خاطبتهم السماء وبعثت فيهم الرسل وانزلت عليهم الكتب . . .

و أما غيرهم من سائر الامم فلم يكونوا أهلا ، ولا يكونون يليقين لأن يخاطبوا من الله تعالى ، وان يتلقوا رسالته ، وهم يريدون بذلك كله أن يمتازوا على الناس ويسجّلوا عليهم سيادتهم ليستثمروهم كما ان هذا هو دأب اليهود و أذنا بهم المسكينة الذليلة فى كل وقت وعصر .

وفى قوله تعالى : « رسولا منهم » إشارة إلى أن هذا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذى بعثه الله تعالى إلى العرب كان واحداً منهم ، ولم يكن من أهل الكتاب ، فكانوا هم أهلا لان يختار منهم رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

و قد قدّم التزكية ههنا على تعليم الكتاب و الحكمة بخلاف ما فى دعوة ابراهيم عليه السلام فى قوله تعالى : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » البقرة : ١٢٩) .

و ذلك لان هذه الاية (آية الجمعة) تصف تربية النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لمؤمنى امته ، والتزكية مقدمة فى مقام التربية على تعليم المعارف والعلوم الحقة والحكم الالهية ، وأما فى دعوة ابراهيم عليه السلام فانها دعاء وسؤال أن يتحقق فى ذريته هذه الزكاة ، وان العلم بالكتاب والحكمة والعلوم والمعارف أقدم مرتبة وأرفع درجة فى مرحلة التحقق والاتصاف من الزكاة الراجعة إلى الاعمال والاخلاق . . . كما قيل :

وقوله تعالى : « و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » تقرير لحال العرب حين جاءهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وبيان لشدة افتقارهم إلى من يرشدهم ، و ازاحة لمن عسى أن يتوهم من تعلّمه صلى الله عليه وآله وسلم من الغير .

٣ - (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم)

تقرير لعدم اقتصار بعثة النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم على الحاضرين منهم ، و بيان

لشمولها لاناس و أجيال من الناس لم يلحقوا بهم بعد ، وفى ختام الاية من الوعد و والوعيد والتعليل لعموم البعثة مالايخفى فتامل .

وانما قال : « منهم » لانهم اذا آمنوا صاروا منهم فان المؤمنين إخوة و كلهم يد واحدة على من سواهم وامة واحدة وان اختلف اجناسهم كما قال تعالى: « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض » ومن لم يؤمن بالنبى ﷺ فانهم ليسوا ممن عناهم الله تعالى بقوله : « و آخرين منهم » و ان كان مبعوثاً إليهم بالدعوة لقوله سبحانه : « ويزكيهم ويعلمهم » و من لم يؤمن فليس ممن زكاه و علمه القرآن والحكمة .

٤ - (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم)

فى الاشارة البعيدة مع قرب المشار إليه تفخيم لشأنه وترفيع لدرجته كما تدل عليه إضافة « فضل » إلى « الله » وان ختام الاية فى موضع تعليل .

وان الايات الثلاث - ٢ - ٤ - مسوقة سوق الامتنان ، و تقرير لما كان من عناية الله جل وعلا بالعرب ، وتنويه بفضله عليهم فى تكريمهم بارسال نبيه ﷺ العربى و كتابه العربى ، وتشريف لغيرهم من هذه الامة المسلمة ممن سيلحقون بهم بكونهم امة نبى ﷺ هو خاتم الانبياء و سيد المرسلين ، و باتباعهم دينا يظهره الله تعالى على الدين كله ، و كتاباً لامثيل له .

وفى ذلك كله تلقين قوى بما يجب على هذه الامة الاسلامية كافة من اخلاص واستمساك شديدين بدين الله تعالى و كتابه ، ومن دفاع عن هذا التراث المجيد ، وحفظه نقياً صافياً ظاهراً شكراً لله جل وعلا على ما كرمهم به ، ولهم بهذا الدين الكامل وبهذا الكتاب المحكم قوة السلطان الروحى بين جميع امم الارض : «انتم الاعلون إن كنتم مؤمنين - سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله » آل عمران : ١٣٩ - ١٥١).

٥- (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين)

تنديد لاذع باليهود، فقد آتاهم الله تعالى التوراة، وأمرهم بالسير عليها، وتدبر مافيها وتنفيذه، فلم يقوموا بحقها وانحرفوا عنها، و كتموا مافيها من نعت نبى آخر الزمان، فضيّعوا هذه الامانة السماوية و خانوها حيث غيّروها كما اشتهوا و اشتروا بها ثمناً قليلا ولم ينتفعوا بها فتعلّموا ولم يعملوا بها، فمثلهم كمثل الحمار الذى يحمل كتباً لانه لاينتفع بمافيها.

وقوله: « بئس مثل القوم الذين » الخ تقبيح لحال اليهود.

و حقا بئست حالة قوم مثلهم مثل الحمار بانحرافهم عن طريق الهدى و تركهم العمل بما فى كتابهم السماوى فهم لن ينالوا توفيق الله جل وعلا وتسديده لان الله تعالى لايوفق الظالمين أمثالهم.

ان قلت: كان الحرى أن يقال: « كمثل الحمير» بالجمع ليوافق الجمع فى قوله تعالى « أسفاراً ».

قلت: اريد بالافراد الجنس، ومن المحتمل أن يكون الجمع « اسفاراً » باعتبار تنوع مافى الكتاب من الحقائق و المعارف و الاحكام والحدود لا باعتبار تعدد نفس الكتاب وتنوعه.

٦- (قل ياأيها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين)

أمر للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بتحدى اليهود والاحتجاج عليهم - يظهر بذلك كذبهم فى دعواهم انهم اولياء الله سبحانه و أحباؤه - بانهم لو كانوا صادقين فى زعمهم انهم اولياء الله، وأصحاب الحظوة عندالله جل و علادون سائر الناس، فليتمنوا الموت الذى يقربهم إلى الجزاء الاخروى العظيم الذى تتمنى النفس به.

قيل: وفى قوله: « أولياء لله » من غير إضافة إشارة إلى انه دعوى منهم من غير حقيقة.

٧- (ولايتمنونه ابداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين).

تقرير لحقيقة واقع اليهود ، و بيان للعلة التى من أجلها تحرص اليهود على الحياة الدنيوية ، وتفزع من الموت ، فتخاف المصير الرهيب لما يعلمون من أنفسهم انهم على ضلال ، و انهم لن يجدوا فى الاخرة الآ البلاء و الهوان بسبب مااقترفوه ، و قدموه بين أيديهم من الآثام و سوء الاعمال ، و تدسيتهم أنفسهم بالمعاصي والشرور ...

شأنهم فى هذا شأن ابليس الذى يعلم أن مصيره إلى عذاب النار والخلود فيها.

« بما قدمت أيديهم » كناية عن الكفرو الطغيان و الانحراف عن سبيل السواء ، وعما فرط منهم من الاعمال السيئة والقبائح المجترمة ، ونسب الله تعالى تلك الافعال إلى الايدى لغلبة الايدى على الاعمال ، و ان كان فيها مايعمل بالقلب واللسان .

وفى ختام الاية من تعميم الحكم و تعليقه ، ومن التهديد و الوعيد الشديد مالايخفى على القارىء الخبير ، وفى الاية ابطال لما ادعت اليهود : انهم اولياء الله تعالى وأخصائه .

٨- (قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

إنذار و وعيد لليهود بان الموت الذى تخافونه و تتهربون منه لامحالة يلاقيكم ، وانكم لراجعون إلى الله تعالى ، وتنبئّون بما عملتم وتحاسبون عليه .

وان الايات الاربع تكذب اليهود فيما قالوه ـ : ان الله جعل النبوة فيهم خاصة وانكروا بناء على ذلك نبوة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لانه عربى على ماأشارت إليه الايات السابقة وغيرها ـ و تنددبهم و تتحداهم و تفحمهم باسلوب قوى نافذ ولاذع ، وانما قال : « فانه ملاقيكم » بالكفاء سواء فرّوا منه ام لافانه ملاقيهم مبالغة ـ فى الدلالة على انه لاينفع الفرار منه لانه اذا كان الفرار بمنزلة السبب فى ملاقاته فلا معنى للتعرض للفرار لانه لايباعد منه وإلى هذا المعنى أشار الامام على عليه السلام فى قوله : كل امرىء لاق مايفرّ منه والاجل مساق النفس والهرب

منه موافاته .

٩- (ياايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكرالله و ذروا البيع ذلكم خيرلكم ان كنتم تعلمون)

امر موجه للمؤمنين كافة من الحاضرين و اللاحقين بالسعى الى ذكرالله تعالى وترك البيع لاقامة صلاة الجمعة حينما يؤذن المؤذن و ينادى الصلاة يوم الجمعة ، وفي الاية تأكيد لايجاب صلاةالجمعة ، وتحريم البيع عند حضورها .

وفى تقديم ذكرالله تعالى على ترك البيع تنبيه على ان ذكرالله تعالى يحث الانسان على ترك البيع واقامة صلاة الجمعة ، وان كان المراد من الذكر: الخطبة والصلاة من باب تسمية الشيء بأشرف أجزائه .

ان قلت : كيف قال الله تعالى : « فاسعوا إلى ذكر الله » والسعى : هو العدو ،والعدوإلى صلاة الجمعة وإلى كل صلاة مكروه؟

والجواب : ان المراد بالسعى : هو القصد والعزم حثاً على العمل ، فليس هو السعى على الاقدام كقوله تعالى : « وان ليس للانسان ما سعى » وفى دعاء القنوت : « واليك نسعى ونحفد » فعبّر بالسعى الذى يفيد المبالغة في الذهاب للمبالغة في الفعل وعدم الترك اذروى ان المستحب هوالرواح إلى الصلاة بالسكينة والوقار لابالسرعة .

وقوله تعالى : « وذروا البيع » خاص ولكنه عام حقيقة لكل مايذهل عن ذكر الله ولعل سبب التخصيص : ان أهل القرى عندئذ يجتمعون من كل أوب فى السوق وأغلب اجتماعهم على البيع والشراء .

« ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » فى بعد الاشارة تفخيم لما دعوا إليه فعلا وتركا ، وفي الجملة حث وتحريض للمؤمنين على ما امروا به من الصلاة و ترك ما نهوا عنه من البيع .

١٠- (فاذا قضيت الصلاه فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله و اذكروالله كثيراًلعلكم تفلحون)

تقرير لاباحة ما يفعل المؤمنون بعد الصلاة من الانتشار فى الارض وابتغاء فضل الله تعالى بالكسب والعمل، فان الامر الواقع بعد الحظر يفيد الاباحة و الجواز دون الوجوب.

وفى قوله تعالى: «واذكروا الله كثيراً» إشارة إلى أن المرء لاينبغى أن يغفل عن ذكر ربه فى كل حال كما قال: «رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله» فالمراد بالذكر أعم من الذكر اللفظى، فيشمل ذكره تعالى قلباً بالتوجه إليه جل وعلا باطناً.

«لعلكم تفلحون» فى الجملة من الوعد والوعيد، وتعليق الفلاح على الذكر اطلاقاً ما لايخفى.

١١ - (واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين)

تنديد شديد بفريق من المؤمنين الذين كانوا يتركون النبى الكريم ﷺ قائماً فى المسجد يوم الجمعة، وعتاب عليهم لما كان منهم الانصراف عن الخطبة والعظات، فيخرجون اذا ما رأوا وسمعوا بتجارة أو لهو، وكانوا يغفلون بذلك عن ان ما عند الله تعالى هو خير من اللهو والتجارة وانه خير الرازقين.

وفى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة تاكيد مما يفيد السياق من التنديد والعتاب واستهجان الفعل بالاعراض عن تشريفهم بالخطاب وتركهم فى مقام الغيبة لايواجههم ربهم بوجهه الكريم.

وفى تقديم ذكر التجارة على ذكر اللهو أولا لفرط محبتهم لها على الصلاة، وتأخيرها عنه ثانياً لمزيد مقت الله جل وعلا ومزيد عنايتهم به حتى انهم آثروه على الصلاة الواجبة، وقيل: قدمت التجارة فى صدر الآية لتقدمها على اللهو فيما يبتغيه الانسان لصالح حياته وتأخرت فى ذيلها لكى تثبت ان ما عند الله خير وحتى من التجارة لا من اللهو فقط.

وهذا هو التوازن الذى يتسم به المنهج الاسلامى ويمتاز عن سائر المناهج

توازناً بين متطلبات الحياة الارضية الجسدانية ، وما يوجب من الحياة الروحية السماوية ، متداخلين مع بعض ، ومتآزرين مع بعض ، اومتلاحقين .

وتكرير « من » للتأكيد .

وقوله تعالى : « قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة » ترغيب لهم فى سماع الخطبة والعظات .

وفى « والله خير الرازقين » حث على تجارة الاخرة وعلى تيقن ان لارازق بالحقيقة الا الله جل وعلا .



«الاعجاز»

ولقد سبق مراراً ان اعجاز القرآن الكريم ليس مقصوراً فى فصاحته وبلاغته، ولا فى نظمه واسلوبه . . . وقد ثبت ان من إعجازه اخباره بالغيب .

و من الاخبار : قوله تعالى : « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم » الجمعة : ٣)
اذ فيه إشارة بظهر الغيب إلى هؤلاء الاخرين الذين سيلحقون بالعرب فى دخول الاسلام ، ولم يكونوا داخلين عند نزول هذه الاية .

وقد روى : ان بعض أصحاب النبى الكريم ﷺ سئلوه عن هولاء الاخرين و كان فيهم سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه ، فوضع النبى ﷺ يده على سلمان ، ثم قال : « لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء » .

والاشارة هنا هى الفرس : قوم سلمان الفارسى، والمراد بكون الايمان عند الثريا وتناول الفرس له : ان الاسلام سيدخل فيه من كان بعيداً عن موطن الدعوة بعد الثريا ، وهذا يعنى امتداد رفعة الاسلام ، وامتداد سلطانه فى أطراف الدنيا و أقطار الارض . . .

و هذا من أنباء الغيب التى أوحى الله تعالى إلى رسوله الخاتم ﷺ فقد دخلت فى الاسلام طوائف وجماعات من جميع الامم . . .

و من الاخبار : قوله تعالى :« ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم » الجمعة: ٧)
وفى ذلك اعظم دلالة على صدق نبينا وصحة نبوته ﷺ لانه اخبر بالشىء قبل كونه . فكان كما أخبر ، فكفّوا عن التمنى للموت لعلمهم بانه ﷺ حق و انهم لو تمنوا الموت لماتوا .

وقد روى عن رسول الله ﷺ قال: « لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ومابقى على وجه الارض يهودى ».

وفى رواية : قال رسول الله ﷺ : « لو تمنوا لماتوا عن آخرهم ».

وفى رواية : قال رسول الله ﷺ : « لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعد هم من النار ».

مع ان اليهود لو تمنوا لنقل واشتهر، فان التمنى ليس من عمل القلب ليخفى على غير المتمنى ، بل هو أن يقول: ليت كذا و كذا، وإن كان بالقلب لقالوا: تمنينا

فى المجمع: قال : وفيه معجزة للرسول ﷺ لانه أخبر انهم لايتمنون الموت أبداً لمايعرفون من صدق النبى ﷺ و كذبهم ، فكان الامر كما قال .

وفيه : قال فى آية البقرة : ٩٥) : هذه القصة شبيه بقصة المباهلة ، و ان النبى ﷺ لمادعا النصارى إلى المباهلة امتنعوا القلة ثقتهم بماهم عليه ، وخوفهم من صدق النبى ﷺ فى قوله ﷺ : «لو باهلونى لرجعوا لايجدون أهلاولا مالا»

فلما لم يتمن اليهود الموت افتضحوا ، كما ان النصارى لما أحجموا عن المباهلة افتضحوا وظهر الحق .

فلو لم تكن هذه مباهلة لتمنوا الموت ليكذبوا كلام الله : انهم ليسوا من اولياء الله ولكنهم مافعلوا .

فان قيل : من أين علمتم انهم لم يتمنوا الموت بقلوبهم ؟

فالجواب : ان من قال : التمنى هو القول فالسؤال ساقط عنه ، و من قال : هو معنى فى القلب قال: لو تمنوه بقلوبهم لاظهروه بالسنتهم حرصاً منهم على تكذيبه فى اخباره ، ولان تحديهم بتمنى الموت انماوقع بمايظهر على اللسان و كان يسهل عليهم أن يقولوا : ليت الموت نزل بنا فلما عدلوا عن ذلك ظهر صدقه ووضحت حجته .

فلولا انه تعالى اوحى إلى رسوله الكريم ﷺ ان اليهود لم يتمنوا لم يكن فى العقل رخصة الاقدام على مثل هذا الالزام لانه فى غاية السهولة .

فالآية هي من ملاحم الغيب القرآنية ، و هي تثبت صدق القرآن الكريم من جهة وتفضح اليهود في دعواهم الكاذبة من ناحية اخرى .

و في احكام القرآن : للجصّاص : روى ان اليهود زعموا انهم اولياء الله من دون الناس فانزل الله هذه الآية « قل يا ايها الذين هادوا إن زعمتم انكم اولياء الله من دون الناس - إلى - والله عليهم بالظالمين »

واخبرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم انهم ان تمنوه ماتوا ، فقامت الحجة عليهم بها من وجهين .

أحدهما - انهم لو كانوا صادقين فيما ادعوا من المنزلة عند الله لتمنوا الموت لان دخول الجنة مع الموت خير من البقاء في الدنيا .

والثاني : انه أخبر انهم لا يتمنونه فوجد مخبره على ما اخبر به فهذا واضح من دلائل النبوة .

وقال بعض المحققين : ان قوله تعالى : « يتلوا عليهم آياته » مع كون النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم امياً مثلهم لم يعهد منه قرائته ، ولم يعرف بتعلّم، وقراءة امي اخبار القرون الماضية من غير تعلّم على وفق ما في الكتب آية معجزة .

اقول : لعل وجه الحكمة في جعل النبوة في امي فانه ليوافق ما تقدمت به البشارة في كتب الانبياء السالفة ، ولانه أبعد من توهم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة بالكتابة فهذان وجهان من الدلالة في كونه اميا على صحة النبوة ، ومع ان حاله مشاكلة لحال الامة الذين بعث فيهم ، وذلك أقرب إلى مساواته لو كان ذلك ممكناً فيه ، فدلّ عجزهم عما اتى به على مساواته لهم في هذا الوجه على انه من قبل الله عزوجل .

﴿التكرار﴾

خمس سور تشتمل لاحدى عشرة آية وهى :

١- سورة الجمعة .

٢- سورة المنافقون .

٣- سورة الضحى.

٤- سورة العاديات .

٥- سورة القارعة .

ونشير فى المقام إلى صيغ خمس لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة - الصيغ التى جاءت فى هذه السورة و فى غيرها من السور القرآنية .

١- جاءت كلمة (اللحق واللحاق) على صيغها فى القرآن الكريم نحو ست مرّات :

١- سباء : ٢٧) ٢- الطور : ٢١) ٣- آل عمران : ١٧٠) ٤- الجمعة : ٣-) ٥- يوسف : ١٠١) ٦- الشعراء : ٨٣)

٢- » » (الندى و النداء) » » نحو ثلاث وخمسين مرّة :

٣- » » (الوذر) » » نحو خمس و اربعين مرة :

٤- » » (الجمع والجمعة) » » نحو ١٢٩ مرّة :

٥ـ « « (الفضّ) « « نحو تسع مرّات :

١ـ الجمعة : ١١) ٢ـ المنافقون : ٧) ٣ـ آل عمران : ١٥٩)٤ـ ٦ـ الانسان: ١٥ ـ ١٦ ـ ٢١) ٧ـ التوبة : ٣٤) ٨ـ الزخرف : ٣٣) ٩ ـ آل عمران : ١٤).

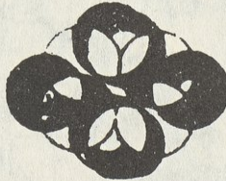
إن قلت : ان الله تعالى قال في سورة البقرة : « ولن يتمنوه أبداً بماقدمت أيديهم والله عليم بالظالمين » : ٩٥) بحرف « لن » للنفى .

و قال في سورة الجمعة : « ولايتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم و الله عليم بالظالمين » : ٧) بحرف « لا » للنفي مع تقييدهما بكلمة « أبداً » لشدة حاجة الاولى تأكيد النفى من حاجة الثانية إليه .

وان المنفى فى الاولى أمر ان : أحدهما ـ اختصاص الدار الاخرة باليهود صراحاً ثانيهما ـ كونهم أولياء الله تعالى التزاماً .

و فى الثانية أمر واحد ، و هو ادعاء اليهود كونهم اولياء الله سبحانه من غير تلازم ذلك اختصاص دار الآخرة بهم .

اذ كانت دعواهم فى سورة البقرة بالغة قاطعة ، وهى كون الجنةلهم بضعة الخلوص فبالغ فى الرد عليهم بلن وهو أبلغ ألفاظ النفى ، و كانت دعواهم فى سورة الجمعة قاصرة مترددة وهى زعمهم انهم اولياء الله ، فاقتصروا على « لا »



﴿ التناسب ﴾

ان البحث فى المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ : التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولا .

ثانيها ـ : التناسب بينها وسابقتها مصحفاً .

ثالثها ـ : التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

اما الاولى والثانية : فان هذه السورة نزلت بعد سورة الصف و جاء ت بعدهامصحفا فبامور : أحدها ـ لماجائت البشارة بمجيىء النبى الكريم ﷺ فى سورة الصف فى قوله تعالى : « واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله إليكم . . » الآية : ٦) جاء فى سورة الجمعة فى قوله تعالى : « هوالذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته . . » الآية : ٢) .

فكان ذلك تصديقاً بهذه البشرى و تحقيقاً لما أخبر به المسيح من مجيىء رسول من بعده اسمه أحمد . . فهذا الرسول هوهذا النبى الذى بعثه الله جل وعلا فى الاميين و هو محمد ﷺ فناسب ذلك أن تجيىء سورة الجمعة على هذا الترتيب فى المصحف آخذة مكانها بعد سورة الصف .

وفى هذاشاهد من شواهد كثيرة تقطع بان ترتيب السورة فى المصحف توقيفى من عندالله تعالى أشبه بترتيب الآيات فى السور . . .

ثانيها ـ لما ذكر فى السورة السابقة حال موسى عليه السلام مع قومه و أذاه لهم ناعياً لهم ذلك اشير فى هذه السورة حال الرسول ﷺ و فضل امته تشريفاً لهم ليعلم الفرق بين الاثنين .

ثالثها ـ لما اختتمت سورة الصف بالامر بالجهاد و سماه تجارة ، ختمت سورة الجمعة بالامر بالجمعة ، وأخبر أن ذلك خير من التجارة الدنيوية .

رابعها ـ لما ذكر في السورة السابقة بشارة عيسى عليه السلام بمجيىء محمد صلى الله عليه وآله وسلم و رسالته وهي إحدى الشرائط العشرة تعتبر في الرسالة الالهية ، ذكر في هذه السورة احدى الشرائط الاخرى منها وهي امية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و وظيفته صلى الله عليه وآله وسلم في الرسالة .

خامسها ـ لما اختتمت سورة الصف بالترغيب في عبادة الله تعالى والدعاء إليها ، و ذكر تأييد المؤمنين بالنصر و الظهور على الاعداء أخذت سورة الجمعة ببيان طريق ذلك ، وفي كلمتي الصف والجمعة من التناسب أيضاً ما لايخفى على القاري الخبير فتدبر جيداً .

اما الثالثة : فان الايات الاولى في هذه السورة تقدمات و تهيئات لايات فرض الجمعة ، فانه ذكر الله تعالى الجامع مجامعه الحافل محامده ، ولذلك نرى مطلع السورة كيف يقرر حقيقة التسبيح المستمرة من الكائنات كلها فانها جمعة في تسبيح الله فلتكن الجمعة جمعة في ذكر الله جل وعلا وتسبيحه .

لما أشير إلى التوحيد أخذ بالنبوة ، و وصف النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بصفات المدح والكمال ، و ببعثته صلى الله عليه وآله وسلم في الحاضرين والغائبين بقوله تعالى: « هو الذي بعث في الاميين ـ وآخرين منهم . . . » ثم ذكر ان هذه البعثة فضل منه ورحمة بقوله تعالى : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . . . »

وأمّا وجه اتصال قوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها.. » فانه تعالى لما افتتح الكلام بما منّ به على المسلمين من بعث نبي اميّ من بين الاميين ، يتلوا عليهم آيات الله جل وعلا ، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، فيخرجهم من ظلمات الضلال إلى نور الحق ، ومن حضيض الجهل إلى أوج العلم ، **وسيشير تعالى في آخر السورة إشارة عتاب و توبيخ إلى ما صنعوه من الانفضاض و** الانسلال إلى اللهو والتجارة ، والنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قائم يخطبهم يوم الجمعة ، و

هو من الاستهانة بما هو من أعظم الشعائر الدينية ، و يكشف انهم لم يقدروها حق قدرها ولا نزّلوها منزلتها .

فاعترض الله عزوجل بهذا المثل وذكّرهم بحال اليهود حيث علموا التوراة ثم لم يعملوا بها ، فكانوا كالحمار يحمل كتباً ، ولاينتفع بمافيها من المعرفة والحكمة ، فعليهم أن يهتمّوا بأمر الدين ، ويراقبوا الله جل وعلا فى حركاتهم ، وسكناتهم ، ويعظّموا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويوقّروه ولايستهينوا بماجاء به ، وليحذروا أن يحلّ بهم من سخطه تعالى ماحلّ باليهود حيث لم يعملوا بما تعلّموا ، فعدهم الله سبحانه جهلة ظالمين ، وشبّههم بالحمار يحمل أسفاراً . . .

و لما كانت اليهود تفاخر المسلمين بانهم أولياء الله و أحبائه ، وانهم لن يدخلوا النار الا اياماً معدودة ، و ان توراتهم احتوت تحديد يوم لله تعالى من أيام الاسبوع ، و اختصاص الله سبحانه اياهم بالفضل على غيرهم ردّ الله جل وعلا عليهم بقوله تعالى : « قل ياأيها الذين هادوا . . . »

ثم أخبر تعالى بانهم لن يتمنوه أبداً لما يعلمون من فساد عقيدتهم و سوء أفعالهم وقبيح أعمالهم و كذب مقالاتهم بقوله : « ولايتمنونه أبداً . . . »

ثم أخبرهم: ان الذى لاتتمنونه بل تفرّون منه فهو ملاقيكم وانتم تحاسبون يوم القيامة بماعملتم فى الحياة الدنيا بقوله : « قل ان الموت الذى . . . » .

ثم أخذ بذكر مااختصّ بالمؤمنين و هو « الجمعة سيّد الايام » ليثبت فضلهم على اليهود الكذوب بقوله : « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة . . . »

وأمّا مناسبة هذه الاية لماقبلها كلياً هى : ان السورة لما بدأت بذكر النعمة العظيمة التى أنعم الله جل وعلا بها على المؤمنين اذبعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آيات الله تعالى ويزكيهم ويعلمهم الكتاب و الحكمة . . . و هذه النعمة العظيمة لاتثمر الثمر الطيب الذى تحمله الاّ اذا صادفت من يرعاها، ويعرف قدرها والاّ انقلبت نقمة على اهلها، فحوسبوا على تضييعها ، و وقعوا تحت طائلة العقاب الاليم كما وقع ذلك لليهود الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، فكان

مثلهم مثل الحمار يحمل أسفاراً ، وقد اوعدهم الله تعالى بما توعّد به الظالمين ناسب أن يجيىء بعد ذلك أن ينبّه المسلمون إلى ماينبغى أن يكون منهم لرعاية هذه النعمة التى أنعم الله تعالى بها عليهم ، وكان اول ما نبهوا إليه هو الصلاة إذ كانت الصلاة عماد الدين ، وكان الركين الاول من أركانه بعد الايمان بالله تعالى .

واذ كانت صلاة الجمعة أظهر صلاة فى أيام الاسبوع لانها الصلاة الجامعة التى لاتصح الاّ فى جماعة فقد كان الالفات إليها إلفاتاً إلى الصلوات المفروضة كلها ، ومن ثم أكّد الله تعالى على المؤمنين حفظها وأداء حقها ، ودعة مايمنع من اقامتها اذ فيها حفظ الرسالة الالهية وابلاغها على الملاء وتلاوة آيات الله جل وعلا وتعليم الكتاب والحكمة وتزكية النفوس والقلوب من أرجاس الكفر والمعصية . . .

ولبعض المحققين كلام فى المقام نقّحناه بالزيادة والنقصان ينبغى ذكره لما فيه من فوائد جمّة :

ان الله تعالى قدّم قبل ذكر فريضة الجمعة آيات كلها معدّات لتشريع هذه الفريضة العظمى ، وقبولها والاتيان بها ، حيث افتتح السورة بان جميع ما فى السموات و الارض يسبح له ، فكيف الانسان و هو أشرف المخلوقات ؟ فلابد أن يكون تنزيهه و طاعته لله تعالى أكثر وأكثر مما سواه من الخليقة ، ثم وصف سبحانه نفسه بانه ملك العالم ، فيجب على الخلق كافة طاعته .

ثم وصف ذاته بانه القدوس المنزه عن اللغو و العبث و الظلم ، فكلّف الانسان بالطاعة الخاصة بهم لحكم و مصالح لانفسهم فرادى و جماعة ينالون بالطاعة إلى درجات من الكمال والسعادة والعزة ، ثم هدّدهم بانه جل وعلا غالب غير مغلوب ، فيقدر على عقوبة من خالف شريعته فى الدنيا بالذلة والهوان ، وفى الاخرة بالعذاب والنار ، وانه تعالى حكيم لايأمر بشيء الاّ وفيه مصالح المكلفين ، ولاينهى عن شيء الاّ وفيه مفاسد لهم ، ولايفعل شيئاً الاّ لحكم و أسرار ، و إن كانت خفية على أكثرهم ، فلاينبغى لاحد منهم أن يتجاوز عن مقتضى أمره ونهيه .

ثم أشار إلى امتنانه على عباده بانه بعث فى قوم اميين عارين عن العلوم

و المعارف رسولاً من أنفسهم ليكون أدعى لهم إلى قبول دعوته ، يتلوا عليهم آياته المشتملة لمصالحهم وسعادتهم الدنيوية و الأخروية ، و يطهّرهم من ذميم الصفات و سوء الأخلاق ، و ظلمة الجهل و حمية الجاهلية ، و يعلمهم الكتاب و الحكمة ، و إن كانوامن قبل ذلك لفي ضلال بيّن عن الملة و الشريعة ، وطريق الهدى ، فعليهم قبول الدعوة ، و الاهتداء إلى سبيل الرشاد ، و العمل بما يأمرهم به ، ومن أهم الاوامر صلاة الجمعة ، والترك لما ينهاهم عنه ، و من أهم النواهي التجارة التي تصدّ المكلف عن فريضة الجمعة فلابد من ترك التجارة وقت نداء الفريضة.

ثم بيّن ان شريعة هذا النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم لاتختص بقوم ، ولا بالمخاطبين في زمانه صلى الله عليه وآله وسلم بل شريعته باقية مابقي الدهر ، وحلاله حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام إلى يوم القيامة رداً على من يزعم ان الخطاب مخصوص بالموجودين فقال : « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ».

ثم هدّد وحثّ بوصف نفسه سبحانه مرّة اخرى بالعزة والحكمة ، ثم عظّم شأن الرسالة لئلا يجوّزوا مخالفة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فيما أتاهم به من الاوامر والنواهي ، ولا يأوّلوا الشريعة الابدية إلى مالايرضى صاحبها .

ثم ذمّ الحاملين للتوراة العالمين غير العاملين بها تعريضاً لعلماء السوء مطلقاً بانهم لعدم عملهم بعلمهم كالحمار يحمل أسفاراً .

ثم أوعدهم بالموت الذي لابد من لقائه ، وبما يتبعه من العذاب و العقاب و نبّههم على أن ولاية الله تعالى لاتنال الاّ بالعمل بأوامره سبحانه ، و اجتناب مساخطه ، وليس ذلك بالعلم فقط ولا بمحض الدعوى .

و لما مهّد جميع ذلك خاطب المكلفين بما هو الغرض من السورة أحسن خطاب وألطفه ، فقال : « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ».

وفي الاية ضروب من التأكيد :

أحدها - إقباله تعالى إلى المؤمنين بالخطاب تنشيطاً لهم ، و جبراً لكلفة

التكليف بلذة التخاطب .

ثانيها ـ انه سبحانه ناداهم بياء الموضوعة لنداء البعيد ، تعظيماً لشأن المنادى له ، وتنبيها على انه من العظم والجلالة بحيث كان المخاطب فى غفلة منه وبعد عنه ، وإن كان فى نهاية التيقظ و التذكر له .

ثالثها ـ انه جل و علا أطنب الكلام تعظيما لشأن ما فيه الكلام ، و ايماء إلى انه من الشرافة والكرامة بحيث يتلذذ المتكلم بما تكلم فيه كما يتلذذ بذكر المحبوبين ، و وصفهم بصفاتهم والاطناب فى أحوالهم .

رابعها ـ انه عزوجل أجمل أوّلاً المنادى حيث عبّر بكلمة « أىّ » تعم لكل شيء تخييلا لان هذا الامر لعظم شأن مما لا يمكن المتكلم أن يعلم أوّل الامر ، وبادىء الرأى انه بمن يليق ، ومن يكون له ؟ حتى اذا تفكّر وتدبّر علم من يصلح له ويليق به .

خامسها ـ انه تعالى أتى بحرف « ها » التى للتنبيه فيما ذكر فى « يا » .

سادسها ـ انه سبحانه عبّر عن المؤمنين بصيغة الغائب « آمنوا » تنبيها على بعدهم لمثل ما ذكر فى « يا » .

سابعها ـ انه جل وعلا طوّل فى إسمهم ليحصل لهم التنبيه الكامل ، فانهم فى أوّل النداء يأخذون فى التنبه ، فكلما طال النداء ، و اسم المنادى ازداد تنبّههم .

ثامنها ـ انه عزوجل خصّ المؤمنين بالنداء مع أن غيرهم مكلفون بالشريعة الاسلامية ، تنبيها على أن الفروع لاتقبل الابعد الايمان بالاصول ، فالمؤمنون هم يليقون لهذا الخطاب الالهى ، وهم حقاً لايتركون ما أمرهم الله تعالى به ولا يرتكبون ما نهاهم الله جل و علا عنه فالتاركون هم خارجون عن دائرة الايمان ، ففيه تنبيه أيضاً على ان المسلمين اذا تركوا هذه الفريضة العظمى فهم خارجون من دائرة الايمان ، وإن كانوا هم مكلفين بها كالمؤمنين.

تاسعها ـ انه تعالى عظّم المخاطبين به بذكر اسمهم ثلاث مرّات من

الاجمال و التفصيل فان « أيها » مجمل و « الذين » مفصّل بالنسبة إليه ثم الصلة تفصيل للموصل .

عاشرها ـ انه جل وعلا عظّمهم بصيغة الغيبة .

الحاد يعشر ـ انه سبحانه خصّ المعرفة بالنداء تنبيهاً على انه لايليق بالخطاب الآ رجال معهودون معروفون بالايمان .

الثانى عشر ـ انه عزوجل علّق الحكم على وصف الايمان تنبيهاً على علّية له ، واقتضائه اياه .

الثالث عشر ـ انه تعالى أمرهم بالسعى الذى هو الاسراع بالمشى اما حقيقة أو مجازاً كما مرّ والثانى أبلغ .

الرابع عشر ـ انه جل وعلا رتبه على الشرط بالفاء الدالة على عدم التراخى.

الخامس عشر : انه عزوجل عبّر عن فريضة الجمعة بذكر الله تعالى ، فوضع الظاهر موضع الضمير إن فسّر بالصلاة للدلالة على انها ذكر الله ، فمن تركها كان ناسياً لذكر الله ، غافلاً عنه ، وإن فسّر بالخطبة أيضاً يجرى فيه مثله.

السادس عشر : تعقيبه بالامر بترك مايشغل عنه من البيع .

السابع عشر ـ تعقيبه بقوله : « ذلكم خير لكم » وهو يتضمن وجوهاً من التأكيد الاول نفس تعقيب هذا الكلام لسابقه ، و الثانى الاشارة بصيغة البعيد المتضمن لتعظيم المشار إليه ، و الثالث تنكير « خير » إن لم نجعله اسم تفضيل لانه أيضاً للتعظيم .

الثامن عشر ـ تعقيبه بقوله : « إن كنتم تعلمون » وهو يتضمن وجوهاً من التأكيد :

الاول : نفس هذا الكلام ، فان العرف يشهد بانه يذكر فى الامور العظام المرغب فيها : « إن كنت تعلم مافيه من الخير لفعلته » .

الثانى : الدلالة على أن من توانى فيه ، فانما هو لجهله بمافيه من الفضل ، ففيه تنزيل لبعض العالمين منزلة الجاهلين ، و دلالة على انه لايمكن أن يصدر

الترك او التوانى فيه عن أحد الا عن جهل بمافيه .

الثالث : انه ترك الجزاء ليذهب الوهم كل مذهب ممكن ، وهو نهاية فى المبالغة .

الرابع : انه ترك مفعول العلم ، فاما أن يكون لتنزيله منزلة اللازم ،فيدل على انه يكفى فى الرغبة والمسارعة إليه ، وترك مايشغل عنه الاتصاف بمجرد العلم والكون من أهله ، أوترك ابهاماً له لتعظيمه ، وليذهب الوهم كل مذهب ممكن فيكون المفهوم أن كل من علم شيئاً من الاشياء أسرع إليها لان فضلها من البديهات التى ليس شىء أجلى منها .

ثم أشار تعالى إلى أحكام بعد فريضة الجمعة بقوله : « فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض و ابتغوا من فضل الله و اذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » و فيها تأكيد لحكم الفريضة من وجوه :

أحدها ـ قوله : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض » فانه بناء على كون الامر للاباحة كماهو الاشهر والاظهر هنا دلّ بمفهوم الشرط على عدم اباحة الانتشار قبل فريضة الجمعة .

ثانيها ـ أن أصل هذا الكلام نوع تأكيد للحكم بازاحة علتهم فى ذلك، أى إن كان غرضكم التجارة فهو ميسور ومقدور بعد الصلاة، فلم تتركون الصلاة لذلك

ثالثها ـ تعليق الفلاح بما مر كما مر .

رابعها ـ الاتيان به بلفظ الترجى ليعلموا أن تحصيل الفلاح أمر عظيم لا يمكن الجزم بحصوله بقليل من الاعمال، ولا مع عدم حصول شرائط القبول ، فيكون أحث لهم على العمل و رعاية شرائطه .

ثم أخذ بذكر واقعة اتفقت فى هذه الفريضة العظمى زمن النبى الكريم ﷺ وتوانى المنافقين و ذبذبتهم و و سوستهم فى هذه الفريضة كما هو دأبهم فى جميع الازمان ، وهو الظاهر من التفات السياق فقال : « و اذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين»

وفى هذه الاية تأكيد لفريضة الجمعة أيضاً من وجوه :

الاول : لومهم على ترك صلاة الجمعة، والتوجه إلى التجارة واللهو أشد لوماً.

الثانى : بيان المثوبات المترتبة على حضور هذه الفريضة .

الثالث : اجمال هذه المثوبات ايذاناً بانه لايمكن وصفه ، ولايكتنه كنهه ولايصل عقولهم إلى حقيقته .

الرابع : بيان أن اللذات الاخروية ليست من جنس المستلذات الدنيوية وانها خير منها بمراتب .

الخامس : بيان انه تعالى هو الرازق و القادر عليه ، فلاينبغى لاحد أن يترك طاعة الله جل وعلا لتحصيل الرزق ، وهو تعالى قادر على أن يحرمكم مع ترك الطاعة ، وأن يرزقكم مع الطاعة .

السادس : تقرير لكونه جل وعلا خير الرازقين على سبيل التنزل أى لو كان غيره رازقاً، فهو خير منه، فكيف ولارازق سواه ؟ ويحتاج إليه كل ماسواه .

وفى الختام تعقيب هذه السورة بسورة المنافقين ايذاناً بان تارك هذه الفريضة الالهية من غير علة منافق خارج عن دائرة الايمان ، كما ورد فى الاخبار الكثيرة من طريقى العامة والخاصة، وبه يظهر سر تلك الاخبار ، ويشهد له الامر بقرائتهما فى الجمعة ، وفى صلوات ليلة الجمعة ويومها .

﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على ان فى هذه السورة ناسخاً اومنسوخاً وامّا احتمال التشابه فى قوله تعالى : « فاذا قضيت الصلاة » فيدفع بما جاء فى معانى القضاء ، وان القضاء فى المقام بمعنى الاداء والفراغ . . .

فى المحكم والمتشابه : للسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه : و سئلوه يعنى علياً صلوات الله عليه عن المتشابه فى القضاء فقال : هو عشرة اوجه مختلفة المعنى : فمنه قضاء فراغ ، ومنه قضاء عهد ، ومنه قضاء اعلام ، ومنه قضاء فعل ، ومنه قضاء ايجاب ، ومنه قضاء كتاب ، ومنه قضاء اتمام ، ومنه قضاء حكم وفصل ، ومنه قضاء الخلق ، ومنه قضاء نزول الموت .

فامّا تفسير قضاء الفراغ من الشىء فهوقوله تعالى : « واذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولّوا إلى قومهم » يعنى لمافرغ و كقوله تعالى : « فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله » .

واما قضاء العهد فكقوله تعالى : « وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ اياه » اى عهد ومثله فى سورة القصص : « وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا إلى موسى الامر » أى عهدنا إليه .

وأما قضاء الاعلام فهوقوله تعالى : « وقضينا إليه ذلك الامر انّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » وقوله تعالى : « و قضينا إلى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين » أى أعلمناهم فى التوراة ماهم عاملون .

وامّا قضاء الفعل ففوله تعالى فى سورة طه : « فاقض ماانت قاض » أى افعل

ماانت فاعل ، ومنه فی‌سورة الانفال : « لیقضی‌الله امراً کان مفعولا » ای‌یفعل ما کان فی علمه السابق و مثل ذلك فی القرآن کثیر . ومنه قضاء الایجاب للعذاب کقوله فی‌سورة ابراهیم : « وقال الشیطان لما قضی‌الامر » أی وجب العذاب ، و مثله فی‌سورة یونس : « قضی‌الامر الذی فیه‌تستفتیان » معناه وجب الامر الذی‌عنه تسئلان .

و امّا قضاء الکتاب والحتم فقوله تعالی فی‌سورة مریم : « و کان امرالله مقضیاً » أی معلوماً .

وامّا قضاء الاتمام فقوله فی‌سورة القصص : « فلما قضی موسی الأجل » ای فلما اتم شرطه الذی شارطه علیه وهو قول‌موسی علیه‌السلام : « ایّما الاجلین قضیت فلاعدوان علیّ » معناه اذا اتممت .

و أمّا قضاء الحکم فقوله تعالی : « قضی بینهم بالحق و قیل الحمد لله رب العالمین » وقوله تعالی : « والله یقضی بالحق والذین لایدعون من‌دونه لایقضون بشیء ان‌الله هوالسمیع العلیم» وقوله تعالی: «والله یقضی‌بالحق وهوخیرالفاصلین» وقوله تعالی فی‌سورة یونس : « وقضی بینهم بالقسط » .

وامّا قضاء الخلق‌فقوله تعالی: « فقضاهن‌سبع سموات فی‌یومین» أی‌خلقهن.

و أما قضاء نزول الموت فکقول أهل النار فی‌سورة الزخرف : « وقالوا یا مالك لیقض علینا ربّك قال انکم ماکثون » أی لینزل علینا الموت ومثله : « لا یقضی علیهم فیموتوا و لا یخفف عنهم من عذابها » أی لا ینزل علیهم الموت فیستریحون ، ومثله فی‌قصة سلیمان بن داود علیه‌السلام : « فلما قضینا علیه الموت ما دلّهم علی‌موته الاّ دابة الارض تأکل منسأته » یعنی‌لما أنزلنا علیه الموت .

﴿ تحقيق في الاقوال ﴾

٢ـ (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)

فى « الاميين » أقوال :

١ ـ عن ابن عباس : الاميون : العرب أجمع من كتب منهم ، ومن لايكتب وسمّوا اميين لانهم لم يكونوا أهل كتاب .

وقال ابن زيد : الاميون قوم لم ينزل عليهم كتاب ، وسمى النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم اميا لظهوره من هؤلاء القوم وهم العرب .

٢ـ قيل : هم أهل مكة لانها سميت بام القرى فالاميون : هم الذين نسبوا إلى مكة المكرمة قال تعالى : « وكذلك اوحينا اليك قرآناً عربياً لتنذر ام القرى ومن حولها » الشورى : ٧) .

٣ـ عن مجاهد وقتادة : الامي: الذى لايقرأ ولايكتب ولم يبعث إلى الاميين رسولا، وانما سموا اميين لانهم كانوا لايكتبون ولايقرؤن الكتابة على ارادة الاكثر الاعم وإن كان فيهم القليل ممن يكتب ويقرأ . وقيل: الامى : الذى على ما خلق عليه كان منسوباً إلى امه .

٤ ـ قيل : ان المراد بالاميين غير أهل الكتاب كما قالت اليهود : « ليس علينا فى الاميين سبيل » آل عمران : ٧٥) .

وذلك ان اليهود كانت يطلقون على جميع الامم لفظ « الاميين » بالاضافة إليهم ، وهم يريدون بهذا أن يمتازوا على الناس ، بانهم هم الذين خاطبتهم السماء

وبعثت فيهم الرسل وانزلت عليهم الكتب . . .

واما غيرهم من سائر الامم فلم يكونوا أهلا لان يخاطبوا من الله وأن يتلقوا رسالاته . . .

وبهذا صح فى زعمهم أن يدعوا هذه الدعوة الضالة : انهم شعب الله المختار ...

فلقد كانت هذه الدعوى شوماً وبلاء عليهم ، اذ عزلتهم عن المجتمع الانسانى وأقامتهم فى الحياة الانسانية مقاماً مضطرباً يلقاهم الناس ، ولا يلقون هم الناس الا على عداوة وجفاء .

وفى قوله تعالى : « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم » امتنان على الامة العربية بهذا الفضل الذى ساقه الله سبحانه إليهم ، وردٌ على اليهود وابطال لدعواهم بان الله اختارهم على العالمين .. واختصهم بفضله واحسانه . . .

فالامية التى وصُف بها العرب هنا هى امية من نوع خاص ، وهى امية من لا كتاب لهم من عند الله . . . وان كان هذا لا يمنع من تفشى الامية فيهم ، وهى امية الجهل بالكتابة والقراءة . . .

وذلك ان الدين كان هو الباعث الأول على العلم وتعلّم القراءة والكتابة و ان اصحاب الكتب السماوية هم الذين كانوا يقبلون على العلم وعلى مدارسة الكتب السماوية وما يتصل بها .

٥ ـ قيل أخيراً: الاميين: هم المكلفون أجمعون فانهم أجمع اميون بالنسبة إلى القرآن قبل نزوله ، فالامية هى النسبة الى الام تعنى الجهل سواء كان الجهل واقعياً أم نسبياً ، واقعيا لمن يجهل كل شىء وحياً وغيره فلا يعلم شيئا كما ولد من امه : « والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً » النحل : ٧٨)

وهذه هى الامية المحضة ، وأما الامية النسبية فعلى درجات :

فمنهم : من درس علوماً غير كتابية فهو امى بالنسبة إلى الوحى الكتابى مهما كان مثقفاً فى غيره .

ومنهم : من اوتى الكتاب ولكنه لا يفهم من الكتاب الا امانى قال الله تعالى:

« ومنهم اميون لايعلمون الكتاب الا امانى » البقرة : ٧٨) فهوامى فى علم الكتاب رغم انه كتابى .

ومنهم : من اوتى الكتاب وعلمه ولكن لم يؤمن بالقرآن الكريم فانه امى بالنسبة إلى علم القرآن مهماكان عبقرياً فى سائر الوحى قبل القرآن وفى سائر العلوم سوى الوحى ، وهذه هى حالة جميع المكلفين ، ومنهم الرسول الامى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعه ملائكة الوحى وجبرئيل قبل وحى القرآن فانهم أجمع اميون : الموحدون منهم والمشركون ، ومن اهل الكتاب والماديين . . .

فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم امى كسائر الاميين بالنسبة إلى القرآن قبل وحيه اضافة إلى انه لم يقرء على أى مقرء ، ولم يكتب عند أى كاتب قبل نزول القرآن ، و إن كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم موحداً يلهم بواسطة أفضل ملك من ملائكة الوحى ليله ونهاره يرشده سبيل المكارم ، ويعلمه أحسن اخلاق العالم .

أقول: والاول هو المؤيد بالرواية الصحيحة الآتية . . . من غير تناف بينه وبين الثانى .

وفى قوله تعالى : « رسولاً منهم » أقوال :

١ ـ قيل : أى من أنفسهم يعلمون نسبه صلى الله عليه وآله وسلم وأحواله وهو من جنسهم ، وهذا غير كونه صلى الله عليه وآله وسلم مرسلا إليهم فحسب ، فانه صلى الله عليه وآله وسلم كان منهم لساناً عربياً ، ومرسلا إليهم وإلى غيرهم كافة من الحاضرين والغائبين إلى يوم القيامة .

قال الله تعالى : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم »

ابراهيم : ٤)

٢ ـ قيل : هو صلى الله عليه وآله وسلم امى مثلهم فقال : « منهم » لان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم كان امياً وظهر من العرب .

٣ ـ قيل : أى مثلهم فى كونه بشراً رداً عليهم اذ قالوا : « أبعث الله بشراً رسولا » الاسراء : ٩٤).

٤ ـ قيل : أى مثلهم فى كونه رجلا لقوله تعالى : « وما ارسلنا من قبلك

الا رجالا نوحى اليهم » يوسف : ١٠٩) .

اقول: وعلى الاول أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى . «آياته » أقوال :

١ - قيل : الآيات هى التى تبين رسالة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

٢ - قيل : هى التى يتميز بها الحلال من الحرام ، والحق من الباطل .

٣ - قيل : الآيات : القرآن كله المشتمل على الحلال والحرام ، والحجج والاحكام . . .

وان التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب للدلالة على انه بكل من هذه العناوين نعمة يمتن بها .

٤ - قيل : الآيات ما ينزل على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من آية بعد آية .

اقول : والاخير هو الاوجه والانسب بالسياق القرآنى .

وفى « يزكيهم » أقوال :

١ـ عن ابن عباس : أى يطهّر نفوسهم من أدناس الشرك وأرجاس الطغيان فيجعلهم أزكياء القلوب بالايمان وصالح الاعمال ...

٢ـ عن ابن جريج ومقاتل : أى يطهرهم من دنس الكفر والذنوب ، ومن أرجاس الجاهلية وضلالاتها ...

٣ـ عن السدى : أى يأخذ زكاة أموالهم ...

٤ـ قيل : التزكية تفعيل من الزكاة بمعنى النموالصالح الذى يلازم الخير و البركة فتزكيته لهم تنميته لهم نماء صالحاً بتعويدهم الاخلاق الفاضلة و الاعمال الصالحةفيكلمون بذلك فى انسانيتهم فيستقيم حالهم فى دنياهم وآخرتهم يعيشون سعداء ويموتون سعداء ...

اقول : ولكل من الاول والثانى والاخير وجه من غير تناف بينها.

وفى « الكتاب » أقوال:

١ـ قيل: الكتاب القرآن ، ويعلمه : بيان ألفاظه وتفسير ما اشكل من ذلك.

٢ ـ قيل : الكتاب : الفرائض .

٣ ـ عن ابن عباس : الكتاب : الخط بالقلم لان الخط فشا في العرب بالشرع لما امروا بتقييده بالخط .

اقول : والاول هو الظاهر .

وفي « الحكمة » أقوال :

١ ـ عن الحسن وقتادة : الحكمة : السنة النبوية .

٢ ـ قيل : الحكمة : هي المعارف الحقيقية التي يتضمنها القرآن الكريم ، فتعليمها يقابل تعليم القرآن ، فانه بيان ألفاظ آياته وتفسير ما اشكل من ذلك .

٣ ـ قيل : الحكمة : ما فيه من الاحكام .

٤ ـ عن مالك بن أنس : الحكمة : الفقه في الدين .

٥ ـ قيل : الحكمة : الشرائع .

٦ ـ قيل : الحكمة : تعم الكتاب و السنة ، و كل ما أراده الله تعالى ، فان الحكمة هي العلم الذي يعمل عليه فيما يجتبى أو يجتنب من الدنيا والاخرة .

اقول : و على الثاني أكثر المحققين .

٣ ـ (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم)

في « آخرين منهم » أقوال :

١ ـ عن ابن عمر وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد : هم الاعاجم ، ومن لا يتكلم بلغة العرب .

٢ ـ عن مجاهد وابن زيد أيضا ومقاتل : هم الناس كلهم الذين يدخلون في الاسلام كائنا من كان إلى يوم القيامة من العرب والعجم .

٣ ـ قيل : هم الاميون الموجودون لم يؤمنوا بعد ولكن سيؤمنون ، فيلحقون بالاميين الذين آمنوا .

٤ ـ قيل : هم الاميون الغائبون من الاميين ولم يخلقوا بعد ، فسيخلقون و يؤمنون ، فيلحقون بالاميين السابقين

٥ - قيل: هم العرب غير الاميين الموجودون فى زمن النزول، فسيؤمنون ويلحقون بالاميين.

٦ - قيل: هم العرب الغائبون فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٧ - عن عكرمة: هم التابعون لم يلحقوا بالسابقين فى الفضل و السابقة، فان التابعين لايدركون شأن السابقين من الصحابة وخيار المؤمنين.

اقول: والثانى هو الانسب بالاطلاق، فيشمل لكل لاحق بالاميين من غير تخصيص منهم قوماً دون قوم، فان دعوته صلى الله عليه وآله وسلم وتعليمه يعمّ الجميع.

۴- (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

فى «ذلك» أقوال:

١ - عن ابن عباسٍ والكلبى: إشارة إلى دين الاسلام.

٢ - عن أبى صالح: إشارة إلى المال الذى ينفق فى الطاعة.

٣ - قيل: إشارة إلى بعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفى بعدها تفخيم لامره و شأنه المخصوص بالفضل.

٤ - قيل: إشارة إلى رحمة الله تعالى التامة البعيدة.

٥ - قيل: إشارة إلى من يلحق بدين الله تعالى.

٦ - قيل: إشارة إلى انقياد الناس إلى تصديق النبى الكريم و دخولهم فى دين الله و نصرته.

٧ - عن ابن عباس أيضاً: إشارة إلى إلحاق العجم بقريش.

٨ - قيل: إشارة إلى بعث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلى الاميين من العرب.

٩ - عن مقاتل: إشارة إلى الوحى والنبوة التى خص الله تعالى بها رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

١٠ - قيل: إشارة الى بعثة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلى الاميين وتلاوته آيات الله تعالى عليهم و تزكيتهم و تعليمهم الكتاب والحكمة وإلحاق الاخرين بهم.

١١ - قيل: إشارة إلى البعث بماله من النسبة إلى أطرافه من المرسل و المرسل إليهم، فالمعنى: ذلك البعث من فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء وقد شاء أن

يختص بهذا الفضل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فاختاره رسولا و امته فاختارهم لذلك، فجعله منهم وأرسله إليهم.

اقول: والعاشر هوالانسب بعموم السياق.

٥- (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله والله لايهدى القوم الظالمين)

فى «حملوا التوراة ثم لم يحملوها» أقوال:

١ ـ عن إبن عباس أى كلفوا العمل بها ولم يعملوا بها.

٢ ـ قيل: أى علّموها ولم يعملوا بها، و ذلك ان الله تعالى أنزل التوراة على رسوله موسى عليه السلام فعلّمها بنى اسرائيل ما فيها من المعارف و الشرائع، و البشارة بمجيىء نبى الاسلام فتركوها و كتموها و كذّبوها ولم يعملوا بها، فلم يبق لهم من حملها الاّ التعب بتحمل تعلّمها كالحمور التى تحمل كتباً ليس لها من حملها الاّ التعب بتحمل ثقلها.

٣ ـ عن الجرجانى: أى ضمنوا أحكام التوراة ثم لم يؤدّوا حقها بالعمل بها فخانوا امانات الله جل وعلا.

اقول: والمآل واحد فتدبر.

وفى «والله لايهدى القوم الظالمين» **قولان:**

١ ـ قيل: أى لا يفعل بهم من الالطاف التى يفعلها بالمؤمنين الذين بها يهتدون لكونهم ظالمين، فالمانع هوالظلم، جاؤا بسوء اختيارهم، فتركوا فى ظلمات يعمهون.

٢ ـ قيل: أى لايثيبهم ولايجزيهم جزاء حسناً، ولا يهديهم إلى الجنة و نعيمها.

اقول: وعلى الاول اكثرالمفسرين.

٧- (ولا يتمنونه ابداً بماقدمت أيديهم والله عليم بالظالمين)

فى قوله تعالى: «بماقدمت أيديهم» أقوال:

١ ـ عن الحسن وأبى مسلم : أى بما قدموه من المعاصى والقبائح و تكذيب آيات الله تعالى والنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

٢ ـ عن ابن جريج : أى بما كتموا من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما جاء فى التوراة .

٣ ـ أقول : والتعميم هو الانسب بظاهر السياق .

وفى « والله عليم بالظالمين » أقوال :

١ ـ قيل : أى عليم بالاسباب التى منعتهم عن تمنى الموت ، و بما أضمروه واسرّوه من كتمان الحق عناداً مع علم كثير منهم انهم مبطلون .

٢ ـ قيل : أى يعلم انهم لايحبون لقاء الله تعالى لانهم اعداء ، لاولاية بينه وبينهم ولا محبة .

٣ ـ قيل : أى عليم بأحوال الظالمين وأقوالهم و أفعالهم وما فى قلوبهم و تخصيصهم بذلك ، وان كان تعالى عليماً بهم وبغيرهم لان الغرض من ذلك هو الزجر والتهديد كما تقول لمن تهدّده : انى عارف بك بصير بعملك .

اقول : لا منافات بين الاقوال . . .

٩ـ (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله و ذروا البيع ذالكم خير لكم ان كنتم تعلمون)

فى « فاسعوا » أقوال :

١ـ عن الحسن: السعى : هو القصد فالسعى:سعى قلبى فليس بسعى على الاقدام.

٢ ـ قيل : السعى : هو العمل كقوله تعالى : « ومن أراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن » فالمعنى : فاعملوا على المضىّ إلى ذكر الله ، واشتغلوا باسبابه من الغسل والتطهير والتوجه إلى الله جل وعلا بالسكينة والوقار والخشوع .

٣ ـ عن قتادة وابن زيد و الضحاك : السعى : أن تسعى بقلبك و عملك أى فامضوا إلى الصلاة مسرعين غير متثاقلين .

٤ ـ عن شرحبيل بن مسلم الخولانى : أى فاسعوا إلى العمل وليس السعى

فى المشى .

٥ ـ قيل : ان المراد بالسعى هوالسعى على الاقدام .

٦ ـ عن الزجاج : أى فامضوا إلى السعى الذى هوالاسراع .

اقول : وعلى الثالث أكثر المفسرين وهوالمؤيد بالروايات الآتية فانتظر

وفى « ذكرالله » أقوال :

١ ـ عن سعيدبن جبير : ذكرالله تعالى هوخطبة الجمعة التى تتضمن ذكر الله جل وعلا والمواعظ قبل صلاة الجمعة .

٢ ـ قيل : ان المراد بالذكر ذكرقلبى وهو التوجه إلى الله تعالى .

٣ ـ قيل : اريد بالذكر ذكرلفظى .

٤ ـ قيل : ان الذكر فى المقام يعم قسميه :

٥ ـ عن قتادة و ابن زيد و الضحاك : الذكر فى المقام : الصلاة اى صلاة الجمعة .

٦ ـ قيل : السعى إلى ذكرالله هو السعى إلى صلاة الجمعة و حضورها و خطبتها واقامتها ، وهو القصد و العناية الخاصة لهامن غيراشتغال المكلفين عنها بأىّ شاغل دنيوى اواخروى .

اقول : والاخير هوالمؤيد بالروايات الآتية ان شاء الله تعالى .

وفى « البيع » قولان :

احدهما ـ قيل : ان المراد بالبيع المعاملة والتجارة .

ثانيهما ـ قيل: ان المراد بالبيع كل تصرّف يصدّ المكلفين عن صلاة الجمعة بيعاً كان أم غيره ، و ذكر البيع لكثرة الاشتغالات به اولان النفس تميل إليه أكثر من الصناعة والزراعة وما إليهما . . .

اقول : وعلى الثانى اكثر المحققين ، فالنهى عن البيع فى المقام ليس الاّ لمنافاته فريضة الجمعة ، وهذا يعمّ كل ماينافيها فعلا وتركاً بيعاً وغيره . . .

وفى « إن كنتم تعلمون » أقوال :

١ ـ عن الجبائی : أی إعلموا ذلك .

٢ ـ قيل : أی ان كنتم تعلمون منافع الامور ومضارها ومصالح أنفسكم ومفاسدها . . .

٣ ـ قيل : إن كنتم تعلمون خيرية السعی إلی ذكر الله تعالی وترك البيع عند الاذان لصلاة الجمعة .

أقول : والاخير هو المستفاد من ظاهر السياق .

١٠ ـ (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فی الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)

في قوله تعالی : « وابتغوا من فضل الله » أقوال :

١ـ عن الحسن ابن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ومكحول : انه طلب العلم

٢ ـ قيل : انه العمل فی يوم السبت .

٣ ـ قيل : هو صلاة التطوع .

٤ ـ عن ابن عباس : لم يؤمروا بطلب شیء من متاع الدنيا انما هو عيادة مريض وحضور الجنائز وزيارة الاخ فی الله تعالی .

٥ ـ قيل : أی واطلبوا الثواب من ربكم .

أقول : والتعميم غير بعيد وذلك لان ابتغاء فضل الله تعالی هو طلب الرزق نظراً إلی مقابلته ترك البيع فی الاية السابقة ، ولما كان المراد ـ علی ما قدمناه ـ ترك كل ما يشغل عن صلاة الجمعة كان ابتغاء فضل الله جل وعلا طلب مطلق عطيته فی التفرق لطلب رزقه بالبيع والشراء ، وطلب ثوابه بعيادة المرضی ، وحضور الجنائز ، والسعی فی حاجة مسلم و زيارة أخ فی الله تعالی ، وحضور مجلس علم وما إليها . . .

وفی « واذكروا الله كثيراً » أقوال :

١ ـ قيل : اذكروه علی احسانه واشكروه علی نعمه وعلی ما وفقكم من طاعته ، وأداء فريضته

٢ ـ قيل : اريد بالذكر هنا الفكر كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : « تفكرساعة خيرمن عبادة سنة » .

٣ ـ قيل : أى اذكروا الله تعالى فى تجارتكم وأسواقكم .

٤ ـ قيل : أى راقبوا الله جل وعلا فى جميع شؤونكم فانه العالم بالسر و النجوى لاتخفى عليه خافية من امور كم .

٥ ـ قيل : اريد بالذكر أعم من الذكر اللفظى فيشمل ذكره تعالى قلباً بالتوجه إليه باطناً .

٦ ـ قيل : أى واذكروا أوامر الله ونواهيه فى طلب الرزق فلا تأخذوا الا ما حل لكم أخذه لا ما حرم لكم .

٧ـ قيل : ان المراد بالذكر حال العقد فانه يستحب التكبير عنده والشهادتان

أقول : والتعميم هو الانسب بظاهر السياق وخاصّة قيد « كثيراً » .

١١ـ (واذا رأوا تجارة أولهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً قل ماعندالله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين)

فى قوله تعالى : « واذا رأوا تجارة اولهواً » قولان :

أحدهما ـ قيل : أى اذا عاينوا ذلك .

ثانيهما ـ عن مجاهد : أى اذا علموا بيعاً وشراء اولهواً وهوالطبل . وعن جابر : اللهو : المزامير .

أقول : ولكل وجه فتدبر جيداً .

وفى قوله تعالى : « انفضوا إليها » قولان :

أحدهما ـ قيل : أى مالوا إلى التجارة بناء على ان الضمير راجع إلى التجارة فقط فانهم كانوا يستعملون المعازف وآلات الطرب ليجتمع الناس على البيع والشراء

قال الفراء : ان الضمير للتجارة ، وانما خصّت برد الضمير إليها لانها كانت أهم إليهم ، وهم بها أسر من الطبل لان الطبل انما دل على التجارة .

ثانيهما ـ أى تفرقوا عنك خارجين إلى كل واحدة من التجارة واللهو فيعود

الضمير إلى كل واحد منهما او إلى احدهما اكتفاء به للدلالة على الاخر، و المعنى : واذا رأوا تجارة انفضوا إليها ، واذا رأوا لهواً انفضوا إليه .

أقول : والثاني هو ظاهر السياق على أن كلا من التجارة واللهو سبب لا- نفضاض الناس إليه وتجمعهم عليه ولذا ردّد بينهما وقال : « تجارة أولهواً » ولم يقل : تجارة ولهواً ، فالضمير يصلح للرجوع إلى كل منهما على أنّ اللهو فى الاصل مصدر يجوز فيه الوجهان : التذكير والتأنيث، ولذا أيضاً عدّ « ماعندالله » خيراً من كل منهما بحياله فقال : « من اللهو ومن التجارة » ولم يقل : من اللهو والتجارة .

وفى « وتركوك قائماً » أقوال :

١ ـ قيل : أى تركوك قائماً فى الصلاة .

٢ ـ قيل : أى تركوك قائماً على المنبر للخطبة .

٣ ـ قيل : أى تركوك قائماً فى الزاوية .

أقول : والثاني هو المؤيد بالروايات الآتية . . .

وفى قوله تعالى : « قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة » قولان :

أحدهما ـ قيل : أى ما عندالله تعالى من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم .

ثانيهما ـ قيل : أى ماعندالله من رزقكم الذى قسمه لكم خير مما اصبتموه من لهوكم وتجارتكم .

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينهما .



﴿التفسير والتأويل﴾

١ - (يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم)

ينزهه جلّ وعلا كل شيء من سكان السموات وأهل الارضين عما لا يليق بساحة قدسه وعزّ جلاله ، وكل يشهد له بالالوهية والوحدانية بما ركب فيه من بدائع الحكمة وعجائب الصنعة الدالة على كمال علم خالقه وحكمته وغاية قدرة بارئه لايشبه شيئاً ولا يشبهه شيء .

قال الله تعالى: « تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وإن من شيء الايسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم » الأسراء : ٤٤) .

وقال : « ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ـ ولله يسجد من في السموات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال ـ قل من رب السموات والارض قل الله ـ أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه به الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار » الرعد : ١٣ـ ١٦) .

« الملك » وهو الملك المطلق لكل شيء ، المالك لتدبير أمر الخلق وانفاذه في نظامي التكوين والتشريع .

قال الله عزوجل : « لله ملك السموات والارض ومافيهن وهو على كل شيء قدير » المائدة : ١٢٠) .

وقال : « الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير » المائدة : ٤٠) .

« القدوس » المنزه عن كل نقص فى ذاته ، والمبرأ من كل عيب فى صفاته والطاهر من شوائب الآفات والعاهات الموجبة للجهل والعجز والحاجة فى أفعاله . .

« العزيز » الغالب على أمره ، فلا يغلبه شىء ، ولا يمتنع عليه شىء .

« الحكيم » العالم الذى يضع كل شىء موضعه فى ملكه وصنعه وحكمه فلا يفعل عن جهل ولا عن جزاف فهو الحكيم : حكيم فى نظام التكوين وحكيم فى نظام التشريع .

٢- (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)

الله جل وعلا هو الذى بعث فى الاميين ـ وهم الذين لم يكن معهم كتاب من عند الله تعالى ولا بعث اليهم رسول من قبل ، وكانوا هم ايضاً من أهل ام القرى وهى مكة المكرمة ، ومن شرائط الرسالة الالهية أن يبعث الله تعالى رسوله بدء دعوته من ام القرى .

قال الله جل وعز : « وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم من قبلك من نذير » سباء : ٤٤) .

وقال : « ام آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون » الزخرف : ٢١)

وقال : « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا يتلوا عليهم آياتنا » القصص : ٥٩) .

وقال : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها » الانعام : ٩٢) .

« رسولا منهم » أى من انفس الاميين ، وهذا غير كونه صلى الله عليه وآله وسلم مبعوثا إليهم فحسب ، فانه كان منهم لساناً عربياً وقومياً ، ومرسلا إليهم وإلى كافة الناس ، فلا منافاة بين كون النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من الاميين مبعوثاً فيهم وبين كونه مبعوثاً إليهم وإلى غيرهم كافة .

قال الله تعالى : « لقد جاء كم رسول من أنفسكم » التوبة : ١٢٨) .

وقال : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » الانبياء : ١٠٧)

وقال : « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » سباء : ٢٧) .

وقال : « قل يا ايها الناس انى رسول الله إليكم جميعاً » الاعراف : ١٥٨)

وقال : يا أهل الكتاب قد جاء كم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل» المائدة : ١٩)

وقال : « وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فانما عليك البلاغ » آل عمران : ٢٠) .

«يتلوا عليهم آياته » : يتلوا رسول الله ﷺ على الاميين آيات الله النازلة . .

« ويزكيهم » : ويطهربها نفوسهم من أدناس الشرك والمعصية ، ومن أرجاس الجاهلية والضلالات ، فيجعلهم أزكياء القلوب بالايمان وصالح الاعمال ، فينمون نماءاً صالحاً ، ويعيشون عيشاً سعيداً .

ففيها تطهير للضمير والشعور ، تطهير للعمل والسلوك ، تطهير للحياة الزوجية ، وللحياة الاجتماعية ، وتطهير ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد ، ومن التصورات الباطلة إلى الاعتقاد الصحيح ومن الاساطير الغامضة إلى اليقين ، ومن دنس الربا والسحت إلى الطهارة فى كسب الحلال .

وانها تزكية تشمل الفرد والجماعة والحياة السريرة ، والواقع تزكية ترتفع بالانسان وتصوراته عن الحياة كلها ، وعن نفسه ونشأته إلى آفاق النور التى تتصل فيها بربه ، ويتعامل مع الملأ الأعلى ، ويحسب فى شعوره وعمله حساب ذلك الملأ العلوى الكريم .

وقوله تعالى : « ويعلمهم الكتاب والحكمة » : ويعلم النبى الكريم ﷺ هؤلاء الاميين القرآن ببيان ألفاظه وتفسير معضلاته ، فيصبحون عالمين به ، و يعلمهم المعارف الحقيقية التى يتضمنها القرآن ، وما كانوا لايعلمون ،فيدركون حقائق الامور ، ويحسنون التقدير وتلهم ارواحهم صواب الحكم ، وصواب العمل

وفيها خير كثير . . .

قال الله تعالى : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون » البقرة : ١٥١) .

و قال : «لقد منّ الله على المؤمنين اذبعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » آل عمران : ١٦٤)

وقال : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً وما يذكر الاّ اولوا الالباب » البقرة : ٢٦٩) .

ومن غير خفى ان تلاوة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على الاميين آيات الله تعالى وتزكيتهم بها من دنس الشرك و الطغيان ، و تعليمه صلى الله عليه وآله وسلم لهم الكتاب والحكمة لنزوله بلغتهم، و كونه بلسان قومه، وهذا هوأول مراحل دعوته.

قال الله تعالى : « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين ـ ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ماكانوا به مؤمنين » الشعراء : ١٩٢ـ ١٩٩) .

و قال : « وما أرسلنا من رسول الاّ بلسان قومه ليبين لهم » ابراهيم : ٤)

فلما استقرت الدعوة بعض استقرار أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو اليهود والنصارى و المجوس ، و غيرهم إلى الله تعالى و إلى هذا الدين الاسلامى و كاتب العظماء و الملوك ، و كذا دعوة ابراهيم واسمعيل على ماحكى الله تعالى : « ربناواجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ـ ربناوابعث فيهم رسولاً منهم يتلواعليهم آياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم » البقرة : ١٢٨ ـ ١٢٩) اذتشمل لجميع آل اسمعيل من عرب مضر أعم من اهل مكة وغيرهم .

« وان كانوا » هؤلاء الاميون « من قبل » بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إليهم «لفى ضلال مبين » : ضلال الجاهلية،ضلال الشرك ، ضلال الطغيان، ضلال فى العقيدة ، ضلال فى القول والعمل ، وضلال كانوا على شفا جرف هار من الفوضى ، جاء الاسلام لتحرير العالم من تلك الضلالات . . .

٣- (وآخرين منهم لمايلحقوا بهم وهوالعزيز الحكيم)

و هم الذين يدخلون فى دين الله تعالى كائنا من كان إلى يوم القيامة من العرب والعجم ولم يلحقوا بالمؤمنين بعد ، والله تعالى هوالغالب الذى لايغلب فى ارادته ، وهوالحكيم الذى لالغو ولا جزاف فى فعله .

٤- (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم)

أى بعثة النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم إلى الاميين تالياً عليهم آيات الله تعالى مزكياً لهم من أدناس الشرك والطغيان ، معلماً إياهم كتاب الله جل وعلا والحكمة والحاق الاخرين بهم فضل من الله سبحانه و احسان منه إلى عباده يعطيه من يشاء ممن يصطفيه من خلقه حسب مايعلمه من استعداده وصفاء نفسه و هو أعلم حيث يجعل رسالته .

والله تعالى ذوالمن العظيم على خلقه فى دنياهم وآخرتهم ببعث محمد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم فلايجعلهم فى حيرة من أمرهم تنتابهم الشكوك و الاوهام ، ولا يتركهم سدى ، فلايجدون للخلاص من الخرافات سبيلا ، ولايجعل قويهم يبطش بضعيفهم و يغتصب أموالهم و يسعى فى الارض بالفساد و يهلك الحرث و النسل ، فيكون العالم ككرة تتقاذفها أكفّ اللاعبين فهو أرحم بعباده من أن يتركهم سدى هملا لاصلاح لهم فى دين ولادنيا .

وان الاية و الآيتين من قبلها سبقت سوق الامتنان على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و على امته كافة .

كقوله تعالى: « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » النساء : ١١٣) .

وقوله : «ولولا فضل الله عليكم و رحمته ماز كى منكم من احد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم » النور : ٢١) .

وقوله : « والذى اوحينا إليك من الكتاب هو الحق ـ ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات

باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » فاطر : ٣١ ـ ٣٢) .

٥- (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله والله لايهدى القوم الظالمين)

مثل اليهود ـ الذين تعلّموا التوراة ، و كلّفوا القيام بها والايمان والعمل بمافيها من المعارف والحكم والشرائع ومن البشارة بمجييء رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ثم لم يحملوها حق حملها من اداء حقها والعمل بموجبها ، فتركوها و كتموا الحق و كذبوا بايات الله تعالى وانحرفوا عنها وحرّفوها و أوّلوها وبدّلوها ، فخانوا أمانات الله تعالى مثل الحمور لتحمل كتبا على ظهرها لاتحسّ بمافيها الاّ التعب بتحمل ثقلها ، فلم يبق لهؤلاء اليهود من حمل التوراة الاّ التعب بتحمل تعلّمها .

بل هم أسوء حالا من الحمور اذلا فهم لها ، وهم ذووأفهام لايستعملونها فيما ينفعهم بئس مثل اليهود مثل الذين كذبوا بآيات الله تعالى ، إذظلموا بذلك على أنفسهم والله لايهدى القوم الظالمين .

قال الله تعالى فيهم : « من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه ولكن لعنهم الله بكفرهم فلايؤمنون الاّ قليلا » النساء : ٤٦) .

وقال : « يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم و اوفوا بعهدى اوف بعهدكم واياى فارهبون وآمنوا بماانزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا واياى فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل و تكتموا الحق وانتم تعلمون » البقرة ٤٠ - ٤٢).

وقال : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » البقرة : ١٤٦) .

وقال : « قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شرمكانا وأضل عن سواء السبيل » المائدة ٦٠) .

وقال : « فلما عتوا عن مانهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ـ ساء مثلا

القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون ـ لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون »الاعراف: ١٦٦ـ١٧٩)

٦ـ (قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين)

لما ادعت اليهود الكرامة لهم عندالله تعالى وخصّت أنفسهم بالفضيلة وقالوا: « نحن أبناء الله وأحباؤه » ولنا الدار الاخرة خالصة والجنة ونعيمها كافة قال الله تعالى: « قل » أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء اليهود الذين تهوّدوا ـ سموّا أنفسكم يهوداً متفاخرين ـ إن تظننوا على زعمكم انكم أولياء لله تعالى وأنصاره من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين في إدعائكم وتوليكم اذ للاولياء عند الله تعالى كرامة، وللحب له علامة لتصيروا إلى مايصير إليه اولياء الله تعالى من روح الجنان ونعيمها بالموت فان الله تعالى لا يعذب أوليائه بل يكرمهم وينعمهم، فتستريحوا من كرب الدنيا وهمومها، ومن مصائب الدنيا وغمومها، فان من اعتقد إنه من أهل الجنة والكرامة كان الموت أحب إليه من حياة الدنيا التي فيها أنواع المشاق والهموم والالام والغموم، ومن كان على يقين انه اذا مات تخلص منها، وفاز بالنعيم المقيم فانه يؤثر الموت على الحياة.

ألا ترى إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يطوف بين الصفين بصفين في شعار يلبس تحت الثوب او تحت الدرع لما قال له الحسن ابنه عليه السلام: ما هذا زيّ الحرب؟ يا بني إن أباك لايبالي وقع على الموت او وقع الموت عليه، وقول عمار بن ياسر بصفين أيضاً: الآن الاقي الاحبة: محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وحزبه.

وإن اليهود أحرص الناس على حياة الدنيا، وهذا لايكون الاّ من انسان يرى الموت نهاية لوجوده أو يرى أن وراء الموت أهوالا تنتظره بما قدمت يداه من آثام...

قال الله تعالى فيهم: « قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من

دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ـ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لويعمّر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون ـ وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ـ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ـ ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هوداً او نصارى » البقرة : ٩٤ ـ ١٤٠) .

وقال : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق » المائدة : ١٨) .

٧- (ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين)

ولايتمنى هؤلاء اليهود الموت قطّ بسبب ما أسلفوه من الكفر وقتل الانبياء ونقض المواثيق ، وتكذيب آيات الله تعالى ومما اكتسبوا من الاثام ، واجترحوا من السيئات ، فلوتمنوه لماتوا الانهم يعلمون انهم كاذبون فى ادعائهم ـ نحن اولياء الله واحباؤه ـ ويعلمون من انفسهم انهم على ضلال وانهم لن يجدوا لهم فى الاخرة الا البلاء والهوان كما ضربت عليهم فى الحياة الدنيا الذلة والمسكنة والله جلّ وعلا عليم بعقيدتهم الفاسدة وأفعالهم القبيحة واحوالهم السيئة . . . فلبئس ماقدمت لهم أنفسهم .

وهم الذين قال الله تعالى فيهم : « وقالت اليهود يد الله مغلولة » المائدة : ٦٤)

وقال : « قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ـ واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون » آل عمران : ١٨١ـ١٨٧)

وقال : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ـ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود » المائدة ٧٨ ـ ٨٢)

٨- (قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بماكنتم تعملون)

قل يا محمد ﷺ لهؤلاء اليهود : ان الموت الذى تفرّون منه وتهربون منه وتحذرونه وتكرهونه وتأبون أن تتمنوه فانه ملاقيكم ونازل بكم ويدركم حتما.

ثم ترجعون إلى ربكم ـ الذى خرجوا من زى عبوديته بكفرهم وطغيانهم وعادوه باعمالهم السيئة ـ وهو جل وعلا عالم غيب السموات والارض وما شهد فظهر لرأى العين ولم يغب عن أبصار الناظرين فالله تعالى عالم بحقيقة أعمالهم ظاهرها وباطنهافيخبركم حينئذبكلما كنتم تعملون فى الحياة الدنيا فيجازيكم بحسبها .

وفى الآية ايذان بامور أربعة :

أحدها ـ ان فرار اليهود من الموت بسبب كفرهم و طغيانهم خطأ منهم ، فانه سيدركهم ويلاقيهم .

قال الله تعالى : « أين ماتكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » النساء : ٧٨)

وقال : « قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت » الاحزاب : ١٦)

ثانيها ـ ان كراهة اليهود لقاء الله تعالى بسبب عصيانهم وقتلهم الانبياء خطأ آخر فانهم يرجعون إلى الله جل وعلا ويحاسبون على ما فى صدورهم وأعمالهم فالرجوع إلى الله سبحانه لحساب الاعمال حق لاريب فيه .

قال الله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون » العنكبوت :٥٧)

ثالثها ـ ان الله تعالى لايخفى عليه شىء من أعمالهم : ظاهرها وباطنها ، و لايحيق به مكرهم فانه عالم الغيب والشهادة .

قال الله تعالى : « انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون » البقرة : ٣٣) .

وقال : « الله يعلم ماتحمل كل انثى وما تغيض الارحام وماتزداد و كل شىء

عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » الرعد : ٨ ـ ١٠) .

و قال : « ان الله عالم غيب السموات و الارض انه عليم بذات الصدور » الفاطر : ٣٨) .

وقال : « ألم يعلموا أن الله يعلم سرّهم و نجواهم وان الله علام الغيوب » التوبة : ٧٨) .

رابعها ـ سيوقفون على حقيقة أعمالهم فيوفونها .

قال الله تعالى: « كل نفس ذائقة الموت وانما توفّون اجوركم يوم القيامة» آل عمران : ١٨٥) .

٩- (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله و ذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)

يا ايها الذين آمنوا اذا جاء وقت صلاة الجمعة ، وأذّن المؤذن لها في يوم الجمعة فامضوا إلى الصلاة مسرعين غير متثاقلين ولا متكاسلين فالمراد بالنداء للصلاة يوم الجمعة هو الاذان كقوله تعالى : « واذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بانهم قوم لا يعقلون » المائدة : ٥٨) .

« و ذروا البيع » : واتركوا البيع والشراء و كل مايشغلكم من عمل . . . عن صلاة الجمعة ، ذلك السعي إلى صلاة الجمعة و حضورها وخطبتها و إقامتها ، و ترك كل ما بين أيديكم من عمل أيها المؤمنون خير لكم من كل ما كان يحصّله الانسان من عمله الذى بين يديه إن كنتم تعلمون خيرية ذلك .

فاسعوا إلى الله جل و علا ، واطلبوا منه الرزق ، ولن يفوتكم ذلك بسماع عظاته لانه تعالى كفيل برزقكم ولن ينتقص بترككم البيع والشراء حين الصلاة . وحين سماع العظات والنصائح . . .

١٠ - (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله و اذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)

فاذا فرغتم من صلاة الجمعة فتفرّقوا فى الارض للتجـارة و التصرف فـى حوائجكم ، و اطلبوا من فضل الله تعالى رزقكم بالبيع والشراء ، وثوابكم بعيادة المرضى وحضور الجنائز والسعى فى حاجة مسلم ، وزيارة أخ فى الله جل وعلا وصلة أرحام وحضور مجلس العلم وما إليها مما فيه خير الدنيا وسعادة الاخرة .

« واذكروا الله » ذكراً كثيراً بالطاعة واللسان وبالشكر على مابه أنعم الله تعالى عليكم من بعث الرسول ﷺ وتلاوته آيات الله جل وعلا عليكم وتزكيتكم من أدناس الكفر والمعصية وتعليمكم الكتاب والحكمة ومن التوفيق لاداء الفرائض ... فعليكم التوجه إلى الله عزوجل قلباً ولساناً وعملا فى جميع الاحوال . . . «لعلكم تفلحون » : تفوزون فوزاً عظيماً .

قال الله تعالى : « واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله » البقرة : ٢٣١) .

وقال : « و اذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ـ و اذكـروا اذ كنتم قليلا فكثركم » الاعراف : ٦٩ ـ ٨٦) .

و قال : « يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً و سبحوه بكرة و أصيلا هو الذى يصلّى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور و كان بالمؤمنين رحيماً تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعدّ لهم أجراً كريماً »الاحزاب ٤١ـ٤٤)

١١ ـ (واذا راوا تجارة اولهوا انفضوا اليها وتركوك قائماً قل ماعندالله خيرمن اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين)

واذا رأى بعض المسلمين عير تجارة اولهواً تفرّقوا فى عجلة و فى غير نظام أسرعوا إلى إحداهما وتركوك يامحمد ﷺ فى خطبة صلاة الجمعة قائماً على المنبر قل لهم مبيّناً خطأما عملوا : ماعندالله تعالى من الثواب على سماع الخطبة وحضور الموعظة والصلاة والثبات مع النبى الكريم ﷺ خير وأحمد عاقبة و أنفع لكم من اللهو ومن التجارة .

« و الله خير الرازقين » يرزقكم و إن لم تتركوا الخطبة وصلاة الجمعة ،

فاطلبوا منه جل وعلا ، واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا والاخرة.

فحقاً على المؤمنين أن لاتلهيهم تجارة ولهو ولاأموالهم واولادهم عن ذكر الله تعالى وعبادته فان ذلك من خصائص الكافرين والمنافقين .

قال الله تعالى : « رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة و وايتاء الزكوة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب »النور: ٣٧ ـ ٣٨)

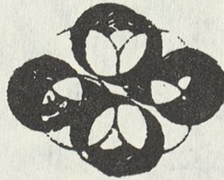
وقال : « يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ــــــ ولاأولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون » المنافقون : ٩)

وقال : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا »

الانعام : ٧٠)

وقال : « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون »

الحجر : ٣)



﴿جملة المعاني﴾

٥١٧٨ - (يسبح لله ما في السموات و ما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم) .

ينزهه تعالى كل ما في السموات وما في الارض عما لايليق بساحة قدسه جل و علا الذي هو الملك المطلق لتدبير أمر الخلق و انفاذ حكمه في نظامي التكوين و التشريع ، الذي هو المنزه عن كل نقص في ذاته ، و المبرأ من كل عيب في صفاته ، الذي هو الغالب على أمره ، فلا يغلبه شيء ، ولايمتنع عليه شيء ، العالم الذي يضع كل شيء موضعه في ملكه وصنعه وحكمه ، فهو الحكيم: حكيم في نظامي التكوين والتشريع .

٥١٧٩ - (هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته و يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) .

الله تبارك وتعالى هو الذي بعث في الذين لم يكن معهم كتاب من عندالله جل وعلا ولابعث إليهم من قبل رسولاً ﷺ يتلوا عليهم آيات الله تعالى، ويطهر بها أنفسهم من أرجاس الكفر و العصيان و يعلمهم كتاب الله سبحانه و معارفه و إن كان هؤلاء الاميون من قبل ذلك لفي ضلال الكفر و الطغيان البيّن .

٥١٨٠- (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) .

و هم الذين يدخلون في دين الله تعالى كائنا من كان إلى يوم القيامة لم يلحقوا بالمؤمنين بعد و الله جل و علا هو الغالب في أمره ، الحكيم في صنعه و حكمه .

٥١٨١- (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم) .

بعثة هذا النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم إلى كافة الناس فضل من الله تعالى إليهم يعطيه من يشاء ، والله جلا وعلا ذوالمن العظيم على خلقه .

٥١٨٢ - (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله والله لايهدى القوم الظالمين) .

مثل اليهود الذين تعلّموا التوراة و كلّفوا القيام بها ثم لم يعملوا بها كمثل الحمور التى تحمل كتباً على ظهرها لاتحسّ بما فيها الاّ التعب بتحمل ثقلها بئس مثل هؤلاء اليهود مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله جل وعلا فظلموا بذلك على أنفسهم ، والله لايهدى القوم الذين ظلموا .

٥١٨٣- (قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) .

قل يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء اليهود الذين تهوّدوا : ان زعمتم انكم اولياء لله و أحبائه من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين فى زعمكم هذا .

٥١٨٤- (ولايتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) .

ولايتمنى هؤلاء اليهود الموت قطّ بسبب ماأسلفوه من الكفر ، وقتل الانبياء ونقض المواثيق ، وتكذيب آيات الله تعالى ، والله عليم بالذين ظلموا .

٥١٨٥- (قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعلمون) .

قل يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء اليهود : ان الموت الذى تهربون منه، وتأبون أن تتمنوه فانه ملاقيكم ثم ترجعون إلى غيب السموات و الارض ، فيخبركم بما كنتم تعملون فى الحياة الدنيا .

٥١٨٦- (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خيرلكم ان كنتم تعلمون) .

يا أيها الذين امنوا حين جاء وقت صلاة الجمعة ، و أذّن المؤذّن لها فى يوم الجمعة ، فامضوا إلى الصلاة مسرعين غير متثاقلين واتركوا البيع و الشراء وكل ما يشغلكم من عمل عن صلاة الجمعة ، ذلك السعى و ترك ما يشغلكم عن الصلاة خيرلكم من كل ما كان يحصّله الانسان من عمله الذى بين يديه إن كنتم تعلمون خيرية ذلك .

٥١٨٧ - (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)

فاذا فرغتم من صلاة الجمعة فتفرّقوا فى الارض للتجارة والتصرف فى حوائجكم ، واطلبوا من فضل الله تعالى رزقكم بالبيع والشراء وثوابكم بصالح أعمالكم ، واذكروا الله ذكراً كثيراً فى جميع الاحوال . . . لعلكم تفوزون فوزاً عظيماً .

٥١٨٨ - (واذا رأوا تجارة أولهواً انفضوا اليها و تركوك قائماً قل ما عندالله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين)

واذا رأى بعض المسلمين عيرتجارة اولهواً تفرّقوا فى عجلة وفى غير نظام أسرعوا إلى إحداهما وتركوك يامحمد ﷺ فى خطبة صلاة الجمعة قائماً على المنبر قل لهم مبيّناً خطأ ماعملوا : ماعندالله تعالى من الثواب خيرلكم من اللهو وأنفع من التجارة ، « والله خير الرازقين » يرزقكم .

﴿بحث روائي﴾

فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « يسبح لله مافى السموات ومافى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم » قال القدوس البرىء من الآفات الموجبات للجهل

وفى العلل : باسناده عن عبدالله بن الفضل الهاشمى عن أبى عبدالله عليه السلام فى حديث قال : و متى علمنا انه عزيز حكيم صدقنا بان افعاله كلّها حكمة ، وان وجهها غير منكشف .

وفى الكافى : باسناده عن سهل بن زياد عن بعض أصحابنا عن أبى الحسن الاول عليه السلام قال: بعث الله عزوجل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين فى سبع وعشرين من رجّب . الحديث .

وفى البرهان: بالاسناد عن سليم بن قيس عن على عليه السلام قال : نحن الذين بعث الله فينا رسولا يتلوا علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة .

وفى شواهد التنزيل : للحاكم الحسكانى الحنفى باسناده عن ابن عباس فى قوله : « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » الاية قال : الكتاب القرآن ، والحكمة ولاية على ابن ابيطالب عليه السلام

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى « هوالذى بعث فى الاميين رسولامنهم » عن أبيه عن ابن ابى عمير عن معاوية بن عمار عن ابى عبدالله عليه السلام قال : كانوا يكتبون ولكن لم يكن معهم كتاب من عندالله ، ولا بعث إليهم رسول ، فنسبهم الله إلى الاميين

وفيه : فى قوله تعالى : « وآخـرين منهم لما يلحقوا بهم » قـال : دخلوا الاسلام بعدهـم.

و فى المجمع : وروىان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه الاية فقيل له : من هؤلاء فوضع يده على كتف سلمان ، وقال : لو كان الايمان بالثريا لنالته رجال مـن هؤلاء.

وفى الـدر المنثور : باسنادهعن أبى هريرة قال : كنا جلوساً عندالنبى صلى الله عليه وآله وسلم حين انزلت سورة الجمعة ، فتلاها فلما بلغ : « وآخرين منهم لمايلحقوا بهم » قال له رجل : يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فـوضع يده على رأس سلمان الفارسى ؟ و قال : والذى نفسى بيده لو كان الايمان بالثريا لنالهرجال من هؤلاء.

وفيه : عن سعدبن عبادة : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لوان الايمان بالثريا لنا له رجال من أهل فارس.

و فـى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ثـم لم يحملوها كمثل الحمار » قال : الحمار يحمل الكتب ولايعلم مافيها ولايعمل به كذلك بنو اسرائيل قدحملوا مثل الحمارلايعلمون مافيه ولايعملون.

و فى الـدر المنثور : عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مـن تكلّم يوم الجمعة ، والامام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفاراً والذى يقول لـه : أنصت ليس له جمعة.

و فـى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « قل يا ايها الذين هادوا » الاية قال : ان فى التوراة مكتوب : أولياء الله يتمنون الموت.

وفى الكافى : باسناده عن عبدالله بن سنان عن ابى عبدالله عليه السلام قـال : جاء رجل إلى أبى ذر فقال : ياأباذر مالنانكره الموت ؟ فقال :لانكم عمرّتم الدنيا وخرّبتم الاخرة ، فتكرهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب.

و فى قـرب الاسناد : قال أبوعبدالله عليه السلام :« قل ان الموت الذىتفرون

منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »
قال : بعد السنين ثم بعد الشهور ثم بعد الايام ثم بعد الساعات ثم بعد النفس ثم:
« إذا جاء أجلهم لايستأخرون ولايستقدمون »

اقول : رواه الكليني قدس سره في الكافي باسناده عن بكر بن محمد الازدي عن الصادق عليه السلام وجاء فيه « تعد »بدل « بعد » في جميعها .

و في نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين اميرالمؤمنين علي عليه السلام في خطبة : « أيها الناس كل امرىء لاق مايفر منه في فراره الأجل مساق النفس والهرب منه موافاته » الخطبة .

اقول : رواه القمي في تفسيره في قوله تعالى :« قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم » الاية .

وفي الفقيه: روى انه كان بالمدينة اذا اذن المؤذن يوم الجمعة نادى مناد : حرم البيع لقول الله عزوجل : « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكرالله وذروا البيع »

وفي الدر المنثور : عن ميمون بن مهران : كان بالمدينة اذا اذن المؤذن من يوم الجمعة ينادون في الأسواق : حرم البيع حرم البيع .

وفي لب الالباب : لقطب الدين الراوندى : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطب يوم الجمعة وقال فيها: « واعلموا ان الله فرض عليهم الجمعة إلى يوم القيامة »الخطبة

وفي الخصال : باسناده عن ابي جعفر عليه السلام قال : انما فرض الله عزوجل من الجمعة إلى الجمعة خمساً وثلاثين صلاة فيها صلاة واحدة فرضها الله في جماعة وهي الجمعة ، ووضعها عن تسعة : عن الصغير والكبير والمجنون والمسافر والعبد والمرأة والمريض والاعمى ومن كان على رأس فرسخين . الحديث .

أقول : والمراد من الكبير : من لايقدر لهرمه و كبر سنه .

و في تفسير القمي : عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « فاسعوا إلى ذكر الله » يقول : اسعوا : امضوا ، و يقال : اسعوا اعملوا لها وهو قص الشارب ،

ونتف الابطين ، وتقليم الاظفار ، والغسل ، ولبس أنظف الثياب ، والتطيّب للجمعة فهو السعي يقول الله : « ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن » .

أقول : فالسعي ليس هو الاسراع في المشي فحسب .

و في العلل : باسناده عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اذا قمت إلى الصلاة ان شاء الله فأتها سعياً ولتكن عليك السكينة والوقار ، فما أدركت فصلّ و ما سبقت به ، فأتمه فان الله عزوجل يقول : « يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله » ومعنى قوله : « فاسعوا » هو الانكفات.

وفي عدة الداعي : عن عمر بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اني لا ركب في الحاجة التي كفانيها الله ماار كب فيها الا لالتماس أن يراني الله اضحى في طلب الحلال أما تسمع قول الله عزوجل : «فاذاقضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » ؟ أرأيت لو أن رجلا دخل بيتاً وطين عليه بابه ، وقال رزقي ينزل عليّ ، كان يكون هذا ؟ أما انه يكون أحد الثلاثة الذين لايستجاب لهم دعوة ، قلت : من هؤلاء ؟ قال: رجل عنده المرأة ، فيدعو عليها فلايستجاب له لان عصمتها في يده ، ولوشاء أن يخلّي سبيلها ، و الرجل يكون له الحق على الرجل فلايشهد عليه فيجحده حقه ، فيدعو عليه فلايستجاب له ، لانه ترك ما امر به ، و الرجل يكون عنده الشيء فيجلس في بيته فلاينتشر ولا يطلب ولا يلتمس الرزق حتى يأكله فيدعو ، فلايستجاب له .

وفي الكافي : باسناده عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت : قول الله تعالى : « فاسعوا إلى ذكر الله » ؟ قال : اعملوا وعجلوا فانه يوم مضيق على المسلمين فيه ثواب أعمال المسلمين ، فيه على قدر ما ضيق عليهم ، والحسنة و السيئة تضاعف فيه ، قال : و قال ابو عبدالله عليه السلام : والله لقد بلغني ان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتجهزون للجمعة يوم الخميس لانه يوم مضيق على المسلمين

و في ثواب الاعمال : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : الخير والشر يضاعف يوم الجمعة .

وفى نورالثقلين : بالاسناد عن فضيل بن يسار عن أبى جعفر عليه‌السلام قال : ان من الاشياء أشياء موسعة ، واشياء مضيقة ، فالصلوات مماوسع فيه تقدم مرة وتؤخر اخرى ، والجمعة مماضيق فيهافان وقتها يوم الجمعة ساعة تزول ، و وقت العصر فيها وقت الظهر فى غيرها .

و فى الفقيه : باسناده عن أبى ايوب ابراهيم بن عيسى الخزاز قال سئلت أبا عبدالله عليه‌السلام عن قول الله عزوجل : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله » قال: الصلاة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت ، وقال أبوعبدالله عليه‌السلام ان للرجل المسلم أن يفرغ نفسه فى الاسبوع يوم الجمعة لامر دينه فيسئل عنه .

و فى الكافى : باسناده عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه‌السلام قال : قال له رجل: كيف سميت الجمعة جمعة ؟ قال : ان الله عزوجل جمع فيها خلقه لولاية محمد و وصيه فى الميثاق فسمّاه يوم الجمعة لجمعه فيه خلقه .

وفى مجالس الشيخ : قدس سره باسناده عن سليمان الديلمى قال : سئلت جعفر بن محمد عليه‌السلام لم سميت الجمعة الجمعة ؟ قال : لان الله تعالى جمع فيها خلقه لولاية محمد و أهل بيته عليهم‌السلام

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى: « فاذاقضيت الصلاة فانتشروا فى الارض» يعنى اذا فرغ من الصلاة فانتشروا فى الارض قال : يوم السبت .

وفى المحاسن : باسناده عن أبى أيوب الخزاز قال : سئلت أباعبدالله عليه‌السلام عن قول الله عزوجل : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله» قال : الصلاة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت .

وفى قرب الاسناد : باسناده عن الامام الحسين بن على عليه‌السلام عن ابيه عليه‌السلام أربع تعليم من الله ليس بواجبات : قوله تعالى : « فكاتبوهم ان علمتم فيه خيراً » فمن شاء كاتب رقيقه ، و من شاء ترك لم يكاتب ، و قوله تعالى : « فاذا حللتم فاصطادوا » فاذا أجلّ فمن شاء اصطاد ومن شاء ترك لم يصطد ، وقوله تعالى: «فاذا وجبت جنوبها منها » فاذاذبح او نحر فمن شاء أكل من اضحيته ، ومن شاء لم يأكل،

وقوله تعالى : « فاذاقضيت الصلاة فانتشروا في الارض » فمن شاء انتشر ومن شاء أن يقعد في المسجد قعد .

وفي المجمع : و روى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في قوله : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض » الاية ليس بطلب الدنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة و زيارة أخ في الله .

اقول : و من المحتمل أن يكون المراد من قوله صلى الله عليه وآله وسلم ، « ليس بطلب الدنيا » أي ليس مقصوراً فيه ، ويؤيّده ما :

وفي المجمع : وروى عمر بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اني لاركب في الحاجة التي كفاها الله ماأركب فيها الا التماس أن يراني الله أضحى في طلب الحلال أماتسمع قول الله عزاسمه : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » ؟

أرايت لو ان رجلا دخل بيتاً وطيّن عليه بابه ثم قال : رزقي ينزل علي أكان يكون هذا ؟ أما انه أحد الثلاثة الذين لايستجاب لهم .

قال : قلت : من هؤلاء ؟ قال : رجل يكون عنده المرأة فيدعو عليها فلا يستجاب له لان عصمتها في يده لوشاء أن يخلي سبيلها ، و الرجل يكون له الحق على الرجل فلايشهد عليه فيجحده حقه فيدعو عليه فلايستجاب له لانه ترك ما امر به ، والرجل يكون عنده الشيء فيجلس في بيته فلاينتشر ولا يطلب ولا يلتمس حتى يأكله ثم يدعو فلايستجاب له .

و في تفسير القمي : باسناده عن أبي بصير انه سئل عن الجمعة كيف يخطب الامام ؟ قال : يخطب قائماً ان الله يقول : « وتركوك قائما » .

و في المجمع : عن جابر في قوله تعالى : « انفضوا إليها » أي تفرّقوا عنك خارجين .

وفيه : و روى عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال : انصرفوا إليها « و تركوك قائماً » تخطب على المنبر قال جابر بن سمرة : مارأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب

الاّ وهو قائم فمن حدثك انه خطب وهو جالس فكذّ به .

وفيه : وسئل عبدالله بن مسعود أكان النبى ﷺ يخطب قائماً فقال : أما تقرأ « وتر كوك قائماً » ؟ .

و فى الدر المنثور : عن طاوس قال : خطب رسول الله ﷺ قائماً . وابوبكر وعمر وعثمان ، وان اوّل من جلس على المنبر معاوية بن أبى سفيان.



﴿بحث فقهي قرآني في وجوب صلاة الجمعة﴾

قال الله تعالى : « يا أيها الذين امنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض و ابتغوا من فضل الله و اذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون و اذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين » الجمعة : ٩ - ١١).

حقاً ان التدبر فى الايات الكريمة يلهمنا على وجوب صلاة الجمعة عينياً فى جميع الازمان ... لان هذه الايات تشتمل لضروب من التأكيدات ووجوه من الدلالات كلها يدل على ذلك من بدء نزول الايات وتشريع هذه الفريضة العظمى إلى يوم الدين ، كما أن الايات السابقة على عمومها فى تسبيح الله تعالى ، وشمول الرسالة المحمدية ، والتنديد بمن حمّل الشريعة ثم لم يحملها كلها تمهيدات و تنبيهات لهذه الفريضة ، وانها جامعة شاملة لجميع المؤمنين : الموجودين فى زمن الوحى ، والمعدومين لما يلحقوا بهم الآ المعذورين ...

ومن التاكيدات والدلالات :

النداء لان من عادة العرب استعماله فيما يهم ، ولو لم يكن مناد يفهم الخطاب ، فيفرض المتكلم من المنادين مخاطباً ، إهتماماً بما أراده ، وإن لم يكن له مخاطب فى الحقيقة ، فيناديه لبيان موضوع الحكم وأهميته ، وخطابات القرآن العامة كلها من هذا القبيل لم يقصد بها مخاطب معلوم ، ولا مناد معين ، وانما يذكر النداء قبل بيان بعض الاحكام اهتماماً بها ، وتشويقاً إليها ، والغرض بيان

قانون عام يشمل لكل من كان كذلك ، والا فان الخطاب والنداء من الله تعالى المحيط بكل شيء مستحيل على حقيقته .

فلا دفع لما ذكر في علم الاصول من ان خطاب المشافهين هل يشمل للغائبين و المعدومين في فهم خطابات القرآن ؟ اذ لاخطاب ولامشافهة فيها مقصود ولاغائب ولامعدوم يشمله الخطاب ، و انما الغرض منها تشويق إلى أحكام عامة تشمل الموجودين حال الوحي ، ومن يوجد بعده على حد سواء .

و يشير إليه قوله تعالى الذى ذكر تمهيداً لذلك : « و آخرين منهم لما يلحقوا بهم » الجمعة : ٣) .

و منها : توحيد الخطاب إلى « الذين آمنوا » ايماءاً إلى أن صلاة الجمعة من لوازم الايمان ، و الا لم يبق فرق بين قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا » و قوله : « يا أيها الناس » فالجملة الاولى تشمل للمؤمنين كافة في جميع الاعصار إلى يوم الدين ، إذ ليس الخطاب بمقصود كالامر الذى يجيىء بعده ، فما الذى أسقط هذه الفريضة في زمان ، و أثبتها في زمان آخر ، أنسخ حكمها بالكتاب؟ لم يقله عاقل فضلا عن فاضل أم يجوز نسخ الكتاب بالسنة ؟ و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة خطبها يوم الجمعة - : « و اعلموا ان الله فرض عليكم الجمعة إلى يوم القيامة - ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فعليه بالجمعة يوم الجمعة » الخطبة .

وان هذا الشمول والاستمرار هما من طبيعة الفرائض الاسلامية ، والسنة المحمدية فان « حلال محمد حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام إلى يوم القيامة »

مع انك لاتجد أية حجة تختص فريضة الجمعة بالمؤمنين زمن حضور المعصومين عليهم السلام ، ولو كانت لضربت عرض الجدار لمخالفتها الكتاب والسنة الثابتة ستقرأها انشاء الله تعالى . . .

و منها : ما رواه الفريقان عن النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم انه خطب لاول جمعة

أقامها فى المدينة المنورة فقال : « ان الله افترض عليكم الجمعة فى مقامى هذا، فى يومى هذا ، فى شهرى هذا ، فى عامى هذا إلى يوم القيامة ، فمن تركها استخفافاً بها ، اوجحوداً لها فلا جمع الله له شمله ، ولا بارك له فى أمره ، ألا و لاصلاة له ولا زكاة له، ألا ولاحج له، ألا ولاصيام له ، ألا ولا بر له ، ألا ولا بركة له حتى يتوب ، فمن تاب تاب الله عليه »

ولم يستثن ـ فى من استثنى ـ المؤمنون زمان غيبة الامام المعصوم عليه السلام رغم استثناء التسعة: الصغير والكبير والمجنون والمسافر والعبد والمرأة والمريض والاعمى ، ومن كان على رأس فرسخين وهم الذين لم يشملهم قلم التكليف .

ومن التاكيدات والدلالات :

لفظ « اذا » عام يدل على تحقق الجزاء عند تحقق الشرط ، فالامر بالسعى حاصل كلمة تحقق النداء ، فما الذى أسقط أمر الله تعالى عند النداء فى زمن الغيبة ؟ وليس المراد بالنداء خصوص الصوت ، بل هو كناية عن وقت الظهر لان النداء كان وقته دائماً اعتبرته اهتماماً بذكر النداء خاصة لصلاة الجمعة اهتماماً بها ، و تفضيلا لها على غيرها من الصلوات ... إذلم يذكر أذا نها فى الكتاب بغير مكانه قال : « فاسعوا إلى ذكر الله » وقت الظهر من يوم الجمعة الذى ينادى فيه للصلاة ، فدل ذلك على انه لامفهوم لهذا الشرط بل دلت الآية على وجوب النداء والسعى معاً نظير قوله تعالى : « اذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم »

(المائدة : ٦)

اذ دل على وجوب الصلاة والوضوء معاً ، وفيه دلالة على وجوب الجماعة فى صلاة الجمعة ،لان النداء للجماعة ، فيجب تحصيل الجماعة لاداء فرض الجمعة فيكون للشرط مفهوم على هذا ، و كيفما كان فلفظ « اذا » حرف مبهم يدل على العموم ، ولفظ « من » بيان رافع لابهامه من جهة الزمان فى الاسبوع ، فيبقى عمومه لجميع الازمان أفراد المكلفين من غير ابهام .

ومنها: صيغة « نودى » فعل مبنى للمفعول ، ترك فيه الفاعل ليدل على وجوب

السعى عند نداء أى مناد من غير اعتبار شرط فيه مـن عصمة او غيرها حيث ان حذف المتعلق دليل العموم على ما تقرر فى البيان والاصول .

فلو كان الامام المعصوم عليه السلام شرطاً فى وجـوب الصلاة لما كـان لحذف المتعلق وجه ، ولوجب أن يقول : « اذ نادى منادى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أووصيه بعده » فاختلفت الكلمات فى المقيم لهذة الفريضة ، فقيل : هـو المعصوم عليه السلام فقط . و قيل : من كان مأذوناً خاصاً من قبل الامام المعصوم عليه السلام و قيل : الفقيه الجامع لشرائط الفتوى لانه يتولى امور المسلمين فى زمن الغيبة أومن ينصبه الفقيه ممن كان عادلا قادرا على إلقاء الخطبتين . وقيل : تجوز اقامتها فى زمن الغيبة لعدم مشروعيتها يومئذ . . .

و كل هذه الترديـدات والاحتمالات فى المقيم لصلاة الجمعة نـاشئة عن مجهولية الفاعل فى قوله تعالى : « نودى » أى اذا اقيمت و ليست إقامتها نـداء لها وانما هى التطبيق لفرضها ، والنداء لشى غير المنادى له بالضرورة ، فهل تقام الجمعة نداءاً لنفسها تحصيلا للحاصل إضافة إلى أن شرط إقامتها لوجوب حضورها خلاف الضرورة فان الجمعة كانت منذ بزوغها واجبة دون هذا الشرط ، فكيف دخل زمن الغيبة، فاصبحت الجمعة مشروطة باقامتها بعد إطلاقها؟! اذاً ف « اذا » هذه ليست شرطية ينتفى جزاؤها بانتفاء فعلها انما وقتية توحى بان صلاتها يوم الجمعة تفرض عند الاذان ، ولا صلاة هكذا الاّ صلاة الجمعة .

ثم لو كانت هى اقامتها فمجهولية المقيم لها فى « نـودى » تجهّل وتسفّه المترددين فيمن يقيمها ،فلو كانوا أشخاصاً خصوصاً لاشير إليهم فالفعل المجهول هنا علامة العموم،وان المقيم لاشرط فيه الاّ الشرط العام لائمة الجماعة : «العدالة» إضافة إلى الخاص بالجمعة « القدرة على إلقاء الخطبتين »ومن الضرورة ان النداء هنا هى الاذان لوقت فريضة الجمعة عند الزوال .

أيكون الاذان شـرطـاً لوجـوب السعى إلى صلاة الجمعة لمن يسمعه ، ام الشرط هو واقع الاذان وإن لم يسمعه اذاعلم بدخول الوقت ، أو الشرط هناليس

الا دخول الوقت، وليس الاذان الا إيذاناً له سواء أكان بنية فريضة الجمعة أم سواها؟

فجملة «اذا نودى» لاتعنى الا حلول الوقت المعلوم بالاذان غالباً، إذ لم تكن الشواخص وقتئذ منصوبة فى كل مكان، ولا أية وسيلة اخرى تؤذنهم بحلول الوقت الا الاذان، والجاهل بالوقت لايكلف بالفريضة الوقتية، ولا اظن فقيهاً يظن أن واقع الاذان أوسماعه أونية كونه للجمعة شرط لوجوبها فلم يقل «اذا نودى لصلاة الجمعة» ولكى لاتختص النداء بهانية أوهيئة خاصة للنداء، وانما نداء للصلاة الكائنة يوم الجمعة أذاناً للايذان بدخول وقتها.

اذ لايعقل أن يفرض الله سبحانه فريضة هامة كهذه، و شرط خيرة المكلفين فان أذ نوا وجبت والا فلا، فضلاعن نية الجمعة فى الاذان، فكيف يرفعها السامعون؟؟

فليس وجوب الجمعة مشروطاً بأى شرط من الشروط: إقامتها، أو نداء خاص لها، ولاالاذان ولا الاجتماع، وانما بدخول وقتها، فيجب السعى إليها على المؤمنين كافة: الائمة والمأمومين الا المعذورين.

فعلى الائمة إقامة الجمعة وجمع المأمومين ورعايتهم فى أداء فرض الجمعة وعلى المكلفين حضورها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته الامام راع ومسئول عن رعيته» الحديث...

فهنا نداء ان لفريضة الجمعة: الهى وهو نداء الله تعالى، وبشرى وهو الاذان للحث وتحريض المؤمنين لحضور الجمعة والايذان بدخول وقتها، ومن أسخف الاقاويل إناطة الفرض فى الاولى بالثانية، أصالة نداء المؤمنين وفرعية نداء الله جل وعلا.

فواجب السعى إلى فريضة الجمعة ـ إقامة وحضورا ـ لايناط إلا بحلول وقتها، ومن هنا لم يقل: «اذا نودى للصلاة الجمعة» إذ ليست لها نداء خاص.

و من الدلالات والتأكيدات:

ان لفظ «الصلاة» عام، وذكرها تأكيداً لبيان اشتمال صلاة الجمعة على

كل ما اشتملت عليه سائر الصلوات من المصالح التي ذكرلها كالنهي عن الفحشاء والمنكر، وانها معراج المؤمن، وقربان كل تقي، وعمود الدين، وغيرذلك من الاسراروالحكم... وان وجوبها متعين على المكلفين بدون شرط كما هو كذلك في سائر الصلوات لانها صلاة مثلها، فكيف يجوزتركها في زمان دون زمان مع أنها صلاة بنص الكتاب، وقد ثبت ان آية الجمعة نزلت في شأن صلاتها خلافاً لبعض المتفقهين اذ زعم انها نزلت في واقعة خاصة فقط، فليست بصدد التشريع وزعم التعارض بين نزول أوائل آيات الجمعة في تشريع حكم، وأواخرها في واقعة خاصة سواء قلنا بنزولها دفعة ام لا؟ غفلة عن انه لو لم تكن الايات بصدد التشريع فمن أين جاء فرض الجمعة ولو موقتاً الا أن يقول: ما جاء فرضها في الكتاب أصلا.

ومنها: لفظ «يوم» فانه ظرف مبهم عام من ألفاظ العموم، فيشمل كل يوم جمعة في جميع الاعصار... ولم يقل: «في يوم الجمعة» لان «يوم» ظرف يفيد ما تفيده «في» بياناً لموقع النداء ـ ظهر الجمعة ـ و هو الوقت الخاص لصلاة الجمعة، وتقريراً للصلاة من كونها صلاة الجمعة لاالظهر، اذاً فلاصلاةظهر يوم الجمعة الآ صلاة الجمعة على المكلفين بها.

ومنها: كلمة «الجمعة» فانها تشير إلى الاجتماع الذي يشمل لمصالح المسلمين في جميع الاعصار... فلو اختص لزوم الاجتماع بزمن حضور المعصوم عليه السلام فيلزم أن يترك المؤمنون سدى في زمن الغيبة، الآ ان يقال: لامصالح لهم يومئذ.

ومنها: جملة «فاسعوا إلى ذكرالله» و ذلك لان المراد بالذكر صلاة الجمعة اوخطبتها أوهما معاً وعلى أيّ تقدير، فالامر للوجوب و التعيين على ما تقرر في محله من أن الامر يدل على التعيين كما يدل على الوجوب، ولا سيما أوامر القرآن الكريم و خاصة في موارد التشريع، فالمستفاد من الاية الامر بالسعي إلى صلاة الجمعة والاهتمام في ايقاعها للمؤمنين غير المعذورين وقت

الصلاة ، وحيث كان الاصل عدم التقييد بشرط يلزم عموم الوجوب بالنسبة إلى زمن الغيبة والحضور لتوجه الخطاب إلى المعدومين بتبعية الموجودين ، و عدم اختصاص الاحكام الاسلامية بزمان دون زمان الا في موارد النسخ ولانسخ في المقام .

و ان التعبير بالسعي ـ و هو لغة دون العدو و فوق المشي ـ يدل على الاهتمام بصلاة الجمعة أكثر من غيرها من الصلوات إذ عبّر فيها بالاقامة كقوله تعالى : « اقيموا الصلاة » البقرة : ٤٣) .

وهذا الاهتمام ينافي سقوط هذه الفريضة العظيمة في زمان دون زمان في حين ان غيرها من الصلوات لاتسقط في وقت .

بل واجب السعي تأكيد لوجوب الجمعة وتحصيل مقدماتها و إزالة موانعها، دون اختصاص بالعدو أو الركض إليها ، ولايختصّ الامر بالسعي بالمأمومين أن يحضروها ، بل يعمّ كافة المكلفين: أئمة ومأمومين ، فعلى كل أن يسعى سعيه، فالامام يحضّر حالة لاقامتها ، و يحرّض المؤمنين لحضورها ، و المأموم يستعدّ لحضورها ويعدّ غيره لها ، فيستفاد اشتراط العدد في الجمعة أقله (الخمس) فان الامر بالسعي إلى الجمعة بصيغة الجمع الذي أقل مدلوله ثلاثة ، و الامام هو المسعىّ إليه لانه الذاكر لله تعالى حال خطبته ، فيكون خارجاً عن الجمع من هذه الجهة وإن كان داخلاً في عموم السعي ، و المؤذن هو المنادي الذي يؤذن بوقت الجمعة فيكون المجموع خمسة .

ويستفاد وجوب الخطبتين وإصغاءهما من قوله تعالى : « فاسعوا إلى ذكر الله» فان المراد بذكر الله الخطبتان نصاً واجماعاً لابد من إصغائهما لعدم فائدة السعي إليهما من دون إصغاء وان كان الذكر يشمل الصلاة ، وفي تسمية الخطبتين بذكر الله تعالى ، والتعبير بلفظ الجلالة « الله » دون غيره من الاسماء الحسنى تأكيدات متتابعة تدل على شدة الاهتمام بهما والحث عليهما ، وفيها ايماء إلى علة ذلك الاهتمام إذ انهما ذكر الله الذي لاينبغي أن يترك في حال من الاحوال..

وعلى كل حال فكيف يناسب هذا الاهتمام الشديد بصلاة الجمعة فى القرآن الكريم سقوطها عن المؤمنين فى زمن الغيبة بل بعد خلافة الامام الحسن بن على عليه السلام لان الائمة كانوا ممنوعين عن اقامتها ، فلم تكن واجبة الا عشر سنين زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأربع سنين زمن خلافة على والحسن عليه السلام هل نسخت هذه الفريضة العظمى ؟ أبا لكتاب ؟ فاين ؟ أم بالسنة ؟ فمتى قيل ؟!

ومن التاكيدات والدلالات :

قوله تعالى : « وذروا البيع » فانه صريح فى الوجوب تعييناً من وجوه :

أحدها - إن ارداف الامر بالسعى بالامر بترك البيع الذى هو ضد الخاص للسعى يدل على شدة الاهتمام بالسعى أكثر من جميع الاحكام الشرعية لان مصلحتها أهم من مصالح أكثر الاحكام ، ولذلك لم يرد فى القرآن الكريم أمر بشى وأمر بترك ضده الخاص غير هذا المورد، وهذا التأكيد الشديد ينا فى وجوبها أربع عشرة سنة ، وسقوطها بقية عمر الاسلام إلى قيام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف .

وفى الاية دلالة على ان الامر بالشىء لايقتضى النهى عن ضده الخاص إذ لو اقتضى لكان الامر بترك البيع عبثاً أو تاكيداً محضاً ، والتأسيس خير من التأكيد ولما امروا بالسعى إلى ذكر الله تعالى استلزم ذلك وجوب ترك كل ما يشغل عنه ، ولما كان الاهم فى عقل المعاش هو البيع خصّه بالذكر ، وأوجب تركه ، ولانهم كانوا ينفضون فى ذلك اليوم من قراهم وبواديهم إلى البيع والشراء .

وأما وجوب ترك ماسوى البيع من العقود كالاجارة والمزارعة والمراهنة ، وما اليها من المعاملات ، فقال اكثر المتقدمين : ان البيع هو المختص بالنهى، وقال بعضهم : ان تحريم البيع والشراء وقت النداء تعبّد ، وإن لم يكن مانعاً عن الصلاة اذ يجوز الجمع بين السعى إلى صلاة الجمعة والبيع والشراء ، فلا ينبغى التعدى إلى سائر مايشبهه لانه قياس ممنوع من غير ظهور العلة مع مخالفته للاصل.

وقال بعض المتأخرين : بتعدية حرمة البيع وقت النداء إلى كل العقود

بل الايقاعات من غير قياس بل من باب اتحاد طريق المسئلتين وهو الشغل عن ذكر الله تعالى مؤيداً باطلاق قوله تعالى : « وابتغوا من فضل الله ـ واذا رأوا تجارة ـ والله خير الرازقين » فان ابتغاء الفضل ، والتجارة ، وطلب الرزق لاتقصر في البيع .

وأما اقتضاء النهى عن البيع فساده ، فقال الشيخ في المبسوط بالفساد لمكان النهى ، والاكثرون بعدم الفساد لما تقرر في الاصول ان النهى في المعاملات لا يقتضى الفساد ، إذ لا مانع أن تقول : حرّمت عليك البيع ولوبعت انعقد .

فيكون المقصود بالنهى ايقاع الفعل لاذاته بخلاف النهى عن العبادة فانه اذا تعلق النهى بها أو بجزء منها أو بلازم من لوازمها تفسد .

ولا يبعد عدم الانعقاد ، وإن لم يكن النهى مطلقاً دالّاً على الفساد ليتم المطلوب والترغيب إلى الصلاة ، ولان مايدل على انعقاده هو إباحته ، فمع رفعها لاينعقد مؤيداً بأصل عدم انتقال المال الابدليل ، وليس بظاهر كون العقدالحرام الذى لايرضى الله تعالى به دليلا موجباً لذلك .

وبالجملة انتقال مال البايع الى المشترى وبالعكس الذى الاصل عدمه يحتاج إلى الدليل ، ومجرد البيع الذى هو حرام وخلاف ما يرضى الله به غير ظاهر في ذلك ، مع انه قد يدعى ظهور عدم الانعقاد من النهى كما ادعى بعض الاصوليين فتأمل .

ثانيها ـ ان الاية الكريمة دلت على أن في ترك الصلاة عقابين لمخالفة أمرين صريحين : « فاسعوا إلى ذكرالله » و « ذروا البيع » وغيرها من الاحكام لاتوجب الا عقاباً واحداً ، ولو قلنا باقتضاء الامر بالشىء النهى عن ضده الخاص إذ غايته الامر الضمنى ومخالفته لاتوجب العقاب ، وشدة المجازات دليل على عظم الذنب فالذنب في ترك صلاة الجمعة أعظم منه في ترك غيرها من الواجبات ، وهذه العظمة لا تناسب جواز تركها في جميع الازمان الا ماشذ .

ثالثها ـ ان المراد من ترك ليس هو تركه بخصوصه ، وإباحة غيره من

الاعمال ، بل ترك كل عمل ينافى صلاة الجمعة ، وخص البيع بالذكر لانه كان من أهم أعمالهم وأعودها فائدة ، فاذا وجب تركه مع فائدته ، فوجوب ترك غيره أولى ، ولذلك جاء الحديث كثيراً بحرمة السفر وغيره يوم الجمعة قبل الصلاة ، فتدل الاية على حرمة كل عمل وقت صلاة الجمعة غيرها .

رابعها ـ ان الامر بالسعى ظاهر فى التعيين ، ولكن الامر بترك البيع نص فيه لانّه بمعنى النهى عن البيع وتحريمه ، ولذلك يعتبر الفقهاء فى مقام الفتوى بحرمة البيع وقت النداء ، ولامعنى للحرمة التخييرية ، فانها مما لاتقبل التخيير فى نفسها .

خامسها ـ ان الفقهاء يتفقون انّ المخاطبين فى قوله تعالى : « وذروا البيع » جميع المؤمنين فى جميع الاعصار كسائر الخطابات القرآنية ، ويدل عليه العدول من الخطاب إلى الغيبة فى قوله جل وعلا : « واذا رأوا » ولو كان المخا ـ طبون فى قوله : « اسعوا ـ ذروا » أصحاب النبى ﷺ لوجب أن يقول : « وإذا رأيتم تجارة أو لهواً لانفضضتم » .

هل يقول عاقل : ان أحد الخطابين فى قوله : « فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع » من غير فصل بينهما للموجودين فقط ، والاخر لهم وللمعدومين .

سادسها ـ ان جملة : «ذروا البيع» جعلت صيغته نصاً فى الوجوب التعيينى إذ ليس الوجوب التعيينى الا طلب الفعل مع المنع من الترك لابمعنى ان الوجوب مركب من الامرين ، بل بمعنى شدة الالزام فى الطلب الذى ينحلّ إلى الامرين ، وهو مدلول الصيغة ، فاذا دلّ دال آخر عليه جعل الصيغة نصاً فى الوجوب ، و كان مدلولا عليه بدالين ، وطرد احتمال أن تكون الصيغة لغير الوجوب التعيينى والمنع عن الضد الخاص بذكر البيع يستلزم المنع عن الضد العام ، وهو الترك لالفائدة بطريق اولى ، فان البيع مع فائدته قد منع عنه ، فكيف مالافائدة فيه .

وهذا التأكيد ينافى عدم وجوبها على من كان فى زمن الغيبة ، وهم الاكثر عدداً والاطول زماناً والاحوج الى مصالح صلاة الجمعة ، وفوائدها وخيراتها و

عوائدها ممن كان فى زمن الحضور .

ومن التأكيدات والدلالات :

ان الامر بالسعى وترك البيع وقع جزاء لاذا وشرط النداء ، ولكن ليس النداء نفسها شرطاً لوجوب السعى وحرمة البيع ، وانما النداء يؤذن اوقت الجمعة والحضور ، وفى ذلك تشويق إليها لئلا يذهب النداء عبثاً .

ومنها : ان فى جملة « ذلكم خير لكم » من التأكيدات وأنحاء الدلالات ما تأبى السقوط عن أهل زمن الغيبة ، فان الخطاب يشملهم كما تقدم ، ومفادها حصر الخير بالجمعة ، وانه لمقيمها لا غير لمكان الحمل والظرف فى « لكم » و المجيىء بكاف الخطاب فى الاشارة ، والجملة الاسمية ، و« خير » هنا بمعنى اسم الفاعل ، وإن كان لفظه اسم تفضيل لعدم ذكر المفضل عليه ، ولفظا « خير » و « شر » اذا لم يذكر بعدهما المفضل عليه يستعملان فى مقام اسم الفاعل ، بل قد يذكر المفضل عليه ، ولا يراد من « خير » التفضيل كقوله تعالى : « ولعبد مؤمن خير من مشرك » البقرة : ٢٢١) اذ لاخير فى مشرك الا الشر كما فى قوله تعالى : « قل ما عند الله خير من اللهو » الجمعة : ١١) اذ لافضل فى اللهو بل هو حرام .

فلا يعنى : ان صلاة الجمعة خير من تركها اذ لافضل فى تركها حتى يكون اتيانها أفضل ، ولا أن صلاة الجمعة خير من اللهو اذ لا فضل فى اللهو حتى تكون الجمعة أفضل منها .

نعم نستطيع أن نقول : ان فى ذكر « خير » بعد الامر بترك البيع اشعاراً بان الخير فى صلاة الجمعة أكثر من الخير الذى فى غيرها من كل ما يشغل الانسان عنها من البيع وعرض الدنيا وغيرهما . . .

وعلى أى تقدير فما الذى صدّ أهل زمن الغيبة عن هذا الخير العميم المؤكد بهذه التاكيدات على هذه الجملة تنادى بان فى صلاة الجمعة مصالح كبرى ؟ ! وطلب المصلحة الملزمة واجب عقلا وشرعاً كدفع المفسدة ، فما الذى أخرج أهل هذا الزمان عن هذا الحكم العقلى المؤكد من الشرع بهذه التأكيدات

البليغة . . .

ومنها: ان فى قوله تعالى : « إن كنتم تعلمون » تشويقاً إلى صلاة الجمعة ، وتوبيخاً على تركها ، وان تركها لا ينبغى أن يصدر الا ممن لا علم له بمصالحها للمسلمين وعوائدها على المؤمنين ، وإرغامها للمنافقين ، وما فيها من السطوة و السلطان والقوة والبرهان ، وقد أيّد ذلك العيان ، وعضده الوجدان ، فما ذلّ المسلمون على كثرتهم وسعة ممالكهم الا بتركهم أحكام الملك الديان ، وكان فى هذه الجملة إشارة إلى مايجرى فى آخر الزمان من ترك المسلمين للجمعة جهلا بمصالحها ونصوصها ، فأراد الله تعالى ردعهم عن ذلك بهذا التأكيد الشديد والتوبيخ الاكيد .

فلا تختص الاية بزمان دون زمان ، بل تصرح بشمولها لكل زمان اذ ترك صلاة الجمعة لايصدر الا ممن لايعلم نص القرآن ، ولاما يستهدفه ، ولو كان من أهل هذه الازمان . . .

قال الاردبيلى قدس سره فى (زبدة البيان) : « إعلم أن الذى استفيد من الاية الشريفة هووجوب صلاة الجمعة على كل مؤمن بعدالنداء يوم الجمعةمطلقا ، وتحريم البيع حينئذ ثم إباحته بعدها » .

وقال بعض المحققين من الفقهاء : « الدليل على وجوب الجمعة انها تحرّم البيع ، ولولا وجوبها ما حرّمته لان المستحب لايحرم المباح » .

وفى المجمع:قال : « وفى هذه الاية ـ ياأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة الخ ـ دلالة على وجوب الجمعة ، وفى تحريم جميع التصرفات عند سماع أذان الجمعة لان البيع انما خص بالنهى عنه لكونه من أعم التصرفات فى أسباب المعاش وفيها دلالة على ان الخطاب للاحرار لان العبد لايملك البيع ، وعلى اختصاص الجمعة بمكان ، ولذلك اوجب السعى إليه ، وفرض الجمعة لازم جميع المكلفين الا أصحاب الاعذار من السفر او المرض او العمى او العرج أو أن يكون امرأه أوشيخاً هماً لاحراك به أوعبداً أويكون على رأس أكثر من فرسخين من الجامع ... »

وفى البحار : قال المجلسي قدس سره : « فالذى يترجح عندى منها الوجوب المضيق العينى فى جميع الازمان ، وعدم اشتراط الامام او نائبه الخاص او العام ، بل يكفى العدالة المعتبرة فى الجماعة ، والعلم بمسائل الصلاة إما اجتهاداً أو تقليداً ، أعم من الاجتهاد والتقليد المصطلح بين الفقهاء او العالم والمتعلم على اصطلاح المحدثين ، نعم يظهر من الاخبار زائداً على إمام الجماعة القدرة على ايراد الخطبة البليغة المناسبة للمقام بحسب أحوال الناس ، و الامكنة و الازمنة والاعوام والشهور والايام والعلم بآدابها وشرائطها »

و فى الاية إشارة إلى أن الخطاب مختص بالاحرار دون العبيد لان العبد محجور عليه ، ممنوع من التصرف ، وفيها دلالة على عدم صحة الجمعة من الكافرين لفقدهم الايمان ، وان كانوا مكلفين عليها كسائر الفروع الاصول . . . و دلالة أيضاً على اختصاص الجمعة بمكان خاص يجب السعى إليه ، وهو قولنا : انه لا يجمع جمعتان فى فرسخ .

ومن الدلالات والتأكيدات :

ان الامر بالانتشار بشرط قضاء الصلاة بقوله تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا » يدل على حرمة الانتشار بدون ذلك ، وهو تأكيد لما دلّ على الوجوب التعيينى سابقا بتكرير المنع عن ضد الواجب الخاص قبل أدائه لاستلزامه ترك ذلك الواجب ، ودليل على وجوب الجماعة فى الجمعة لان الانتشار لا يكون الاّ عن جماعة ، والجماعة غير واجبة فى الظهر ، وبتكرير لفظ الصلاة ، والعدول عن الضمير إلى الظاهر حيث قال : « فاذا قضيت الصلاة » ولم يقل : « فاذا قضيت » أو بقلب الجملة السابقة تأكيداً إلى التكرير .

فالجملة الاولى قالت : «اذا نودى للصلاة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع وقالت الجملة الثانية : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا وابتغوا من فضل الله » وفى ذكر فضل الله تعالى بعد الصلاة ، وترك البيع قبله ايماء إلى ان فضل الله لا يحصل الاّ بعد اداء الصلاة ، وليس البيع بموجب للرزق قبله ، اذ الرزق من فضل الله تعالى

ومن البديهى ان تلك التاكيدات المتتابعة والدلالات الواضحة لم توجد في حكم من الاحكام العامة والخاصة ، ومع ذلك كيف يقول قائل : ان هذا الحكم شرع لاربع عشرة سنة ، ثم سقط تعيينها فى باقى الازمان ؟ ! .

واختلف الاصوليون : فى الامر الوارد عقيب النهى هل هو للوجوب او للاباحة الرافعة للحظر ؟

واحتج أصحاب القول الثانى بقوله تعالى : « فانتشروا فى الارض » فانه أطلق لهم ماحر مه من المعاملات ، والانتشار ليس بواجب قطعاً ، و كذا قوله تعالى : « فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمر كم الله » البقرة : ٢٢٢) .

فان الامر هنا بعد التحريم للاباحة وإن كان فى الاصل للوجوب للاجماع على عدم وجوب ذلك ، ويحتمل الوجوب فى بعض الاحيان مثل الكسب للنفقة الواجبة .

وفى الامر بالانتشار إشارة إلى كون الساعى الذى وجبت عليه الجمعة ممن له القدرة على التصرف فى المعاش والاضطراب فى طلب الرزق، و كذا اذا فسّر نا السعى بالاسراع فى المشى ، و لما لم يكن الشيخ الكبير والاعرج و المريض والاعمى كذلك دلّ على عدم الوجوب عليهم و كونهم غير مخاطبين بها .

و منها : ان الامر بذ كر الله تعالى كثيراً بعد الصلاة ، و وقوعه جزاء، لها، و تعليل الفلاح بذلك فيه دلالة على أن الا كثار من ذ كر الله لاينفع ، و الفلاح وهو خير الدنيا والاخرة لايحصل الا لمن أدى صلاة الجمعة ، هو كذلك إذ قد شاهدنا ذلّ المسلمين فى قرون متمادية بترك الصلاة وفوت عوائدها عنهم ، وأما الاخرة فامرها بيد الله تعالى ونسئله العفو والمغفرة بفضله ، وأن ينفعنا بذكره .

فمع هذه التأكيدات كيف يصدف المسلمون عن الاكثار من ذكر الله تعالى ، و يضيعون الفلاح بتر كهم صلاة الجمعة ، و يخصون ذلك باهل زمان الحضور ، ويحرمون أهل هذا الزمان .

و منها : ان فى قوله تعالى : « واذ ارأوا تجارة اولهواً » الخ توبيخاً وذماً

لمن انفض إلى التجارة او اللهو قبل أداء صلاة الجمعة ، وتصريحاً بان ما عندالله تعالى انما يحصل بصلاة الجمعة ، وهو خير من اللهو و من التجارة اللتين زعموا أن فيهما خيراً ، وان الرزق الحلال يحصل بالتوجه إلى الله تعالى لانه بيده ، و ذلك خير رزق لان الله خير الرازقين .

ومن غير مراء ان الرزق ليس مقصوراً فى متاع الدنيا ، ومن البديهى ان فى اقامة الجمعة عز المسلمين ، و هو الرزق كله ، و أى رزق لمن عاش ذليلاً مهاناً محكوماً لغيره وليس هذا الهوان الا بترك أحكام الله ، و من أهمها صلاة الجمعة .

و يضاف إلى هذه التأكيدات و الدلالات إفراد سورة فى القرآن الكريم باسم الجمعة فيها آيات وجوب صلاة الجمعة ، وما يستفاد من نظم السورة ، فانه جل و علا ذكر تسبيح السموات و الارض له تعليماً ، و أردفه بمنّه على البشر بارسال رسول إليهم يعلمهم الكتاب و الحكمة بعد الضلال المبين ، و ذم اليهود على تركهم العمل بالتوراة ، و شبههم بالحمار الذى يحمل أسفاراً ، لم ينتفعوا بها كما لم ينتفع الحمار بما حمل تحذيراً للمسلمين لئلا يضيعوا الكتاب و الحكمة التى جائت إليهم كما ضيّع اليهود التوراة ، ثم ردّ مدعيات اليهود بولاية الله تعالى مع تضييعهم أحكامه تعليماً للمسلمين لئلا يدّعوا مثل ذلك من الدعاوى الفارغة اعلاماً بان الولاية لله لاتحصل الا بحفظ أحكامه ثم أمر باقامة المسلمين مع هذه التأكيدات ، و كان ذلك ايماء إلى ان المسلمين سيضيعونها ، و يكون حالهم حال اليهود فى الذل بتضييع أحكامه ، و ان اليهود بما أضاعت الاحكام صار مثلهم مثل الحمار يحمل أسفاراً .

هل يسع لمسلم بعد الحجة الواضحة والبرهان القاطع ترك صلاة الجمعة ؟ أله عذرفيه يعتذربه يوم يقوم الحساب ؟ أيصح ردّ كتاب الله تعالى بالاغراض الشخصية الواهية ، وتأويله بما لايرضى صاحبه؟ أو ينسخ الكتاب بالسنة لو كانت ولم تكن؟ وان الروايات الصحيحة المستفيضة تصرح بوجوب صلاة الجمعة ،وتؤيد

الكتاب فى المقام ، و كتاب الله تعالى وسنه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم يناديان بالوجوب التعيينى نصاً وظاهراً وتأكيداً وتوبيخاً وأمراً باقامة الجمعة ونهياً عن ضدّها تارة اخرى منطوقاً ومفهوماً فباى حديث بعد الله وآياته وسنة نبيه يؤمنون .

وحقاً ان الاخبار الصحيحة الواردة مفسّرة مبينة لما جاء فى القرآن الاّ ما لابد من طرحه لعدم موافقته الكتاب ، فليست الاخبار الاّ مبينة للايات لا مقيدة ولامخصّصة على مازعم بعضهم لقلة أنسهم بالايات القرآنية وعدم التدبر فيها جداً ، فلا وجه للقول بان لايمكن الاستدلال بآيات الجمعة لانها مقيدة بكثير من القيود مما يوجب سقوط أطلاقها عن الحجية ، وليس فى الاخبار مايقيد الايات الكريمة ، وأين التفسير من التقييد والتخصيص ، والقول بالوجوب التخييرى أو عدم مشروعيتها فى زمن الغيبة ردّ صريح على القرآن الكريم لمباينته لصريحه أو نصّه .

ولعمرى من تتبع فى الاخبار الصحيحة الواردة فى المقام، وتدبّر فى الايات الكريمة يجد جلياً ان الاخبار ليست الاّ بصدد بيان مدلول القرآن الكريم .

وقد ورد فى الاخبار سقوط الجمعة عن المرأة ، وهو تفسير للمخاطبين بقوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا » فان المخاطبين هم الذكور ، وفى مثله انما شمل الحكم النساء بقرائن وأدلة ليس مثلها هنا ، وعن الاعرج وهو تفسير لقوله تعالى : « فاسعوا » فان السعى دون العدو ، وفوق المشى ، و الاعرج لا يستطيعه ، و عن الاعمى لعجزه عن المشى الاّ بقائد او عكاز ، و كلاهما ينافيان السعى لانه ظاهر فى أمر كل أحد أن يسعى بنفسه ، وعن الشيخ الكبير لعجزه عن المشى ، فالامر بالسعى لايشمله ، وعن المريض لانه أسوء حالاً من الشيخ الكبير أو مثله، وعن المملوك لان المأمورين بالسعى هم المأمورون بترك البيع الظاهر بالاستقلال فيه ، لا الاذن عن المولى ، و العبد لا يسوغ له الاستقلال بالبيع ، فكيف يؤمر بتركه ، وعن المسافر لان شغله الظاهر الغالب هو السفر ، و البيع أغلب شغل المقيم ، فلذلك ورد مثلاً له لانه أظهر أعماله فهو المخاطب ، و فى قوله تعالى :

« وذروا البيع » دلالة اخرى على السقوط عن المرأة والمملوك و المريض والشيخ الكبير لانهم لايشتغلون بالبيع غالباً ،

وتعتبر الأخبار فى صحة الجمعة اقامتها جماعة ، وهو تفسير لقوله : « اذا نودى » لان النداء يكون للجماعة ، ولقوله : « إلى » لانه يدل على تعيين مكان واحد ، ولقوله : «فانتشروا» لان الانتشار هو تفرق عن اجتماع ، أو تفرق المجتمع ومنه نشر الصحف ، والجراد المنتشر ، وعينت الاخبار أول الزوال لوقت الجمعة إلى أن تتم ، وهو تفسير للنداء ، وانه هو الدلوك ، وبيان لان قوله تعالى : « أقم الصلاة لدلوك الشمس » الأسراء : ٧٨) لاتختلف فيه الايام ، ويوم الجمعة فى وقت صلاتها كسائر الايام فى أوقات صلاتها ، وأما امتداد وقت الظهر فهو مدلول آية : « اقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل » .

وتذكر الاخبار وجوب السعى على من بعد فرسخين عن محل إقامتها ، وسقوطها عمن بعد أكثر من ذلك اذا لم يكن إقامتها عنده ، أو فى محل يبعد عنه فرسخين ، وهو تفسير قوله تعالى : « إلى » لانها تقتضى ماتعينته الاخبار ... وتحكم بان لا يكون بين الجمعتين أقل من ثلاثة اميال ، وهو تفسير للاجتماع المستفاد من « إلى » و « انتشروا » وبيان على من عليه الاجتماع والسعى المستلزم لمسافة بعيدة أو قصيرة ، و تحكم بوجوب خطبتين ، وأن يكون الخطيب قائماً ، واستحباب أن يكون الخطيب بليغاً مترديا متعمماً مواظباً على الصلاة ، وهو تفسير لقوله تعالى : « وتركوك قائماً » بضميمة قوله تعالى : « يتبعون النبى » وقوله : « ولكم فى رسول الله اسوة حسنة » وبيان لان رسول الله ﷺ كان كذلك فى خطبتيه قبل صلاة الجمعة .

وفى قوله تعالى : « وتركوك قائماً » وجهان :

أحدهما ـ أى تخطب ففيه دلالة على اشتراط القيامة فى الخطبة ، فلا يجوز فيها القعود اختياراً .

ثانيها ـ أى قائماً فى الصلاة ففيه دلالة على أن الجماعة فى الجمعة شرط

فى الابتداء دون الاستدامة ، فلوانقضت الجماعة بعد النية والتكبير لم تبطل صلاة الامام ، فأتمها جمعة .

و تعتبر الاخبار العدد من سبعة إلى خمسة : أحدهم الامام ، ولاتصح فى أقل من ذلك ، وهو بيان للاجتماع المستفاد مما تقدم ، والاية تدل على الخمسة لان المخاطبين أقل مايصدق عليهم لفظ الذين ، وهم ثلاثة ومع المنادى المدلول عليه اذا نودى يكونون أربعة ومع الامام المدلول عليه بقائماً يكونون خمسة ، وهذا هو المعنى فى الخبر بقوله خمسة أحدهم الامام ، وأما السبعة ، فهى مستفادة من قوله تعالى ، « و ذروا البيع » فيضاف البائعان إلى الخمسة ، و يكون العدد بهما سبعة ولفرض التأكيد دلّ على أن الوجوب على السبعة أشد تأكيداً للنهى عن ضدّه مطلقا ، فيتعيّن دون الخمسة إذ يكمل عددهم بدون ذكر البايعين فلم ينه معهم عن كل ضدّ فيكونوا مخيرين .

وتدل الاخبار على ان وقت الجمعة مضيق ، و ليس بموسع كالظهر ، و هو المستفاد من قوله تعالى : « اذا نودى » الدال على أول الظهر ، و قوله : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا » الدال على الامر بالانتشار بعد الصلاة ، فيدل على ان وقت الجمعة مضيق بمقدار ماتتم به الخطبتان ، والصلاة وهو يدل على ان الظهر لاتجب يوم الجمعة معها إذلو وجب لما أمر بالانتشار بعد تمام صلاة الجمعة ، فقد اتضح بما ذكرناه انه ليس فى الاخبار مايعارض الكريم فى ذكر أحكام الجمعة و شرائطها على مازعمه بعض المتفقهين .

و لعمرى لو كان يتدبر فى القرآن الكريم على مايتفحص فى الاخبار لما وجد بين الكتاب والسنة الصحيحة تعارضاً ، ولم يطرح القرآن بالاخبار الضعيفة و بالقواعد التى لاتبتنى على كتاب ولاعلى سنة ، ولكن عمت الغفلة و لعل هذه هى السرّ فى تعطيل كثير من أحكام الدين وضلال المسلمين ، و عظمت مصيبة الاسلام ، وخفيت مصالح الاحكام .

واىّ مصيبة أعظم من تقديم الاصول العملية والقياسات والاستحسانات و

الشبهات الواهية والاغراض الشخصية ، وتأويل الاخبار الصحيحة على ما لا يرضى صاحبها ، وتقديم الاخبار الضعيفة على القرآن الكريم .

وبذلك ما أصاب المسلمين ما أصاب من البلاء والوهن والذل ، وتنكب طريق الشريعة السهلة السمحاء .



﴿ بحث فقهي روائي في صلاة الجمعة ﴾

وقد اختلفت الكلمات في وجوب صلاة الجمعة زمن الغيبة حتى انتهت إلى ستة أقوال :

أحدها ـ الوجوب التعييني اذا كان من يخطب سواء كان فقيهاً جامعاً لشرائط الفتوى أو مأذوناً من جانبه أم لا عند فقد الفقيه .

ثانيها ـ الوجوب التعييني مع الفقيه أو من كان مأذوناً منه ، والتخييري بدون ذلك .

ثالثها ـ الوجوب التعييني مع الفقيه ، والحرمة بدونه .

رابعها ـ الوجوب التخييري مطلقا .

خامسها ـ الوجوب التخييري ابتداء ، فاذاا قيمت تعينت .

سادسها ـ عدم مشروعية الجمعة زمن الغيبة مطلقا .

وما وجدت في الأخبار الواردة في أبواب الجمعة مايدل على شرطية الامام المعصوم عليه السلام أو اذنه ، أو عدم مشروعية الجمعة ، أو التخيير بينها وبين الظهر زمن الغيبة ، بل وقد تواترت الاخبار بوجوبها التعييني على كل مكلف بها في جميع الاعصار . . .

نعم وقد جاء في الروايات لفظ « الامام » اطلاقاً كما في وسائل الشيعة و الكافي والتهذيب والاستبصار والفقيه وغيرها منها :

في الوسائل : بالاسناد عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : صلاة الجمعة فريضة والاجتماع إليها فريضة مع الامام ، فان ترك رجل من غير

علة ثلاث جمع فقد ترك ثلاث فرائض، ولايدع ثلاث فرائض من غير علة الامنافق.

الافى رواية واحدة فجاء فيها بلفظ « الامام العادل » كما فى وسائل الشيعة بالاسناد عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال: تجب الجمعة على من كان منها على فرسخين، ومعنى ذلك اذا كان امام عادل، وقال: اذا كان بين الجماعتين ثلاثة أميال فلا بأس أن يجمع هؤلاء ويجمع هؤلاء، ولا يكون بين الجماعتين أقل من ثلاثة اميال.

ولو كان هذا القيد ـ عادل ـ من الامام عليه السلام ففى تقييد الامام بالعادل يدل على ان المراد به امام الجماعة كما هو ظاهر الرواية اذ لو اريد به المعصوم لكان القيد لغواً، ويؤيد ذلك روايات كثيرة منها:

وفى وسائل الشيعة: بالاسناد عن الفضل بن عبد الملك قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: اذا كان قوم فى قرية صلّوا الجمعة أربعة ركعات، فان كان لهم من يخطب لهم جمعوا اذا كانوا خمس نفر، وانما جعلت ركعتين لمكان الخطبتين.

وفيه: باسناده عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال: سئلته عن اناس فى قرية هل يصلّون الجمعة جماعة؟ قال: نعم ويصلّون أربعاً اذا لم من يخطب.

وقال المحقق الخبير الشيخ الحر العاملى صاحب الوسائل: « ويدل على ذلك جميع ما دلّ على الوجوب من القرآن والاحاديث المتواترة الدالة بعمومها وإطلاقها مع عدم قيام دليل صالح لاثبات الاشتراط، وما تضمن لفظ الامام من أحاديث الجمعة المراد به إمام الجماعة مع قيد زائد وهو كونه يحسن الخطبتين ويتمكّن منهما لعدم الخوف، وهو أعم من المعصوم، كما صرّح به علماء اللغة وغيرهم، وكما يفهم من إطلاقه فى مقام الاقتداء، والقرائن على ذلك كثيرة جداً، والتصريحات بما يدفع الاشتراط أيضاً كثيرة، وإطلاق لفظ الامام هنا كاطلاقه فى أحاديث الجماعة وصلاة الجنازة والاستسقاء والايات، وغير ذلك من أماكن الاقتداء فى الصلاة، وانما المراد به هنا اشتراط الجماعة مع ما ذكر».

وقال أبو الصلاح والمفيد فى المقنعة والاشراف والكراجكى بوجوبها عيناً فى الغيبة ، وكثير من الاصحاب حيث أطلقوا ولم يقيدوا الوجوب بشيء كالكلينى والصدوق وسائر المحدثين التابعين للنصوص الواردة عن أئمة الدين عليهم السلام أما الكلينى فلانه قال : « باب وجوب الجمعة وعلى كم تجب » ثم أورد الاخبار الدالة على الوجوب العينى ، ولم يورد خبراً يدل على اشتراط الامام أو نائبه حتى انه لم يورد رواية محمد بن مسلم توهم جماعة دلالتها على اعتبار الامام أو نائبه .

ومن العجيب ان الذين توهموا بعدم مشروعية صلاة الجمعة زمن الغيبة يشترطون فيها السلطان ، ثم يأولون السلطان إلى الامام المعصوم ، وما أدرى من أين وجدوا كلمة السلطان ليخيفوا الناس من اقامتها ؟ ! ولعمرى ليست فى رواية من الروايات الواردة فى أبواب الجمعة كلمة السلطان وانى لم أجد فيما جاء فى الكافى من (٦٨ حديثاً) فى أبواب الجمعة ، ولا فيما رواه الشيخ فى التهذيب من (١٤٣ حديثاً) فيها ، ولا فيما ورد فى الاستبصار من (٦٠ حديثاً) فيها ، ولافيما جاء فى وسائل الشيعة من (٣٥٦ حديثاً) فيها ، ولافيما جاء فى البحار من (٢٥٣ حديثاً) فيها ، ولافيما ورد فى غير تلك الكتب من الكتب المعتبرة للشيعة الامامية الاثنى عشرية كلمة السلطان .

ومن الاعجب انه توهم بعض المتوهمين ان المراد بالسنطان هو الامير ولو كان جائراً ، ومن هنا استشهد بسيرة الخلفاء الامويين والعباسيين والصفويين وغيرهم من الحكام الجائرة .

ومنهم من قال : تجاه الايات الكريمة والروايات المتواترة والدلائل المتقنة المشحونة فى الكتب الاربعة وغيرها ـ : الاصل عدم مشروعية الجمعة زمن الغيبة لفقد دليل متقن ، وانى لم ادر ماعنى من الاصل ؟ ـ أصل لايبتنى على كتاب ولا على سنة ـ وما عنى من الدليل المتقن بعد الايات الكريمة والروايات الصحيحة المتواترة ... ؟ « فباى حديث بعده يؤمنون » الاعراف : ١٨٥) .

وفى المقام شبهات واهية كلها مدفوعات لم أجد لذكرها أى فائدة فتركتها

وفي رسالة الجمعة: للمحدث محمد تقي المجلسي والد صاحب البحار قال: «فصار مجموع الاخبار الدالة على الوجوب مأتى حديث، والذى يدل على الوجوب بصريحة من الصحاح والحسان والموثقات وغيرها أربعون حديثاً، والذى يدل على المشروعية فى الجملة تسعون حديثاً، والذى يدل بعمومه على وجوب الجمعة وفضلها عشرون حديثاً، والذى يدل على عدم اشتراط الاذن بظاهره ستة عشر حديثاً».

فنشير إلى ما يسعه المقام:

في الكافي: باسناده عن جابر بن يزيد عن أبى جعفر عليه السلام قال: قلت له: قول الله عزوجل: «فاسعوا إلى ذكر الله»؟ قال: اعملوا وعجلوا فانه يوم مضيق على المسلمين فيه، وثواب أعمال المسلمين فيه على قدر ماضيّق عليهم، والحسنة والسنة تضاعف فيه قال: وقال أبوجعفر عليه السلام: والله لقد بلغنى ان أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتجهّزون للجمعة يوم الخميس لانه يوم مضيّق على المسلمين.

أقول: ان الرواية صريح فى الوجوب التعيينى زمن الغيبة لمكان الامر المؤكد بالتعجيل الوارد فى مقام تفسير الآية الكريمة الدالة على ذلك، وللحث وتشويق الامام عليه السلام وزمانه زمان غيبة اذ كان ممنوعاً عن إقامة الجمعة، وكان يقيمها غيره، ومع ذلك حث الامام عليه السلام عليها هذا الحث الشديد.

ويراد من لفظ مضيق فى الرواية ما يقابل الموسع والمخير، وهذا دليل آخر على الوجوب التعيينى، وفى ذيلها دلالة على شدة اهتمام المسلمين باقامة الجمعة والسعى إليها فى صدر الاسلام لعلمهم بمصالحها العامة، وتأكد وجوبها بحيث لا يقبل التوقيت.

ويؤيد ذلك ما فى وسائل الشيعة بالاسناد «عن زرارة عن عبد الملك عن أبى جعفر عليه السلام قال: قال: مثلك يهلك، ولم يصل فريضة فرضها الله، قال: قلت كيف أصنع؟ قال: صلّوا جماعة يعنى صلاة الجمعة».

اقول: ودلالة الرواية بالفاظ صريحة على وجوب صلاة الجمعة عينياً على

كل مسلم ، وانه لايعذر فيها أحد من المسلمين فى جميع الاعصار ما لايخفى على متأمل خبير الا أصحاب الاعذار . . .

و فى وسائل الشيعة : بالاسناد عن زرارة بن أعين عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال : انما فرض الله عزوجل على الناس من الجمعة إلى الجمعة خمساً و ثلاثين صلاة منها صلاة واحدة فرضها الله عزوجل فى جماعة وهى الجمعة، ووضعها عن تسعة : عن الصغير و الكبير والمجنون و المسافر و العبد والمرأة و المريض والاعمى ومن كان على رأس فرسخين .

أقول: ان علو الرواية فى الصحة غير خفى على فقيه ، ويستفاد منها امور.

احدها ـ وجوب صلاة الجمعة عينياً فى جميع الاعصار مع تأكيدات كثيرة منها ـ : لفظ الفرض الذى أصرح العبادات فى الوجوب وآكدها .

ومنها ـ : قوله : « على الناس » دفعاً لتوهم التخصيص بصنف وجماعة خاصة فى زمان خاص .

ومنها ـ : ضم صلاة الجمعة بصلوات يومية يؤكد وجوبها التعيينى .

ومنها ـ : قوله عليه السلام « وضعها عن تسعة » فانه فى قوة الاستثناء ، فيفيد تأكيد شمول الحكم لغير تلك الافراد، ويرفع احتمال حمل الفرض على الوجوب التخييرى ، فان فيهم من يجب عليهم تخييراً بالاتفاق ، ولفظ الامام الواقع فيها ، وفى سائر اخبار الجمعة والجماعة لاريب فى أن الظاهر فيها إمام الجماعة، بقرينة الجماعة المذكورة سابقاً .

ثانيها ـ تعتبر الجماعة فى الجمعة ، فلاتصح فرادى ، وعند فقد العدد المعتبر فى الجماعة لم تجب بخلاف غيرها من الصلوات اليومية ، اذلاتعتبر فيها الجماعة ، وتصح فرادى .

ثالثها سقوط الجمعة عن التسعة فلاتجب عليهم .

رابعها ـ ان التدبر و الدقة فى الرواية ـ لوخلى و طبعه ـ يلهمنا على كونها بصدد وجوب إقامة الجمعة على المكلفين من غير اختصاصه بزمان دون

زمان ، فحملها على بيان وجوب الحضور بعد اجتماع الناس مما لا يرضى صاحبها، مع أن الحامل هو الذي يقول بعدم مشروعية الجمعة زمن الغيبة ، فكيف يحملها على وجوب الحضور والسعي إلى الجمعة بعد انعقادها ؟!.

و يؤيد ماذكرناه مافي المجالس باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : « صلاة الجمعة فريضة ، والاجتماع إليها فريضة مع الامام ، فان ترك رجل من غير علة ثلاث جمع ، فقد ترك ثلاث فرائض ، ولا يدع ثلاث فرائض من غير علة الا منافق ».

ولا يخفى على سليم الذوق ان هذا الحديث الصحيح صريح في وجوب الجمعة وبعمومه شامل لجميع الازمان ، ومعلوم ان الظاهر من الامام في مثل المقام إمام الجماعة ، وقد عرفت سابقاً انه لامعنى لاخذ الامام اونائبه في حقيقة الجمعة ، و والعهد انما يعقل الحمل عليه اذاثبت عهد ودلت عليه قرينة ، وههنا مفقود ، و حمل مثل هذا التهديد الشديد على الكراهة اوترك المستحب غير وجيه لا يفعله عاقل فضلا عن فاضل .

وفي الكافي : باسناده عن أبي بصير ومحمد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « ان الله عزوجل فرض في كل سبعة أيام خمساً وثلاثين صلاة منها صلاة واجبة على كل مسلم أن يشهدها الا خمسة : المريض والمملوك والمسافر والمرأة والصبي »

وفيها دلالة بصراح على وجوب صلاة الجمعة عينياً على كل مسلم إلى يوم القيامة فلا يعذر فيها أحد من المسلمين لمقايستها بسائر الصلوات اليومية التي تجب تعيينا على المسلمين ، وورود الرواية عن الائمة عليهم السلام الذين لم يكونوا متمكنين من إقامتها بانفسهم ، ولكنهم كانوا يأمرون المسلمين باقامتها ، والسعي إليها الا من لم تجب عليه .

ويؤيد ذلك مافي وسائل الشيعة بالاسناد عن زرارة قال : حثنا أبوعبدالله عليه السلام على صلاة الجمعة حتى ظننت انه يريد أن نأتيه ، فقلت : نغد و عليك ؟ فقال : لا انما عنيت عندكم .

وفى صحيحة منصور عن أبى عبدالله عليه السلام قال: يجمع القوم يوم الجمعة اذا كانوا خمسة فما زاد، فان كانوا أقل من خمسة فلا جمعة لهم، والجمعة واجبة على كل أحد لا يعذر الناس فيها الا خمسة: المرأة والمملوك والمسافر والمريض والصبى.

وفى التذكرة: عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: كتب عليكم الجمعة فريضة واجبة إلى يوم القيامة.

رواه المحقق فى المعتبر والحلى فى المهذب.

وفى الصحيفة السجادية: وكان من دعاء الامام على بن الحسين عليه السلام فى يوم الأضحى و يوم الجمعة: «اللهم هذا يوم مبارك ميمون و المسلمون فيه مجتمعون فى أقطار أرضك، يشهد السائل منهم والطالب والراغب والراهب وأنت الناظر فى حوائجهم ...» الدعاء.

و فى وسائل الشيعة: قال وخطب أمير المؤمنين عليه السلام فى الجمعة فقال: «الحمد لله الولى الحميد ـ إلى أن قال ـ و الجمعة واجبة على كل مؤمن الا على الصبى و المريض والمجنون و الشيخ الكبير والاعمى و المسافر و المرأة و العبد المملوك ومن كان على رأس فرسخين».

و فى الكافى باسناده عن ربعى بن عبدالله و فضيل بن يسار جميعاً عن أبى جعفر عليه السلام قال: إنّ من الاشياء موسّعة، و أشياء مضيّقة فالصلاة مما وسّع فيه، تقدّم مرّة وتؤخر اخرى، و الجمعة مما ضيّق فيها، فان وقتها يوم الجمعة ساعة تزول، و وقت العصر فيها وقت الظهر فى غيرها.

و فى وسائل الشيعة: محمد بن محمد بن النعمان المفيد فى (المقنعة) قال: ان الرواية جاء ت عن الصادقين ان الله جل جلاله فرض على عباده من الجمعة إلى الجمعة خمساً و ثلاثين صلاة لم يفرض فيها الاجتماع الا فى صلاة الجمعة خاصّة، فقال جل من قائل: «يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون»

وفى المعتبر: للمحقق قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: الجمعة حق على كل مسلم

الا أربعة .

و في رسالة الجمعة : للشهيد الثانى قدس سره قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : الجمعة حق واجب على كل مسلم الا أربعة : عبد مملوك أو امرأة او صبى او مريض .

وفيها: قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى خطبة طويلة نقلها المخالف و المؤالف ـ : ان الله تعالى فرض عليكم الجمعة فمن تركها فى حياتى او بعد مماتى استخفافاً بها اوجحوداً لها ، فلا جمع الله شمله ولا بارك له فى أمره ، ألا و لاصلاة له، ألاو لا زكاة له ، ألا ولاحج له ، ألا ولاصوم له، ألا ولا برّ له حتى يتوب .

وفى كتاب سليم بن قيس الكوفى قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : الواجب فى حكم الله وحكم الاسلام على المسلمين بعد مايموت إمامهم او يقتل ضالا كان اومهدياً أن لايعملوا عملا ولا يقدّموا يداً ولارجلا قبل أن يختاروا لانفسهم إماماً عفيفاً عالماً ورعاً عارفاً بالقضاء والسنة ، يجبى فيئهم ويقيم حجّهم وجمعتهم ، ويجبى صدقاتهم . . . الخبر

ومن البديهى ان القيود : العفة والعلم والورع والمعرفة بالقضاء والسنة ، قيود لمن يقيم الجمعة لابد له منها لا للامام المعصوم عليه السلام لاستلزام اللغوية .

وفى شرح الحديد : ـ لما سوّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصفوف بأحد ـ قام صلى الله عليه وآله وسلم فخطب الناس ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أيها الناس ، اوصيكم بما أوصانى به الله فى كتابه من العمل بطاعته ، والتناهى عن محارمه ، ثم انكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذى عليه ، ثم وطّن نفسه على الصبر واليقين والجد والنشاط ، فان جهاد العدوّ شديد كربه قليل من يصبر عليه الا من عزم له على رشده ان الله مع من أطاعه ، وان الشيطان مع من عصاه ، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، و التمسوا بذلك ما وعدكم الله ، و عليكم بالذى آمركم به ، فانى حريص على رشدكم ، ان الاختلاف والتنازع والتشبيط من أمر العجز و الضعف ، وهو مما لا يحبه الله ولايعطى عليه النصر والظفر .

أيها الناس انه قذف في قلبي انّ من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عندالله غفرالله له ذنبه ، ومن صلّى على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وملائكته عشراً ، ومن أحسن من مسلم او كافر وقع اجره على الله في عاجل دنياه أو في آجل آخرته ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فعليه الجمعة الاّ صبياً أو امـرأة اومريضاً اوعبداً مملوكاً ، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه ، والله غنيّ حميد ، ما أعلم من عمل يقرّبكم إلى الله الاّ وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقرّبكم إلى النارالاّ و قدنهيتكم عنه .

وانه قدنفث الروح الامين في روعي انه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها ، لاينقص منه شيء وإن أبطأ عنها ، فـاتقوا الله ربكم ، وأجملوا في طلب الرزق ، ولايحملنكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربكم ، فانه لايقدر على ما عنده الاّ بطاعته ، قد بيّن لكم الحلال والحرام ، غير أن بينهما شبهاً من الامر لم يعلمها كثير من الناس الاّ من عصم ، فمن تركها حفظ عرضه ودينه ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى اوشك أن يقع فيه ويفعله ، وليس ملك الاّ وله حمى ، ألا وان حمى الله محارمه ، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده والسلام عليكم .

وغيرها من الروايات الواردة في صلاة الجمعة يدل منها بصراح على وجوب إقامة الجمعة والسعي إليها ، ومنها بظاهرها على ذلك من غير توقيت بزمان دون زمان إذا كان من يخطب وواجداً بشرائط الجماعة سواء كان فقيهاً جامعاً لشرائط الفتوى أم كان مأذوناً من قبله ،وعند فقدالفقيه فعلى من يحسن الخطبة و كان يليقاً للجماعة .

﴿في شرائط وجوب صلاة الجمعة وصحتها﴾

لا تجب صلاة الجمعة ولا تصح الا بشروط خمسة :

الاول : الامام العدل ، وهو المعصوم عليه السلام أو من نصبه لها خاصة ، أو مع غيرها من مناصبه ، وبدونهما تسقط عيناً بلا خلاف بين علماء المسلمين ـ الا الشافعي ، إذ لم يعتبرهما ـ وتجب تخييراً في زمن الغيبة بينها وبين الظهر ، و كانت أفضل فردى التخيير عند الاكثر ، وإن كان القول بوجوبها العيني يومئذ غير بعيد اذا انعقدت ، وحقاما وجدت مفراً من وجوبها عينياً في زمن الغيبة الا المصالح الشخصية المتوهمة ، أو التصادم لبعض المخالفين ، اولعدم أداء حق الجمعة في زمن الامراء الجائرة ، ولذلك اولت الاية الكريمة والروايات الصحيحة المستفيضة على مالايرضى صاحبها ، ولاشأن للاجماع اذا خالف الكتاب والسنة .

ويجوز لفقيه العصر الجامع لشرائط الفتوى أن يجمع بالناس الصلوات كلها ، وصلاة الجمعة والعيدين ، ويخطب الخطبتين مالم يخف في ذلك ضرراً ، وله أن ينصب لصلاة الجمعة من كان واجداً لشرائطها ، فلايصح لاحدأن ينصب نفسه لها كما لايجوز لاحد ان ينصب نفسه قاضياً من غير اذن الامام عليه السلام ومن ناب منابه عليه السلام في زمن الغيبة ، وليس هذا قياساً ، بل استدلال بالعمل المستمر في الاعصار اذ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعين لامامة الجمعة كما يعين للقضاء ، و كذا الخلفاء يعينون القضاة الا عند فقد الفقيه فاذاً يجوز لمن يحسن الخطبة و كان واجداً لشرائط الجماعة .

وان الفقيه الجامع لشرائط الفتوى منصوب من قبل الامام عليه السلام ولهذا يمضي

أحكامه ، وتجب مساعدته على إقامة الحدود والقضاء بين الناس فى زمن الغيبة كما نطقت به الاخبار الصحيحة . . . ولا يخفى ان وجود الامام عليه السلام ومن ينوب منابه شرط للوجوب .

الثانى : العدد ، وهو خمسة : أحدهم الامام ، ولا يكفى فيه الأقل من خمسة ، ولا يعتبر فيه أزيد من سبعة: أحدهم الامام نصاً واجماعاً ، فلو انفضوا جميعهم ، وليس غيرهم فى أثناء الخطبة أو بعدها قبل التلبس بالصلاة سقط الوجوب اذا لم يعودوا ، وكان الانفضاض لعذر ، لفوات الشرط ، نعم لو عادوا وصلوا إن كان تفرقهم بعد الخطبة ، ولم يطل الفصل .

ولا يقدح انفضاض الزائد على العدد ـ وإن حرم لو كان من غير عذر ـ من غير فرق بين أثناء الخطبة وتمامها .

ولو كان انفضاض العدد المعتبر بعد أن دخلوا فى الصلاة ، ولو بالتكبير لوجب الاتمام ، ولو لم يبق الا واحداً لانه شرط فى الابتداء دون الاستدامة .

الثالث : الخطبتان ـ عوض الركعتين ـ اجماعاً بقسميه ، ومنصوصاً قولا وفعلا ، فلا تكفى الخطبة الواحدة ، ولو أخل بواحدة منهما فلا جمعة ، كما لا جمعة بغير خطبة أصلا ، وانهما من شرائط الصحة .

ويجب فى كل واحدة منهما « الحمد لله » أى التحميد ، وكذا الصلاة على نبينا محمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم بعبارات عربية ، فلا يكفى غيرها نصاً وإجماعاً .

وأما الوعظ والانذار ودعوة المسلمين إلى التقوى فوجوبها خيرة الاكثر نقلا وتحصيلا بل اجماعاً ، ويجوز ذلك بغير العربية .

وتجب قراءة سورة خفيفة فى الخطبتين نصاً واجماعاً ، ويصعد الامام المنبر ، فيخطب ، ولا يصلى الناس مادام الامام على المنبر ، ثم يجلس على المنبر قدر ما يقرأ « قل هو الله أحد » ثم يقوم ، فيفتتح خطبة ثانية .

وان أقل ما تكون الخطبة

أن يحمد الله تعالى ويثنى عليه ، ويصلى على النبى الكريم وآله صلى الله عليه وآله وسلم

ويعظ الناس ، ويقرأ شيئاًمن القرآن المجيد ، ولابأس فى إجزاء آية واحدة مما يتم بها فائدتها، والاحوط قراءة السورةتمامها وان كانت أقصر السور القرآنية .

فهذه أربعة امورلابد منها فى خطبة الجمعة ، وان أخل بشيء منهالم يجز.

ولا يجب ترتيب أجزاء الخطبة . . . من تقديم الحمد ، ثم الصلاة ثم الوعظ ثم القرآن ، وإن كان الترتيب هو الاحوط .

وينبغى للامام أن يستغفرللمؤمنين والمؤمنات فى الخطبتين أوفى إحداهما ولاتصح الخطبة قبل الزوال نصا واجماعاً ، ولان الخطبتين بدل الركعتين فكما لايجوز ايقاع المبدل قبل الزوال فكذا البدل تحقيقاً للبدلية .

وفى جواز ايقاع الخطبتين قبل الزوال حتى اذا فرغ زالت الشمس قول .

نعم اذا اريد تطويل الخطبة للانذار والابشار والتبليغ وتذكير الامور الواقعة ، فيجوز الشروع قبل الزوال ، ولم ينوها خطبة الصلاة حتى إذا زالت الشمس :

ويجب أن تكون الخطبة مقدمة على الصلاة اجماعاً ، وللسيرة القطعية ، و التأسى بفعل النبى الكريم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم المعلوم بالنصوص...

ويجب أن يكون الخطيب قائماً وقت ايرادهامع القدرة لقوله تعالى : « و تركوك قائماً » ولفعل النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وامير المؤمنين والحسن عليهما‌السلام والصحابة ، فان عجز الخطيب عن القيام ، فيجوز له الجلوس .

ويجب الفصل بين الخطبتين بجلسة خفيفة نصاً واجماعاً .

وفى كون الطهارة شرطاً فيهما تردد ، ولكن الاحتياط لايترك تأسياً بالنبى الكريم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم حيث كان يتطهر قبلها ، وقيل : واجبة لتنزيلها منزلة الصلاة فى غير واحد من الأخبار ، ومقتضى البدلية هو المساواة فى الاحكام .

ويجب أن يرفع الخطيب صوته بحيث يسمع العدد المعتبر فصاعداً .

وفى وجوب الاصغاء إلى الخطبة تردد ، فاستظهر الوجوب من الآية الكريمة التى وردت فى الخطبة، وسميت قرآناً لاشتما لها عليه ، والامر بالانصات للقرآن.

و فى صحيح ابن مسلم عن الامام جعفر بن محمد عليه السلام قال : « اذا خطب الامام يوم الجمعة فلا ينبغى لاحد ان يتكلم حتى يفرغ من الخطبة » لولم يحمل لفظ « لا ينبغى » على كراهية الكلام خصوصاً فى الوعظ .

و كذا التردد فى حكم الكلام فى أثناء الخطبة لكن ليس بمبطل الجمعة اجماعاً ، وأما حال الجلوس بين الخطبتين فالاقوى عدم الحرمة .

وأن أوثق مايعتمدبه لاثبات مايعتبر في الخطبتين هو موثقة سماعة عن أبى عبدالله عليه السلام حيث قال : « ينبغى للامام الذى يخطب بالناس وهو قائم : يحمدالله و يثنى عليه ثم يوصى بتقوى الله ثم يقرأ سورة من القرآن صغيرة (قصيرة خ) ثم يجلس ثم يقوم فيحمد الله ويثنى عليه و يصلى على النبى وآله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أئمة المسلمين ، و يستغفر للمؤمنين و المؤمنات ، فاذا فرغ من هذا قام المؤذن فصلى بالناس ركعتين يقرأ فى الاولى بسورة الجمعة ، وفى الثانية بسورة المنافقين » .

الرابع : الجماعة فلاتصح صلاة الجمعة ابتداء فرادى ، فلوانفض المأمون فى أثنائها لم تبطل ، وهذا من شرائط الصحة والوجوب معاً .

وإن مات الامام فى أثناء الصلاة لم تبطل اجماعاً ، وجاز أن يتقدم الجماعة بنفسه او بتقديمهم له من يتم به الصلاة منهم كما فى غير الجمعة ، وان صلاحية الامامة تكفى هنا لوجوب اكمال ما انعقد صحيحاً ، و ان الاذن من الامام عليه السلام او من الفقيه شرط فى الابتداء دون الاثناء .

ولاتبطل الصلاة لو عرض للمنصوب مايبطل الصلاة من إغماء أو حدث ، فيستخلف منه من كان صالحاً لها .

الخامس : أن لايكون هناك جمعة اخرى ، وبينهما دون ثلاثة أميال ... وهذا من شرائط الصحة .

فان اتفقت الجمعتان بطلتا قطعاً ، فان سبقت إحدا هما و انعقدت صحيحة ولو بتكبيرة الاحرام بطلت المتأخرة ، و لو لم يتحقق السابقة و لو لاشتباهها بعد المعلومية أعادا معاً ظهراً على المشهور

﴿ كلام فى شرائط امام الجمعة ﴾

يعتبر فى إمام الجمعة كمال العقل و الايمان و العدالة و طهارة المولد و الذكورة، و كونه عالماً بالمعارف الاسلامية، و خبيراً بالامور الجارية على الاسلام والمسلمين . ..

ولاتجوز امامة النساء فى الجمعة مطلقاً لا امامة بعضهن لبعضهن، و لا للرجال، وفى جواز إمامة العبد تأمل، وخاصة إذا كان الحر حاضراً صالحاً لها، و فى جواز إمامة الابرص و الاجذم و الاعمى مع كون السليم حاضراً صالحاً لها نظر .

قال الامام جعفر بن محمد عليه السلام : « خمسة لايؤمون الناس على كل حال: المجذوم والابرص و المجنون و ولد الزنا و الاعرابى » وان الاعمى لايتمكن من الاحتراز من النجاسات غالباً ، ولانه ناقص لايصلح لهذا المنصب الجليل .

ولابد لامام الجمعة من الامتياز على سائر الائمة بميزات معرفية وعقادية و أخلاقية ، ومن حيث بلاغة الكلام و فصاحته ، وأن يكون شجاعاً صارماً و صامداً قوياً فى دين الله تعالى ، لايأخذه فى الله لومة لائم ، وخبيراً عارفاً مطلقاً متضلعاً فيما جرى ويجرى للمسلمين وعليهم ذلك الامام الخطيب دون الموظفين وعمّاظ السلاطين ، الذين يستغلون هذه الفريضة الالهية لتوطيد أركان عروش الطواغيت المستبدين ، المسيطرين على الشعوب بالسيف والنار .

ودون الخطباء الضعفاء الذين يحسبون الجمعة اجتماعاً للبكاء والدعاء ، فحسب رغم انها للبكاء على حالة المسلمين المتخلفة، ولا بكاء من يتدخل فى شئونهم

مستعمراً لهم ومستحمراً اياهم .

فليس البرد وشبه الاكفان لخطيب الجمعة على ماجاء في الروايات الواردة رمز للاستماتة في سبيل الله جل وعلا ، ودحر الشياطين ، كما أن الاتكاء على سيف اوقوس اوسلاح اليوم رمز لاماتة الاعداء كما ويجب على كل مسلم أن يعيش مميتاً مستميتاً ، ولكي تكون كلمة الله هي العليا و كلمة الكفر هي السفلى .



﴿ كلام فيمن تجب عليه الجمعة ﴾

يشترط فيمن تجب عليه الجمعة امور ثمانية :

أحدها : البلوغ ، فلا تجب على غير البالغ، وإن كانت صحيحة من المميز بناء على الصحيح من شرعية عباداته . . .

ثانيها: العقل ، فلاتجب على المجنون المستمر جنونه إلى فواتها .

ثالثها: الذكورية ، فلا تجب على المرأة نصاً واجماعاً ، وفى وجوبها على خنثى المشكل مشكل لفقد الشروط فيها، وتجوز للنسوة الجمعة اذا أمن من الافتتان والافتضاح ، وأذن لهن من عليهن استيذانه .

رابعها : الحرية ، فلا تجب على العبد اجماعاً ، ولا على المبعض والمكاتب والمدبر على المشهور.

خامسها : الحضر ، فلا تجب على المسافر اجماعاً ، وأما المقيم و من فى حكمه و كثير السفر والعاصى بسفره و نحوهم فهم خارجون عن المسافر شرعاً و عرفاً .

سادسها : السلامة من العمى والعرج والمرض .

سابعها : أن لايكون شيخاً كبيراً لاحراك معه الحاضر .

ثامنها : أن لايكون بينه وبين الجمعة أزيد من فرسخين، فان كان سقطت نصاً واجماعاً :

وفى المقام مسائل :

مسئلة ١- من لم يكن جامعاً للشروط المذكورة ، وحضر الجمعة المنعقدة

بغيره صحت منه ، و أجزأت عن الظهر .

مسئلة ٢ ـ لاتقضى جمعة لعدم شرعية الجمعة بعد وقتها و عدم مشروعية أدائها بعد الوقت .

مسئلة ٣ ـ يجوز للمسافر صلاة الجمعة رغبة فيها ، و قال بعض المحققين من الفقهاء : الاقوى الوجوب عيناً على المسافر لو حضرها ، و كذا المريض ، و من بعد بازيد من فرسخين والاعرج ونحوهم ... فتجب الجمعة عليهم اذاحضروها.

مسئلة ٤ـ لاتنعقدالجمعة بالمرأة والمريض ، ومن بعد بازيد من فرسخين، والاعرج والمسافر ونحوهم الذين لم يكلفوا على الحضور على الاقوى .

مسئلة ٥ ـ كل هؤلاء عدا المجنون ، ومن لم تكن عبادته من الصبيان شرعية اذا اتفق منهم، او تكلفوا الحضور للجمعة المنعقدة بغيرهم صحت منهم، وأجزأهم عن الظهر .

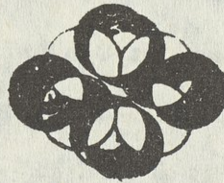
مسئلة ٦ـ من تجب عليه الجمعة ، ولاتنعقد به اذا حضر كالكافر والملحق به فلم تصح منه ، ولاتنعقد به ، وإن كانت واجبة عليه عندنا لان الكافر مكلف بالفروع كتكليفه بالاصول ، ولكن لايصح منه الفروع قبل الايمان بالاصول .

مسئلة ٧ ـ تجب الجمعة على أهل القرى كما تجب على أهل المدن مع استكمال الشرائط نصاًواجماعاً ، وما فى بعض الروايات الضعيفة : « ليس على أهل القرى جمعة » و « ان لاجمعة الا فى مصر تقام فيه الحدود » فمحمول على التقية لانه موافق لاكثر مذاهب العامة ، اوعلى حصول البعد باكثر من فرسخين مع اختلال الشرائط عندهم ويدل على ذلك كله من الاخبار مافى ذيل صحيح محمد بن مسلم من قوله عليه السلام : « ووضعها عن تسعة : الصغير والكبير والمجنون والمسافر والعبد والمرأة والمريض والاعمى ، ومن كان على رأس فرسخين » .

وهذه الصحيحة هى الجامعة للاعذار المسقطة للجمعة سوى العرج الذى ليس فيها ولا فى غيرها من الاخبار المتضمنة لبعض الاعذار عدى ما أرسله السيد فى مصباحه بقوله : وقد روى ان العرج عذر .

ولايبعد انجباره بالاجماع المحكى عن المنتهى وظاهر الغنية عليه الا انه قيده فى محكى التذكرة بما اذا بلغ حدّ الاقعاد ، بلعن جماعة التصريح بعدم السقوط اذا لم يبلغ إلىهذا الحد ، والحق انه مع المشقة بحيث يعد معهاالتكليف حرجياً ولوعرفاً سقط لعمومات أدلة نفيه الحاكمة على عمومات ادلة التكاليف ، ولا اختصاص له بالعرض ، بل يجرى فى كل ما يوجبه من البرد والحر اذا خاف الضرر معهما .

مسئلة ٨ ـ تجب الجمعة على ساكنى الخيم كالبادية اذا كانوا قاطنين مستكملين للشرائط ...



﴿ بيان وجوب الجمعة ووقتها و كيفيتها ﴾

فى المقام مسائل :

مسئلة ١ـ وجوب صلاة الجمعة ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع والضرورة الدينية فى الجملة .

مسئلة ٢ ـ صلاة الجمعة ركعتان كالصبح فيما عدا القنوت ونحوه على ما ستعرف ، وتسقط معهما الظهر بلا خلاف يعتنى به ، بل هو عند علماء الاسلام من الضروريات المستغنية بذلك من ذكر ما يدل عليه من النصوص والاجماعات ...

مسئلة ٣ ـ يستحب فيهما الجهر إجماعاً ، فعلى الامام أن يقرأ فى الركعة الاولى بعدالحمدسورة الجمعة، وفى الثانية بعدالحمدسورة المنافقون جهراً بهما .

مسئلة ٤ ـ تجب صلاة الجمعة عند زوال الشمس الذى هو أول الوقت نصاً وإجماعاً ، فلا تصح الركعتان قبل الزوال اجماعاً ، وانما الثابت من النص وفعل النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والتابعين فعلهما بعد الزوال ، فيقتصر عليه لعدم الدليل على شرعية غيره ، فتأخذ الخطبة عند الزوال .

مسئلة ٥ ـ يخرج وقت صلاة الجمعة اذا صار ظل كل شىء مثله إجماعاً .

مسئلة ٦ ـ لوخرج الوقت . وهو متلبس فيها أتمها جمعة ، بل يكفى فى اتمامها جمعة التلبس بها فى الوقت ، ولو تكبيرة للنهى عن ابطال العمل من غير فرق فى ذلك بين الامام والمأمون اذا انفرد بانفضاض المأمومين اوسبق المأموم اماماً لعذر .

مسئلة ٧ـ فى صلاة الجمعة قنوتان : أحدهما فى الركعة الاولى قبل الركوع

وفى الثانية بعد الركوع .

مسئلة ٨ - تفوت الجمعة بفوات الوقت ، ثم لاتقضى جمعة اجماعاً بقسميه ، فيصلى الظهر أداءاً إن بقى وقتها ، وقضاءاً لوخرج .

مسئلة ٩ - من وجبت عليه الجمعة عيناً ، فصلى الظهر كانت صلاته باطلة لعدم الامر بها ، ولم تسقط عنه الجمعة بلا خلاف ، بل وجب عليه السعى حينئذ ، فان أدركها ، وإلا أعاد الظهر من غير فرق بين العامد والناسى ، ولا بين ان يظهر فى نفس الامر عدم الوجوب أولم يظهر بل بقى الحال مجملا .

مسئلة ١٠ - لوصلى الظهر ناسياً، وظهر بعد الفراغ أوفى الاثناء عدم التمكن من صلاة الجمعة قبل الشروع فى العمل ، اوحال التلبس به أمكن القول بالاجزاء لموافقة الامر واقعاً وعدم التشريع .

مسئلة ١١ - لولم تكن شرائط الجمعة مجتمعة لكن يرجو اجتماعها قبل خروج الوقت ، فله الخيار فى تعجيل الظهر أوالصبر إلى أن يظهر الحال ، ولكن الاخير احوط .

مسئلة ١٢ - ان تيقن المكلف بالجمعة ان الوقت يتسع لاقل الواجب من الخطبة ، وركعتين خفيفتين وجبت الجمعة بلا خلاف .

مسئلة ١٣ - لو تيقن او غلب على ظنه ان الوقت لايتسع لذلك فقد فاتت الجمعة ، يصلى الظهر .

مسئلة ١٤ - من لم يحضر الخطبة ، وأول الصلاة ، وأدرك مع الامام ركعة قبل الشروع فى ركوعها بان دخل فى الصلاة قبل تكبير الامام لركوعه صلى جمعة إجماعاً بقسميه عليه ، وكذا لو أدرك الامام راكعاً فى الثانية ، فيستحب للامام اذا أحس بداخل أن يطيل ركوعه حتى يلحق به .

مسئلة ١٥ - اذا لم يتمكن المأموم من السجود بتمامه مع الامام فى الاولى التى أدرك ركوعها معه انتظر ولم يسجد ، فان امكنه السجود بعد قيام الامام واللحاق به قبل الركوع فعل وصحت جمعته اتفاقاً ، وإن لايمكنه ذلك حتى سجد

الامام للثانية اقتصرعلى متابعته فيالسجدتين من دون ركوع اجماعاً ، فلو تابعه بالركوع بطلت صلاته للزيادة ، فيسجد معه السجدتين وينوى بهما للاولى ثم يأتى بركعة ثانية لنفسه ، وصحت جمعته اجماعاً ، فان نوى بهما الثانية بطلت الصلاة لانه ان اكتفى بهما للاولى وأتى بالركعة الثانية تامة خالف نيته ، وانما الاعمال بالنيات ، وإن الغاهما ، وأتىبسجدتين غيرهماللاولى ، وأتى بركعةاخرى تامة زاد فيالصلاة ركناً ، وإن اكتفى بهما ولم يأت بعدهما الابالتشهد والتسليم نقص من الركعة الاولى السجدتين ، ومن الثانية ما قبلهما .

مسئلة ١٦- من كبر وركع ثم شك ، سواء كان الامام راكعاً ام رافعاً فلم يكن له جمعة ، فيصلى الظهر .

مسئلة ١٧- من سقطت عنه الجمعة ، ولم يحضرها يجوزأن يصلى الظهرفى أول وقتها ، ولايجب عليه تأخيرها حتى تفوت الجمعة ، بل لايستحب بل يستحب التقديم كغيره من الامام ، ولوحضر الجمعة بعد ذلك لم تجب عليه .

مسئلة ١٨ - اذا زالت الشمس لم يجز السفر ونحوه قبل أدائها لتعين عليه الجمعة نصاً واتفاقاً .

مسئلة ١٩- يكره السفر بعد طلوع الفجر يوم الجمعة .

﴿ مسائل فقهية في الجمعة ﴾

في المقام مسائل متفرعة لابد من ذكرها :

مسئلة ١ـ ان الأذان الثالث المسمى بالثاني للجمعة بدعة محرمة نصاً و فتوى ، إذ لم يعهد في الشريعة المقدسة لفريضة واحدة الا أذان و اقامة فمازاد على ذلك تكون بدعة .

و المراد بكونه ثالثاً بالنسبة للاذان و الاقامة لها ، و اطلاق الاذان على الاقامة معروف، او يراد به بالنسبة إلى أذان الصبح يوم الجمعة أي الاذان الثالث فيه بدعة ، و انما المشروع أذان للصبح ، و أذان لها خاصة ، فاذا جيىء بثالث لها كان بدعة ، فالمراد به التعريض بما في أيدي القوم ، وأما تسميته ثانياً فباعتبار انه يفعل حال جلوس الامام على المنبر .

وقال أبوالصلاح : قبل الصعود على المنبر وقيل : أنه يفعل بعد نزول الامام عن المنبر بعد فراغه من إكمال الخطبتين ، فلايجوز الاذان بعد نزوله ، مضافاً إلى الاذان الاول الذي عند الزوال ، فهذا هو الاذان المنهي عنه ، و يسميه بعض أصحابنا : الاذان الثالث ، وسماه ثالثاً لانضمام الاقامة إليهما فكأنها أذان أخر .

وفي المعتبر قال : الاذان الثاني بدعة ، وبعض أصحابنا يسميه الثالث لان النبي صلى الله عليه و آله و سلم شرع للصلاة أذاناً و اقامة ، فالزيادة ثالث ، و سميناه ثانياً لانه يقع عقيب الاذان الاول ، ومابعده يكون اقامة ، والتفاوت لفظي .

مسئلة ٢ـ يحرم البيع وقت الزوال يوم الجمعة اجماعاً ، و إليه يرجع ماعبّربه جماعة من الحرمة وقت النداء ، فمن باع عندئذ أثم ، و كان البيع

صحيحاً على المشهور بان النهى عن أمر خارج وهو ترك السعى ، فلامانع حينئذ من الصحة اتفاقا .

مسئلة ٣ـ لو كان المتعا قدان ممن لايجب عليهما السعى جاز اجماعاً بقسميه

مسئلة ٤ـ لو كان أحد المتعاقدين ممن لايجب عليه السعى ، والاخر يجب عليه كان البيع جائزاً بالنسبة إلى أحدهما وحراماً بالنسبة إلى الاخر .

مسئلة ٥ـ اذا لم يكن الامام العدل عليه السلام ولامن نصبه للجمعة ، ولاالفقيه الجامع لشرائط الفتوى ، ولامن نصبه لها ، وأمكن الاجتماع والخطبتان، فتجوز صلاة الجمعة .

مسئلة ٦ ـ اذا اتفقت الجمعة أحد العيدين : الفطر أو الاضحى لم تسقط خلافاً لاحمد بن حنبل ، فانه قال : اذا اجتمع عيد و جمعة سقط فرض الجمعة لتقدم العيد عليها واشتغال الناس به عنها .

فى الجامع لاحكام القرآن للقرطبى قال : « وتعلّق ـ احمد بن حنبل ـ فى ذلك بما روى ان عثمان أذن فى يوم عيد لأهل العو الى أن يتخلّفوا عن الجمعة ، وقول الواحد من الصحابة ليس بحجة اذا خولف فيه ولم يجمع معه عليه، و الامر بالسعى متوجه يوم العيد كتوجهه فى سائر الايام ، وفى صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ فى العيدين و فى الجمعة : « سبح اسم ربك الاعلى » و « هل أتاك حديث الغاشية » قال : و اذا اجتمع العيد و الجمعة فى يوم واحد يقرأ بهما أيضا فى الصلاتين ، أخرجه أبوداود والترمذى والنسائى وابن ماجه » .

مسئلة ٧ ـ من لايجب عليه حضور الجمعة فلايحرم عليه البيع و الشراء وقت النداء .

مسئلة ٨ـ فى فسخ العتق والنكاح و الطلاق وغيرها وقت النداء تردد ، فقيل : لاتفسخ اذليس من عادة الناس الاشتغال به كاشتغالهم بالبيع ، وقال بعضهم: يفسخ الجميع لان البيع انما منع منه للاشتغال به ، فكل امر يشغل عن الجمعة من العقود كلها وغيرها فهو حرام شرعاً مفسوخاً ردعاً .

﴿ كلام فى مندوبات الجمعة ﴾

للجمعة آداب وأعمال مندوبة كثيرة :

منها : يستحب يوم الجمعة حلق الرأس ، وقصّ الأظفار ، وأخذ الشارب و الغسل ، وورددان الغسل واجب على من يحضر الجمعة ، والغسل بالخطمى كل جمعة أمان من البرص والجنون .

ومنها : أن يكون متطيباً لابساً أحسن ثيابه وأنظفها ، ويستحب له التكبير واتيان المسجد على سكينة ووقار فى الحركة إلى المسجد .

ومنها : يستحب للمصلى أن يباكر إلى المسجد الاعظم الذى تصلّى فيه الجمعة أى يكون فيه بكرة لانه تسابق إلى الخير .

ومنها : التنفل بعشرين ركعة زائداً على غيره من الايام باربع على المشهور نصاً وفتوى ، ويستحب تفريقها فيه : ست عند انبساط الشمس ، وست عند ارتفاعها وست بعد الجمعة ، وركعتان قبل تحقق الزوال .

لما فى خبر أبى بصير عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال : ست بعد طلوع الشمس ، وست قبل الزوال اذا تعلّقت الشمس ، وركعتان قبل الزوال ، وست بعد الجمعة » .

فلو أخّر النافلة أجمع إلى بعد الزوال جاز ولكن أفضل تقديمها موزعاً لها حسب ما عرفت ، وإن صلى بين الفرضين ست ركعات من النافلة جاز .

ومنها : من يصلى ظهراً منفرداً ، ولا تجب عليه الجمعة ، فالافضل ايقاعها فى المسجد الاعظم .

و منها : أن يدعو الامام توجهه إلى المسجد .

و منها : أن يكون الخطيب بليغاً مراعياً لما تقتضيه الاحوال والامور الجارية بين المسلمين بالعبارات الواضحة الخالية عن التعقيد والابتذال لتكون موعظة جالبة للنفوس ، مؤثرة فى القلوب ، ويتوجه الناس إلى الاصغاء إليها .

و منها : أن يكون مواظباً على الصلوات فى أوقاتها ، وعلى الائتمار بما أمر به ، والانزجار عما نهى عنه ليكون له وقع فى النفوس ، فتكون موعظته اوقع فيها ، وأبلغ فى حصول ما هو المقصود من تشريع الجمعة ، و الاجتماع و الخطبة .

و منها : يستحب أن يتعمّم شاتياً كان او قايضاً ، و يرتدى ببرد يمنيّة او عدنية .

و منها : أن يسلّم الخطيب على الناس اولاً ـ لماورد ان الامام على عليه السلام كان اذا صعد المنبر سلّم على الناس ـ و أن يجلس أمام الخطبة على المستراح و هو الدرجة من المنبر فوق التى يقوم عليها للخطبة و ذلك ليستريح من تعب المشى والصعود ، و لانه لافائدة لقيامه حال الاذان ، و للتأسى ،فيقعد الامام على المنبر حتى يفرغ المؤذن .

و منها : أن يكون معتمداً حال الخطبة على شيء من قوس اوعصى اوسيف او نحوها .

و منها : يستحب أن يستقبل الناس الخطيب فيكون أبلغ فى السماع .

و منها : اذا سبق لسان الامام إلى قراءة سورة فليعدل إلى الجمعة، و كذا فى الثانية يعدل إلى سورة المنافقون مالم يتجاوز نصف السورة الا فى سورة الجحد والتوحيد .

و منها : يستحب الجهر بالظهر يوم الجمعة .

مكروهات الجمعة :

منها : يكره للخطيب أن يتكلم فى اثناء الخطبة بغيرها إذا لم يكن مفوتاً

لهيئتها، وسالباً لصدق المراد شرعاً منها، والا حرم الاجتزاء بها، ووجب استيناف غيرها، و كان وجه الكراهة مضافاً ـ إلى انفصام نظام الخطبة الموجب للوهن في الحمد والثناء والصلاة والابلاغ والانذار ـ ضيق الوقت، وانتظار المأمومين الذين يسأمون، ولايخلون غالباً من حاجات ربما تفوت لطول المكث.

و الظاهر ان تحريم الكلام مشترك بين الخطيب و السامعين أو الكراهية الا لضرورة.

و منها: يكره للسامع الكلام و الامام يخطب لما في قرب الاسناد باسناده عن أبي البختري عن جعفر عن أبيه ان عليا عليه السلام قال: يكره الكلام يوم الجمعة، والامام يخطب وفي الفطر والأضحى والاستسقاء.

و ذلك اذا لم ينفصم الكلام نظام الخطبة او الاستماع، والا فحرام قطعاً نصاً وفتوى.

و منها: يكره إنشاد الشعر وانشاءه يوم الجمعة وليلها، و إن كان حقا لتعظيم الجمعة و في رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا رأيتم الشيخ يحدث يوم الجاهلية باحاديث الجمعة فارموا رأسه ولو بالحصى.

وفي رواية: قال الصادق عليه السلام: تكره رواية الشعر للصائم و المحرم وفي الحرم وفي يوم الجمعة ـ قال الراوى وان كان شعر حق؟ قال: وان كان شعر حق.

وذلك لان أحاديث الجاهلية تميت القلب لخلوها عن المصالح الاجتماعية و الفوائد الاخلاقية، فنهى عنها يوم الجمعة لان ذلك اليوم خصّص لما يعم نفعه المسلمين في دنياهم واخراهم، وان الشعر كلام مقفى موزون خارج عن البساطة والعدل ومحرك إلى الأمور الخيالية لا إلى الحقيقة والصدق شبيه باقوال الكهان، وهو كما قيل نقص الكامل، فاراد الشارع الحكيم أن ينزه يوم الجمعة عن القول بغير الحق والمصلحة، ولو كان حقا بصورة الباطل والخيال، فنهى عن الشعر يوم الجمعة.

﴿ بحث مذهبى ﴾

يستدل على أن من شرائط الرسالة كون الرسول امياً ، و انه غير متعلم من أحد الى حين الرسالة بقوله تعالى : « هو الذى بعث فى الاميين رسولاً منهم » الجمعة : ٢) .

و يستدل على أن من شرائطها أن يقتضيها الزمان لضلالة أهله كافة إن كانت الرسالة عامة ، او لضلالة طائفة او طوائف لو كانت خاصّة بقوله تعالى : « وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » الجمعة : ٢) .

واستدلت الاشاعرة و من إليهم من المشبهة و المجسمة بقوله تعالى : « ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » الجمعة : ٨) على أن الله سبحانه كائن فى جهة « فوق » مستوياً على عرشه فوق اطباق الثرى،وانه ينزل ويصعد ويتحرك من مكان إلى مكان ، فيحويه مكان ويخلومنه مكان .

أقول : ان سخافة الاستدلال ظاهر لايخفى على عاقل فضلاً عن فاضل خبير، و ذلك لان الآية الكريمة ليست بصدد ماتوهموه ، و انما هى تقرّر ان الانسان يرد يوم القيامة إلى حكم الله تعالى يوم لاحكم الا حكمه ، و يؤيد ذلك قوله تعالى : « له الحكم و إليه ترجعون » القصص : ٧٠) .

وقوله : الا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » الانعام : ٦٢)

مع ان الفوقية والعلو لله سبحانه لاتعنى الجهة التى هى إحدى الجهات الست التى تحدد بها الاجسام من فوق وتحت ويمين ويسار وخلف وامام ، اذ بعدما انتفت الجسمية عن ذاته المقدسة لم يبق مجال لتصوير الجهة له سبحانه اطلاقا .

وذلك لان الله تعالى كان ولامكان ، لاخلاء ولااملاء ، فلم يكن فوق و لاتحت ولاجهة من الجهات اذ لاموجود سواه جل و علا ، و لما خلق تعالى هذا الكون ذاالجهات الست انتزعت له سبحانه صفة الخالقية والابداع وتكوين الاكوان و من غير مراء انه تعالى قبل أن يخلق العالم لم يكن فى كون ، و هكذا بعد ما خلق الكون لم يحل فى كون ، فلم يزل هو جل وعلا كائناً لا فى كون ، و موجوداً لافى جهة ، كما كان قبل أن يكون الكون ويوجه الجهات .

وانما نسبة ذاته المقدسة إلى الاكوان والجهات نسبة الترفع والتعالى عنها لانها محدثات ، ولا تناسب بين الحادث الممكن بالذات والازلى الواجب بالذات وانه تعالى فوق كل شيء ومتعال عنها لانه اوجدها وأحدثها ، والمخلوق تحت الخالق ، والصانع فوق المصنوع تحتيته لابالجهة ، وفوقيته لابالجهة، بل بالاعتبار و السببية المنتزعة مما بينهما من نسبة قائمة .

وهذا اذا مالاحظنا من تباين مابين عالم المادة وعالم ماوراء المادة ، وبما اننا عائشون فى وسط من العالم المادى ، فاذا اردنا الاشارة الى العالم الاخر غير المادى أشرنا - طبعاً - الى خارج عالمنا هذا ، وهذه الاشارة تقع إلى جهة «فوق» لا بما انه « فوق » بل باعتبار ان كل خارج عن هذا العالم المادى - فى المحسوس - فوق من كل الجهات، حيث الواقف فى مر كز كرة اذا اراد الاشارة إلى خارجها لابد أن يشير إلى خارج سطح الكرة الذى هو فوق بالنسبة الى من كل الجهات.

وهكذا بالنسبة إلينا ونحن عائشون على الارض اذا اردنا الاشارة إلى خارج عالمنا هذا إشارة بالحس لابد أن تقع اشارتنا إلى خارج هذا المحيط ، وهوفوق فى جميع جوانب هذه الارض .

وعليه فاذا ما اعتبرنا ان تدابير هذا العالم المادى فى جميع ارجاعه تنحدر من عالم ماوراء المادة من عند ربنا العزيز الحكيم، صح اطلاق الفوق عليه تعالى وهكذا التعبير بالنزول من عنده والصعود اليه، وما أشبه لالارادة التحديد والجهة الماديين ، بل الاعتباريين بالنظر إلى مابين العالمين من تباين وفرق ، ذاك إلى

ذروة العلى والشرف والغنى ، وهذا إلى حضيض الخسة والذل والافتقار .

قال الله تعالى : « وان من شيء الا عندنا خزائنه ومانتزله الا بقدر معلوم»
الحجر : ٢١)

أى ننزله إلى عالم المادة تنزيلا بالاعتبار ، حتى اذا ماثبت زرع اواستخرج معدن من تحت الارض اواصطيد سمك من جوف الماء ، وانه من بركات الله تعالى النازل علينا أهل الأرض .



﴿الحكمة وحقيقتها﴾

قال الله تعالى : « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » الجمعة : ٢) .

فى الاية الكريمة تقرير لحكمة البعث على طريق وصف المبعوث بصفات المدح والكمال وهى ثلاث :

أحدها ـ تلاوة ما جاء على مبعوث عليهم .

ثانيها ـ تزكيتهم من أرجاس الشرك ، وتطهيرهم من أدناس المعصية .

ثالثها ـ تعليمهم الكتاب والحكمة .

فلا بدلنا من البحث والتحقيق فى الاخيرمنها ، فنأخذ بذكرمعنى الحكمة وحقيقتها .

وللحكماء والمتكلمين ، والفلاسفةوالمفسرين ، وأصحاب اللغة والمحدثين تعاريف وكلمات فى معنى الحكمة وحقيقتها نشير إلى أهمها ، وإلى ما حققناه على سبيل الاختصار :

أما الحكماء : فقالوا : ان الحكمة : المعرفة وهى صيرورة الانسان عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العينى ، وان الحكمة أفضل علم بافضل معلوم ، وذلك لان الحكمة علم يقين لا تقليد فيه أصلا بخلاف سائر العلوم ، ولان فضل كل علم إما بفضل موضوعه او بوثاقة دلائله او بشرافة غايته ، وكل ذلك حق لعلم الحكمة بلا حاجة إلى بيان ، وأما فضل معلومها فان المعلوم بها هوالله جل وعلا ، وصفاته العلى ، وأفعاله المبدعة والمخترعة والكائنة وما اليها ، والمعلوم فى غيرها ليس

الا الاعراض: من الكم والكيف والحركة ومايجرى مجراها ...

ومنهم من قال: الحكمة: خروج النفس الانسانى إلى كماله الممكن فى جزأى العلم والعمل، أما فى جانب العلم فأن يكون متصوراً للموجودات كما هى ومصدقاً للقضايا كما هى، وأما فى جانب العمل فأن يكون قد حصل له الخلق الذى يسمى العدالة والملكة الفاضلة.

والحكيم: هوذوالحكمة أو من يحكم الاشياء ويتقنها، والحكيم من صفات الله تعالى، والحكيم: العالم صاحب الحكمة المتقن للامور، والحكيم: معرفة أفضل الاشياء بافضل العلوم، ولايسمى حكيماً الا من اجتمع له الاصابة فى القول والعمل، والفصل بين الحق والباطل، والحكيم: هو الذى لايفعل الا ما تقتضيه المصلحة العامة والحكمة، وجمعه: الحكماء.

وأما المتكلمون: فقالوا: العلم بحقائق الاشياء على ماهى عليه والعمل بمقتضاها، ولهذا انقسمت إلى علمية وعملية، ومنهم من قال: الحكمة: هيئة القوة العقلية العلمية، وهذه هى الحكمة الالهية وقوله تعالى: «ولقد آتينا لقمان الحكمة» لقمان: ١٢) فالمراد به حجة العقل على وفق أحكام الشريعة.

فى الكافى: فى خبر هشام بن الحكم عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام - قال: يا هشام ان الله تعالى يقول فى كتابه: «ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب» يعنى عقل، وقال: «ولقد آتينا لقمان الحكمة» قال: الفهم والعقل.

ومنهم من قال: ان الحكمة من الله تعالى معرفة الاشياء وايجادها على غاية الاحكام، ومن الانسان معرفتها وفعل الخيرات، وقد وردت الحكمة بمعنى الحلم وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب، فان كان هذا صحيحاً، فهو قريب من معنى العدل.

وتأتى الحكمة بمعنى النبوة والرسالة والقرآن والتوراة والانجيل لتضمن كل منها الحكمة المنطوق بها، وهى أسرار علوم الشريعة والطريقة والمسكوت عنها، وهى علم أسرار الحقيقة الالهية ...

وأما الفلاسفة : فقال صدر المتألهين رضوان الله تعالى عليه في (الاسفار) : اعلم أن الفلسفة إستكمال النفس الانسانية بمعرفة حقائق الموجودات على ماهي عليها ، والحكم بوجودها تحقيقاً بالبراهين لا أخذاً بالظن والتقليد بقدر الوسع الانساني ، وإن شئت قلت : نظم العالم نظماً عقلياً على حسب الطاقة البشرية ليحصل التشبه بالبارى تعالى ، ولما جاء الانسان كالمعجون من خلطين : صورة معنوية أمرية ـ أى منسوبة إلى عالم الامر ، وهو عالم العقول والارواح ، وهذا الاصطلاح مأخوذ من قوله تعالى : « ألا له الخلق والأمر» وقوله تعالى : « قل الروح من امر ربى » وانما سميت به لانها وجدت بامر الحق تعالى بلا واسطة مادة ومدة ، اذ يكفيها مجرد الامكان الذاتي في قبول فيض الوجود بلا حاجة إلى الاستعداد وأيضاً لما كانت مندكة الانيات لم يكن هناك مؤتمر بل كانت مجرد أوامر الله تعالى ـ ومادة حسية خلقية ، وكانت لنفسه أيضا جهتا تعلق وتجرد ، لاجرم افتنت الحكمة بحسب عمارة النشأتين باصلاح القوتين إلى فنين نظرية تجردية ، وعملية تعلقيّة .

أما النظرية فغايتها انتقاش النفس بصورة الوجود على نظامه بكماله وتمامه ، وصيرورتها عالماً عقليا مشابهاً للعالم العيني لافي المادة بل في صورته ورقشه و هيئته ونقشه ، وهذا الفن من الحكمة هو المطلوب لسيد الرسل والمسؤل في دعائه ﷺ إلى ربه حيث قال : « رب أرنا الاشياء كما هي ».

وللخليل عليه السلام أيضاً حين سئل : « رب هب لى حكماً » .

والحكم هو التصديق بوجود الاشياء المستلزم لتصورها أيضاً ، وأما العملية فثمرتها مباشرة عمل الخير لتحصيل الهيأة الاستعلائية للنفس على البدن والهيأة الانقيادية الانقهارية للبدن من النفس وإلى هذا الفن أشار بقوله ﷺ : « تخلقوا باخلاق الله » واستدعى الخليل عليه السلام في قوله : « وألحقني بالصالحين » وإلى فني الحكمة كليهما اشير في الصحيفة الالهية : « ولقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » وهي صورته التي هي طراز ـ النمط ـ عالم الامر « ثم رددناه أسفل سافلين » وهي

مادته التى هى من الاجسام المظلمة الكثيفة « الا الذين آمنوا » إشارة إلى غاية الحكمة النظرية « وعملوا الصالحات » إشارة إلى تمام الحكمة العملية ، وللاشعار بان المعتبر من كمال القوة العملية ، ما به نظام المعاش ونجاة المعاد .

ومن النظرية العلم بأحوال المبدء والمعاد والتدبر فيما بينهما من حق النظر والاعتبار قال أمير المؤمنين عليه السلام : « رحم الله امرءاً أعد لنفسه واستعد لرمسة وعلم من أين ، وفى أين وإلى أين » وإلى ذينك الفنين رمزت الفلاسفة الالهيون حيث قالوا : تأسياً بالانبياء عليهم السلام : « الفلسفة هى التشبه بالاله » كما وقع فى الحديث النبوى صلى الله عليه وآله وسلم : « تخلقوا باخلاق الله » يعنى فى الاحاطة بالمعلومات و التجرد عن الجسمانيات .

قوله عليه السلام : « من أين » اشارة إلى المبدء « كان الله ولم يكن معه شيء » وقوله عليه السلام : « وإلى أين » اشارة إلى المنتهى « ان إلى ربك الرجعى » « كل شيء هالك الاوجهه » الاول قوس النزول والهبوط والثانى قوس العروج والصعود وأما الثالث « فى أين » فاشارة إلى يوم الوسط ويوم السير وهو هذه الحياة الدنيا .

وأما المفسرون : فقالوا : ان للحكمة معان :

منها : الموعظة كقوله تعالى : « وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به » البقرة : ٢٣١) يعنى الموعظة التى جاءت فى القرآن من الامر و النهى ، والحلال والحرام ، والكفر والايمان ، والحق والباطل ، والطاعة والعصيان وما إليها .

ومنها : العلم التام والفهم الكامل كقوله تعالى : « ولقد آتينا لقمان الحكمة» لقمان : ١٢) يعنى : العلم والفهم .

ومنها : القرآن الكريم كقوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة » النحل : ١٢٥) يعنى بالقرآن .

ومنها : تفسير القرآن كقوله تعالى : « يؤتى الحكمة » البقرة : ٢٦٩) يعنى العلم بما فى القرآن الكريم .

ومنها : النبوة كقوله تعالى : «آل ابراهيم الكتاب والحكمة » النساء : ٥٤) يعنى النبوة .

ومنها : تطلق على كل مايتحقق فيه الصواب من القول والعمل ، فلا تخرج الحكمة أبداً عن معنى السداد والصواب ووضع الشىء فى موضعه قولا وعملا ، فالحكيم هو الذى يحكم الشىء ، ويأتى به على مقتضى العقل والواقع لاحسب الميول والرغبات ، ولا يستعجله قبل أوانه ، او يمسك عنه فى زمانه ، اوينحرف به عن حدوده وقيوده ، وعلى هذا فالحكمة لاتختص بالانبياء والاولياء ولا بالفلاسفة والعلماء ، فكل من أتقن عملا وأحكمه فهو حكيم فيه سواء أكان فلاحاً اوصانعاً او تاجراً اوموظفاً ، سوقياً كان ام بدوياً ، واعظاً كان اوأديباً ، خطيباً كان ام حاكما ، روحانياً ام جندياً ، فالشرط الاول والاخير للحكمة والحكيم أن يحقق العمل الغرض المطلوب منه عقلا وشرعاً ديناً ودنياً .

ومنها: الحكمة أسرار الاحكام الدينية ، ومعرفة مقاصد الشريعة .

ومنها: الحكمة كل كلمة وعظت الانسان ونهته عن قبيح ودعته إلى مكرمة

ومنها: الحكمة هى استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية و اكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها .

ومنها: الحكمة العلم النافع والعمل به والعقل والبصر بالامور ، والحكمة: هى المعرفة العلمية النافعة وهى وسط الاعتدال بين الجهل والجربزة .

ومنها: الحكمة : اصابة الحق والعمل بـه ، فهى تشمل إصابـة الحق فـى العقيدة وفى القول ، وفى العمل فاصابة الحق فى العقيدة تكون بالعلم الصحيح الذى هوصفة محكمة فى النفس تحكم على الارادة وتوجهها إلى القول الحق والعمل الحق المطابقين للعلم والحكمة فى القول و العمل هى مطابقتهما للعلم الصحيح ، فالحكمة العلمية لاشك تستدعى فهماً وفطانة وفقهاً ومعـرفة بـارتباط الاسباب بمسبباتها خلقاً وامراً ومعرفة لبواطن الامور و اسرارها ، والحكمة العلمية على هذه الصفة تبعد صاحبها عن مواطن الزلل ، و تسوقه إلى مواطن الخير ، فيكون

نافعاً لنفسه، ونافعاً لخلق الله، وتجعله حقيقاً بالخلافة عن الله فى الارض يعمرها ويصلحها ويستثمرها ويستخرج مافيها من الاسرار التى أودعها الله سبحانه اياها.

واما اللغويون: فذكروا للحكمة معان:

العلم والعدل فى القضاء والحكم والحلم والنبوة والفقه فى الدين والعمل به وتطلق الحكمة أيضاً على طاعة الله تعالى والفهم والخشية والورع، وإصابة الحق بالعلم والعمل، والتفكر فى امر الله واتباعه، وعلى المعرفة، ومايمنع الانسان من الجهل، وكل كلام موافق الحق، ووضع الشيء فى موضعه وصواب الامر وسداده وجمعها: حكم بكسر الحاء وفتح الكاف.

والحكمة: العلم الذى يرفع الانسان عن فعل القبيح مستعار من حكمة اللجام، وهى ماأحاط بحنك الدابة يمنعها الخروج، والحكمة: حديدة فى اللجام تكون على أنف الفرس تمنعه عن مخالفة راكبه، ولما كانت الحكمة تأخذ بفم الدابة، وكان الحنك متصلا بالرأس جعلها تمنع من هى فى رأسه كما تمنع الحكمة الدابة.

والحكمة: فهم المعانى، وسميت حكمة لانها مانعة من الجهل.

ومن المجاز: الحكمة من الانسان مقدم وجهه، وقيل: أسفل وجهه مستعار من موضع حكمة اللجام، ومن المجاز حكمة الانسان: رأسه وشأنه وأمره، يقال: رفع الله حكمته أى رأسه وشأنه، وأمره، وهو كناية عن الاعزاز لان من صفة الذليل أن ينكس رأسه، وحكمة الشاة: ذقنها.

وأما المحدثون: فقالوا: الحكمة: الفهم والعقل والعلم بالشريعة، فلان صاحب الحكمة اذا كان متقناً للامور.

وفى حديث اولياء الله تعالى: «نطقوا فكان نطقهم حكمة» أراد بها صلاح امور الاخرة والاولى من المعارف والعلوم لا الدنيا.

وفى الحديث فى قوله تعالى: «ولقد آتينا لقمان الحكمة» قال عليه السلام: أى الفهم والعقل.

وفى الحديث : « ان من الشعر لحكماً » أى كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه ، وينهى عنهما كالمواعظ والامثال ...

والحكم أعم من الحكمة فكل حكمة حكم ، وليس كل حكم حكمة ، فان الحكم أن يقضى بشىء على شىء ، فيقول هو كذا وليس بكذا وقال ﷺ : « ان من الشعر لحكمة » أى قضية صادقة .

قال الله تعالى : « وآتيناه الحكم صبياً » مريم : ١٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « الصمت حكم وقليل فاعله » أى حكمة .

وفى الحديث : « ادع الله أن يملأ قلبى علماً وحكماً » أى حكمة .

والحكمة : القدر والمنزلة ، وفى الحديث : « ان العبد اذا تواضع رفع الله حكمته » أى قدره ومنزلته .

وفى التبيان : قال الشيخ قدس سره : « ان الفرق بين الحكمة والعقل : ان العاقل هو العاقد على ما يمنع من الفساد ، والحكيم هو العارف بما يمنع من الفساد ، والحكمة مشتركة بين المعرفة والعقل المستقيم لان كل واحد منهما ممتنع من الفساد عار منه » .

وقيل : ان الفرق بين الحكمة والعلم ان الحكمة هى العلم بالامور العلمية فقط ، والعلم أعم منه لانّ العلم قد يكون علماً ، وقد يكون نظراً ، والعلوم النظرية أشرف .

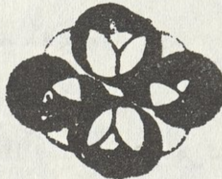
أقول : ومن التحقيق : ان الحكمة قوة يقتدر بها الانسان على ادراك دقائق الامور وخفايا المصنوع ، وعلى الاتيان بالمصنوع على دقائق صنعه .

وان الحكمة باعتبار متعلقها مركبة من جزئين : جزء علمى يسمىّ بحكمة نظرية ، وجزء علمى يسمى بحكمة عملية ، ويعبّرعنهما بلسان الفرس : (خرده بينى وباريك بينى و خرده كارى) وقد يعبرعن الحكمة بالاتقان فى العمل إشارة إلى أحد جزئيها ، وقد يعبّر عنها بالكمال فى العلم والاتقان فيه تنبيهاً إلى الجزء الاخر .

فالتفسير بالاتقان فى العلم والعمل تفسير لكلاجزئيهما ، وان الحكمة التى تذكر فى مقابلة الجربزة هى القوام فى تدبير المعيشة علماً وعملا والجربزة إفراطه وأما الحكمة فى قوله تعالى : « فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة » النساء : ٥٤) فهى من نتائج مرتبة الولاية ، فان الولى بتجرده يقتدر على معرفة دقائق الاشياء لعدم احتجاب شيء منه اذا أراد معرفته ، وعلى صنع دقائق المصنوعات لعدم تابى شيء منه .

وانما الحكيم المطلق هو الله عز وجل وحده ثم الانبياء والرسل لولايتهم ثم خلفائهم ثم الامثل فالامثل ،وأول مراتب الحكمة ان تدرك دقائق صنع الله تعالى فى نفسك وبدنك ، وانك خلقت برزخاً بين العالمين : عالم العلوى وعالم السفلى ، وان نفسك خلقت قابلة صرفة لتصرف الملكوتين لا تابى لها من تصرفهما ، وان تصرف العلوى يجذبها إلى قرب الملأ الاعلى ، وتصرف السفلى يؤديها إلى السجن والسجين ، كل ذلك على سبيل المعرفة واليقين لا العلم والتخمين .

ولما جعل الله عز وجل فى الانسان استعداد اصلاح البشرية ألبسه بخلعة النبوة والرسالة والخلافة ، وبصره دقائق الصنع فى الملك والملكوت ، وأقدره على دقائق التصرف فى الاشياء ، وأخدم له جميع الموجودات وهو آخر مراتب الحكمة فبعثه الله إلى الناس ليعلّمهم الحكمة التى فيها الخير الكثير .



﴿الحكمة والخير الكثير﴾

واعلم ان الحكمة علم يبحث عن حقائق الاشياء على ماهى عليه فى نفس الامر بقدر الطاقة البشرية ، والمعتبر فى تلك الطاقة أواسط الناس الذين لاهم فى غاية العلو ، ولافى نهاية السفل .

ولا يتصف بالحكمة الا من استكمل قوتى العلم بالرياضيات والطبيعيات والالهيات ، والعمل بالاخلاق وتدبير المنزل وتدبير المدينة او السياسة العامة .

فى الكافى : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول: « ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً » قال معرفة الامام ، واجتناب الكبائر التى أوجب الله عليها النار .

وفيه : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل : « ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً » فقال : طاعة الله ومعرفة الإمام .

ومن الثالث ان الحكمة نور خاص أخص من نور العلم توتى من استعد نفسه لافاضة هذا النور الذى لاينفك عن الخير أبداً ، وليس العلم كذلك إذ ربّ علم وزر على صاحبه اذا لم يعمل بعلمه بحيث يصير مثله مثل الحمار يحمل أسفاراً ، وليس الحكيم كذلك .

وذلك لانَ العلم يقيس الكميات ، و يتعرف على العلاقات التى تربط هذه الكميات بعضها ببعض ، ويكشف القوانين التى تجمعها فى شمل واحد ، والاثر الذى يترتب عليها من خير اوشر ، وأما الحكمة فانها تأمر باتباع العقل السليم والدين القويم ، واستعمال الشيء فيما وضع له وخلق من أجله ، وان العلم يفتت

الذرة ويوجد السفن الفضائية ، ولكنه لاينظر إلى الهدف الذى يرى إليه العالم خيراً كان اوشراً ، و لا ينهاه عن هذا ولايأمره بذلك ، امّا الحكمة فلا يعنيها من تفتيت الذرة ، واختراع السفن كثير ولا قليل ، وانما تنظر إلى ماتستعمل فيه الذرة وسفن الفضاء ، وتوجه الانسان إلى أن يبتغى بهما خير الانسانية ، و هنأها لاشرها ولاشقائها .

وفى الحديث : قال الامام جعفر بن محمد عليه السلام : « ما انعم الله على عبد بنعمة أعظم وارفع وأجزل وأبهى من الحكمة قال الله تعالى : « ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً وما يذكر الاّ اولوا الالباب » أى لايعلم احدما أودع الله فى الحكمة من الأسرار الا من استخلصه لنفسه فالحكمة هى المنجاة وصفة الثبات عند أوائل الامور والوقوف عند عواقبها »

وفى رواية : قال الله تعالى لموسى : عظّم الحكمة فانى لاأجعل الحكمة فى قلب عبد الاّ وأردت أن اغفر له فتعلّمها ، ثم اعمل بها ثم أبذلها كى تنال بذلك كرامتى فى الدنيا والأخرة .

ومن البديهى ان مواهب الله تعالى على خلقه كثيرة لاتحصى ، ونعمه على عباده لاتنفد ولاتفنى ، ولكن يتفاضل بعضها بعضاً بحسب جزالتها وغزارتها كما ان المنعم عليهم يتفاضل بعضهم بعضاً بحسب الايمان والتقوى وصالح العمل فيختصّ بنعمة لذلك ، وتمنع هذه النعمة عن غيره لفقده ذلك .

ومـن مواهب الله تعالى الجزيلة وعطاياه الجميلة لبعض عباده التى خص بها قوماً ـ لما استعدوا انفسهم لافاضة هذه الموهبة العظيمة عليها دون الاخرين لافتقارهم مايوجب هذه الافاضة ـ الحكمة البالغة فقال : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً وما يذّكّر الا اولوا الالباب »

البقرة : ٢٦٩)

فى الاسفار : قال : « ثم لايخفى شرف الحكمة من جهات عديدة : منهـا أنها صارت سبباً لوجود الاشياء على الوجه الاكمل ، بل سبباً لنفس الوجود اذ ما

لم يعرف الوجود على ماهو عليه لايمكن ايجاده وايلاده ، والوجود خير محض ولاشرف الا في الخير الوجودي، وهذا المعنى مرموز في قوله تعالى : « ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً » و بهذا الاعتبار سمىّ الله تعالى نفسه حكيماً في مواضع شتّى من كتابه المجيد الذى هو تنزيل من حكيم حميد ، و وصف انبياءه واولياءه بالحكمة وسمّاهم ربانيين حكماء بحقائق الهويّات فقال : « واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة » وقال خصوصاً في شأن لقمان « ولقد آتيناهم لقمان الحكمة »

كل ذلك في سياق الاحسان ومعرض الامتنان ، ولا معنى للحكيم الاّ الموصوف بالحكمة المذكور حدّها التى لايستطاع ردّها ، ومن الظاهر المكشوف أن ليس في الوجود أشرف من ذات المعبود ورسله الهداة إلى أوضح سبله ،و كلا من هؤلاء وصفه تعالى بالحكمة ، فقد انجلى وجه شرفها و مجدها ، فيجب اذن انتهاج معالم غورها ونجدها ، فلنأت على إهداء تحف منها و ايتاء طرف فيها ، ولنقبل على تمهيد اصولها وقوانينها وتلخيص حججها و براهينها بقدرما يتأتى لنا وجمع متفرقات شتّى واردة علينا من المبدء الا على ، فان مفاتيح الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء »

ومن الحكمة علم القرآن الكريم ، وتفسير آياته ، وفهم أسرار معانيه و اشاراته اللطيفة التى لايمسّها الاّ المطهرون من العيوب والذنوب والكذب في حق الله تعالى و آياته حيث يفسّر قوم آيات الله جل و علا على مالا يرضى صاحبها كما فسّروا الاستواء بالجلوس والتمكن على العرش ، وفسّروا الرؤية بالنظر إلى الجسم المشار إليه ، والسمع والبصر بالاعضاء الالهية ، والكلام بالنطق والحروف و كون الله تعالى مع كل شىء بالنزول والانتقال من السماء السابعة إلى السماء الدنيا ثم إلى الارض .

و فسّروا الرجال الذين ذكروا في سلسلة الانبياء بالاعم منهم والنساء ، فاستنتجوا على زعمهم بان للنسوة أن يكن مرجعاً تقليدياً أو رئيساً جمهورياً ، وغير ذلك

من التأويلات الفاسدة والخيالات الواهية كلها ينافى اصول الدين الاسلامى، بل ينا فى الفطرة السليمة البشرية ، وهم الذين يفسّرون القرآن بالرأى يتبوّؤا مقعدهم من النار، وهم ليسوا من أهل القرآن و لا أصحاب الحكمة ، ولا من المفسرين لان الحق لا ينفك من الحق ولا الحكمة عن الحق سواء كان الحق مقدماً على الحكمة او العكس على ما اختلف فيه فيثاغورث وسقراط: ان الحكمة قبل الحق أم الحق قبل الحكمة ؟ وأوضح القول فيه بان الحق أعم من الحكمة الآ انه قد يكون جليا ، وقد يكون خفياً ،وأما الحكمة فهى أخص من الحق الآ انها لا تكون الاجلية ، فاذن الحق مبسوط فى العالم ، مشتمل على الحكمة المستفيضة فى العالم والحكمة موضحة للحق المبسوط فى العالم والحق ما بـه الشىء ، والحكمة ما لاجله الشىء .



﴿الحكمة واقسامها﴾

وقد ذهب المحققون إلى العلم إما أن يكون مقصوداً لذاته ، وهو العلوم الحكمية ، والمراد من الحكمة هنا استكمال النفس الناطقة قوتيها النظرية و العلمية بحسب الطاقة البشرية ، والاول يكون بحصول الاعتقادات اليقينية فى معرفة الموجودات وأحوالها ، ويعبّر عنها بالعلوم الحكمية النظرية وهى تنقسم إلى أعلى وهو العلم الالهى ، وأدنى وهوالعلم الطبيعى ، وأوسط وهوالعلم الرياضى وذلك لان النظر إن كان فى امور مجردة من المادة الجسمية وعلائقها فى العقل والحس ، فهو العلم الالهى ، وإن كان فى امور مادية فى الذهن ، وفى الخارج فهو العلم الطبيعى ، وإن كان فى امور تصح تجردها عن الماديات فى الذهن فهو العلم الرياضى ، وعكس هذا القسم ممتنع لاستحالة تجرد شيء فى الخارج دون الذهن .

والثانى يكون بتزكية النفس باقتنائها الفضائل ، واجتنابها الرذائل ، ويعبر عنها بالعلوم الحكمية العلمية ، وهى تنقسم أيضاً إلى السياسة والأخلاق وتدبير المنزل ، وذلك لان اعتباره إما للامور العامة فعلم السياسة ، او الامور الخاصة ، وهى إما بالشخص وحده فعلم الاخلاق او مع خاصته فعلم تدبير المنزل .

وإما أن لايكون العلم مقصوداً لذاته بل آلة لغيره ، فاما للمعانى وهو علم المنطق ، وإما لما يتوصل به إلى المعانى من اللفظ والحظ وهو علم الادب ، و كل علم يكون مقصوداً لذاته فهو أصلية ، وعداه فرعية .

ولما كان البحث هنا فى الحكمة وأقسامها نأخذ بذكر أعلاها وهو العلم

الالهى ، وهو علم يبحث فيه عن الموجودات كلها من حيث تعينها وثبوتها وتحقق حقائقها ، ومايعرض لها ونسب مابينها ومايعمها ومايخصّها من حيث هى موجودات مجردة عن المادة وعلائقها ، وموضوعه الموجودات وأحوالها من هذه الحيثية ، ويعبر عنه بالعلم الالهى لاشتماله على علم الربوبية ، وبالعلم الكلى لعمومه وشموله بالنظر لكليات الموجودات ، ويعلم ما بعد الطبيعة لتجرّد موضوعه عن المواد ولواحقها .

أجزاؤه الأصلية خمسة :

الاول : النظرفى الامور العامة مثل الوجود و الماهية والوحدة و الكثرة والوجوب والامكان والقدم والحدوث والاسباب والمسببات ومايجرى هذاالمجرى

الثانى : النظر فى مبادىء العلوم كلها وتبيين مقدماتها ومراتبها .

الثالث : النظر فى اثبات وجود الا له الحق والدلالة على وحدته وتفرّده بالربوبية واثبات صفاته ، وبيان انها لاتوجب كثرة فى ذاته .

الرابع : النظر فى اثبات الجواهر المجردة من العقول والنفوس الانسانية والملائكة والجن والشياطين وحقائقها وأحوالها.

الخامس : أحوال النفوس البشرية بعد مفارقتها الهياكل وحال المعاد و كيفية ارتباط الخلق بالامر .

وذهبت الفلاسفة إلى أن الحكمة على قسمين :

أحدهما ـ الحكمة القولية وهى العقلية أيضاً ، فهى كل ما يعقله العاقل بالحد ، ومايجرى مجراه مثل الرسم ، والبرهان ومايجرى مجراه مثل الاستقراء فيعبر عنه بهما .

ثانيها ـ الحكمة الفعلية فكل ما يفعله الحكيم لغاية كمالية .

فالاول الازلى لما كان هوالغاية والكمال ، فلايفعل فعلا لغاية دون ذاته ، والا فيكون الغاية والكمال هو الحامل ، والاول محمول ، وذلك محال .

فالحكمة فى فعله وقعت تبعاً لكمال ذاته ، وذلك هو الكمال المطلق فى

الحكمة ، وفى فعل غيره من المتوسطات وقعت مقصوداً للكمال المطلوب و كذلك فى أفعالنا .

ثم ان الفلاسفة اختلفوا فى الحكمة القولية العقلية اختلافاً لايحصى كثرة ، والمتأخرون منهم خالفوا الاوائل فى أكثر المسائل ، و كانت مسائل الاولين محصورة فى الطبيعيات والالهيات ، وذلك هو الكلام فى البارى تعالى والعالم ، ثم زادوا فيها الرياضيات .

وقالوا : العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام : علم ما ، وعلم كيف ، و علم كم ، فالعلم الذى يطلب فيه ماهيات الاشياء هو العلم الالهى ، والعلم الذى يطلب فيه كيفيات الاشياء هو العلم الطبيعى ، والعلم الذى يطلب فيه كميات الاشياء هو العلم الرياضى ، سواء كانت الكميات مجردة عن المادة او كانت مخالطة بعد ، فأحدث بعدهم أرسطو طاليس الحكيم علم المنطق وسماه تعليمات ، و انما هو جرده من كلام القدماء ، والا فلم تخل الحكمة عن قوانين المنطق قط ، وربما عدها آلة العلوم لامن جملة العلوم فقال :

الموضوع فى العلم الالهى : هو الوجود المطلق ، و مسائله : البحث عن أحوال الوجود من حيث هو وجود ، والموضوع فى العلم الطبيعى : هو الجسم ، و مسائله : البحث عن أحوال الجسم من حيث هو جسم .

والموضوع فى العلم الرياضى هو الابعاد والمقادير ، وبالجملة : الكمية من حيث انها مجردة عن المادة ، ومسائله : البحث عن أحوال الكمية من حيث هى كمية .

والموضوع فى العلم المنطقى : هو المعانى التى فى ذهن الانسان من حيث يتأدى بها إلى غيرها من العلوم ، ومسائله : البحث عن أحوال تلك المعانى من حيث هى كذلك

وقالوا : لما كانت السعادة هى المطلوبة لذاتها ، وانما يكدح الانسان لنيلها والوصول إليها ، وهى لاتنال الا بالحكمة ، فالحكمة تطلب إما ليعمل بها ، و إما لتعلم فقط ، فانقسمت الحكمة إلى قسمين : عملى وعلمى ،

ثم منهم من قدم العملى على العلمى ، ومنهم من أخر كما سيأتى ، فالقسم العملى هو عمل الخير ، والقسم العلمى هو علم الحق قالوا : وهذان القسمان مما يوصل إليه بالعقل الكامل ، والرأى الراجح ، غيرأن الاستعانة فى القسم العملى منه بغيره أكثر والانبياء عليهم السلام أيدوا بأمداد روحانية تقريراً للقسم العملى ، و لطرف ما من القسم العلمى .

والحكماء تعرضوا لامداد عقلية تقريراً للقسم العلمى ، ولطرف ما من القسم العملى ، فغاية الحكيم هوأن يتجلى لعقله كل الكون ، ويتشبه بالاله الحق تعالى وتقدس بغاية الامكان ، وغاية النبى أن يتجلى له نظام الكون ، فيقدر على ذلك مصالح العامة حتى يبقى نظام العالم ، وتنتظم مصالح العباد ، وذلك لايتأتى الا بترغيب وترهيب ، وتشكيل وتخييل .

فكل ماورد به أصحاب الشرائع والملل مقدر على ما ذكرناه عند الفلاسفة علمه من مشكاة النبوة ، فانه ربما بلغ إلى حدّ التعظيم الآمن اخذلهم ، و حسن الاعتقاد فى كمال درجتهم .

ومنهم : من قال . ان الحكمة على درجات ثلاث :

أحدها ـ حبّ البحث وهو محبة العلوم .

ثانيها ـ استكمال العلم ، و هو معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة البشرية .

ثالثها ـ العمل قولا وفعلا بما يوافق العلم ، وهو الثمرة ، وليس المعنى أن يعرف الانسان كل شيء ، وانما يزاول المعارف ويحيط بالكليات فى العلوم.

﴿ النفوس المزكاة والحكمة ﴾

لاينال أحد بالحكمة الا بعد تهذيب النفس بتحليها بالفضائل، و تخليها عن الرذائل، فيحصل لها من الصفاء والتجرد ما تنال به نوعاً من الدلالة ينتهى إلى ماهو أقوى من المشاهدة والمعاينة حيث ينفتح لقلبه الاسماع والابصار الباطنة كما أشار إليه بقوله تعالى: «ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة» الجمعة: ٢)

فتهذيب النفس طريق وحيد لافاضة الحكمة عليها وتحصيل المعارف الالهية فان العبد اذا واظب وألزم نفسه على الصفات المديحة والتخلق بالاخلاق الكريمة من الايمان والتقوى والاخلاص والعدل والانصاف والصدق والامانة والاحسان والشفقة والرأفة بنوع الانسان والحياء والعفاف وما اليها...

و على التخلى عن الذمائم والرزائل: من الكفر والعصيان والرياء والظلم والجور والكذب والخيانة والنفاق والبخل والتبذير والزنا والكبر وقتل النفس وما إليها...

فعندئذ تزكى النفس وتستعد لقبول الواردات القلبية والفيوضات الغيبية والتعليمات الالهية وإفاضة الحكمة عليها، وتصير من المعرفة واليقين على طرف من الكمال يضيق عن وصفه القلم و المقال، حتى تصل الى مقام من الايمان فوق المشاهدة والعيان، وينكشف لها من أسرار العلوم والمعارف، و أنوار الحكم واللطائف والادلة القاطعة والبراهين الساطعة، ومالم يخطر ببال، ولا ألم بخيال ولا مر على أحد ممن صرف عمره فى البحث والجدال والنظر والاستدلال فيما ينسجه الوهم، وينسفه الخيال من البراهين والاشكال.

وإليه الاشارة بالحديث المروى فى الكافى عن الصادقين عليهما السلام : « من أخلص لله اربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » .

فى نهج البلاغة : قال الامام امير المؤمنين على عليه السلام : « حيث تكون الحكمة تكون خشية الله ، وحيث تكون خشيته تكون رحمته »

كل ذلك ببركة تصفية النفس بكرائم الاخلاق والفضائل من الحكمة العملية فانها طريق وحيد أو من أحسن الطرق لنيل الحكمة النظرية العلمية وإلى هذا أشار النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « من عمل بما علم ورّثه الله علم مالم يعلم »

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس العلم فى السماء فينزل عليكم ولا فى الارض فيخرج لكم ولكنه مودع فى نفوسكم تخلّقوا باخلاق الروحانيين يظهر لكم »

فالعمل هو دليل الحكمة المشار إليه فى الاية الكريمة ، ولكن المرتبة الكاملة لاتحصل الابتربية ولى من أولياء الكاملين من الانبياء والمعصومين صلوات عليهم اجمعين ، ومن قام مقامهم من العلماء العاملين ممن اقتدى بآثار المعصومين واقتبس الهدى من مشكاة أنوارهم ، و هو يرتقى إلى شامخ مقام من عوالم الغيوب تكلّ الالسنة والاقلام عن بيانه .

وفى الحديث : « رأس الحكمة مخافة الله »

وذلك لان الحكمة ومعرفة أسرار الكون لاتتجلى الا فى قلوب قد طهرت وتزكت بترك المعاصى واجتناب المحرمات و بالعبادات وصالح الاعمال ، ولا تترك المعاصى ولا تجتنب المحرمات الا بخوف الله تعالى ، ولاتترك المعاصى الا بوازع نفسى وهو خشية الله جل وعلا ، فالنفس الملوثة بالذنوب والمعاصى ، النفس المدلهمة بظلمات الاثام والاجرام لاترى إلى الحكمة سبيلا ، ولا تفتح لها أبواب أسرار الكون لقوله تعالى : « ومن أظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسى ماقدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه و فى آذانهم وقرأ وان تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا اذن أبداً » الكهف : ٥٧)

فترون ان من ذكر بايات ربه بعد ارسال الرسل عليهم السلام و أعرض عنها ولم

يؤمن لما اقترفت يداه من الذنوب ، تسد عليه أبواب الهداية ، وتغلق عليه أبواب الرحمة فيكون بينه وبين الحق حجاب حاجز يمنعه عن رؤية الحق فلا يرى الحق وينسى نفسه ، وقد قال تعالى : « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » الحشر : ١٩)

فلا يفكر فى مصيرها وتهذيبها وتوجيهها إلى الغاية التى خلقت لاجلها ، فيكون من الاخسرين أعمالا ، وقدقال تعالى . « قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً »

الكهف : ١٠٤)

فالله جل وعلا يسدّ أبواب الحكمة على من أتم الحجة ، ولم ينتبه و توغل فى الذنوب وتدنس بالموبقات بقوله تعالى: « انا جعلنا على قلوبهم أ كنة أن يفقهوه» أى انا جعلنا على قلوب الذين عصوا الله ، ولم يتذكروا بما ذكرهم به أغطية و أستاراً تمنعهم عن أن يفقهوا الدين و يقفوا على أسرار الكون وحكمة الوجود ، فيعترضون ويتذمرون وينكرون ويتفلسفون ، وليس هذا الاعتراض والتذمر والانكار و التفلسف الا رشحات نفس تلوثت بالذنوب و مظاهر قلب عمى عن رؤية الحق و الواقع ، فـانه تعالى يقول : « انها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور »

وجاء فى الحديث : « ان أعمى الاعمى عمى القلب »

فلا يمكن أن تتجلىّ الحكمة فى النفس الانسانية الا اذا طهرت بالعبادة و تـرك المعاصى والتزكية و التخلية و التحلية ، هذه لا تحصل الا بعد أن يخاف الانسان ربه ويخشاه فيؤاخذ نفسه على كل صغيرة و كبيرة ، ويلومها ويؤنبها و يستغفرالله منها بانـواع الاستغفار ان الله تعالى يقسم بـالنفس اللوامة تقديراً لها بقوله تعالى : « لااقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة » القيامة : ١ـ ٢)

فاذا لام الانسان نفسه و كفر عن سيئاته أخذت نفسه تتزكى وتتطهر شيئاً فشيئاً بنتيجة خوفه من الله تعالى ، فتنفتح عليه اذ ذاك أبواب الحكمة ، وتطمئن نفسه وتحلّ أمامه كل مـايختلج فى نفسه من اعتراضات وتنقشع عنه الشكوك و

الريب والاوهام . . .

فانظر كيف لام يوسف عليه السلام نفسه و كفر عن سيئاته اذ قال : « وما ابرىء نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي » يوسف : ٥٣)

ومن كان في نفسه شك فيما ذكرناه فليعمد إلى التجربة ، فان المريض بامراض بدنية يطيع الطبيب فيما يقول ويعمل حسب وصفة الطبيب فيبرأ من مرضه فمن كان يرتاب فيما ذكر ، فليدرس الدين الاسلامي ليقف على المناهي ويجتنب عن المحرمات والمشتبهات ، ويقف على الاداب الاسلامية ليطلع على العبادات التي بها تزكو النفس يقول الله تعالى: « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » الحجر:٩٩)

ثم يعمل مستعيناً بالله تعالى حسب علمه ليرى بعد زمن قليل كيف تتجلى في نفسه الحكمة، وكيف يتقرب يوماً بعد يوم إلى الله جل وعلا ، وكيف يدخل في عالم جديد ، عالم فرح ، عالم اطمئنان ، عالم يقين ، وعالم كله نور وصفاء .

قال الله تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » فاطر : ٢٨)

فلما ذا نرى علماء لايخشون الله جل وعلا ، و ترتكبون أنواع المعاصي ، ولا يحملون الا أسفاراً العدم تعهدهم على العمل بما علموا أشار إليهم بقوله تعالى: « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً »

الجمعة : ٥)

نرى علماء في الرياضيات العالية ، في الكيمياء العالية ، في الفلك العالي في الفيزيفياء العالية ، في الفلسفة بانواعها ، فـي التاريخ والجغـرافية ، وفي بقية العلوم يعصون الله تبارك وتعالى ، ولا يبالون فرحين كأن ليس وراء هم حساب .

فليس اذن مراد الله تعالى من كلمة« العلماء » هذه العلوم المادية التي تحصل بعملية تفكير تشبه عمل النجار الذى اعتادت يداه في فن النجارة بنتيجة الممارسة والتمرين ، وانما مراد الله تعالى من هذا العلم:هو العلم الذى يحصل نتيجة خشية الله جل وعلا ، ونتيجة خوف الله تبارك وتعالى ، وأعمال تترتب على هذه الخشية وذاك الخوف ، وهذا العلم هو الحكمة التي مدحها الله عزوجل في كتابه الكريم وقرنها

منه اذقال : « يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة »
(الجمعة : ٢)

وقد عرّف الله تعالى الحكمة بقوله: « ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله »
(لقمان : ١٢)

فالحكمة هي معرفة الله تعالى والشكر يتجليان في جميع العبادات وصالح الاعمال فان كلها مظهر من مظاهر المعرفة والشكر ، ولا يحصل ذلك الا بالخوف والخشية من الله تعالى، ومن ثم تتجلى الحكمة وتطمئن النفس فاذن « رأس الحكمة مخافة الله »

فمن أراد أن تفتح عليه أبواب الحكمة ، وان يتفهم الدين تفهماً يؤدى به إلى تكميل نفسه ليكون بشراً على شكل ملك اوملكا بصورة انسان ، فليس عليه الا أن يخاف الله جل جلاله بترك المحرمات جميعاً ، وأن يكون مؤمناً حقاعاملا بكل ما يأمر به الدين المبين ، دين العقل ، دين الفطرة ، دين التفكير الصحيح ودين الحياة الأبدية .

في تحف العقول : من مواعظ عيسى ابن مريم عليه السلام لبني اسرائيل ـ قال : بحق أقول لكم : ان الناس في الحكمة رجلان : فرجل أتقنها بقوله ، وضيّعها بسوء فعله ، ورجل أتقنها بقوله وصدّقها بفعله ، وشتان بينهما فطوبى للعلماء بالفعل ، و ويل للعلماء بالقول ـ إلى أن قال ـ : بحق اقول لكم: ان الشمس نور كل شيء ، وان الحكمة نور كل قلب ، والتقوى رأس كل حكمة ، والحق باب كل خير ، ورحمة الله باب كل حق ، ومفاتيح ذلك الدعاء والتضرع والعمل ، و كيف يفتح باب بغير مفتاح ؟ !

بحق اقول لكم : ان الرجل الحكيم لايغرس شجرة الا شجرة يرضاها ، ولا يحمل على خيله الا فرساً يرضاه ، كذلك المؤمن العالم لايعمل الا عملا يرضاه ربه.

بحق أقول لكم : إن الصقالة تصلح السيف وتجلوه ، كذلك الحكمة للقلب تصقله وتجلوه ، وهي في قلب الحكيم مثل الماء في الارض الميتة تحيي قلبه كما

يحيى الماء الارض الميتة ، هى فى قلب الحكيم مثل نور فى الظلمة يمشى به فى الناس ،

وقال عليه السلام : بحق أقول لكم : ان الزرع ينبت فى السهل ولا ينبت فى الصفا وكذلك الحكمة تعمر فى قلب المتواضع ولا تعمر فى قلب المتكبر الجبار ، ألم تعلموا أنه من شمخ برأسه إلى السقف شجّه ، ومن خفض برأسه عنه استظل تحته وأكنّه ، وكذلك من لم يتواضع لله خفضه ، ومن تواضع لله رفعه ، انه ليس على كل حال يصلح العسل فى الزقاق ، وكذلك القلوب ليس على كل حال تعمر الحكمة فيها ، ان الزق مالم ينخرق او يقحل او يتفل ، فسوف يكون للعسل وعاءاً ، وكذلك القلوب مالم تخرقها الشهوات ويدنّها الطمع ، ويقيسها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة - إلى ان قال - بحق اقول لكم : لاتكونوا كالمنخل يخرج الدقيق الطيب ، ويمسك النخالة ، كذلك انتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغلّ فى صدوركم .

و من كلام سقراط : الحكمة اذا أقبلت خدمت الشهوات العقول ، و اذا أدبرت خدمت العقول الشهوات .

وفى وسائل الشيعة : عن أبى عبدالله عليه السلام قال: ما اوتى لقمان الحكمة لحسب ولامال ، ولا بسط فى جسم ولاجمال ، ولكنه كان رجلا قوياً فى أمرالله متورّعاً فى الله ، ساكناً سكيتاً - إلى أن قال - ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط قط ، ولا اغتسال اشدّة تستّره وتحفظّه فى أمره - إلى أن قال - فبذلك اوتى الحكمة ومنح القضية .

و فى المحاسن : جاء نفر من اليهود إلى رسول الله فسئلوه عن مسائل ، فاجاب عنها - الى أن قال - : ثم سنّ على امتى المضمضة لينقى القلب من الحرام ، والاستنشاق لتحرم عليه رائحة النار ونتنها ، قال منهم : يامحمد فما جزاء عاملها ؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : اوّل مايمسّ الماء يتباعد عنه الشيطان ، فاذا تمضمض نوّر الله قلبه ولسانه بالحكمة ، واذا استنشق امنه الله من النار ورزقه رائحة الجنة . الحديث .

﴿الحكمة والحياة﴾

فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « يجب على العاقل أن يكون بما أحيى عقله من الحكمة أكلف منه بما أحيى جسمه من الغذاء »

وفيه : أيضاقال عليه السلام : « واعلموا انه ليس من شىء الا ويكاد صاحبه يشبع منه ويملّه الا الحياة ، فانه لايجد فى الموت راحة ، و انما ذلك بمنزلة الحكمة التى هى حياة للقلب الميت ، و بصر للعين العمياء ، وسمع للاذن الصماء ، ورىّ للظمآن ، وفيها الغنى كله والسلامة »

قوله عليه السلام : « ويملّه الا الحياة » قال ابو الطيب فى هذا المعنى :

ولذيذ الحياة أنفس فى النفس وأشهى من أن يملّ واحلى

واذا الشيخ قال اف فما ملّ حياة ولكن الضعف ملّا

وقال ايضا :

أرى كلّنا يبغى الحياة لنفسه   حريصاً عليها مستهاماً بها صبّاً

فحب الجبان النفس اورده البقا   وحب الشجاع النفس اورده الحربا

وان تسئل : كيف قال عليه السلام : « فانه لايجد فى الموت راحة » ؟ وقدقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » ؟ وقال عليه السلام : « والله ما ارجوا الراحة الا بعد الموت ؟ وما ذا يعمل بالصالحين الذين آثروا فراق هذه العاجلة ، واختاروا الاخرة ، وهو عليه السلام سيّدهم وأميرهم ؟

تجيب : لامنافاة هنا فان الصالحين انماطلبوا أيضاً الحياة الباقية بعدالموت

ورسول الله عليه السلام انما قال : « ان الدنيا سجن المؤمن » لان الموت غير مطلوب للمؤمن لذاته ، انما يطلبه للحياة المتعقبة له ، و كذلك قـوله عليه السلام : « والله ما ارجو الراحة الا بعد الموت » تصريح بان الراحة فى الحياة التى تتعقب الموت وهى حياة الأبد ، فلامنافاة إذاً بين هذه الوجوه وبين ماقاله عليه السلام لانه مانفى الا الراحة فى الموت نفسه لافى الحياة الحاصلة بعده .

وان تسئل : قـدتطرأ على الانسان حالة يستصعبها قيود الموت لنفسه ، و لا يفكر فيما يتعقبه من الحياة التى تشير إليها ، ولايخطر بباله ؟

تجيب : ذاك شاذنادر فلا يلتفت إليه ، وانما الحكم للاعم الاغلب ، و أيضاً فان ذاك لايلتذ بالموت ، وانما يتخلص به من الالم ، و أميرالمؤمنين عليه السلام قال ما من شيء من الملذات الا وهومملول الا الحياة ، وبين الملذ والمخلص من الالم فرق واضح ، فلا يكون نقضاً على كلامه .

قيل : لاعرابى ، وقد احتضر : انك ميت قال : إلى أين يذهب بى ؟

قيل : إلى الله ، قال : ما اكره أن اذهب إلى من لم أرالخير الا منه .

وقد قال بعض السلف : ما من مؤمن الا والموت خيرله من الحياة لانه إن كان محسناً ، فالله تعالى يقول: « وما عندالله خيروأبقى للذين اتقوا »القصص: ٦٠)

وان كان مسيئا فالله تعالى يقول :« ولايحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما » آل عمران : ١٧٨)

وقالت الفلاسفة : لايستكمل الانسان حد الانسانية الا بالموت لان الانسان وهو الحى الناطق الميت .

وقال بعضهم : الصالح اذا مات استراح ، والطالح اذا مات استريح منه .

وقال الشاعر:

جزى الله عنا الموت خيراً فانه ... أبـر بنا مـن كل بـر و أرأف
يعجل تخليص النفوس من الاذى ... ويدنى مـن الـدار التى هى أشرف

وقال آخر:

أصبحت أرجو أن اموت لاعتقا من كان يرجو أن يعيش فانني
عرفت لكان سبيله أن يعشقا في الموت ألف فضيلة لو أنها

وقوله عليه السلام: « وانما ذلك بمنزلة الحكمة ـ وفيها الغنى كله والسلامة »

اشارة إلى مافي قوله تعالى : « ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً» وقوله : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » وقوله « وآتيناه الحكم صبيا » وهي عبارة عن المعرفة بالله تعالى ، وبما في مبدعاته من الاحكام الدالة على علمه كتر كيب الافلاك ، ووضع العناصر مواضعها ، و لطائف صنعة الانسان وغيره من الحيوان و كيفية انشاء النبات والمعادن ، وما في العالم من القوى المختلفة ، والتاثيرات المتنوعة الراجع ذلك كله إلى حكمة الصانع وقدرته وعلمه تبارك إسمه .

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما اهدى المسلم لاخيه هدية أفضل من كلمة حكمة تزيده هدى وترده عن ردى »

وفي نهج البلاغة: قال الامام على عليه السلام : « قوت الاجسام الغذاء ، وقوت العقول الحكمة ، فمتى فقد واحد منهما قوته باروا واضمحل»

وفيه: قال عليه السلام : « ان هذه القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة » أراد بذلك ألا يجعل الانسان وقته كله مصروفاً إلى الانظار العقلية في البراهين الكلامية والحكمية ، بل ينقلها من ذلك أحياناً إلى النظر في الحكمة الخلقية ، فانها حكمة لاتحتاج إلى اتعاب النفس والخاطر .

فينبغي عند ملال القلوب من طلب الامثال الحكمية الراجعة إلى الحكمية الخلقية كمدح الصبر والشجاعة والزهد والعفاف والحياء والاخلاص ، وذم الغضب والشهوة والجبن والهوى والرياء ، ومايرجع إلى سياسة الانسان في نفسه ،وولده ومنزله وصديقه وحاكمه وما اليها . . .

فان هذا علم آخر ، وفي آخر لاتحتاج القلوب فيه إلى فكر واستنباط ،

فلا تتعب ولا تكل بترادف النظر والتأمل عليها مع أن فيها لذة عظيمة للنفس .

و فى تحف العقول : من مواعظ عيسى ابن مريم عليه السلام لبنى اسرائيل- قال : « فان الله يحيى القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيى الارض الميتة بوابل المطر »



﴿الحكمة وتعليمها﴾

فى تحف العقول: فى وصية الامام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام بن الحكم فى حديث طويل ـ قال: ياهشام ان كل الناس يبصر النجوم، ولكن لا يهتدى بها الا من يعرف مجاريها ومنازلها، و كذلك انتم تدرسون الحكمة، ولكن لايهتدى بها منكم الا من عمل بها. الحديث.

وفيه: فى مواعظ عيسى ابن مريم عليه السلام لبنى اسرائيل فى حديث طويل ـ إلى أن قال ـ: فاسرعوا إلى قلوبكم القاسية بالحكمة قبل أن ترين عليها الخطايا فتكون أقسى من الحجارة ـ إلى أن قال ـ بحق أقول لكم: انّ كل الناس يبصر النجوم ولكن لايهتدى بها الا من يعرف مجاريها ومنازلها، وكذلك تدرسون الحكمة ولكن لايهتدى لها منكم الا من عمل بها. الحديث.

أقول: و لبعض الاعلام كلام ينبغى ذكره فى المقام:

« لا محيص للانسان فى حياته المحدودة التى يعمرها فى هذه النشأة من سنة يستنّ بها فيما يريد ويكره، ويجرى عليها فى حركاته وسكناته، وبالجملة جميع مساعيه فى الحياة.

و تتبع هذه السنة فى نوعها ماعند الانسان من الرأى فى حقيقة الكون العام، وحقيقة نفسه و ما بينهما من الربط، ويدل على ذلك ماتجد من اختلاف السنن و الطرائق فى الامم باختلاف آرائهم فى حقيقة نشأة الوجود، و الانسان الذى هو جزء منها

فمن لايرى لما وراء المادة وجوداً ، ويقصر الوجود فى المادى ، و ينهى الوجود إلى الاتفاق ، و يرى الانسان مركباً مادياً محدود الحياة بين التولد و الموت لايرى لنفسه من السعادة الا سعادة المادة ، ولاغاية له فى أعماله الا المزايا المادية من مال وولد وجاه وغيرذلك ،ولابغية له الا التمتع بامتعة الدنيا والظفر بلذائذها المادية أوما يرجع إليها،وتنتهى جميعاً إلى الموت الذى هوعنده انحلال للتركيب وبطلان .

ومن يرى كينونة العالم عن سبب فوقه منزه عن المادة ، وأن وراء الدار داراً وبعد الدنيا آخرة نجده يخالف فى سنته و طريقته الطائفة المتقدم ذكرها فيتوخّى فى أعماله وراء سعادة الدنيا سعادة الاخرى ، و يختلف صور أعمالهم وغاياتهم وآرائهم مع الطائفة الاولى .

ويختلف سنن هؤلاء باختلافهم أنفسهم فيما بينهم كاختلاف سنن الوثنيين من البرهميّين والبوذيين وغيرهم والمليين من المجوسية والكليمية والمسيحية والمسلمين فلكل وجهة هوموليّها .

وبالجملة المليّ يراعى فى مساعيه جانب ما يراه لنفسه من الحياة الخالدة المؤبدة ويذعن من الاراء بماينا سب ذلك كادعائه انه يجب على الانسان أن يمهّد لعالم البقاء ، وأن يتوجه إلى ربه ، وأن لايفرط فى الاشتغال بعرض الحياة الدنيا الفانية ، وغير الملى الخاضع للمادة يلوى إلى خلاف ذلك هذا كله مما لاريب فيه.

غيرأن الانسان لما كان بحسب طبعه المادى رهيناً للمادة متردداً بين الأسباب الظاهرية فاعلا بها منفعلا عنها لايزال يدفعه سبب إلى سبب لافراغ له من ذلك ، يرى - بحسب ما يخيّل إليه - أن الاصالة لحياته الدنيوية المنقطعة وأنها وما تنتهى إليه من المقاصد والمزايا هى الغاية الاخيرة ، والغرض الاقصى من وجوده الذى يجب عليه أن يسعى لتحصيل سعادته .

فالحياة الدنيا هى الحياة وما عند أهلها من القنية والنعمة والمنية والقوة والعزة هى هى بحقيقة معنى الكلمة ، وما يعدّونه فقراً ونقمة وحرماناً وضعفاً و

ذلة ورزية ومصيبة وخسراناً هي هي وبالجملة كل ماتهواه النفس من خير معجل او نفع مقطوع فهو عندهم خير مطلق ونفع مطلق ، وكل مالا تهواه فهوشر اوضر.

فمن كان منهم من غير أهل الملة جرى على هذه الاراء ولاخبر عنده عما وراء ذلك ، ومن كان منهم من اهل الملة جرى عليها عملا ، وهو معترف بخلافها قولا ، فلايزال فى تدافع بين قوله وفعله قال تعالى : « كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا » البقرة : ٢٠)

و الذى تندب إليه الدعوة الاسلامية من الاعتقاد و العمل هو ما يطابق مقتضى الفطرة الانسانية التى فطر عليها الانسان ، و تثبت عليه خلقته كما قال : « فاقم و جهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » الروم : ٣٠) .

ومن المعلوم ان الفطرة لاتهتدى علماً ولاتميل عملاً الا إلى مافيه كما لها الواقعى وسعادتها الحقيقية فما تهتدى إليه من الاعتقادات الاصلية فى المبدأ و المعاد ، وما يتفرع عليها من الآراء والعقائد الفرعية وآراء حقة لاتتعدى سعادة الانسان و كذا ماتميل إليه من الاعمال .

ولذا سمى الله تعالى هذا الدين المبنى على الفطرة بدين الحق فى مواضع من كلامه كقوله : « هوالذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق » الصف : ٩)

وقال فى القرآن المتضمن لدعوته : « يهدى إلى الحق » الاحقاف : ٣٠)

وليس الحق الا الرأى والاعتقاد الذى يطابقه الواقع ، ويلازمه الرشد من غير غى ، و هذا هو الحكمة ـ الرأى الذى احكم فى صدقه فلا يتخلله كذب و فى نفعه فلا يعقبه ضرر ـ وقد أشار تعالى إلى اشتمال الدعوة على الحكمة بقوله « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة » النساء : ١١٣)

ووصف كلامه المنزل بها فقال : « والقرآن الحكيم » يس : ٢)

وعد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم معلماً للحكمة فى مواضع من كلامه كقوله : « ويعلمهم الكتاب والحكمة » الجمعة : ٢)

فالتعليم القرآنى الذى تصدّاه الرسول ﷺ المبيّن لمانزل من عندالله من تعليم الحكمة وشأنه بيان ماهو الحق فى اصول الاعتقادات الباطلة الخرافية التى دبّت فى أفهام الناس من تصوّر عالم الوجود وحقيقة الانسان الذى هوجزء منه ـ كما تقدّمت الاشارة إليه ـ وما هو الحق فى الاعتقادات الفرعية المترتبة على تلك الأصول مما كان مبدء للاعمال الانسانية وعناوين لغاياتها ومقاصدها .

فالناس مثلا ـ يرون ان الاصالة لحياتهم المادية حتى قال قائلهم : « ما هى الا حياتنا الدنيا » الجاثية : ٢٤)

والقرآن ينبّههم بقوله : « وما هذه الحياة الدنيا الا لهوولعب وان الدار الاخرة لهى الحيوان » العنكبوت ٦٤)

ويرون ان العلل والأسباب الحاكمة فيها هى المولدة للحوادث من حياة وموت وصحة ومرض وغنى وفقر ونعمة ونقمة ورزق وحرمان « بل مكر الليل والنهار » سباء : ٣٣)

والقرآن يذكّرهم بقوله : « ألاله الخلق والامر » الاعراف : ٥٤)

وقوله : « إن الحكم الالله » يوسف : ٦٧)

وغيرذلك من آيات الحكمة ، ويرون أن لهم الاستقلال فى المشية يفعلون مايشاؤن والقرآن يخطئهم بقوله : « وما تشاؤن الا أن يشاء الله » الانسان : ٣٠) ويرون أن لهم ان يطيعواويعصوا ويهدوا ويهتدوا ، والقرآن ينبّئهم بقوله « انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » القصص : ٥٦)

ويرون ان لهم قوة والقرآن ينكر ذلك بقوله : « ان القوة لله جميعاً » البقرة : ١٦٥)

ويرون أن لهم عزة بمال وبنين وأنصار والقرآن يحكم بقوله : «أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعاً » النساء : ١٣٩) وقوله : « ولله العزة و لرسوله وللمؤمنين » المنافقون : ٨)

ويرون ان القتل فى سبيل الله موت وانعدام ، والقرآن يعدّه حياةاذيقول

« ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون »
البقرة : ١٥٤)

إلى غير ذلك من التعاليم القرآنية التى امر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو بها الناس قال : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة » النحل : ١٢٥)

وهى علوم وآراء جمة صورّت الحياة الدنيا خلافها فى نفوس الناس وزينه فنبّه تعالى لها فى كتابه وأمر بتعليمها رسوله و ندب المؤمنين أن يتواصوا بها كما قال : « ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات و تواصوا بالحق » العصر : ٣)

وقال : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً وما يذّكر الا اولوا الالباب » البقرة : ٢٦٩)

فالقرآن بالحقيقة يقلب الانسان فى قالب من حيث العلم والعمل حديث و يصوغه صوغاً جديداً ، فيحيى حياة لايتعقّبها موت أبداً ، وإليه الاشارة بقوله تعالى « استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » الانفال : ٢٤)

وقوله : « او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » الانعام : ١٢٢)

وما يستفاد من ترتيب الامور الاربعة : تلاوة الايات والتزكية وتعليم الكتاب والحكمة فى قوله تعالى: « يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة »
الجمعة : ٢)

ان الاخير يتوقف على الثلاثة الاولى واحدة بعد اخرى ، فلا ينبغى تعليم الحكمة قبل الثلاثة وتؤيد ذلك روايات كثيرة :

منها: فى الكافى باسناده عن أبان بن تغلب عن أبى عبدالله عليه السلام قال : كان المسيح عليه السلام يقول: ان التارك شفاء المجروح من جرحه شريك لجارحه لامحالة وذلك ان الجارح أراد فساد المجروح والتارك لاشفائه لم يشأ صلاحه ، فاذا لم يشأ صلاحه فقد شاء فساده اضطراراً فكذلك لاتحدّثوا بالحكمة غير أهلها فتجهلوا

ولا تمنعوها أهلها فتأثموا وليكن أحدكم بمنزلة الطبيب المداوى، إن رأى موضعاً لدوائه والا امسك .

ومنها: فى نهج البلاغة قال الامام على عليه السلام : « لا تحدث بالعلم السفهاء ، فيكذبوك ولا الجهال فيستثقلوك ولكن حدث به من يتلقاه من اهله بقبول وفهم يفهم عنك ماتقول ويكتم عليك ما يسمع ، فان لعلمك عليك حقا ، كما ان عليك فى مالك حقا : بذله لمستحقه ، ومنعه عن غير مستحقه .

ومنها: وفيه قال على عليه السلام : « ليس كل مكتوم يسوغ اظهاره لك ، و لا كل معلوم يجوز أن تعلمه غيرك » .

ومنها: فى امالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن جميل بن صالح عن الصادق عليه السلام قال : قام عيسى بن مريم عليه السلام فى بنى اسرائيل ، فقال : يا بنى اسرائيل لا تحدثوا بالحكمة الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، و لا تعينوا الظالم على ظلمه فيبطل فضلكم .

و فى تحف العقول : فى وصية الامام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام بن الحكم: فى حديث طويل - قال : يا هشام لا تمنحوا الجهال الحكمة فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ياهشام كما تركوا الكم الحكمة فاتركوا لهم الدنيا ،

وفى حديث : « ما من عبد الا وفى رأسه حكمة وملك يمسكها ، فاذا تكبر قال له أتضع ؟ واذا تواضع قال : انتعش ، فلا يزال أصغر الناس فى نفسه و ارفع الناس فى اعين الناس »

وفى الكافى : فى حديث هشام عن موسى بن جعفر عليه السلام قال : ياهشام ان العاقل رضى بالدون من الدنيا مع الحكمة ، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا فلذلك ربحت تجارتهم .

﴿الحكمة ضالة المؤمن فيأخذها أينما وجدها﴾

في الكافي : باسناده عن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الحكمة ضالة المؤمن ، فحيثما وجد أحد كم ضالته فليأخذها .

وفي نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام : « خذ الحكمة أنى كانت ، فان الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره ، حتى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن »

قال السيد الرضي رضوان الله تعالى عليه : وقد قال علي عليه السلام في مثل ذلك: الحكمة ضالة المؤمن ، فخذ الحكمة ولو من اهل النفاق .

وفي الشرح : خطب الحجاج فقال : ان الله أمرنا بطلب الاخرة ، و كفانا مؤنة الدنيا ، فليتنا كفينا مؤنة الآخرة ، وامرنا بطلب الدنيا .

فسمعها الحسن فقال : هذه ضالة المؤمن خرجت من قلب المنافق .

و كان سفيان الثوري يعجبه كلام أبي حمزة الخارجي ويقول : « ضالة المؤمن على لسان المنافق تقوى الله أكرم سريرة، وأفضل ذخيرة ، منها ثقة الواثق وعليها مقة الوامق ليعمل كل امرىء في مكان نفسه وهو رخي اللبب ، طويل السبب ليعرف ممد يده وموضع قدمه ، وليحذر الزلل والعلل المانعة من العمل رحم الله عبداً آثر التقوى واستشعر شعارها ، واجتنى ثمارها باع دار البقاء بدار الاباد ، الدنيا كروضة يونق مرعاها وتعجب من رآها ،تمج عروقها الثرى،وتنطف فروعها بالندى حتى اذا بلغ العشب إناه ، و انتهى الزبرج منتهاه ، ضعف العمود وزوى العود ، وتولى من الزمان مالا يعود ، فحتت الرياح الورق ، وفرقت ماكان

اتسق ، فاصبحت هشيماً ، وأمست رميماً .

قيل لبعض الحكماء : ما بالكم لا تأنفون من التعلم من كل أحد ؟ قال : لعلمنا بان العلم نافع من حيث اخذ .

وفى الحديث : « الكلمة الحكيمة ضالة الحكيم » قيل أراد بالكلمة : الجملة المفيدة ، وبالحكمة التى احكمت مبانيها بالعلم والعقل مصونة معانيهاعن الاختلاف والتهافت .

فالمعنى : ان الكلمة الحكيمة ربما تكلم بها من ليس لها بـاهل فيلتقطها الحكيم فانه أهل لها وأولى بها من الذى قالها كصاحب الضالة الذى يجدها فانه أحق بها من غيره .

فى عيون الاخبار لابن قتيبة الدينورى : عن ابن عباس قال : « خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه فانه قد يقول الحكمة غير الحكيم ، وتكون الرمية من غير الرامى » .

قيل للقمان : ممن تعلّمت الحكمة ؟ قال : من العمى لانه اذا لم ير المكان لم يضع القدم ، قدّم الخروج قبل الولوج .

و فى تحف العقول : من مواعظ عيسى ابن مريم عليه السلام : « و اعلموا أن كلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فعليكم قبل أن ترفع ، ورفعها أن تذهب رواتها ـ إلى أن قال ـ : بحق أقول لكم : لو وجدتم سراجاً يتو قّد بالقطر ان فى ليلة مظلمة لاستضأتم به ، فلم يمنعكم منه ريح قطر انه ، كذلك ينبغى لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجد تموها معه ولا يمنعكم منه سوء رغبته فيها » .

و فى نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام : « قد لبس للحكمة جنّتها ، و أخذها بجميع أدبها من الاقبال عليها و المعرفة بهاوالتفرّ غ لها ، فهى عند نفسه ضالته التى يطلبها ، و حاجته التى يسئل عنها ، فهو مغترب اذا اغترب الاسلام ، وضرب بعسيب ذنبه ، و ألصق الارض بجرانه ، بقيّة من بقايا حجته ، خليفة من خلائف انبيائه » .

قال ابن أبى الحديد : « هذا الكلام فسّره كـل طائفة على حسب

اعتقادها، فالشيعة الامامية تزعم أن المراد به المهدى المنتظر عندهم ،والصوفية يزعمون انه يعنى به ولى الله فى الارض ، و عندهم ان الدنيا لاتخلو عن الأبدال وهم اربعون ، وعن الاوتاد وهم سبعة ، وعن القطب و هو واحد، فاذا مات القطب صار أحد السبعة قطباً عوضه ، وصار أحد الاربعين و تداً ، عوض الوتد ، و صار بعض الاولياء الذين يصطفيهم الله تعالى أبدا لاً عوض ذلك البدل .

و أصحابنا يزعمون ان الله تعالى لايخلى الامة من جماعة من المؤمنين العلماء بالعدل و التوحيد ، وان الاجماع انما يكون حجة باعتبار أقوال اولئك العلماء لكنه لما تعذّرت معرفتهم باعيانهم اعتبر اجماع سائر العلماء ، وانما الاصل قول اولئك .

قالوا : و كلام أمير المؤمنين عليه السلام ليس يشير فيه إلى جماعة اولئك العلماء من حيث هم جماعة ، ولكنه يصف حال كل واحد منهم ، فيقول : من صفته كذا و من صفته كذا .

والفلاسفة يزعمون أن مراده عليه السلام بهذا الكلام العارف ، ولهم فى العرفان وصفات أربابه كلام يعرفه من له انس باقوالهم » .

ثم قال الحديد : « وليس يبعد عندى أن يريد به القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى آخر الوقت اذا خلقه الله تعالى، وإن لم يكن الآن موجوداً ، فليس فى الكلام مايدل على وجوده الآن ، و قد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أن الدنيا والتكليف لاينقضى الاّ عليه » .

اقول: وفى الكلام مايدل على أن يكون القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم موجوداً الآن ، وهو كلمة « قد » الداخلة على فعل الماضى « ليس » تدل على التحقق ماضياً ، خفى ذلك على ابن أبى الحديد .

قوله عليه السلام « قد لبس للحكمة جنتها » الجنة : ما يستتر به من السلاح كالدرع ونحوها ، ولبس جنة الحكمة قمع النفس عن المشتهيات ، وقطع علائق النفس عن المحسوسات ، فان ذلك مانع للنفس عن أن يصيبها سهام الهوى كما تمنع الدرع الدارع عن أن يصيبه سهام الرماية

ثم عاد إلى صفة هذا الشخص اذقال:« وأخذ بجميع أدبها من الاقبال عليها» إلى شدة الحرص والهمة ، ثم قال:« والمعرفة بها » أى والمعرفة بشرفها ونفاستها ثم قال : « والتفرّغ لها » لأن الذهن متى وجهته نحو معلومين تخبّط وفسد ، وانما يدرك الحكمة بتخلية السرمن كل مامرّ سواها .

قال : « فهى عندنفسه ضالّته التى يطلبها» هذا مثل قوله عليه السلام: « الحكمة ضالة المؤمن » ومن كلام الحكماء : لايمنّعك من الانتفاع بالحكمة حقارةمن وجدتها عنده كمالا يمنعك خبث تراب المعدن من التقاط الذهب .

ثم قال : « هو مغترب اذا اغترب الاسلام » يقول هذا الشخص يخفى نفسه ويحملها اذا اغترب الاسلام ، واغتراب الاسلام أن يظهر الفسق والجور على الصلاح والعدل ، قال عليه السلام : « بدأ الاسلام غريباً وسيعود كما بدأ »

وقال : « وضرب بعسيب ذنبه وألصق الارض بجرانه » هذا من تمام قوله : « اذا اغترب الاسلام » أى اذا صار الاسلام غريباً مقهوراً و صار الاسلام كالبعير البارك يضرب الارض بعسيبه ، وهو أصل الذنب ، ويلصق جرانه و هو صدره فى الارض ، فلا يكون له تصرّف ولا نهوض .

وفى الفقيه : باسناده عن السكونى عن جعفربن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: كلمتان غريبتان فاحتملوهما : كلمة حكمة من سفيه فاقبلوها و كلمة سفة من حكيم فاغفروها .

و فى الخصال : باسناده عن الزهرى عن على بن الحسين عليه السلام قال : كان آخر ما أوصى به الخضر موسى عليه السلام قال : رأس الحكمة مخافة الله عزوجل.

و فى المحاسن : باسناده عن ابى على ابن راشد قال : سمعت أبا الحسن الثالث عليه السلام يقول : أكل العسل الحكمة .

وفى الكافى : باسناده عن جميل بن دراج عن أبى عبدالله عليه السلام من أكل سفرجلة أنطق الله الحكمة على لسانه أربعين صباحاً

﴿الحكيم وخصاله﴾

ومايستفاد من الاية الكريمة : ان الحكمة لاينال بها أحد الا بتزكية النفس بالايمان وصالح العمل وتعلّم القرآن

وان الحكيم: هو الذى أحكم أمر الدارين ودبّره بحسب ماتقتضيه الحكمة

الحكيم : من أجمع بين العلم و العمل ، من كان جامعاً للخصال الثلاثة : القلب و اللسان و الجوارح ، حكيما فى اعتقاده ، حكيماً فى قوله ، حكيماً فى فعله ، حكيما فى معاشرته ، حكيماً فى أمره وصنعه وحكيماً فى صحبته .

الحكيم : من كان محكمة الافعال ، متقنة الصناعات ، صديق الاقوال ، كريم الاخلاق ، صحيح الاراء ، زكىّ الاعمال ، وجميل الخصال ...

وهو الذى يعرف حقائق الاشياء و كمية أجناسها وانواعها وخواصّها واحداً بعد واحد ، و البحث عن عللها و أسبابها : هل هى ؟ ، وماهى ؟ ، ولم هى؟ ، و كم هى ؟ ، ومتى هى ؟ ، وأين هى ؟ ، و كيف هى ؟ ، ومن هى ؟ ، وأىّ شىء هى ؟ ، و يعلم ذلك كله ، ويجيب اذا سئل عنها بحقها وصدقها اجمالاً و تفصيلا على قدر وسعه ، ولابد للحكيم أن يعرف كيفية الاشياء قبل كميتها .

و ان ملاك معرفة حقائق الاشياء : هو تصور الانسان حدوث هذا العالم الشاسع ، و كيفية ابداع البارى العالم ، و كيفية ترتيبه للموجودات و نظامه للكائنات بما هو عليه الآن ، ولم كان ذلك ، ومعرفة حقيقة الاشياء هى معرفة حدودها ورسومها ...

ولايخفى ان الاشياء كلها على قسمين :

أحدهما ـ المركبات التى تعرف حقائقها اذا عرفت الأشياء التى هى مركبة منها كما اذا قيل لك : ما حقيقة الطين ؟ فتقول : ماء و تراب مختلطان ، و هكذا ...

ثانيهما ـ البسائط التى تعرف حقائقها اذا عرفت الصفات التى تخصّها كما اذا قيل لك : ما العلم ؟ تقول : صورة المعلوم فى نفس العالم ، وان قيل : ما العقل الفعال ؟ تقول : هو اول مبدع أبدعه الله تعالى ، وجوهر بسيط نورانى فيه صورة كل شيء ، وإن قيل : ما النفس؟ تقول: جوهرة بسيطة روحانية حية علامة فعالة وهى صورة من صور العقل الفعال ، وإن قيل : ما الايمان ؟ تقول : هو التصديق بما يخبر به المخبر والالتزام بما يقتضيه من العمل ، وهكذا . . .

ولما كان تصور كل انسان ذلك أرسل الله تعالى انبيائه ، وهم سفرائه بينه وبين عباده ليعبّروا عنه المعانى ، و يفهموها الناس بلغات مختلفة حسب وسعهم، فاذا مضت الانبياء عليهم السلام لسبلها خلفهم الاولياء والحكماء والعلماء الذين قاموا مقام الانبياء عليهم السلام قولاً وعملاً وتعليماً للناس معالم الدين و طريق السعادة ، و مصالح الدنيا و الاخرة ، فمن اهتدى طريق الهدى نجى و فاز ، و من أبى و كفر هلك وخسر : « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة » الانفال: ٤٢) .

و الحكيم : من كان فارغ القلب من هموم الدنيا وغمومها ، وكان زكى النفس و دقيق الفهم ، وواضع العقل ، وطاهر الاخلاق ، وسليم الصدر من الدغل و الغش و الاراء الفاسدة و الاغراض الشخصية و المصالح الفردية ، و كان عالماً بالرياضيات الحكمية الاربع ، والنظر فى المنطق والطبيعيات ، وكان عارفاً باجوبة الاسئلة ، ودفع المعضلات ، ومحققاً فى علم الانبياء المسمى بعلم الالهيات لان هذا العلم هو الغاية القصوى التى ينتهى إليها الانسان فى علم المعارف التى تلى رتبة الملائكة الذين هم الملأ الاعلى و سكان السموات و ملوك الافلاك ، و الدخول فى زمرة الملائكة المقربين ...

وهكذا سيرة الانبياء والمرسلين الذين اوتوا الحكمة فيها الخير كله كانوا

يعلّمونها الناس قال الله تعالى : « فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة »
النساء : ٥٤)

وقال : « كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم و يعلمكم الكتاب والحكمة » البقرة : ١٥١)

كل ذلك تشبّها بالله تعالى فى اظهار حكمته ، وفيض فضائله على بريته اذ أوجدهم بعد أن لم يكونوا ، فافاض عليهم من فنون نعمه و ألوان الخيرات و البركات مما لايحصى عددها الاّ الله تعالى .

ان العلماء هم ورثة الانبياء ، والحكماء هم أفاضل العلماء .

فى الوسائل لصدر المتالهين رضوان الله تعالى عليه قال : « ومن لم يكن دينه دين الانبياء عليهم السلام فليس من الحكمة فى شيء ، ولا يعدّ من الحكماء من ليس له قدم راسخ فى معرفة الحقائق ، إذ الحكيم من كان عارفاً بالحقائق على ما هى عليه من أحوال المبدأ والمعاد ، و كيفية صدور الموجودات ، و كيفية رجوعها إليه ، فالاول يقال له : علم التوحيد وعلم الالهيات ، والثانى يقال له : علم النبوات وعلم النفس ، وهذه المعرفة بقسميها هى الحكمة التى جاء فى الوحى الالهى إشارة إلى تعظيمها وتوقير أهلها « ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً »

وهى من أعظم المواهب والمنح وأجل العطايا وأشرف الذخاير والسعادات للنفس الانسانى ، وبها قيام العالم العلوى والسفلى ، وابتهاجات جميع الموجودات ، ولا سعد من سعد الاّ بالحكمة ، ولا شقى من شقى الاّ بجحودها لانها ام الفضائل ، و أفضل الوسائل ورأس العبادات ، ومعدن الطاعات ، ومن أعظم البلاياء ، الرزية والعزاء الاعراض عنها ، والجحود لها كما قال : « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » وقوله : « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقدران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » فاجتهد ياحبيبى هداك الله طريق السعادة فى تحصيل ما اشارت إليه الانبياء فى الكتب المنزلة من الملاء الاعلى ، وما حثت عليه الحكماء فى أسفارهم وصحفهم من المقاصد الشريفة و

المسائل المكتومة عن غير مستحقيها المضنون بهـا علىغير أهلها ، فلعلك تنال ما نالوه وتتصور ما تصوروهوتشاهد ماشاهدوه ، وتصل إلى ما وصلوا إليه ، وتعيش عيشهم وتحيى بروحهم .

واعلم : ان الظن باعاظم الحكماء وأساطينهم ممن شهدت أفاضل كل عصر و زمان بتقدمهم وفضلهم، واتفقت أماثل كل طائفة على زهدهم ، وصفاءضمائرهم و انخلاعهم عن الحس ، و تجرّدهم عن الدنيا ، ورجوعهم إلى المأوى و تشبههم بالمبادى ، وتخلقهم باخلاق البارى انهم متفقون على اعتقاد حدوث العالمبجميع جواهره و أعراضه وافلاكه واملاكه و بسائطه و مركباته الاّ ان هذه المسئلة لكونها فى غاية الغموض لم يكن لغيرهم من الباحثين و الناظرين فى كتبهم تحقيقها وفهمها على وجه لاانحراف فيه ولاتغيير ولاغلو ولاتقصير ، ولعمرى ان اصابة الحق فى هذه المسئلة وامثالها ممن التزم القواعد العقلية و المحافظة على توحيدالبارى وتنزيهه عن وصمة التغير و التكثر من قصيا مراتب القوة النظرية المصافية للقوة القدسية » .

قال سقراط : لايكون الحكيم حكيما حتى يغلب شهوات الجسم .

فى تحف العقول : قال الامام على عليه‌السلام فى حديث ـ : ان العلم ذو فضائل كثيرة فرأسه التواضع ، وعينه البراءة من الحسد ، واذنه الفهم ، ولسانه الصدق و حفظه الفحص و قلبه حسن النية و عقله معرفة الاسباب بالامور و يده الرحمة وهمته السلامة ورجله زيارة العلماء وحكمته الورع . الحديث .

و فيه قال عليه‌السلام أيضاً : « أيها الناس اعلموا انه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه ، ولابحكيم من رضى بثناء الجاهل عليه » .

و فى الكافى : فى حديث هشام بن الحكم عن موسى بن جعفر عليه‌السلام ـ إلى أن قال ـ : ياهشام من سلّط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان على هدمعقله : من أظلم نور تفكّره بطول أمله ، و محاطرائف حكمته بفضول كلامه ، و أطفأنور عبرته بشهوات نفسه ، فكأنما أعان هواه على هدم عقله ، ومن هدم عقلهأفسدعليه

دينه ودنياه .

اقول : وذلك لان بطول الامل يقبل إلى الدنيا ولذاتها، فيشغل عن التفكر، أو يجعل مقتضى طول الامل ماحياً لمقتضى فكره الصائب .

و الطريف : الامر الجديد المستغرب الذى فيه نفساسة ، ومحو الطرائف بالفضول إما لانه اذا اشتغل بالفضول شغل عن الحكمة فى زمان التكلم بالفضول وإما لانه لما سمع الناس منه الفضول لم يعبأوا بحكمته أولانه اذا اشتغل به محى الله عن قلبه الحكمة .

و فى البحار : فى مواعظ عيسى ابن مريم عليه السلام لبنى اسرائيل ـ إلى أن قال ـ : بحق أقول لكم : ان الحكيم يعتبر بالجاهل ، و الجاهل يعتبر بهواه ، اوصيكم أن تختموا على أفواهكم بالصمت حتى لايخرج منها مالايحل لكم .

و فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار » .

و فيه : قال عليه السلام : « انما لم يجتمع الحكمة والمال لعزة وجود الكمال »

وفى الكافى : قال عيسى عليه السلام : بالتواضع تعمر الحكمة لابالتكبر و كذلك فى السهل ينبت الزرع لافى الجبل .

و فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا رأيتم أهل الجوع و التفكر فادنوا منهم ، فان الحكمة تجرى على ألسنتهم » .

و فى رواية : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « ان الحكمة تزيد الشريف شرفاً » .

اقول : و عن سقراط انه قال لانتيفون السفطائى : « اسمع يا انتيفون ! انا نعد حكيما ، كل امرئ يكتسب صداقة الذين يحبون الجمال و الخير ، و نسمى سفطائيين ، اولئك الذين يتجرون بالعلم فيبيعونه ، فاما من رأى انساناً فعلمه مايعرف من خير ، فانما يفعل ما ينبغى أن يفعله الخيرون الطيبون ، فاما أنايا انتيفون فاحب أن أجد أصدقاء صالحين ، و أن اعلمهم ماأعلم من خير ، و ابين لهم ما انطوت عليه حكمة السابقين من قيم ، فان أصبنا خيراً ، و جدنا كسباً كبيراً بما يجنى بعضنا من بعض من نفع » .

﴿الامام علي عليه السلام وباب الحكمة﴾

و قد أورد في ذلك جمّ غفير، و جمع كثير من حفاظ العامة، و حملة أحاديثهم روايات كثيرة صحيحة في مآخذهم المعتبرة عندهم نشير إلى مايسعه المقام :

١ـ روى الحافظ ابوبكر خطيب البغدادي في (تاريخ البغداد ج ١١ ص ٢٠٤ ط السعادة بمصر) باسناده عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب .

رواه الحافظ ابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان ج ٥ ص ١٩ ط حيدر آباد الدكن) و ابن المغازلي الشافعي في (مناقب امير المؤمنين) وأبو نعيم الاصبهاني في (حلية الأولياء ج ١ ص ٦٤ ط السعادة بمصر) .

٢ ـ روى الترمذي في (الصحيح ج ١٣ ص ١٧٠ ط الصاوي بمصر) باسناده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا دار الحكمة وعلي بابها .

٣ ـ روى الثعلبي النيسابوري في (تفسيره) باسناده عن عبدالله بن مسعود قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسئل عن علي، فقال : قسمت الحكم عشرة أجزاء ، فاعطى عليّ تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً .

رواه بهذا الاسناد كثير من أعلام العامة :

منهم : الحافظ ابو نعيم الاصبهاني في (حلية الأولياء ج ١ ص ٦٤ طبع السعادة بمصر) .

وابن المغازلي الواسطي الشافعي في (مناقب امير المؤمنين) .

والحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال ج ١ ص ٥٨ ط القاهرة) ولكنه ذكر (فجعل في علي) بدل (فاعطى علي) والهندي في (منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص ٣٢ ط الميمنية بمصر) وزاد بعد ذكر الحديث (وعلي أعلم بالواحد منهم) .

والبدخشي في (مفتاح النجاص ٥٥) والقندوزي في (ينابيع المودة ص ٧٠ ط الاسلامبول) .

٤ ـ روى النقشبندي الحنفي في (راموز الاحاديث ص ٣٣٥ ط قشلة همايون بالاستانة) باسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : قسمت الحكمة عشرة أجزاء فاعطى علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً ، وعلي أعلم بالواحد منهم .

٥ ـ روى الميبدي في (شرح ديوان امير المؤمنين ص ٣) انه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنا ميزان الحكمة وعلي لسانه .

رواه ابو حامد الغزالي في (الرسالة العقلية) .

٦ ـ روى الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٧٩ ط تبريز) باسناده عن محمد بن كعب قال : راى ابو طالب عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتفل في في علي عليه السلام فقال : ماهذا يا محمد يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال : ايمان وحكمة : فقال ابوطالب لعلي عليه السلام : يا بني انظر ابن عمك ووازره رواه جماعة منهم :

القندوزي في (ينابيع المودة ص ٧٣ ط اسلامبول) .

٧ ـ روى محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ٨٥ ط القدسي بمصر) عن حميد بن عبدالله بن يزيد قال : ذكر عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم قضاء قضى به علي ابن ابيطالب عليه السلام فاعجب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت .

رواه جماعة منهم :

القندوزي في (ينابيع المودة ص ٧٥ ط اسلامبول) والامر تسري في

(ارجح المطالب ص ٣٢٨ ط لاهور) .

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه‌السلام : «تالله لقد علّمت تبليغ الرسالات واتمام العدات وتمام الكلمات ، وعندنا أهل البيت أبواب الحكم وضياء الامر» .

قال ابن ابى الحديد فى (الشرح ج ٧ ص ٢٨٨ط احياء الكتب العربية سنة ١٩٦٠م) ما لفظه :

« رواها قوم « لقد علمت » بالتخفيف وفتح العين ، والرواية الاولى ـ بتشديد اللام من باب التفعيل مبنياً للمفعول ـ أحسن ، فتبليغ الرسالات تبليغ الشرائع بعد وفاة الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى المكلفين ، وفيه إشارة إلى قوله تعالى : « يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً الا الله » وإلى قول النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فى قصة براءة : « لايؤدى عنى الا أنا ورجل منى » .

وإتمام العدات : إنجازها ، وفيه إشارة إلى قوله تعالى : « من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه » وإلى قول النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فى حقه عليه‌السلام : « قاضى دينى ومنجز موعدى » .

وتمام الكلمات تأويل القرآن ، وفيه إشارة إلى قوله تعالى : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا » وإلى قول النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فى حقه عليه‌السلام : « اللهم اهد قلبه و ثبّت لسانه » .

وخلاصة هذا : انه أقسم بالله انه قد علم او علّم ـ على اختلاف الروايتين أداء الشرائع إلى المكلفين ، والحكم بينهم بما أنزله الله ، وعلم مواعيد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم التى وعد بها ، فمنها ماهو وعد لواحد من الناس بامر ، نحو أن يقول له : ساعطيك كذا ، ومنها ما هو وعد بامر يحدث ، كاخبار الملاحم والأمور المتجددة وعلم تمام كلمات الله تعالى ، أى تأويلها وبيانها الذى يتمّ به ، لان فى كلامه تعالى المجمل الذى لايستغنى عن متمم ومبين يوضحه

ثم كشف الغطاء وأوضح المراد فقال : « وعندنا أهل البيت أبواب الحكم » يعنى الشرعيات والفتاوى . . . وضياء الامر يعنى العقليات والعقائد ، وهذا مقام

عظيم لايجسر أحد من المخلوقين يدّعيه سواه عليه السلام ، ولو أقدم أحد على ادعائه غيره لكذب وكذبه الناس .

و « أهل البيت » منصوب على الاختصاص » انتهى كلامه .

وقال ابن أبي الحديد : في (الشرح ج ٦ ص ٣٧٠ ط داراحياء الكتب العربية سنة ١٩٥٩ م ١٣٧٩ هـ) ما لفظه :

« واما الحكمة والبحث في الامور الالاهية فلم يكن من فن أحد من العرب ولانقل في جهاد أكابرهم وأصاغرهم شيء من ذلك أصلا ، وهذا فن كانت اليونان وأوائل الحكماء وأساطين الحكمة ينفردون به ، وأول من خاض فيه من العرب علي عليه السلام ، ولهذا تجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل مبثوثة عنه في فرش كلامه وخطبه ، ولا تجد في كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك ، ولا يتصوّرونه ولوفهّموه وأنى للعرب ذلك !

ولهذا انتسب المتكلمون الذين لججوا في بحار المعقولات إليه خاصة دون غيره وسمّوه أستاذهم ورئيسهم » .

وغير ذلك من الروايات والكلمات الواردة عن طريق العامة لايسعها المقام .

ونشير إلى نبذة ما ورد عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية :

١ ـ روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في أماليه باسناده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : يا علي أنا مدينة الحكمة وانت بابها ، ولن تؤتى المدينة الا من قبل الباب ، وكذب من زعم انه يحبني ويبغضك لانك مني ، وأنا منك لحمك من لحمي ودمك من دمي وروحك من روحي وسريرتك سريرتي وعلانيتك علانيتي وأنت امام امتي ، وخليفتي عليها بعدي ، سعد من أطاعك وشقي من عصاك وربح من تولاك وخسر من عاداك وفاز من لزمك وهلك من فارقك مثلك ومثل الائمة من ولدك بعدي مثل سفينة نوح من ركبها نجى ، ومن تخلف عنها غرق ، ومثلكم مثل النجوم كلما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة .

ورواه في جامع الاخبار .

٢ ـ فى امالى الطوسى قدس سره باسناده عن جابر بن عبد الله الانصارى قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد على بن أبيطالب عليه السلام وهو يقول : هذا أمير البررة وقاتل الفجرة ، منصور من نصره مخذول من خذله ، ثم رفع بها صوته : أنا مدينة الحكمة وعلى بابها ، فمن أراد الحكمة فليات الباب .

٣ ـ فى البحار : عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله تعالى : « ليس البر أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » وقوله : « ليس البر بان تولوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها » .

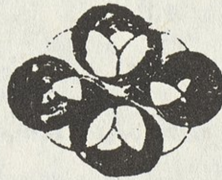
قال : مطرت السماء بالمدينة فلما تقشّعت السماء ـ أى زالت السحاب عنها ـ وخرجت الشمس خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فى اناس من المهاجرين والانصار ، فجلس وجلسوا حوله إذ أقبل على بن أبى طالب عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لمن حوله : هذا علىّ قد أتاكم تقى القلب نقى الكفين ، هذا على بن أبيطالب عليه السلام لايقول الاصواباً تزول الجبال ، ولايزول عن دينه ، فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وآله أجلسه بين يديه فقال : يا على أنا مدينة الحكمة وأنت بابها ، فمن أتى المدينة من الباب وصل ، يا علىّ أنت بابى الذى اوتى منه ، وأنا باب الله ، فمن أتانى من سواك لم يصل ومن أتى الله سواى لم يصل ، فقال القوم بعضهم لبعض : مايعنى بهذا ؟ قال : فانزل الله به قرآناً « ليس البر » الخ .

٤ ـ فى المناقب لابن شهرآشوب رحمة الله تعالى عليه : عن الباقر وأمير المؤمنين عليهما السلام فى قوله تعالى : « ليس البر بان تأتوا البيوت » الاية ، وقوله تعالى « واذ قلنا ادخلوا هذه القرية » : نحن البيوت التى امر الله أن تؤتى من أبوابها ، نحن باب الله وبيوته التى يؤتى منه ، فمن تابعنا و أقرّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها ، ومن خالفنا ، وفضّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها .

وقال النبى صلى الله عليه وآله ـ بالاجماع ـ : أنا مدينة العلم وعلىّ بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب رواه أحمد من ثمانية طرق ، وابراهيم الثقفى من سبعة طرق ، وابن بطّة من ستة طرق ، والقاضى الجعافى من خمسة طرق ، وابن شاهين من

أربعة طرق ، والخطيب التاريخي من ثلاثة طرق ، ويحيى بن معين من طريقين ، وقد رواه السمعاني والقاضي الماوردي ، وأبو منصور السكري وأبو الصلت الهروي وعبد الرزاق وشريك عن ابن عباس ومجاهد وجابر، وهذا يقتضي وجوب الرجوع إلى أمير المؤمنين عليه السلام لانه كنى عنه بالمدينة ، وأخبر إن الوصول إلى علمه من جهة على خاصة ، لانه جعله كباب المدينة الذى لايدخل إليها الا منه ، ثم أوجب ذلك الامر بقوله : « فليأت الباب » وفيه دليل على عصمته لان من ليس بمعصوم يصح منه وقوع القبيح ، فاذا وقع كان الاقتداء به قبيحاً ، فيؤدى إلى أن يكون صلى الله عليه وآله أمر بالقبيح ، وذلك لايجوز ، ويدل أيضاً على أنه أعلم الامة ، ويؤيد ذلك ما قد علمناه من اختلافها ورجوع بعضها إلى بعض وغناؤه عليه السلام عنها وأبان صلى الله عليه وآله ولاية على عليه السلام وامامته وانه لايصح أخذ العلم والحكمة فى حياته وبعد وفاته الا من قبله والرواية عنه ، كما قال الله : « واتوا البيوت من أبوابها » وفى الحساب « على بن أبيطالب باب مدينة الحكمة » استويا فى مأتين وثمانية عشر.

وفى رواية : قال الامام على عليه السلام : ألا وان أهل البيت أبواب الحكم و انوار الظلم وضياء الامم » .



﴿الانبياء والحكماء﴾

ولم يكن العالم اذ خلق الانسان خالياً عن حكمة شخص يقوم به علم التوحيد والمعاد والنبوة ، اذ نشأت الحكمة من أبينا آدم عليه السلام وعن ذريته : شيث وادريس ونوح عليهم السلام .

وأما ناشر الحكمة فهو ادريس النبى عليه السلام ، وهو أبو الحكماء ، ولم تكن الحكمة فى الروم ويونان قديمة ، بل كانت علومهم الخطب والرسائل والنجوم والاشعار ، وقد كانوا هم صائبة يتعظمون الكواكب ، ويعبدون الاصنام حتى بعث الله تعالى ابراهيم ، فجاءهم بالحكمة التى هى علم التوحيد والمعاد والنبوة وما إليها من المعارف ...

وأما أساطين الحكمة الذين اقتبسوا نورها من مشكاة النبوة فهم ثمانية : ثلاثة الملطين ، وخمسة اليونانيين .

و أما الاولون : فمنهم : تاليس الملطى ، وهو أول من تفلسف منهم بمصر وقدم إلى ملطية ، وهو شيخ كبير ، نشر حكمته ، وعلّمهم بالحوادث الفلكية من الخسوف والكسوف وغيرهما ، وأمرهم بضرب الطاسات فى خسوف وقع فى اثناء الليل ، فصار رسماً إلى الآن ، وكان هو يقول : ان للعالم مبدعاً لا تدرك صفته العقول من جهة هويته ، وانما تدرك من جهة آثاره وابداعه وتكوين الاشياء ، وهو الذى لايعرف اسمه فضلا عن هويته ، فلسنا تدرك له اسماً من نحو ذاته بل من نحو ذاتنا . وكان يعيش نحو : ٥٥٠ ـ ٦٢٤ ق م .

ومنهم : أنكساغورس من أهل ملطية ، وكان تلميذاً لتاليس فعاشره وعاش

معه نحو : ٥٤٧ ـ ٦١١ ق م . و كان رأيه فى الوحدانية مثل رأى استاذه .

ومنهم : أنكسيمانس الملطى المعروف بالحكمة ، المذكور بالخير عندهم كان يعيش نحو : ٥٢٤ ـ ٥٨٨ ق م . وهويقول : ان البارى واحد لا كواحد الاعداد لان واحد الاعداد يتكثر وهو لايتكثر ، وهو أزلى لا أول له ولاآخر .

وهذا هو المبدأ الاول لخمير الفلسفة الغاشية بملاطية .

وأما الاخرون : فهؤلاء يتلو بعضهم بعضاً ، وبهم استكملت الفلسفة اليونانية وأو ّلهم أنباذ قلس ، وهو من كبراء الحكماء المشاهير من رؤساء يونان ، و كان من الكبار عند الجماعة ، دقيق النظر فى العلوم ، مفضالا فى الاحوال ، و كان فى زمن داود النبى عليه السلام نحو : ٣٤٥ ـ ٤٩٥ ق م .

وتلقى منه ، واختلف إلى لقمان الحكيم ، واقتبس منه الحكمة ثم عاد إلى يونان وأفاد .

وأمّا المبدأ الثانى لخميرة الفلسفة التى هى أنضج طبخاً وأتم كمالا وأجل رتبة وأضوأ اشراقاً فهو من فيثاغورس بن منسار خس الذى من جزيرة ساميا و كان فى زمان سليمان النبى ابن داود عليه السلام وقد أخذ الحكمة من معدن النبوة وهو الحكيم الفاضل ذوى الرأى المتين والعقل المنير والفهم الثاقب ، وهو المسمى للفلسفة بهذا الاسم الذى معناه محبة العلم ، والحكمة وذلك لان الفلسفة باليونانية محبة الحكمة ، والفيلسوف هو : فيلا وسوفا ، وفيلا هو المحب وسوفا الحكمة اى هو محب الحكمة وأطلق فيثاغورس لفظ الفلسفة على الحكمة لانه كان يقول : ان الحكيم الحق هو الله تعالى ، وليس للانسان أن يزعم بانه يملك الحكمة و كل ما يسمح له به أن يحبها وأن يطلبها .

و كان قد لقى تلاميذ سليمان بن داود عليه السلام بمصر واستفاد منهم ، ودخل إلى بيوت المتألهين ، و كان يأمر عليهم بمجاهدات عظيمة ، و علوم دقيقة شاهدوها منه ، وتلمذ أيضاً للحكيم المعظم الربانى انباذ قلس و هو أخذ عن لقمان الذى أخذ عن داود عليه السلام .

ومنهم : سقراط بن سفر نيسقوس الحكيم الذى قد اقتبس الحكمة من فيثاغورس وارسلاوس ،واقتصر من اصنافها على الالهيات والاخلاقيات ثم اشتغل بالزهد وتهذيب الاخلاق وأعرض عن ملاذ الدنيا واعتزل إلى الجبل ، وأقام فى غار به .

وهو الذى ولد فى أثينا حوالى سنة : ٤٧٠ ق م من أب يحترف صناعة التماثيل وام قابلة ، احترف حرفة أبيه ولبث يزاولها حينا قصيراً ، ثم ترك هذه المهنة وتخصص للفلسفة التى اعتبرها رسالته فى الحياة ، وكان يعيش فى أثينا مشتغلا بالفلسفة ، وينهى الرؤساء الذين كانوا فى زمانه عن الشرك وعبادة الاوثان فيثوروا عليه الغاغة ، واتهموه فى نحو سن السبعين بانكار آلهة اليونان والدعوة إلى آلهة جديدة وانه يفسد عقول الشبان ، فألجاؤا ملكهم على قتله فحبسه الملك وسقاه السم .

ومن جملة اعتقاداته : ان علم البارى تعالى وحكمته وجوده وقدرته بلا نهاية ، ولا يبلغ العقل أن يصفها ولوصفها لكانت متناهيه .

ومنهم : افلاطون الالهى المعروف بالتوحيد والحكمة التى أخذها من سقراط ولما مات سقراط بالسم قام مقامه وجلس على كرسيه ، وهوولد بين سنتى ٤٢٧ ـ ٤٢٩ ق م .

وتلمذه أرسطو وثافرسطيس وطيماوس .

ومنهم : أرسطو وهوالذى أخذ الحكمة عن افلاطون وصحبه نيفاً وعشرين سنة ، وكان اذا حضر التلاميذ ولم يكن أرسطو فيهم أمسك عن الكلام ، فاذا استدعى منه قال : حتى يحضر الانسان فاذا حضر قال : تكلموا فقد حضر الانسان ، وكان يسمى فى حداثته روحانياً لفرط زكاته ، وكان افلاطون يسميه عقلا ، وهو الذى صنف الكتب المنطقية ورتب الابواب الطبيعية والالهية ترتيباً لم يقع من أحد مثله وصنف لكل باب منها كتاباً .

وان هؤلاء الخمسة كانوا هم أساطين الحكمة المعتبرة عند اليونانيين ، و

كانوا يجاهدون فى نشر الحكمة فى العالم ، و كانوا هم حكماء زهاداً عباداً متألهين معرضين عن الدنيا ، مقبلين عن الآخرة ، وهم الذين وصفوا بالحكمة ، ولم يسم أحد بعدهم حكيماً بل كل واحد منهم ينسب إلى صناعة من الصناعات أوسيرة من السير كان عليها مثل بقراط الطبيب ، واومبرس الشاعر، وارشميدس المهندس ، وذيمقراطيس الطبيعى ، ويوذاسف المنجم .

ولكل واحد من هؤلاء الخمسة كلام كثير فىأنواع العلوم البراهينية والا قناعية وفى حدوث العالم ومانيط به ، وهؤلاء الاساطين بمنزلة الاصول والمبادى للحكمة ، وغيرهم كالعيال لهم لانهم كانوا مقتبسين نور الحكمة من مشكاة النبوة من غير خلاف لاحد منهم .

و كلام هؤلاء فى الفلسفة يدورعلى وحدانية البارى واحاطته علماً بالكائنات كيف هو ، وفى الابداع وتكوين العالم ، وان المبادى الاولى ماهى و كم هى ، وان المعاد ما هو ، ومتى هو ، و كيف بقاء النفس يوم القيامة ؟

وانما نشأ القول بقدم العالم بعدهم لاجل تحريف الحكمة والعدول عن سيرتهم ، وقلة التدبر فى كلامهم وقصور الفهم عن نيل مرامهم .



﴿ درر كلم في الحكمة ﴾

عن الامام أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام كلمات قصار فى المقام نشير إلى ما يسعه :

١- قال عليه السلام : « أوّل الحكمة ترك اللذات ، وآخرها مقت الفانيات »

٢- قال عليه السلام : « تجرع مضض الحلم فانه رأس الحكمة وثمرة العلم »

٣- قال عليه السلام : « جمال الحكمة الرفق وحسن المداراة »

٤- قال عليه السلام : « حدّ الحكمة الاعراض عن دار الفناء والتوله بدارالبقاء»

٥- قال عليه السلام : « رأس الحكمة لزوم الحق »

٦- قال عليه السلام : « رأس الحكمة تجنب الخدع »

٧- قال عليه السلام : « رأس الحكمة مداراة الناس »

٨- قال عليه السلام : « رأس الحكمة لزوم الحق وطاعة المحق »

٩- قال عليه السلام : « أفضل الحكمة معرفة الانسان نفسه ووقوفه عند قدره »

١٠- قال عليه السلام : « كسب الحكمة إجمال النطق وإستعمال الرفق »

١١- قال عليه السلام : « لقاح الرياضة دراسة الحكمة وغلبة العادة »

١٢- قال عليه السلام : « من لهج بالحكمة فقد شرف نفسه »

١٣- قال عليه السلام : « من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار »

١٤- قال عليه السلام : « من علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم »

١٥- قال عليه السلام : « من ثبتت له الحكمة عرف العبرة من عرف العبرة كانما عاش فى الاولين »

١٦- قال عليه السلام : « من تبصر فى الفطنة ثبتت له الحكمة »

١٧- قال عليه السلام : « من خزائن الغيب تظهر الحكمة »

١٨- قال عليه السلام : « من الحكمة طاعتك من فوقك وإجلالك من فى طبقتك وانصافك لمن دونك »

١٩- قال عليه السلام : « من الحكمة أن تنازع من فوقك ولا تستذل من دونك ولا تتعاطى ماليس فى قدرتك ، ولا يخالف لسانك قلبك ، ولاقولك فعلك ، و لا تتكلم فيما لاتعلم ، ولا تترك الامر عند الاقبال ، وتطلبه عند الادبار »

٢٠- قال عليه السلام : « لاتخل نفسك من فكرة تزيدك حكمة وعبرة تفيدك عصمة »

٢١- قال عليه السلام : « الحكمة عصمة والعصمة نعمة »

٢٢- قال عليه السلام : « قرنت الحكمة بالعصمة »

٢٣- قال عليه السلام : « لاتسكن الحكمة قلباً مع شهوة لاحكمة الا بعصمة »

٢٤- قال عليه السلام : « اغلب الشهوة تكمل لك الحكمة »

٢٥- قال عليه السلام : « حرام على كل عقل معلول بالشهوة ان ينتفع بالحكمة حفظ الدين ثمرة المعرفة ورأس الحكمة »

٢٦- قال عليه السلام : « كلما قويت الحكمة ضعفت الشهوة »

٢٧- قال عليه السلام : « لا تجتمع الشهوة والحكمة »

٢٨- قال عليه السلام : « التخمة تفسد الحكمة »

٢٩- قال عليه السلام : « حب الدنيا يفسد العقل، ويصم القلب عن سماع الحكمة ويوجب أليم العقاب »

٣٠- قال عليه السلام : « لحب الدنيا صمت الاسماع عن سماع الحكمة ،و عميت القلوب عن نور البصيرة »

٣١- قال عليه السلام : « ان كلام الحكيم إذا كان صواباً كان دواء ، واذا كان خطاء كان داء »

٣٢- قال عليه السلام : « أعيى مايكون الحكيم اذا خاطب سفيها »

٣٣- قال عليه السلام: « التوكل حصن الحكمة »

٣٤- قال عليه السلام: « الحكمة رياض النبلاء »

٣٥- قال عليه السلام: « الحكمة روضة العقلاء ونزهة النبلاء »

٣٦- قال عليه السلام: «حكمة الدين ترفعه وجهل الشريف يضعه»

٣٧- قال عليه السلام: « الحكمة ترشد »

٣٨- قال عليه السلام: « الحكمة ضالة كل مؤمن فخذوها، ولو من أفواه المنافقين»

٣٩- قال عليه السلام: « خذ الحكمة أنى كانت ، فان الحكمة ضالة كل مؤمن»

٤٠- قال عليه السلام: « خذ الحكمة ممن أتاك بها وانظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال »

٤١- قال عليه السلام: « ضالة العاقل الحكمة فهو أحق بها حيث كانت ، ضالة الحكيم الحكمة ، فهو يطلبها حيث كانت »

٤٢- قال عليه السلام: « قد يقول الحكمة غير الحكيم »

٤٣- قال عليه السلام: « الحكمة نور جوهرية العقل »

٤٤- قال عليه السلام: « بالعلم تعرف الحكمة »

٤٥- قال عليه السلام: « بالعقل يستخرج غور الحكمة »

٤٦- قال عليه السلام: « رغبة العاقل في الحكمة ، وهمة الجاهل في الحماقة »

٤٧- قال عليه السلام: « غير منتفع من الحكمة عقل مغلول بالغضب والشهوة »

٤٨- قال عليه السلام: « غنى العاقل بحكمته ، وعزه بقناعته »

٤٩- قال عليه السلام: « للنفوس طبائع سوء ، والحكمة تنهى عنها »

٥٠- قال عليه السلام: « من ملك عقله كان حكيما »

٥١- قال عليه السلام: « واعلموا أن الله سبحانه لم يمدح من القلوب الا أوعاها للحكمة ، ومن الناس الا أسرعهم إلى الحق اجابة »

٥٢- قال عليه السلام: « العلم ثمرة الحكمة ، والصواب من فروعها »

٥٣- قال عليه السلام: « الحكمة شجرة تنبت في القلب وتثمر على اللسان »

٥٤ـ قال عليه السلام : « القلب ينبوع الحكمة والاذن مغيضها »

٥٥ـ قال عليه السلام : « بالزهد تثمر الحكمة »

٥٦ـ قال عليه السلام : « بالحكمة يكشف غطاء العلم »

٥٧ـ قال عليه السلام : « ثمرة الحكمة الفوز »

٥٨ـ قال عليه السلام : « ثمرة الحكمة التنزه عن الدنيا والوله بجنة المأوى »

٥٩ـ قال عليه السلام : « زين الحكمة الزهد فى الدنيا »

٦٠ـ قال عليه السلام : « من تفكة بالحكم لم يعدم اللذة »

٦١ـ قال عليه السلام : «لاخير فى الصمت عن الحكمة كما انه لاخير فى القول الباطل »

٦٢ـ قال عليه السلام : « الحكمة لاتحل قلب المنافق الأوهى على إرتحال »

٦٣ـ قال عليه السلام : « كيف يصبر على مباينة الأضداد من لم تعنه الحكمة »

٦٤ـ قال عليه السلام : « وذلك القلب وله مواد من الحكمة ، وأضداد من خلافها فان سنح له الرجاء أذله الطمع ، وان هاج به الطمع أهلكه الحرص »

٦٥ـ قال عليه السلام : « الحكماء أشرف الناس أنفساً ،وأكثرهم صبراً، وأسرعهم عفواً ، وأوسعهم أخلاقاً »

٦٦ـ قال عليه السلام : « إستشعر الحكمة وتجلبب السكينة فانهما حلية الأبرار »

٦٧ـ قال عليه السلام : « ليس بحكيم من شكى ضرّه إلى غير رحيم »

٦٨ـ قال عليه السلام : « ليس بحكيم من ابتذل بانبساطه إلى غير حميم »

٦٩ـ قال عليه السلام : « ليس بحكيم من قصد بحاجته غير كريم » .

٧٠ـ قال عليه السلام : « حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأى العقلاء ، ويضم إلى علمه علوم الحكماء »

٧١ـ قال عليه السلام : « صاحب الحكماء وجالس الحكماء »

٧٢ـ قال عليه السلام : « غنيمة الاكياس مدارسة الحكمة »

٧٣ـ قال عليه السلام : « لقاء أهل المعرفة عمارة القلوب ومستفاد الحكمة »

٧٤- قال عليه السلام . « من كشف مقالات الحكماء انتفع بحقائقها »

٧٥- قال عليه السلام : « مجلس الحكمة غرس الفضلاء »

٧٦- قال عليه السلام : « مجالسة الحكماء حياة العقول وشفاء النفوس »

٧٧- قال عليه السلام : « جالس أهل الورع والحكمة واكثر مناقشتهم ، إن كنت جاهلا علموك ، وان كنت عالما ازددت علماً »



﴿ تحقيق وبحث روائي في فضل الجمعة ﴾

قال الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » الجمعة : ٩) .

ولقد وردت روايات كثيرة في فضل يوم الجمعة وليلتها :

ان يوم الجمعة خير أيام الاسبوع جعله الله تعالى سيدها ، وجعله يوم المزيد ويوم الشاهد ، وفضّل الله جل وعلا الامة المسلمة بهذا اليوم على سائر الامم ، فأكرمهم به ، ولم تطلع الشمس على أفضل منه ، ولا أكثر معافاً من النار ، وان يوم الجمعة يوم تنزل فيه الرحمة الالهية على الخلق ، ويغفر فيه للعباد ، وتضاعف فيه الحسنات ، ويمحى فيه السيئات ، وترفع فيه الدرجات ، ويستجاب فيه الدعوات وتكشف فيه الكربات ، وتقضى فيه عظام الحاجات . . .

ولله عز وجل في هذا اليوم عتقاء وطلقاء من النار والعذاب ، ما دعى الله تعالى فيه أحد من العباد ، وقد عرف حقه ، وحفظ حرمته الا كان حقا على الله جل وعلا ان يجعله من عتقائه وطلقائه من النار ، ومن مات في هذا اليوم أو في ليلته مؤمناً مات شهيدا ، وبعث آمنا ، بل يكتب لمن مات فيه - عارفا بحق أهل البيت عليهم السلام - براءة من النار والعذاب .

فصلاة الجمعة سيدة الفرائض كما ان يوم الجمعة سيد الايام ، وليس للمسلمين عيد - غير يوم غدير خم - اولى من يوم الجمعة : بل هو أعظم عند الله تعالى من يومي الفطر والاضحى ، فان له من سابق الفضل وواقعه ولاحقه غبر الزمن ما ليس لغيره من الايام . . .

ولهذا اليوم خصال كثيرة :

منها : ان الله عـز وجل جمع فيه الخلق بعد الادوار الستة للخلق، فالجمعة فى هذا الاسبوع العالمى هو يوم الجمع العالم ، كما أنها لغوياً كثير الجمع ، و لذلك جعل العيـد الاسلامى الاسبوعى لانّه جماع الشرائع ، ولكثرة الجمع المفروض فى فرضها .

وهو يوم خلق الله تعالى آدم عليه السلام حيث أتمّ جمع روحه إلى جسمه ، وفيه جمع له زوجته ، وفيه أسجد له ملائكته ، وفيه أدخله وزوجه جنته ، وفيه تاب الله عزوجل عليه عن خطيئته ، وفيه أهبطه إلى الارض وهبط فيه الروح الامين ، وفيه قال الله جل وعلا للنار : كونى برداً وسلاماً على ابراهيم ، وفيه فدى الله تعالى اسمعيل بذبح عظيم ، وفيه كشف الله عن ايوب كربه ، وفيه استجاب الله جل وعز ليعقوب دعاءه ، وفيه حملت السيدة مريم السيد المسيح ، وفيه خلق الله تعالى الانبياء والاوصياء ، وفيه جمع الله عزوجل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أمره ، وفيه قال الامام الحسين بن على عليه السلام قومته الثائرة ، وفيه يقوم القائم المهدى عليه السلام ، وفيه ساعة لا يسئل الله تعالى فيها أحد شيئاً الا أعطاه اياه ما لم يسئل محرماً ، وما من ملك مقرب ولا سماء ولا ارض ولا جبال ولا شجر الا وهو يشفق من يوم الجمعة - بين الظهر والعصر - القيامة الكبرى ، فيه عظمة الله تبارك وتعالى وعظمة تقوم محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

و كلام الطير فى هذا اليوم إذا لقى بعضها بعضاً : سلام سلام يوم صالح ، و هذا اليوم هو الذى جمع الله تعالى فيه الخلق لولاية محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و وصيه فى الميثاق ، ولذا ولغيره سماه الجمعة .

ولا تركد فيه الشمس كما تركد فى غيره لعذاب أرواح المشركين ، فيرفع الله جل وعلا عنهم العذاب فيه لفضله ، ويوم الجمعة يوم زاهر ، وليلتها غرّاء ، بل هما أربع وعشرون ساعة ، ولله تعالى فى كل ساعة منها ستمأة ألف عتيق من النار ، وفى هذا اليوم يؤذن للحور العين فيشرفن على الدنيا فيقلن : أين الذين يخطبوننا إلى ربنا ؟

وفى هذا اليوم تفتح أبواب السماء لصعود أعمال العباد ؛ وفيه تزخرف الجنان

وتزين لمن أتاها ؛ وحيث يبعث الله تعالى العباد أتى بالايام يعرفها الخلق باسمها وحليتها يقدمها يوم الجمعة ؛ له نورساطع يتبعه سائرالايام كأنه عروس كريمة ذات دثارتهدى إلى ذى حلم ويسار؛ ثم يكون هذااليوم شاهداً وحافظاً لمن يسارع إليه لاداء حقه . . .

واذا كانت عشية الخميس ، وليلة الجمعة نزلت ملائكة من السماء معها أقلام الذهب وصحف الفضة ، لا يكتبون عشية الخميس وليلة الجمعة ويومها إلى أن تدلى الشمس الا الصلواة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وفيه ساعات يستجاب فيها الدعاء والمسئلة مالم يدعى بقطيعة ومعصية ، اوعقوق خصوصاً الساعة التى تدلى فيهانصف عين الشمس للغروب التى روت فاطمة عليها السلام عن أبيها فيها انه سمعته : يقول : فى الجمعة ساعة لايوافقها رجل مسلم يسئل الله عزوجل فيها خيراً الا اعطاه اياه .

قالت : فقلت : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أية ساعة هى ؟ فقال : اذا تدلى نصف عين الشمس للغروب فكانت فاطمة عليها السلام تقول لغلامها : اصعد على الضراب ، فاذا رأيت نصف عين الشمس قد تدلى للغروب فاعلمنى حتى ادعو ، وفى ليلة الجمعة ينادى من فوق عرشه من اول الليل إلى آخره : ألا عبد مؤمن يدعونى لاخرته ودنياه قبل طلوع الفجر فاجيبه ، ألا عبد مؤمن يتوب إلىّ من ذنوبه قبل طلوع الفجر فاتوب عليه ، ألا عبد مؤمن قد قتّرت عليه رزقه فيسئلنى الزيادة فى رزقه قبل طلوع الفجرفازيده وأوسع عليه ، ألاعبد مؤمن سقيم يسئلنى أن أشفيه قبل طلوع الفجر فاعافيه ، ألا عبد مؤمن محبوس مغموم يسئلنى ان اطلقه من حبسه قبل طلوع الفجر فاطلقه من حبسه فاخلى سربه .

ألا عبد مؤمن مظلوم يسئلنى ان اخذله بظلامته قبل طلوع الفجر، فانتصر له ، واخذ له بظلامته ، فما يزال ينادى بهذا حتى يطلع الفجر ، والى سحرها أخر يعقوب الاستغفار لولده ، و لله فيها ملك من اول الليل إلى آخره ينادى : يا طالب الخير أقبل ، ويا طالب الشر اقصر ، فلا يزال ينادى بهذا حتى يطلع الفجر كما ان له ملكا آخر ينادى أيضاً : هل من تائب ، فيتاب عليه ، هل من مستغفر

فيغفر له ؟ هل من سائل فيعطى سؤله ؟

اللهم اعط كل منفق خلفاً ، وكل ممسك تلفاً إلى أن يطلع الفجر إلى غير ذلك مما ورد فى هذا اليوم ، وليلته فى فضله وشرفه ، وما ورد فى الصلاة فيهما ، والدعاء والمسئلة ، وفعل الخير وتجنب الشر ، ومن فضل هذا اليوم ان اوجب الله تعالى صلاة الجمعة ، فمن وافق وقتها فلايشتغلن بشىء غيرها ، لان صلاة الجمعة هى القمة فى فرائض الله جل وعلا جعل وقتها هذا اليوم المبارك الميمون ، طالما تكسب الجمعة من صلاتها فضلا عظيماً على فضائلها . . .

وان فريضة الجمعة مؤتمر اسبوعى يهيّىء الجو للمؤتمر العالمى السنوى - الحج - تجمع من المسلمين والاستماع إلى خطبتيها السياسيتين الاسلاميتين آلافاً من المسلمين العائشين فى الدائرة التى تقام فى مركزها الجمعة ، وقطرها نحو (٢٠) كيلومتراً .

وأما الروايات الواردة فنشير إلى مايسعه المقام :

١- فى اصول الكافى : عن ابى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اف لرجل لايفرّغ نفسه فى كل جمعة لامر دينه، فيتعاهده ويسئل عن دينه . وفى رواية اخرى لكل مسلم .

٢- فى فروع الكافى باسناده عن أبى بصير قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: ما طلعت الشمس بيوم أفضل من يوم الجمعة .

٣- وفيه باسناده عن محمدبن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال : اذا كان يوم الجمعة نزل الملائكة المقربون معهم قراطيس من فضة وأقلام من ذهب ،فيجلسون على أبواب المسجد على كراسىّ من نور ، فيكتبون الناس على منازلهم الاول و الثانى حتى يخرج الامام ، فاذا خرج الامام طووا صحفهم ، ولا يهبطون فى شىء من الايام الا فى يوم الجمعة يعنى الملائكة المقربين .

٤- وفيه : عن أبى عبدالله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستحب اذا دخل ، واذا خرج فى الشتاء أن يكون ذلك فى ليلة الجمعة ، وقال أبوعبدالله عليه السلام

إن الله اختار من كل شيء شيئاً ، فاختار من الايام يوم الجمعة ،

٥ ـ وفيه : عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ما بين فراغ الامام من الخطبة إلى أن يستوى الناس في الصفوف ، وساعة اخرى من آخر النهار إلى غروب الشمس .

٦ـ وفيه : باسناده عن أبي نصر ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان يوم الجمعة سيد الايام يضاعف الله فيه الحسنات ، و يمحو فيه السيئات ، ويرفع فيه الدرجات ، ويستجيب فيه الدعوات، ويكشف فيه الكربات ويقضى فيه الحوائج العظام ، وهو يوم المزيد ، لله فيه عتقاء وطلقاء من النار ما دعا به أحد من الناس ، وقد عرف حقه وحرمته الا كان حقاً على الله عزوجل أن يجعله من عتقائه وطلقائه من النار ، فان مات في يومه ، وليلته مات شهيداً وبعث آمنا وما استخف أحد بحرمته ، وضيّع حقه الا كان حقاً على الله عزوجل أن يصليه نار جهنم الا أن يتوب .

٧ـ وفيه : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : سئل عن يوم الجمعة وليلتها ، فقال: ليلتها غرّاء ويومها يوم زاهر ، وليس على الارض يوم تغرب فيه الشمس أكثر معافاً من النار ، من مات يوم الجمعة عارفاً بحق أهل هذا البيت كتب الله له براءة من النار ، وبراءة من العذاب ، ومن مات ليلة الجمعة أعتق من النار.

٨ـ وفيه : باسناده عن عبدالله بن سنان قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : فضّل الله الجمعة على غيرها من الايام ، وانّ الجنان لتزخرف وتزين يوم الجمعة لمن أتاها وانكم تتسابقون إلى الجنة على قدر سبقكم إلى الجمعة ، وانّ أبواب السماء لتفتح لصعود أعمال العباد .

٩ـ وفيه : باسناده عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : قول الله عزوجل : « فاسعوا إلى ذكر الله » قال : اعملوا وعجّلوا فانه يوم مضيّق على المسلمين فيه ، وثواب أعمال المسلمين فيه على قدر ما ضيّق عليهم ، والحسنة والسيئة تضاعف فيه .

قال : وقال أبو جعفر عليه السلام: والله لقد بلغنى أن أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتجهزون للجمعة يوم الخميس لانه يوم مضيق على المسلمين .

١٠ـ وفيه: باسناده عن معاوية بن عمار قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام : الساعة التى فى يوم الجمعة التى لايدعو فيها مؤمن الا استجيب له ؟ قال : نعم اذا خرج الامام ، قلت : ان الامام يعجل ويؤخر، قال : اذا زاغت الشمس .

١١ـ وفيه : باسناده عن عمر بن يزيد قال : قال لى أبو عبدالله عليه السلام : ياعمر انه اذا كان ليلة الجمعة نزل من السماء ملائكة بعدد الذر فى أيديهم أقلام الذهب وقراطيس الفضة ،لا يكتبونه (لايكتبون خ) إلى ليلة السبت الا الصلاة على محمد وآل محمد صلى الله عليه وعليهم ،فاكثر منها وقال: ياعمر ان من السنة أن تصلى على محمد وعلى أهل بيته فى كل يوم ألف مرة ، وفى سائر الايام مأة مرة .

١٢ـ وفيه : باسناده عن محمد بن اسمعيل بن بزيع عن الرضا عليه السلام قال : قلت له : بلغنى ان يوم الجمعة أقصر الايام ؟ قال كذلك هو ، قلت : جعلت فداك كيف ذاك ؟ قال : ان الله تبارك وتعالى يجمع أرواح المشركين تحت عين الشمس فاذا ركدت الشمس عذب الله أرواح المشركين بركود الشمس ساعة،فاذا كان يوم الجمعة لايكون للشمس ركود رفع الله عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة، فلا يكون للشمس ركود .

١٣ـ فى قرب الاسناد : باسناده عن الامام الحسين بن على عليه السلام عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اذا كان يوم الجمعة نادت الطير الطير، والوحش الوحش ، والسباع السباع : سلام عليكم هذا يوم صالح .

١٤ـ وفيه : باسناده عن الامام الحسين بن على عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: كيف انتم اذا تهيأ أحدكم الجمعة عشية الخميس كما تهيأ اليهود عشية الجمعة لسبتهم ؟

١٥ ـ وفيه : باسناده عن إبن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اذا كان يوم الجمعة بعث الله ملائكة يقفون على أبواب المساجد ، ومعهم صحف من نور

وأقلام من نور ، فيكتبون الاول فالاول ، فاذا سمعوا النداء حضروا الخطبة .

١٦ـ فى امالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه : باسناده عن عبدالله بن بكير قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام ما من قدم سعت إلى الجمعة الا حرم الله جسده على النار ، وقال عليه السلام : من صلى معهم فى الصف الاول ، فكأنما صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الصف الاول .

١٧ـ وفيه : باسناده عن جابر بن يزيد عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال : اذا كان حين (حيث) يبعث الله تبارك وتعالى شأنه العباد أتى بالايام تعرفها الخلائق باسمها وحليتها ويقدمها يوم الجمعة ، له نور ساطع تتبعه سائر الايام كأنها عروس كريمة ، ذات وقار تهدى إلى ذى حلم ويسار ، ثم يكون يوم الجمعة شاهداً و حافظاً لمن سارع إلى الجمعة ، ثم يدخل المؤمنون إلى الجنة على قدر سبقهم إلى الجنة .

١٨ـ فى الدر المنثور : عن بكير بن الاخنس قال : ما اتى يوم الجمعة على أحد ، وهو لا يعلم انه يوم الجمعة الا كتب من الغافلين .

١٩ـ فى رسالة الجمعة للشهيد الثانى رضوان الله تعالى عليه قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم الجمعة حج المساكين ،

و كان سعيد بن المسيب يقول : الجمعة أحب إلى من حجة تطوع .

٢٠ـ وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مشيك إلى المسجد ، و انصرافك إلى أهلك فى الاجر سواء .

٢١ـ قال سلمان الفارسى رضوان الله تعالى عليه : قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتدرى ما يوم الجمعة ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم قال : هو اليوم الذى جمع الله فيه بين أبويكم ، لا يبقى منا عبد فيحسن الوضوء ثم يأتى المسجد لجمعة الا كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الاخرى ما اجتنب الكبائر .

٢٢ـ وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان لكم فى كل جمعة حجة وعمرة ، فالحجة الهجرة إلى الجمعة ، والعمرة انتظار العصر بعد الجمعة .

٢٣ـ فى دعائم الاسلام : روينا عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام

عن علي عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أربعة يستقبلون العمل: المريض اذا برىء والمشرك اذا أسلم، والمنصرف من الجمعة ايماناً واحتساباً، والحاج.

٢٤- في الخصال: باسناده عن موسى ابن بكر عن أبي الحسن الاول قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله تعالى اختار من الايام أربعة: يوم الجمعة، ويوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر.

٢٥- في وسائل الشيعة: عن محمد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام في قول يعقوب لبنيه: «سوف أستغفر لكم ربي» قال: أخّرهم إلى السحر ليلة الجمعة

٢٦- وفي رواية: قال الامام علي عليه السلام: لان أدع شهود حضور الاضحى عشر مرات أحب إليّ من أن أدع شهود حضور الجمعة مرّة واحدة من غير علّة.

٢٧- في اكمال الدين باسناده عن محمدبن أبي عمير عن سعيدبن غزوان عن أبي بصير عن ابي عبدالله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله عزوجل اختار من الايام الجمعة، ومن الشهور شهر رمضان، ومن الليالي ليلة القدر، واختارني على جميع الانبياء، واختار مني علياً وفضّله على جميع الاوصياء: الحديث.



﴿ الجمعة وتسميتها ﴾

وقد اختلفت الكلمات فى تسمية يوم الجمعة جمعة اختلافاً كثيراً لا بأس به اذ لكل وجه ، وعلى أىّ تقدير فسورة الجمعة سورة تسمى باسم أفضل أيام الله تعالى الذى يؤتى فيها بأفضل فريضة من فرائض الله جل وعلا ، المشرف بها المسلمون المكرمون بها ، والمفضلون بها عمن قبلهم من الامم ، كما أن سورة الحج تسمّت باسم هذه الفريضة العظمى التى تزامل صلاة الجمعة فى فرضها وفضلها ، بل وهى أفضل منها ، فانها مؤتمر سنوى عالمى تشكل مملكة الحج ، وهذه مؤتمر اسبوعى بلدى.

ونحن لا نجد سورة اخرى تتسمّى باسم أية فريضة اسلامية سواهما مما يوحى بمدى أهمية هذين الفرضين الجماعين اللذين هما كمفتاح لسائر الفرائض الالهية ، يجمعان بين شتات القطاعات المسلمة التى تفصلها فصالات الامكنة ، و الالسنة والطوائف والاقوام ...

ان الجمعة ـ بضم الجيم وسكون الميم وضمها ـ : اسم يوم من أيام الاسبوع وكان يسمى فى القديم « عروبة » بفتح العين وضم الراء .

فى المناقب : لابن شهر آشوب كان كعب بن لوىّ بن غالب يجتمع إليه الناس فى كل جمعة ، وكانوا يسمونها عروبة ، فسمّاه كعب يوم الجمعة وكان يخطب فيه الناس ، ويذكر فيه خبر النبى آخر خطبته كلما خطب ، وبين موته والفيل خمسمأة وعشرون سنة ، فقال : أم والله لو كنت فيها ذا سمع وبصر ويد و رجل لتنصّبت فيها تنصّب الجمل ، ولأرقلت فيها إرقال الفحل ، ثم قال :

يا ليتنى شاهد فحوى دعوته حين العشيرة تبغى الحق خذلانا

قوله : « لتنصبت » أي حملت التعب والنصب فقمت بخدمته ، وقوله : «ولا- رقلت » أي لاسرعت .

وفي البحار : عن أبي سلمة قال : كان كعب بن لوي بن غالب يجمع قومه يوم الجمعة ، و كانت قريش تسمى الجمعة عروبة ، فيخطبهم فيقول : أما بعد فاسمعوا وتعلموا ، وافهموا واعلموا ، ليل ساج ونهار ضاح ، والارض مهاد ، والسماء بناء ، والجبال اوتاد ، والنجوم اعلام ، والاولون كالآخرين ، والانثى والذكر زوج ، فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمروا أولادكم ، فهل رأيتم من هالك رجع ؟ أوميت نشر؟ الدار أمامكم ، وأظن غيرماتقولون ، عليكم بحرمكم زينوه وعظموه وتمسكوا به ، فسيأتي له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم ثم يقول :

نهار وليل كل أوب بحادث سواء علينا ليلها ونهارها
يؤبان بالاحداث حين تأوبا وما للنعم الضافي عليها ستورها
على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرها

ثم يقول : والله لو كنت فيها لتنصبت فيها تنصب الجمل ، وأرقلت فيها إرقال الفحل ، قال أهل العلم : انماذكر كعب صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونبوته من صحف ابراهيم عليه السلام .

وفي تفسير الجامع لاحكام القرآن : قال أبو سلمة : أول من قال : « أما بعد » كعب بن لؤي ، و كان أول من سمى الجمعة جمعة . و كان يقال ليوم الجمعة العروبة . وقيل : أول من سماها جمعة الانصار . قال ابن سيرين : جمع أهل المدينة من قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ، وقبل أن تنزل الجمعة ، وهم الذين سموها الجمعة ، وذلك انهم قالوا : ان لليهود يوماً يجتمعون فيه في كل سبعة أيام يوم وهو السبت ، وللنصارى يوم مثل ذلك ، وهو الاحد فتعالوا ، فلنجتمع حتى نجعل يوماً لنا نذكرالله ونصلي فيه ونستذكر- أو كما قالوا - فقالوا : يوم السبت لليهود ، ويوم الاحد للنصارى ، فاجعلوه يوم العروبة ، فاجتمعوا إلى أسعد

بن زرارة (أبوامامة) فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم ، فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا ، فذبح لهم أسعد شاة فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم ، فهذه اول جمعة في الاسلام .

وفي المجمع : قال : انما سميت جمعة لان الله تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء ، فاجتمعت فيه المخلوقات . وقيل : لانه تجتمع فيه الجماعات . وقيل : ان أول من سماها جمعة كعب بن لوي ، وهو أول من قال : « اما بعد » وقيل : ان اول من سماها جمعة الانصار .

وفي الكافي : باسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال له رجل كيف سميت الجمعة ؟ قال : ان الله عزوجل جمع فيها خلقه لولاية محمد ووصيه في الميثاق ، فسماه يوم الجمعة لجمعه فيه خلقه .

وفي الاختصاص : عن جابر الجعفي قال : قال أبو جعفر عليه السلام : لم سمي الجمعة جمعة ؟ قال : قلت : تخبرني جعلني الله فداك ؟ قال : أفلا اخبرك بتأويله الاعظم ؟ قال : قلت : بلى جعلني الله فداك ، فقال : ياجابر سمى الله الجمعة جمعة لان الله عزوجل جمع في ذلك اليوم الاولين والاخرين ، وجميع ماخلق الله من الجن والانس ، وكل شيء خلق ربنا والسموات والارضين والبحار والجنة والنار ، وكل شيء خلق الله في الميثاق ، فأخذ الميثاق منهم له بالربوبية ، ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة ولعلي عليه السلام بالولاية ، وفي ذلك اليوم قال الله للسماوات والارض : « ائتيا طوعاً او كرهاً قالتا أتينا طائعين » فسمى الله ذلك اليوم الجمعة لجمعه فيه الاولين والاخرين ثم قال عزوجل : « ياأيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة » من يومكم هذا الذي جمعكم فيه ، والصلاة أمير المؤمنين عليه السلام يعني بالصلاة الولاية ، وهي الولاية الكبرى ، ففي ذلك اليوم أتت الرسل والانبياء والملائكة ، وكل شيء خلق الله والثقلان : الجن والانس والسماوات والارضون والمؤمنون بالتلبية لله عزوجل . الحديث ...

صلاة الجمعة وخطورتها الدينية والاجتماعية

او المؤتمر الاسلامى الاسبوعى

ومن البديهى ان لكل حكم من أحكام الشريعة الاسلامية حكماً ومصالح لا ينال مسلم ولا مجتمع اسلامى السعادة الا بها ، فان الله تعالى لا يأمر عباده بشىء الا وفيه مصالحهم ، ولا ينهاهم عن شى الا وفيه مفاسدهم . . .

فلا بدلنا من ذكر شىء من مصالح أهم الفرائض الاسلامية وأسرارها ليقف عليها الناظر المنصف ، فيعرف شيئاً من حكم هذه الشريعة السهلة السمحاء ، و أسرار أحكامها ، وما منّ الله جل وعلا على هذه الامة الاسلامية ببعث النبى الامى فيهم أن يتلوا عليهم آياته ، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وأن يكون رحمة للعالمين .

وان هذا الكتاب السماوى يدعوهم الى كلمتين منضمتين : كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ويقول : « كذلك أرسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم لتتلوا عليهم الذى أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو »
(الرعد :٣٠)

ويقول : « قل يا أيها الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداءاً فالّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً و كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها »
(آل عمران : ٦٤ ـ ١٠٨)

كلمتين : فيهما سعادة المؤمنين ، وعزتهم وشوكتهم وقوتهم وسلطانهم و

غلبتهم على أعدائهم ، وان الله تعالى جعل يوم الجمعة ظرفاً لتحقق هاتين الكلمتين وانضمامهما معاً بدء الهجرة النبوية ، و ان صلاة الجمعة أول صلاة أقامها النبي الكريم ﷺ في المدينة المنورة، فلابد من استمرار حكم هذه الفريضة العظيمة في طوال الاعصار والقرون إلى يوم يقوم الحساب .

ومن الضرورة ان من أهم ماجاء في الشريعة الاسلامية : تأسيس جمعيات واجتماعات ، وثيقة العرى ، محكمة الاساس ، مشيدة البنيان ، منضّمة الصفوف، منيعة القوة ، وعزيزة الدولة تشمل البشر كافة ، ولا يمكن ذلك الا بالمؤتمرين: المؤتمر الاسبوعي، و المؤتمر السنوي ، وانما الاول تمهيد للثاني ولايمكن الإستنتاج الديني من الثاني الا بالاول ، ولشدة اهتمام هاتين الفريضتين سميت سورتان ـ الحج و الجمعة ـ بهما من السور القرآنية من بين الفرائض .

و لعمري لو تمسك المسلمون بهذا المؤتمر الاسبوعي: يوم الجمعة، يوم الجماعة يوم الشوكة يوم العزة ، يوم الوحدة ، ويوم تنضّم كلمة التوحيد بتوحيد الكلمة وأقاموها وأدّوا حقها لانبسط خلافتهم الالهية على شرق الارض وغربها ولبقي عزّهم وشوكتهم ، ولما ذلوا حتى عقر دارهم .

يوم جعله الله تعالى من أعظم شعار المسلمين ، وشعيرة الاسلام ، و فضّلهم بهذا اليوم على غيرهم ولهم بهذا اليوم ميزات على سائر الامم ...

ان الله تعالى أمر المسلمين في هذا اليوم بانواع الزينة في أبدانهم و ملابسهم ، و الصالحات في أعمالهم و أقوالهم، و التفكير فيما يحتاجون إليه من امور دنياهم وآخرتهم ، و أمر أئمة الجمعات بذكر مايهم المسلمين في جميع أقطار الارض ، و الامر بدرأ ماطرء للمسلمين من بوائق الشر في الاسبوع ، و الحث على الازدياد من الخير في خطبهم الواجبة قبل صلاتهم .

و انه جل وعلا قسّم جميع المسلمين في هذا اليوم إلى جماعات ، فأمر باجتماع أهل كل أربعة فراسخ كل جمعة في محل واحد ليعرفوا مايهمهم مما يجب ، ويحرم عليهم ، ويهمهم في جميع امورهم مما يجب بيانه في خطب صلاة

الجمعات ...

فالجمعة عنوان المسلمين وشعارهم، ومساجدهم هى المجامع العامة التى تجب على كل مسلم مكلف دخولها والاجتماع فيها فى كل اسبوع مرة على الاقل وجوباً تعيينياً لايسع أحداً من المكلفين المسلمين تر كه اذفيها أتم نظامهم و أقوى عصامهم، فمن ترك لاصلاة له، ولاصوم له، ولاعبادة له، ولابارك الله ...

و فيها ماجاء من أحكام الاسرة و ذوى الارحام و تحكيم الاخوة بين المؤمنين، وترك التنازع المؤدّى إلى الفشل وذهاب الريح، وجعل الامم كلها امة واحدة لافضل لعربى على عجمى الاّ بالتقوى، وترك الحمية الجاهلية، ونداء الناس كافة بقوله: «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر و انثى و جعلنا كم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عندالله أتقاكم » الحجرات: ١٣).

حتى صار العجمي يقاتل فى صف العربى لاعلاء كلمة الله جل وعلا وترخيص الباطل وتقطيع اذناب أهل الكفر، يقاتلون فى سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص شعارهم الاسلام، ودثارهم التقوى تجمعهم كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، و لا يشينهم شنآن الشرك والنفاق، ولم يكتف الشريعة الاسلامية بالدعوة الى ذلك بل قرنه بالعمل فأسس مجمعاً يقف فيه الفقير جنب الغنى، والسوقى جنب القاضى والاسود جنب الابيض، والجاهل جنب العالم، والمتعلم جنب المعلم، والرئيس جنب المرئوس، وهم لا يذكرون الاّ الله، ولا يتطلبون غير رضاه، ولا يهمّهم الاّ اصلاح امور المسلمين ونشر أحكام الدين ودفع شر الاعداء والكافرين.

كما ان الله تعالى أمر المسلمين بالحج ليجتمعوا من كل صوب وحدب وافدين على الله جل وعلا طالبين منه الزيادة، سامعين لاوامر أئمة المسلمين ناقلين أخبارهم إلى بلادهم فى كل مايهمّ المسلمين أمره، فأسس أكبر جامعة عرفتها الخليقة، فجعل الامة المسلمة أعضاء واحدة، ونبذ الاختلاف والتنازع والنعرات الجاهلية لايسع أحداً أن يترك هذه الفريضة.

وبهذين المؤتمرين: المؤتمر الاسبوعى يوم الجمعة، و المؤتمر السنوى

موسم الحج تظهر قوة المسلمين وشوكتهم وزينتهم وانبساطهم فى كل بقعة من بقاع الارض ، ويترتب على ذلك التعارف بينهم والموادة والتحاب ، وصحة أبدانهم وتزكية نفوسهم وتعليمهم الكتاب والحكمة ، وعلوّ همّتهم وصفاء أرواحهم وشدّة عزمهم ، وانتظام صفوفهم على نسق واحد فى كل صقع لايختلف فى ذلك الشرقى عن الغربى ولا الشمالى عن الجنوبى ، ولاالعربى عن العجمى ولاالاسود عن الابيض...

وبهذين المؤتمرين يوجد توحيد الكلمة وينضم بكلمة التوحيد فيصير المسلمون كلهم يداً واحدة ، وعملهم عملا واحداً ، وغايتهم غاية واحدة ، وسعيهم سعياً واحداً ، ونيتهم نية واحدة ، وعزمهم راسخاً ، وهذه قوة لا تغلب ، وعزة لا تزول ، وشوكة لا تغير ، وعلم لايعتوره جهل ، وخبرة لا يصيبها خفاء ، ونباهة لا تعتريها غفلة ، لاتقوم مقامها المجلات والصحف اليومية والاسبوعية ، ولاالتعاليم الوطنية والتمارين العسكرية ، ولا السفارات والادارات والاذاعات مما هو شائع اليوم بين الدول ، وليس فيه الاالضرر وتثقيل عبء الضرائب على كواهل الناس ، والقاء البشرية فى هوة سحيقة من الجهتين : الاقتصادية والاخلاقية .

فحقاً ان صلاة الجمعة من أهم الفرائض الاسلامية كيف لا وان المسلمين اذا سلّموا انصرفوا وملؤاقلوبهم الايمان والاخلاص والعلم والعمل ، وهم عالمون بما طرأ على البلاد الاسلامية جميعها من خير وشر فى اسبوعهم الماضى ، متأهبون للعمل بمايجب عليهم ممانيقذ جميع البلاد الاسلامية ، ويعدها إلى الجمعة المقبلة طاهرة أبدانهم زاكية نفوسهم ، نقية أرواحهم ، عالية هممهم راسخة عزائمهم ، متحابة قلوبهم ، مؤتلفة سرائرهم ، صافية عقولهم ، واثقون بان العزة لله تعالى و لرسوله وللمؤمنين ، وكل فريق مطمئن بان المسلمين كافة فى جميع الارض على ذلك ، يهمهم ما أهمهم ، ويحزنهم ما أحزنهم ، ويسرّهم ما أسرّهم ، وهم عالمون بما علموا ، عاملون فى اسبوعهم كما يعملون .

أترى أمة هذه تعاليمها تبيد ، وتلك شعائرها يصيبها وهن بغفلة او جهل ، ومن نظر فى أحوال المسلمين فى صدر الاسلام يرى ذلك محسوساً ملموساً .

ولوأن المسلمين تمسكوا بهذه التعاليم ولم يجهلواتلك الاسرارلمااعترتهم غفلة ، ولما أصابتهم مذلة ، ولكن لسوء حظهم او لوسوسة الشيطان وتسويله و تثبيطه اياهم ، قابلوا هذه الحكم والاسرار ، وردوا تلك الايات ومتواتر الاخبار بوساوس فتحزّبوا أحزاباً ، فذلّوا وانحطوا وهلكوا .

وان من أهم أحكام الاسلام التى خضع للمسلمين بسبب العمل بها جميع الانام صلاة الجمعة ، فانها ذكرالله الحكيم ، وفضله العميم عزاً لاهل الايمان ما أقاموها ، ولما أضاعوها خضعوا لغيرهم وذلوا ، وضيّعوا عزهم ومجدهم وضلّوا ، وان أعداء الاسلام لما وقفوا على أسباب عزالمسلمين ، وعلموا وسائل قوةالحكومة الاسلامية ،فجدّوا بتعطيل الاحكام ، وتضييع الحلال والحرام ، ليذل لهم المسلمون ويخضع لظلمهم المؤمنون ، فاملّوا الجمعة ولم يحفظوا حقها الاغراض متوهمة ...

وذلك ان أهل السنة تلاعبوا فى صلاة الجمعة منزمن عبد الملك فقيه بنى مروان ، فان عامله الحجاج استهان بالجمعة كسائرالاحكام الشرعية حتىانه قتل فى مسجد البصرة يوم الجمعة عند الزوال سبعين ألفاً من المصلين ، وسالت الدماء من أبواب المسجد على مارواه ابن قتيبة فى كتابه (الامام والسياسة) وغيره من المورخين واقتدى به غيره من سلاطين الجور فاستهانوا بالجمعة .

وحسبك من ذلك ما فعله القاسى الضارى السلطان محمود الثانى بتسويل والدته (ايميه دى يفرى قريبة جورفين) زوجة ناپليونالاولى ، وكانت افرنسية فوسوست لولدها السلطان محمود ، فقتل مأة ألف من الانكشاربة فى المساجد يوم الجمعة عند الصلاة ، وأباد جيش الاسلام بحجة الاصلاح ، وهذه أول ضربة ضرب بالجمعة المسلمون ، بالغ المروانيون فىتقييد الجمعة ، فاشترطواالسلطان لاقامتها ، وتابع أبوحنيفة هذا الرأى ، فاشترط لاقامتها السلطان ، وزاد فى ذلك فاسقطها عن أهل الرساتيق ، واكتفى فى الخطبة بمسماها ؛ وإن لم تشتمل على الاركان وعلى بيان ما يجب بيانه من مصالح المسلمين منغير دليل لابى حنيفة فىهذا الشرط ؛ ولكنأوجب انتشار مذهبه تهاوناً فيالجمعة ، ونشأ بعده مقلدته

فصاروا يأتون بالجمعة خالية من كل روح وسر ؛ وأخذوا يقلدون حتى في الخطبة فخلت الخطب عن فوائدها التي قصدتها منها الشريعة الاسلامية .

وقد حفظ بعض أئمة الجمعة منهم في زمن الدولة العثمانية خطبة لعمر بن عبد العزيز فكان يتلوها في كل جمعة ؛ ولا يذكر شيئاً مما أهم المسلمين .

ومن سوء حظ المسلمين انهم تهاونوا في الجماعة والجمعة ، فاصابهم البلاء والهوان إلى أن انتهى إلى اهمال سائر الاحكام الاسلامية ، فاندرست آثار الاسلام وذهب عز المسلمين ، فأصبحوا أذلاء في عقر دارهم .

« ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » الرعد : ١١)

« فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم » الانفال : ٥٢ ـ ٥٣)

كيف لا وهم أعرضوا عن ذكر الله تعالى الذى امروا بالسعى إليه إذ قال : « فاسعوا إلى ذكر الله ـ واذكروا الله لعلكم تفلحون » الجمعة : ٩ ـ ١٠)

قال الله تعالى : « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً » طه : ١٢٤)

وقال : « ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً » الجن : ١٧)

وقال : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهوله قرين » الزخرف : ٣٦)

قال الشهيد الثاني رضوان الله تعالى عليه في (رسالة الجمعة) : وتختص صلاة الجمعة باستحضار أن يومها يوم عظيم، وعيدها عيد شريف ، خص الله به هذه الامة وجعله وقتاً شريفاً لعباده ، ليقربهم فيه من جواره ويبعدهم من طرده وناره وحثهم فيه على الاقبال بصالح الاعمال ، وتلافى مافرط منهم في بقية الاسبوع من الاهمال ، وجعل أهم مايقع فيه من طاعته، وما يوجب الزلفى لديه صلاة الجمعة وعبر عنها في محكم كتابه الكريم بذكر الله ، وخصها من بين سائر الصلوات التى هى أفضل القربات بالذكر .

فقال سبحانه : « ياأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا

الى ذكرالله وذروا البيع ذلكم خيرلكم إن كنتم تعلمون »

وفى هذه الآية الشريفة من التنبيهات والتأكيدات ما يتنبه له من له حظ من المعانى ، ومن أهم رموزها التعبير عن الصلاة بذكرالله تنبيها على ان الغرض الاقصى من الصلوة ذكرالله بالقلب واحضار عظمته بالبال ،فان هذا وأشباهه هوالسر فى كون الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر ،وهذا انما يتم مع التوجه التام إلى الله وملاحظة جلاله الذى هو الذكر الاكبر والكثير على ما ورد فى بعض التفسير فضلا عن أن يكون ذكراً مطلقاً ، فلا جرم وجب الاهتمام به زيادة على غيرها من الصلوات ، والتهيؤ والاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه ،والمثول فى حضرته والفوز بمخاطبته ، بعد الاتيان بمقدمات الصلاة من وظائف اليوم من التنظيف و التطييب والتعمم ، وحلق الرأس و قص الشارب و الاظفار وغير ذلك من السنن بقلب مقبل وعمل مخلص ونية خالصة .

وقال العلامة : ميرزا حسين نائينى فى كتابه (تنبيه الامة وتنزيه الملة) « ان حكمة تشريع الجمعة والجماعة هى تحكيم الاتحاد والالفة بين الامة المسلمة واطلاعهم من أحوالهم ، وقلع مواد التفرقة واستحكام مبانى الاتحاد » .

وحقاً نعم ما قال بعض المحققين من المعاصرين :

« ان الجمعة تضاهى الحج فى أنها مؤتمر اسلامى ثان : اسبوعى - يدفع المسلمين للاجتماع فى مؤتمرهم السنوى : الحج ، فهى الصلاة الجامعة التى تعنى صلات ،بين مختلف الطبقات ممن آمنوا بالرسالة الاسلامية ، فلا تصح الا جماعة فهى ذات دلالة منقطعة النظير ، على طبيعة العقيدة الاسلامية .

فليست أهميتها -إذاً - لانها صلاة كسائر الصلوات ،وهى تنقص عن أكثرها ركعتان ! وانما لخطبتيها الهامتين التوجيهيتين السياسيتين اللتين توطدان أركان الدولة الاسلامية ، وتوجهان الامة الى ما يتوجب عليهم كسادة العباد وقادة البلاد وأمنا الرحمن وأركان الرشاد والسداد »

اول صلاة الجمعة فى الاسلام وخطبة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم

قيل : ان صلاة يوم الجمعة والقيام للخطبة بين يديها مما كان جارياً و مفروضاً قبل نزولها ، وان الآيات نزلت للحث على شهودها و بيان خطورتها و التنديد بالمنفضين عنها أو المهملين فيها ، وان صلاة الجمعة كانت تقام فى مكة ايضاً قبل الهجرة .

اقول : لم اجد لهذا القول دليلا يعتمد عليه ومايظهر من صدر آيات الجمعة انه بصدد تشريع صلاتها ، مع نزول ذيلها فى واقعة اتفقت فيها .

فى تفسير القرطبى : وأما أوّل جمعة جمّعها النبى صلى الله عليه وآله وسلم باصحابه ، فقال أهل السير والتواريخ :

قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً حتى نزل بقباء على بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين اشتدّ الضحى ، و من تلك السنة يعدّ التاريخ ، فاقام بقباء إلى يوم الخميس وأسّس مسجدهم ، ثم خرج يوم الجمعة إلى المدينة ، فأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن و ادلهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجداً ، فجمّع بهم وخطب ، وهى أول خطبة خطبها بالمدينة ، وقال فيها :

« الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأستهديه ، واومن به ولا اكفره ، وأعادى من يكفر به ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، و دنوّ من الساعة ، وقرب

من الاجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، و من يعص الله ورسوله فقد غوى ، و فرّط وضلّ ضلالا بعيداً .

اوصيكم بتقوى الله ، فانه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضّه على الاخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، واحذروا ماحذّركم الله من نفسه ، فان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ماتبغون من أمر الاخرة، ومن يصلح الذى بينه وبين ربه من أمره فى السّر والعلانية ، لاينوى به الاّ وجه الله يكن له ذكراً فى عاجل أمره ، وذخراً فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرء إلى ماقدّم ، وماكان مما سوى ذلك يود لوأن بينه وبينه أمداً بعيداً « ويحذّركم الله نفسه والله رؤف بالعباد » هوالذى صدق قوله ، وأنجز وعده لاخلف لذلك فانه يقول تعالى : « ما يبدّل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد »

فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السرّ والعلانية فانه : « من يتق الله يكفّر عنه سيئاته ويعظم له أجراً » .

ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً ، وان تقوى الله توقى مقته وتوقّى عقوبته وتوقى سخطه ، وان تقوى الله تبيض الوجوه وترضى الرب وترفع الدرجة ، فخذوا بحظّكم و لاتفرّطوا فى جنب الله ، فقد علمكم كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ، فاحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسمّاكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حىّ عن بينة ولاحول ولاقوة الا بالله .

فأكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لمابعد الموت ، فانه من يصلح مابينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بان الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم»

وفيه : قال : وأول جمعة جمعت بعدها جمعة بقرية يقال لها : « جوائى » ـ بضم الجيم ـ من قرى البحرين .

أقول : يظهر مما ذكرناه ان رسول الله ﷺ خطب خطبة واحدة، وقد ثبت وجوب الخطبتين فى الجمعة؟ لتشريعهما بعد ذلك او خطبهما وماذكر تمامهما الناقل

﴿خطبة الامام على عليه السلام يوم الجمعة﴾

فى مصباح المتهجد : عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمعة فقال : الحمد لله ذى القدرة والسلطان ، والرأفة و الامتنان ، أحمده على تتابع النعم ، وأعوذ به من العذاب والنقم ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له ، مخالفة للجاحدين ، ومعاندة للمبطلين ، واقراراً بانه رب العالمين .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ،قفّى به المرسلين ، وختم به النبيين ، و بعثه رحمة للعالمين ، صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ، وقد أوجب الصلاة عليه ، وأكرم مثواه لديه ، وأجعل إحسانه إليه .

اوصيكم عبادالله بتقوىالله الذى هو ولىّ ثوابكم ، وإليه مردّكم ومآبكم فبادروا بذلك قبلالموت الذى لاينجيكم منه حصن منيع ، ولاهرب سريع ، فانه وارد نازل ، وواقع عاجل ، فان تطاول الأجل ، وامتدّ المهل ، فكل ما هو آت قريب ، ومن مهّد لنفسه فهو المصيب ، فتزوّدوا رحمكم الله ليوم الممات ، و احذروا أليم هول البيات ، فان عقاب الله عظيم وعذابه أليم ، نار تلهّب ، ونفس تعذّب ، وشراب من صديد ، ومقامع من حديد ، أعاذنا الله وإياكم من النار ، و رزقنا وإياكم مرافقة الابرار ، وغفرلنا ولكم جميعاً انه هوالغفور الرحيم .

ان أحسنالحديث وأبلغ الموعظة كتابالله ثم تعوذ بالله ، وقرأ سورة العصر ثم قال جعلنا الله وإياكم ممنتسعهم رحمته ، ويشملهم عفوه ورأفته ، واستغفرالله لى ولكم ثم جلس يسيراً ثم قال : الحمد لله الذى دنا فى علوّه وعلا فى دنوه ، و

تواضع كل شيء لجلاله ، واستسلم كل شيء لعظمته ، وخضع كل شيء لقدرته ، مقصّراً عن كنه شكره ، واومن به إذعاناً لربوبيته ، وأستعينه طالباً لعصمته ، و أتو كل عليه مفوّضاً إليه ، وأشهد أن لا اله الاالله وحده لاشريك له ، الهاًواحداً أحداً فرداً صمداً وتراً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً .

وأشهد أن محمداً عبده المصطفى ، ورسوله المجتبى ، وأمينه المرتضى، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً ، وداعياً إليه باذنه وسراجاً منيراً ، فبلّغ الرسالة ، وأدّى الامانة ، ونصح الأمة ، وعبدالله حتى أتاه اليقين ، فصلّى الله عليه وآله فى الاولين ، وصلّى الله عليه وآله فى الاخرين ، وصلى الله عليه وآله يوم الدين .

اوصيكم عبادالله بتقوى الله والعمل بطاعته واجتناب معصيته ، فانه من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ، ومن يعص الله و رسوله فقد ضلّ ضلالا بعيداً ، وخسرخسراناً مبيناً ، ان الله وملائكته يصلّون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك أفضل صلواتك على أنبيائك وأوليائك .

وفيه : روى زيد بن وهب قال : خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه يوم الجمعة فقال :

« الحمد لله الولى الحميد الحكيم المجيد الفعال لما يريد علام الغيوب ، وستّار العيوب وخالق الخلق ومنزل القطر، ومدبر الأمرورب السموات والارض والدنياوالاخرة ، وارث العالمين وخيرالفاتحين ، الذى من عظم شأنه انه لاشيء مثله

تواضع كل شيء لعظمته ، وذل كل شيء لعزّته ، واستسلم كل شيء لقدرته وقرّ كل شيء قراره لهيبته ، وخضع كل شيء من خلقه لملكه وربوبيته ، الذى يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ، ولن تقوم الساعة ويحدث شيء الا بعلمه

نحمده على ما كان ، ونستعينه من أمرنا على مايكون ، ونستغفره ونستهديه وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له ، ملك الملوك وسيدالسادات ، وجبار السموات والارض الواحد القهار الكبيرالمتعال ، ذوالجلال والاكرام ديّان يوم

الدين ، ورب آبائنا الاولين .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله داعياً إلى الحق وشاهداً على الخلق ، فبلّغ رسالات ربه كما أمره ، لامتعدّياً ولامقصّراً ، وجاهد في الله اعداءه لاوانياً ولاناكلا ، ونصح له في عباده صابراً محتسباً ، وقبضه الله إليه وقد رضى عمله ، و تقبّل سعيه وغفرذنبه ، صلى الله عليه وآله .

اوصيكم عباد الله بتقوى الله ، واغتنام طاعته ما استطعتم في هذه الايام الخالية الفانية ، وإعداد العمل الصالح لجليل ما يشفى به عليكم الموت وآمركم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم ، الزائلة عنكم ، وإن لم تكونوا تحبون تركها والمبلية لاجسادكم وإن أحببتم تجديدها ، فانما مثلكم ومثلها كركب سلكوا سبيلا ، فكأنهم قد قطعوه وأفضوا إلى علم ، فكأنهم قد بلغوه ، وكم عسى المجرى إلى الغاية أن يجرى إليها حتى يبلغها ، وكم عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه ، وطالب حثيث من الموت يحدوه .

فلا تنافسوا في عزّ الدنيا وفخرها ، ولاتعجبوا بزينتها ونعيمها ، ولاتجزعوا من ضرّائها وبؤسها ، فان عزالدنيا وفخرها إلى انقطاع ، وان زينتها ونعيمها إلى ارتجاع ، وان ضرّائها وبؤسها إلى نفاد ، وكل مدة منها إلى منتهى ، وكلّ حى فيها إلى بلى .

أوليس لكم في آثار الاولين وفي آبائكم الماضين معتبر وبصيرة إن كنتم تعقلون ، أولم تروا إلى الأموات لايرجعون و الى الاخلاف منكم لايخلدون ، قال الله والصدق قوله : « وحرام على قرية أهلكناها انهم لايرجعون » وقال : « كل نفس ذائقة الموت وانما توفّون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار و ادخل الجنة فقد فازوما الحياة الدنيا الاّ متاع الغرور »

أولستم ترون إلى اهل الدنيا وهم يصبحون على أحوال شتّى ، فمن ميّت يبكى ومفجوع يعزّى وصريع يتلوّى وآخر يبشّر ويهنّا ، ومن عائد يعود ، و آخر بنفسه يجود ، وطالب للدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، و

على أثر الماضى مايمضى الباقى ، والحمدلله رب العالمين ورب السموات السبع و رب الارضين السبع ورب العرش العظيم ، الذى يبقى ويفنى ماسواه ، وإليه موئل الخلق و مرجع الامور، وهو أرحم الراحمين .

ان هذا يوم جعله الله لكم عيداً وهو سيّد أيّامكم وأفضل أعياد كم ، وقد أمر كم الله فى كتابه بالسعى فيه إلى ذكره فلتعظم فيه رغبتكم ولتخلص نيتكم، وأكثروا فيه من التضرع إلى الله والدعاء ومسئلة الرحمة والغفران ، فان الله يستجيب لكل مؤمن دعائه ويورد النار كل مستكبر عن عبادته وقال الله تعالى : « ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادته سيدخلون جهنم داخرين » و اعلموا أن فيه ساعة مباركة لايسئل الله فيها عبد مؤمن خيراً الاّ أعطاه الله ، و الجمعة واجبة على كل مؤمن الاّ الصبى والمرءة والعبد والمريض غفرالله لنا و لكم سالف ذنوبنا وعصمنا وإياكم من اقتراف الذنوب بقية أعمارنا ، ان أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الكريم ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم »

وكان يقرء « قل هوالله أحد » أو « قل ياأيها الكافرون » أو « ألهيكم التكاثر » أو « العصر » و كان مما يدوم عليه قل هوالله أحد ثم يجلس جلسة كلا ولا ، ثم يقوم فيقول :

« الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ، ونشهد أن لا إله الاّ الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله صلوات الله عليه وآله وسلامه و مغفرته ورضوانه ، اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك ، ونبيك وصفيّك صلاة تامة نامية زاكية ترفع بها درجته ، وتبيّن بها فضيلته ، وصل على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد .

اللهم عذّب كفرة أهل الكتاب والمشركين الذين يصدّون عن سبيلك ، و يجحدون آياتك ، ويكذّبون رسلك ، اللهم خالف بين كلمتهم ، وألق الرعب فى قلوبهم ، وأنزل عليهم رجزك ونقمتك وبأسك الذى لاتردّه عن القوم المجرمين .

اللهم انصر جيوش المسلمين وسراياهم ومرابطيهم حيث كانوا في مشارق الارض ومغاربها انك على كل شيء قدير .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، ولمن هو لاحق بهم، واجعل التقوى زادهم والجنة مآبهم والايمان والحكمة في قلوبهم ،وأوزعهم أن يشكروا نعمتك التي أنعمت عليهم ، و أن يوفوا بعهدك الذي عاهدتهم عليه ، إله الحق وخالق الخلق آمين .

ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون ، اذكروا الله فانه ذاكر لمن ذكره ، وسلوه رحمته وفضله فانه لايخيب عليه داع من المؤمنين دعاه ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار »

اقول: وقد جاء القسم الاعظم من الخطبة في نهج البلاغة ، وتمامها في الفقيه والبحار .

وفي امالي الصدوق : رضوان الله تعالى عليه باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قام علي عليه السلام يخطب الناس بصفين يوم الجمعة وذلك قبل ليلة الهرير بخمسة ايام فقال : « الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع خلقه البر والفاجر وعلى حججه البالغة ، على خلقه من عصاه او اطاعه إن يعف فبفضل منه، وإن يعذب فبما قدمت أيديهم ، وما الله بظلام للعبيد احمده على حسن البلاء و تظاهر النعماء ، واستعينه على مانابنا من أمر ديننا واومن به واتوكل عليه ،و كفى بالله وكيلا ثم اني اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وإن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودينه الذي ارتضاه ، وكان أهله واصطفاه على جميع العباد بتبليغ رسالته وحججه على خلقه ، وكان كعلمه فيه رؤفاً رحيما اكرم خلق الله حسباً ، وأجملهم منظراً ، وأشجعهم نفساً وأبرّهم بوالد ، وآمنهم على عقد لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قط ،بل كان يظلم فيغفر ويقدر فيصفح ويعفو حتى مضى مطيعاً لله صابراً على ماأصابه مجاهداً في الله حق جهاده عابداً لله

حتى أتاه اليقين ، فكان ذهابه صلى الله عليه وآله وسلم أعظم المصيبة على جميع أهل الارض البرو الفاجر ثم ترك فيكم كتاب الله يأمر كم بطاعة الله وينهاكم عن معصيته ، وقدعهد إلى رسول الله عليه السلام عهداً لن أخرج عنه ، وقدحضر كم عدو كم ، وقد عرفتم من رئيسهم يدعوهم إلى باطل وابن عم نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهر كم يدعو كم الى طاعة ربكم والعمل بسنة نبيكم ولاسواء من صلى قبل كل ذكر لم يسبقنى بالصلاة غير نبى الله وانا والله من أهل بدر ، والله انكم لعلى الحق وان القوم لعلى الباطـل ، فلا يصبر القوم على باطلهم ، ويجتمعوا عليه وتتفرقوا عن حقكم قاتلوهم يعذبهم الله بايد كم فان لم تفعلوا ليعذبنهم الله بايدى غير كم .

فأجابه أصحابه فقالوا : يا أمير المؤمنين انهض إلى القوم اذا شئت فوالله ما نبغى بك بدلا نموت معك ونحيى معك ، فقال لهم مجيباً لهم : والله نفسى بيده ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أضرب قدامه بسيفى فقال : لاسيف الا ذوالفقار و لافتى الا علي ، ثم قال لى : يا على انت منى بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبى بعدى وحياتك ياعلى وموتك معى ، فوالله ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضل بى ولا نسيت ما عهد إلى انى اذاً لنسى وانى لعلى بينة مـن ربى بينها لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فبينها إلى وانى لعلى الطريق الواضح القطه لقطا ، ثم نهض إلى القوم يوم الخميس ، فاقتتلوا من حين طلعت الشمس حتى غاب الشفق ما كانت صلوة القوم يومئذ الا تكبيراً عند مواقيت الصلاة ، فقتل على عليه السلام يـومئذ بيده خمسمأة و ستة نفر مـن جماعة القوم ، فاصبح أهـل الشام ينادون باعلى صوتهم اتق الله فى البقية ، ورفعوا المصاحف على أطراف القنا .

﴿ خطبة الجمعة وسبب تقديمها على صلاتها ﴾

في الكافي : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في خطبة يوم الجمعة الخطبة الاولى :

« الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نستهديه و نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله انتجبه لولايته واختصّه برسالته وأكرمه بالنبوة ، أميناً على غيبه ورحمة للعالمين وصلى الله على محمد وآله وعليهم السلام .

اوصيكم عباد الله بتقوى الله واخوّفكم من عقابه فان الله ينجي من اتقاه بمفازتهم لايمسّهم السوء ، ولاهم يحزنون و يكرم من خافه يقيهم شرّ ما خافوا و يلقّيهم نضرة وسروراً ، وارغّبكم في كرامة الله الدائمة واخوّفكم عقابه الذي لاانقطاع له ولانجاة لمن استوجبه فلاتغرنّكم الدنيا ولاتركنوا إليها فانها دار غرور ، كتب الله عليها وعلى اهلها الفناء ، فتزوّدوا منها الذي أكرمكم الله به من التقوى و العمل الصالح فانه لايصل إلى الله من أعمال العباد الاّ ماخلص منها ، ولايتقبل الله الاّ من المتقين .

وقد أخبركم الله عن منازل من آمن وعمل صالحا ، و عن منازل من كفر وعمل في غير سبيله وقال : « ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود و ما نؤخّره الاّ لاجل معدود يوم يأت لاتكلم نفس الاّ باذنه فمنهم شقي و سعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض

الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ»

نسئل الله الذى جمعنا لهذا الجمع أن يبارك لنا فى يومنا هذا وأن يرحمنا جميعاً انه على كل شىء قدير.

ان كتاب الله أصدق الحديث وأحسن القصص وقال الله عزوجل: «و اذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون» فاسمعوا طاعة لله، وأنصتوا ابتغاء رحمته.

ثم اقرأ سورة من القرآن وادع ربك، وصل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وادع للمؤمنين والمؤمنات ثم تجلس قدر ما تمكن هنيهة ثم تقوم فتقول:

الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونؤمن به ونتوكل عليه و نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدالله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لاإله الا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وجعله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً من يطع الله و رسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى.

اوصيكم عبادالله بتقوى الله الذى ينفع بطاعته من أطاعه والذى يضر بمعصيته من عصاه، الذى إليه معادكم وعليه حسابكم، فان التقوى وصية الله فيكم، وفى الذين من قبلكم قال الله عزوجل: «ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله وأن تكفروا فان لله مافى السموات ومافى الارض وكان الله غنياً حميداً»

انتفعوا بموعظة الله والزموا كتابه، فانه أبلغ الموعظة وخير الامور فى المعاد عاقبة، ولقد اتخذالله الحجة فلا يهلك من هلك الا عن بينة، و لا يحيى من حى الا عن بينة، و قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى أرسل به فالزموا وصيته،

وما ترك فيكم من بعده من الثقلين : كتاب الله وأهل بيته اللذين لايضل من تمسك بهما ، ولايهتدى من تركهما ، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك سيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين .

ثم تقول : اللهم صل على امير المؤمنين ، و وصى رسول رب العالمين ثم تسمى الائمة حتى تنتهى إلى صاحبك ، ثم تقول : افتح له فتحاً يسيراً وانصره نصراً عزيزاً ، اللهم أظهر به دينك ، وسنة نبيك حتى لايستخفى بشىء من الحق مخافة أحد من الخلق ، اللهم انا نرغب إليك فى دولة كريمة تعز بها الاسلام وأهله ، وتذل بها النفاق وأهله ، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة فى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة ، اللهم ماحملتنا من الحق فعرفناه وماقصرنا عنه فعلمناه .

ثم يدعوالله على عدوه ، ويسئل لنفسه وأصحابه ثم يرفعون أيديهم ، فيسئلون الله حوائجهم كلها حتى اذا فرغ من ذلك قال : اللهم استجب لنا .

ويكون آخر كلامه أن يقول : ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظم لعلكم تذكرون ثم يقول: اللهم اجعلنا ممن تذكر فتنفعه الذكرى ثم ينزل .

و فى عيون الاخبار : باسناده عن الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام قال انما جعلت الخطبة يوم الجمعة فى أول الصلاة ، وجعلت فى العيدين بعد الصلاة لان الجمعة أمر دائم ، وتكون فى الشهر مراراً ، و فى السنة كثيراً وإذا كثر ذلك على الناس ملوا وتركوا ولم يقيموا عليه وتفرقوا عنه ، فجعلت قبل الصلاة ليحتبسوا على الصلاة ولا يتفرقوا ولايذهبوا ، وأما العيدين فانما هو فى السنة مرتين وهو أعظم من الجمعة والزحام فيه اكثر والناس فيه أرغب ، فان تفرق بعض الناس بقى عامتهم ، وليس هو كثيراً ، فيملوا ويستخفوا به .

و فى العلل : باسناده عن الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام - فى حديث - فان قال : فلم جعلت الخطبة ؟ قيل : لان الجمعة مشهد عام ، فأراد أن يكون الامام

سبباً لموعظتهم وترغيبهم فى الطاعة وترهيبهم عن المعصية، وتوقيفهم على ما أراد من مصلحة دينهم ودنياهم، ويخبرهم بما ورد عليهم من الآفات، ومن الاهوال التى لهم فيها المضرة والمنفعة.

فان قيل: فلم جعلت خطبتين؟ قيل: لان يكون واحدة للثناء والتمجيد والتقديس لله عزوجل، والآخرى للحوائج والاعذار والانذار والدعاء، ومايريد أن يعلمهم من أمره ونهيه ما فيه الصلاح والفساد



موعظة الامام على ابن الحسين عليه السلام فى كل جمعة

بمسجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم

ينبغى لائمة الجمعات أن يعظوا الناس بما كان الامام على ابن الحسين عليه السلام يعظهم به فى كل جمعة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبمايهم المسلمين فى كل وقت وعصر.

فى روضة الكافى: باسناده عن سعيد بن المسيّب قال: كان على بن الحسين عليه السلام يعظ الناس ويزهّدهم فى الدنيا و يرغّبهم فى أعمال الآخرة بهذا الكلام فى كل جمعة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وحفظ عنه و كتب كان يقول:

« أيها الناس اتقوا الله واعلموا انكم إليه ترجعون، فتجد كل نفس ما عملت فى هذه الدنيا من خير محضراً و ما عملت من سوء تودّ لو ان بينها و بينه أمداً بعيداً ويحذّركم الله نفسه، ويحك ياابن آدم الغافل وليس بمغفول عنه.

يا ابن آدم ان أجلك أسرع شيء إليك، قدأقبل نحوك حثيثا يطلبك، و يوشك أن يدركك و كأن قد أوفيت أجلك و قبض الملك روحك و صرت إلى قبرك وحيداً، فردّ إليك فيه روحك و اقتحم عليك فيه ملكان: ناكر و نكير لمسائلتك وشديد امتحانك، ألا وإن أوّل مايسئلانك عن ربك الذى كنت تعبده، و عن نبيك الذى ارسل إليك، و عن دينك الذى كنت تدين به و عن كتابك الذى كنت تتلوه، و عن إمامك الذى كنت تتولاه، ثم عن عمرك فيما كنت أفنيته ومالك من أين اكتسبته وفيما أنت أنفقته، فخذ حذرك وانظر لنفسك و

أعدّ الجواب قبل الامتحان و المسائلة و الاختبار ، فان تك مؤمناً عارفاً بدينك متبعاً للصادقين موالياً لاولياء الله لقاك الله حجتك ، و أنطق لسانك بالصواب ، و أحسنت الجواب ، و بشّرت بالرضوان و الجنة من الله عزوجل ، و استقبلتك الملائكة بالروح و الريحان ، و إن لم تكن كذلك تلجلج لسانك و دحضت حجتك وعييت عن الجواب ، وبشّرت بالنار و استقبلتك ملائكة العذاب نزل من حميم وتصلية جحيم .

واعلم ياابن آدم انّ من وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة، ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود ، يجمع الله عزوجل فيه الاولين و الآخرين ذلك يوم ينفخ فى الصور و تبعثر فيه القبور ، و ذلك يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ، وذلك يوم لا تقال فيه عثرة ، ولايؤخذ من أحد فدية ، ولاتقبل من أحد معذرة ولا لاحد فيه مستقبل توبة ، ليس الاّ الجزاء بالحسنات و الجزاء بالسيئات ، فمن كان من المؤمنين عمل فى هذه الدنيا مثقال ذرة من خير وجده ، و من كان من المؤمنين عمل فى هذه الدنيا مثقال ذرة من شر وجده .

فاحذروا أيها الناس من الذنوب والمعاصى ماقدنها كم اللهعنهاوحذر كموها فى كتابه الصادق و البيان الناطق ، ولاتأمنوا مكر الله وتحذيره وتهديده عند ما يدعوكم الشيطان اللعين إليه من عاجل الشهوات واللذات فى هذه الدنيا، فان الله عزوجل يقول :

« انّ الذين اتقوا اذا مسّهم طائف من الشيطان تذ كّروا فاذاهم مبصرون» و أشعروا قلوبكم خوف الله ، و تذ كّروا ما قد وعد كم الله فى مرجعكم إليه من حسن ثوابه كما قد خوّفكم من شديد العقاب ، فانه من خاف شيئاً حذره ومن حذر شيئاً تركه ، ولاتكونوا من الغافلين المائلين إلى زهرة الدنيا الذين مكروا السيئات ، فان الله يقول فى محكم كتابه : « أفأمن الذين مكّروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لايشعرون أو يأخذهم فى تقلّبهم

فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوّف ».

فاحذروا ماحذّركم الله بما فعل بالظلمة فى كتابه ، ولاتأمنوا أن ينزل بكم بعض ماتواعد به القوم الظالمين فى الكتاب ، والله لقد وعظكم الله فى كتابه بغيركم فان السعيد من وعظ بغيره ولقد أسمعكم الله فى كتابه ماقد فعل بالقوم الظالمين من أهل القرى قبلكم حيث قال : « كم قصمنا من قرية كانت ظالمة » وانما عنى بالقرية أهلها حيث يقول : « وأنشأ نابعدها قوماً آخرين » فقال عزوجل: « فلما أحسّوا بأسنا اذاهم منها يركضون » يعنى يهربون قال : « لاتركضوا و ارجعوا إلى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون » فلما أتاهم العذاب« قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين » وأيم الله ان هذه عظة لكم وتخويف ان اتعظتم وخفتم ، ثم رجع القول من الله فى الكتاب على أهل المعاصى والذنوب فقال عزوجل : « ولئن مسّتهم نفحة من عذاب ربك ليقولنّ ياويلنا انا كنا ظالمين ».

فان قلتم : أيها الناس ان الله عزوجل انما عنى بهذا أهل الشرك ، فكيف ذلك وهو يقول : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم النفس شيئاًوان كان مثقال حبة من خردل أتينابها وكفى بنا حاسبين » اعلموا عبادالله أن أهل الشرك لاينصب لهم الموازين ، ولا ينشرلهم الدواوين ، وانمايحشرون إلى جهنم زمراً ، وانما نصب الموازين ونشر الدواوين لاهل الاسلام.

فاتقواالله عبادالله واعلموا أن الله عزوجل لم يحبّ زهرةالدنيا وعاجلهالاحد من أوليائه ولم يرغّبهم فيهاوفى عاجل زهرتها وزاهر بهجتها وانما خلق الدنيا وخلق أهلها ليبلوهم أيّهم أحسن عملا لآخرته ،وأيم الله لقد ضرب لكم فيه الامثال وصرّف الايات لقوم يعقلون ، ولاقوة الاّ بالله.

فازهدوا فيما زهّدكم الله عزّوجل فيه من عاجل الحياة الدنيا ، فان الله عزوجل يقول وقوله الحق : «انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض ممايأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفهاوازّينت

وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا اونهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالامس كذلك نفصّل الايات لقوم يتفكّرون »

فكونوا عباد الله من القوم الذين يتفكرون، ولا تركنوا إلى الدنيا ، فان الله عزوجل قال لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار » و لا تركنوا إلى زهرة الدنيا وما فيها ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان فانها دار بلغة ومنزل قلعة ودار عمل ، فتزوّدوا الاعمال الصالحة فيها قبل تفرّق أيامها وقبل الاذن من الله في خرابها فكان قد اخر بها الذى عمّرها اوّل مرّة و ابتدأها ، وهو ولى ميراثها ، فاسئل الله العون لنا ولكم على تزوّد التقوى والزهد فيها ، جعلنا الله واياكم من الزاهدين في عاجل زهرة الحياة الدنيا ، الراغبين لاجل ثواب الاخرة فانما نحن به وله وصلى الله على محمد النبى واله وسلّم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »



معاوية وصلاة الجمعة يوم الاربعاء

و بدعة الاذان الثالث

وقد ورد ان معاوية ابن أبى سفيان غيّر وقت صلاة الجمعة عند مسيره إلى صفين ـ فى تلك السفرة المحظورة التى انشأت على ضدّ الاسلام و المسلمين ـ إلى يوم الاربعاء من غير ظهور سرّ هذاالتغيير لاحد، هل نسى يوم الجمعة فحسب يوم الاربعاء انه يوم الجمعة ؟ و من العجب انه لم يذكره احد من ذلك الجيش اللجب ، ولاذكّره أحد منهم ، أو انه كان يبهضه ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى فضل يوم الجمعة ، و فضل ساعاته والاعمال الواردة فيه ، وقد اتخذه هو صلى الله عليه وآله وسلم و المسلمون من بعده عيداً تمتاز به هذه الامة عن سائر الامم ؟ و ما كان ابن هند يستسهل أن يجرى فى الدنيا سنة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم متبعة لم يولها اخلالاً وعبثاً، فبدر إلى ذلك التبديل عتواً منه ، وما أكثر عبثه بالدين وحيفه بالمسلمين ؟

ولعله اختار يوم الاربعاء لما ورد فيه من أنه أثقل الايام ، يوم نحس مستمر، فأراد أن يرفع النحوسة بصلاة الجمعة ، ولم يعبأ باستلزام ذلك تغيير سنة الله التى لاتبديل لها والجمعة سيد الايام ، خير يوم طلعت عليه الشمس .

و بهذا و أمثاله يستهان بما يؤثر عن الرجل من تقديم وقت الجمعة إلى الضحى ووقتها المضروب لها فى شريعة الاسلام الزوال لاغيره ، و هى بدل الظهر و وقتها ، وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الثابتة المتبعة .

فالسنة الثابتة فى توقيت الجمعة هى السنة المتبعة فى صلاة الظهر، وإقامة معاوية الجمعة فى الضحى خروج عن سنة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و هداه كما ان

اضافته الأذان الثالث بدعة محرمة خارجة عن سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وان معاوية بن أبى سفيان عليهما الهاوية و النيران ما كان يكتفى بتغيير سنة واحدة من سنن النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وانما كان فى صميم تغيير جميعها، وكان معاوية يخطب وهو جالس ، وقدكان القيام فيها من سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن الكريم يقول : « وتركوك قائماً » الجمعة : ١١) .

فى تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبى : « و قد كان الاذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما فى سائر الصلوات ، يؤذّن واحد اذا جلس النبى صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر ، وكذلك كان يفعل ابوبكر وعمر و على عليه السلام بالكوفة ثم زاد عثمان على المنبر أذاناً ثالثاً على داره التى تسمى : « الزّوراء » ـ موضع بالسوق بالمدينة، وقيل : موضع مرتفع كالمنارة ، وقيل : انه حجر كبيرعندباب المسجد ـ حين كثر الناس بالمدينة ، فاذا سمعوا أقبلوا حتى اذا جلس عثمان على المنبر أذن مؤذن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم يخطب عثمان ، خرجه ابن ماجةفى سننه من حديث محمدبن اسحق عن الزهرىعن السائب بن يزيد قال : ماكانلرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاّ مؤذن واحد ، اذا خرج أذن واذا نزل أقام .

وفيه: ويروى ان أوّل من خطب قاعداً معاوية ، وخطب عثمان قائما حتى رقّ فخطب قاعداً.

وفى الجامع لاحكام القرآن للجصاص :« روى و كيع قال : حدثناهشام بن الغار قال : سئلت نافعا عن الاذان الاول يوم الجمعة قال : ابن عمر بدعةو كل بدعة ضلالة وإن رآه الناس حسناً »

وفيه: وروى منصور عن الحسن قال : النداء يوم الجمعة الذى يكون عند خروج الامام والذى قبل محدث .

وفيه: وروى عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء قال : انماكان الاذان يوم الجمعة فيما مضى واحداً ثم الاقامة ، واما الاذان الاول الذى يؤذّن بهالآن قبل خروج الامام وجلوسه على المنبر فهو باطل أوّل منأحدثه الحجاج .

«المأمومون وقت أداء الخطبة»

وقد سبق وجوب الخطبتين فى الجمعة ، فلابد للمأمومين السعى إليهما .

قال الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذانودى للصلاةمن يوم الجمعةفاسعوا إلى ذكرالله » الجمعة : ٩)

وينبغى لهم أن يحضوروا قبل شروع الخطبة كما ينبغى لهم الانصات وقت أدائها والاستماع لها لئلا يكونوا من الغافلين .

فى امالى الصدوق : رضوان الله تعالى عليه باسناده عن بكر بن محمد عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام الناس فى الجمعة على ثلاثة منازل : رجل شهدها بانصات و سكون قبل الامام و ذاك كفارة لذنوبه من الجمعة إلى الجمعة الثانية ، وزيادة ثلاثة ايام لقول الله عزوجل : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ورجل شهدها بلغط و ملق وقلق فذلك حظه ، ورجل شهدها والامام يخطب فقام يصلى فقد أخطأ السنة ، وذاك ممن اذا سئل الله عزوجل ان شاء أعطاه وإن شاء حرمه .

وفى رسالة الجمعة : للشهيد الثانى قدس سره : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من توضأ يوم الجمعة فاحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفرله مابين الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة ايام .

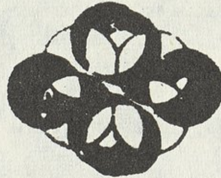
وقال : من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفارا ، والذى يقول له أنصت لاجمعة له .

وقال : من اغتسل يوم الجمعةواستن ومس من طيب إن كان عنده ، ولبس

من أحسن ثيابه ثم خرج يأتي المسجد ، ولم يتخط رقاب الناس ثم يركع ماشاءالله أن يركع ، و أنصت اذا خرج الامام كان كفارة لما بينها وبين الجمعة التى قبلها .

وفي دعائم الاسلام : عن الامام على عليه السلام انه قال : الناس في اتيان الجمعة ثلاثة رجال : رجال حضر الجمعة للغو والمراء ، فذلك حظه منها ، ورجل جاء و الامام يخطب فصلّى فان شاء الله أعطاه ، و إن شاء حرمه ، و رجل حضر قبل خروج الامام فصلّى ماقضى له ثم جلس في انصات و سكون حتى خرج الامام إلى أن قضيت فهي كفارة لما بينها و بين الجمعة التى تليها وزيادة ثلاثة أيام، و ذلك لان الله يقول : « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها »

وفيه: عن جعفر بن محمد عليه السلام انه قال : اذا قام الامام يخطب فقد وجب على الناس الصمت .



«صلاة الجمعة وكونها ركعتين»

وقد ثبتت نصاً وفتوى بدلية الجمعة من الظهر ، ثم اختلفت الكلمات ـ التى لم أجدها دليلا قاطعاً ـ فى كون الركعتين بدلا عن الاربع، و نحن نكتفى فى ذلك بماورد من الاخبار من غير تناف بينها .

فى وسائل الشيعة : بالاسناد عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام ـ فى حديث ـ انه قال فى قوله تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » وهى صلاة الظهر، قال : ونزلت هذه الايات يوم الجمعة ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى سفر فقنت فيها و تركها على حالها فى السفر والحضر ، وأضاف للمقيم ركعتين ، و انما وضعت الركعتان اللتان أضافهما النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة للمقيم لمكان الخطبتين مع الامام ، فمن صلّى يوم الجمعة فى غير جماعة فليصلّها أربع ركعات كصلاة الظهر فى سائر الايام .

و فى عيون الاخبار : باسناده عن الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام قال: فان قال : فلم صارت صلوة الجمعة إذا كانت مع الامام ركعتين ، واذا كانت بغير إمام ركعتين ركعتين ؟ قيل : لعلل شتى :

منها: ان الناس يتخطّون إلى الجمعة من بعد ، فاحب الله عزوجل أن يخفّف عنهم لموضع التعب الذى صاروا إليه .

ومنها: أن الامام يحبسهم الخطبة، وهم منتظرون للصلاة ، ومن انتظر الصلاة فهو فى صلاة فى حكم التمام .

ومنها: أن الصلاة مع الامام أتمّ وأكملا لعلمه وفقهه وعدله وفضله .

ومنها: أن الجمعة عيد وصلاة العيدر كعتان ، ولم تقصّر لمكان الخطبتين قوله عليه السلام : « ر كعتين ر كعتين » أى أربع ر كعات « و هـم منتظرون للصلاة » يـدل على تقديم الخطبة على الصلاة كما يصرّح به « فى حكم التمام » أى هذا فى حكم إتمام الصلاة لان الخطبتين مكان الر كعتين ، ومن كان بمنزلة من هو فى الصلاة فهو فى اتمام ثواب الصلاة لافى جميع الاحكام .

وفى قوله عليه السلام : « ولم تقصر لمكان الخطبتين » وجهان :

أحدهما ـ ان الجمعة مع كونها ر كعتين لمشابهة العيد اوغير ذلك فليست من الصلوات المقصورة لان الر كعتين بمنزلة الخطبتين .

ثانيهما ـ ان صلاة الجمعة لاتوقع فى السفر قصراً لانها لاتكون جمعة الا بالخطبة بمنزلة الر كعتين ، فاذا أتى بها فى السفر يكون بمنزلة الاتمام فى السفر وهو غير جائز .

﴿قراءة سورتي الجمعة والمنافقين في الجمعة جهراً﴾

في العلل: باسناده عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث طويل ـ يقول: إقرأ سورة الجمعة والمنافقين، فان قرائتهما سنة في يوم الجمعة في الغداة والظهر والعصر، ولا ينبغي لك أن تقرأ بغيرهما في صلاة الظهر ـ يعني يوم الجمعة ـ إماماً كنت أو غير امام.

وفي وسائل الشيعة: بالاسناد عن محمد بن مسلم قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: القراءة في الصلاة فيها شيء موقت؟ قال: لا الا الجمعة تقرأ فيها بالجمعة والمنافقين.

وفيه: بالاسناد عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان الله اكرم بالجمعة المؤمنين فسنّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بشارة لهم والمنافقين توبيخاً للمنافقين ولا ينبغي تركهما فمن تركهما متعمداً فلا صلاة له.

وفي رسالة الجمعة للشهيد الثاني قدس سره: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يقرأ في الجمعة في الركعة الاولى بسورة الجمعة ليحرّض بها المؤمنين، وفي الثانية بسورة المنافقين ليفزع بها المنافقين.

وفي العلل: باسناده عن محمد بن حمزة قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: لأيّ علة يجهر في صلاة الفجر وصلاة المغرب وصلاة العشاء الاخرة وسائر الصلوات مثل الظهر والعصر لا يجهر فيها، ولأيّ علة صار التسبيح في الركعتين الاخيرتين أفضل من القراءة؟ قال: لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أسرى به إلى السماء كان أول صلاة فرضها الله عليه صلاة الظهر يوم الجمعة، فاضاف الله تعالى إليه الملائكة

تصلّى خلفه وأمرالله عزوجل نبيه أن يجهر بالقراءة ليبين لهم فضله ، ثم افترض عليه العصر ولم يضف إليه أحداً من الملائكة وأمره أن يخفى القراءة لانه لم يكن وراءه أحد ، ثم افترض عليه المغرب.

ثم أضاف إليه الملائكة ، فأمره بالاجهار و كذلك العشاء الاخرة ، فلما كان قرب الفجر افترض الله تعالى عليه الفجر ، فأمره بالاجهار وليبين للناس فضله كما بين الملائكة فلهذه العلة يجهر فيها ،فقلت: لاىّ شيء صار التسبيح فى الاخيرتين أفضل من القراءة ؟ قال : لانه لما كان فى الاخيرتين ذكر ما يظهر من عظمة الله عزوجل فدهش وقال :

« سبحان الله والحمدلله ولا اله الاّ الله والله اكبر » فلذلك العلة صار التسبيح أفضل من القراءة.

وفى وسائل الشيعة : عن محمد بن عمران (حمران) انه سئل أباعبدالله فقال : لاىّ علة يجهر فى صلاة الجمعة وصلاة المغرب وصلاة العشاء الاخرة وصلاة الغداة وسائر الصلوات مثل الظهر والعصر لايجهر فيهما ـ إلى أن قال ـ : فقال : لان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما اسرى به إلى السماء كان اول صلاة فرض الله عليه الظهر يوم الجمعة ، فاضاف الله عزوجل إليه الملائكة تصلّى خلفه وامر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يجهر بالقرائة ليبين لهم فضله، ثم فرض عليه العصر ولم يضف إليه أحداً من الملائكة و امره أن يخفى القراءة لانه لم يكن وراءه أحد ، ثم فرض عليه المغرب وأضاف إليه الملائكة فامره بالاجهار و كذلك العشاء الاخرة فلما كان قرب الفجر نزل ففرض الله عليه الفجر فامره بالاجهار ليبين للناس فضله كما بيّن للملائكة فلهذه العلة يجهر فيها . الحديث .

﴿وجوب صلاة الجمعة ونصيحة الشهيد الثاني﴾

قال الشهيد الثاني قدس سره في (رسالة صلاة الجمعة) بعد أن أورد بعض الاخبار الدالة على وجوب صلاة الجمعة:

« فهذه الاخبار الصحيحة الطرق والواضحة الدلالة التي لا يشوبها شك، ولا يحوم حولها شبهة من طريق أهل البيت في الامر بصلاة الجمعة والحث عليها، و ايجابها على كل مسلم عدا ما استثنى، والتوعد على تركها بالطبع على القلب الذي هو علامة الكفر، والعياذ بالله، كما نبه عليه تعالى في كتابه العزيز، وتركت غيرها من الاخبار حسماً لمادة النزاع ودفعاً للشبهة العارضة في الطريق.

وليس في هذه الاخبار مع كثرتها تعرض لشرط الامام ولا من نصبه ولا لاعتبار حضوره في ايجاب هذه الفريضة المعظمة، فكيف ينبغي للمسلم الذي يخاف الله اذا سمع مواقع أمر الله ورسوله، وأئمته بهذه الفريضة، وايجابها على كل مسلم أن يقصر في أمرها، ويهملها إلى غيرها ويتعلل بخلاف بعض العلماء فيها، و أمر الله تعالى ورسوله وخاصته عليهم السلام أحق، ومراعاته أولى، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.

ولعمري لقد أصابهم الاول فليرتقبوا الثاني إن لم يعف الله ويسامح، نسئل الله تعالى العفو والعافية.

و قد يحصل من هذين ان من كان مؤمناً فقد دخل تحت نداء الله تعالى و أمره في الآية الكريمة بهذه الفريضة العظيمة، وتهديده عن الالهاء عنها، و من

كان مسلماً فقد دخل تحت قول النبي وقـول الائمة عليهم السلام : أنها واجبة على كل مسلم ومن كان عاقلا فقد دخل تحت تهديد قوله تعالى : « من يفعل ذلك » يعنى الالهاء عنها « فاولئك هم الخاسرون » وقولهم عليهم السلام :من تركها على هذا الوجه طبع الله على قلبه لان « من » موضوعة لمن يعقل إن لم يكن أعم .

فاختر لنفسك واحداً من هذه الثلاث ، وانتسب إلى اسم من هذه الاسماء : أعنى الايمان أو الاسلام أو العقل ، وادخـل تحت مقتضاه أو التزم قسماً رابعاً إن شئت ، نعوذ بالله من قبح المذلّة وتيه الغفلة » ثم قال رحمة الله تعالى عليه بعدما تبيّن حقيقة الاجماعات المنقولة ، وضعف الاحتجاج بها لاسيّما المنقول منهـا بخبر الواحد ـ : « والله تعالى شهيد وكفى بالله شهيداً »أن الغرض من كشف هذا كله ليس الا ّتبيان الحق الواجب المتوقف عليه لقوة عسر الفطام عن المذهب الذى يألفه الانام ، ولولاه لكان عنه أعظم صارف ، والله تعالى يتولى أسرار عباده ويعلم حقائق أحكامه « وهو حسبنا ونعم الوكيل »

ثم قال : « ختم ونصيحة:إذااعتبرت ما ذكرناه من الادلة على هذه الفريضة المعظّمة ، وما ورد من الحث عليها فى غير ماذكرناه مضافاً إليه ، وما أعدّه الله من الثواب الجزيل عليها ، وعلى ما يتبعها ويتعلق بها يوم الجمعة من الوظائف و الطاعات ، وهى نحو مأة وظيفة ، وقد أفردنا عيونها فى رسالة مفردة ذكرنا فيها خصوصيات يوم الجمعة ، ونظرت إلى شرف هذا اليوم المذخور لهذه الامة ، كما جعل لكل امة يوماً يفرغون إليه وفيه يجتمعون على طاعته ، و اعتبرت الحكم الالهية الباعثة على الامر بهذا الاجتماع ، و ايجاب الخطبة المشتملة على الموعظة وتذكير الخلق بالله تعالى وأمرهم بطاعته وزجرهم عن معصيته ، وتزهيدهم فى هذه الدار الفانية وترغيبهم فى الدار الآخرة الباغية المشتملة على مالاعين رأت و لااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ، وحثّهم على التخلق بالاخلاق الحميدة ،و اجتناب الصفات الرذيلة ، وغير ذلك من المقاصد الجميلة كما يطّلع عليها من طالع الخطب المروية عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام وغيرهما من الائمة

الراشدين والعلماء الصالحين .

علمت أن هذا المقصد العظيم الجليل لايليق من الحكيم إبطاله ، ولايحسن من العاقل إهماله ، بل ينبغي بذل الهمة فيه ، وصرف الحيلة إلى فعله ، وبذل الجهد في تحصيل شرائطه ورفع موانعه، ليفوز بهذه الفضيلة الكاملة ، ويجوز هذه المثوبة الفاضلة »

ثم أورد الشهيد رضوان الله تعالى عليه أخباراً كثيرة دالة على فضل يوم الجمعة وعباداتها وصلاة الجمعة والمباكرة إليها ، وأن الصلاة أشرف العبادات وأن الصلاة الوسطى من بينها أفضلها .

ثم قال : « وأصحّ الاقوال انها صلاة الظهر ، و صلاة الظهر يوم الجمعة هى صلاة الجمعة على ماتحقق اوهى أفضل فرديها على ما تقرّر ، فقد ظهر من جميع المقدمات القطعيّة ان صلاة الجمعة أفضل الاعمال الواقعة من المكلفين بعد الايمان مطلقاً ، وان يومها أفضل الايام ، فكيف يسع الرجل المسلم الذى خلقه الله لعبادته وفضّله على جميع بريّته ، وبيّن له مواقع أمره ونهيه ، وعرّضه لتحصيل السعادات الابديّة والكمالات النفسيّة السرمديّة، وارشده إلى هذه العبادة المعظّمة السنيّة ودلّه على منفرّعاتها العليّة أن يتهاون فى هذه العبادة الجليلة او بحرمة هذا اليوم الشريف ، ويصرفه فى البطالة وفى معناها ، فان من قدر على اكتساب درّة يتيمة قيمتها مائة ألف دينار، مثلا فى ساعة خفيفة ، فاعرض عنها او اكتسب بدلها خرقة قيمتها فلس ، يعدّ عند العقلاء فى جملة السفهاء الاغبياء ، وأين نسبة الدنيا بأسرها إلى ثواب فريضة واحدة .

مع ماقد استفاض بطريق أهل البيت ان صلاة فريضة خير من الدنيا ومافيها فما ظنّك بفريضة هى أعظم الفرائض وأفضلها على تقدير السلامة من العقاب ، و الا بتلاء بحرمان الثواب ، فكيف بالتعرض لعقاب ترك هذه الفريضة العظيمة و التهاون فى حرمتها الكريمة، مع ماسمعت من توعد الله ورسوله وأئمته بالخسران العظيم والطبع على القلب ، والدعاء عليهم من تلك النفوس الشريفة بما سمعت ،

إلى غير ذلك من الوعيد وضروب التهديد على ترك الفرائض مطلقا فضلا عنها .

وتعلّل ذوى الكسالة واهل البطالة المتهاونين بحرمة الجلالة فى تركها، بمنع بعض العلماء من فعلها فى بعض الحالات ، مع ماعرفت من شذوذه وضعف دليله ، معارض بمثله فى الامر بهاوالحث عليها ، والتهديد لتاركها من الله ورسوله وأئمته ، والعلماء الصالحين ، والسلف الماضين ، ويبقى بعد المعارضة ماهوأضعاف ذلك ، فأىّ وجه لترجّح هذا الجانب مع خطره و ضرره لولا قلة التوفيق وشدة الخذلان وخدع الشيطان »انتهى كلامه

و فى البحار: - بعد أن نقل كلام الشهيد قدس سره - : « وأقول:وناهيك شدة اهتمام هذا البارع الورع المتين الذى هو أفقه فقهائنا المتأخرين بل المتقدمين ، وفاز بالسعادة فلحق بالشهداء الاولين فى اعلا عليين فى اظهار هذا الحق المبين ، مع انه لم يكن متهماً فى ذلك بغرض من أغراض المبطلين إذ لم يكن يمكنه إقامتها فى بلاد المخالفين .

وانى لم اطل الكلام فى هذا المقام بايراد حجج الجانبين ، ونقل كلمات القوم والتعرض لمدلولاتها، وايراد الاخبارالمذكورة فى سائر الكتب ، ولم اعمل فى ذلك كتاباًولارسالة لظنّى أن الامر فى هذه المسئلة أوضح من أن يحتاج إلى ذلك .

وأيضاً المنكرون لذلك اما علماء لهم أهلية الترجيح و النظر والاجتهاد،أو جهلة يتلبّسون بلباس أهل العلم ، لالهم علم يمكنهم به التمييز بين الحق والباطل ولاورع به يحترزون عن الافتراء على الله ورسوله ، والقول بغيرعلم ، او جهّال بحت يلزمهم تقليد العلماء .

فأما الفرقة الاولى فان خلّوا أنسهم عن الاغراض الدنيوية ،وبالغوافى الفحص والنظر ، وتتبّع مدارك الادلة ، فأدّى اجتهادهم على أحد الاراء المتقدمة ، فلا حرج عليهم فى الدنيا ولافى الاخرة ، وإن قصّروا فى ذلك فأمرهم إلى الله وعلى أىّ حال الكتاب والرسالة لاينفعان هذه الطائفة، وربما يصير سبباً لمزيد رسوخهم

فى خطأهم وإن اخطاؤا .

وأما الفرقة الثانية فحالهم معلومة ، فانهم فى جل أعمالهم مبتدعون حائرون بائرون ، ليس لهم علم يغنيهم ، ولا يرجعون إلى عالم يفتيهم ، وانما هم تبع للدنيا وأهلها ، ويختارون ماهو أوفق لدنيا هم ، فأى انتفاع لهم بالرسائل والزبر . . .

وأما الفرقة الثالثة فحكمهم بذل الجهد فى تحصيل عالم ربانى لايتبع الهوى ولايختار على الآخرة الدنيا ، وله تتبع تام فى الكتاب والسنة فالرسائل لاتنفعهم أيضاً » انتهى كلامه .



﴿ نوافل الجمعة وغسلها ﴾

وقد جاء فى اكثر الروايات الصحيحة ان نوافل الجمعة عشرون ركعة :

فى عيون الاخبار : باسناده عن الفضل ابن شاذان عن الرضا عليه السلام قال: انما زيد فى صلاة السنة يوم الجمعة أربع ركعات تعظيما لذلك اليوم ، و تفرقة بينه وبين سائر الايام .

و فى وسائل الشيعة : عن أحمد بن محمد بن أبى نصر قال : سئلت أباالحسن عليه السلام عن التطوع يوم الجمعة قال ، ست ركعات فى صدر النهار، وست ركعات قبل الزوال ، و ركعتان اذا زالت ، وست ركعات بعد الجمعة ، فذلك عشرون ركعة سوى الفريضة .

وفيه : عن يعقوب بن يقطين عن العبد الصالح عليه السلام قال : سئلته عن التطوع فى يوم الجمعة قال : اذا أردت أن تتطوع فى يوم الجمعة فى غير سفر صلّيت ست ركعات ارتفاع النهار ، وست ركعات قبل نصف النهار ، وركعتين اذا زالت الشمس قبل الجمعة ، وست ركعات بعد الجمعة .

وفيه : عن أبى بصير قال : قال أبوجعفر عليه السلام : إن قدرت أن تصلّى يوم الجمعة عشرين ركعة ، فافعل ستاً بعد طلوع الشمس ، وستاً قبل الزوال اذاتعالت الشمس ، وافعل بين كل ركعتين من نوافلك بالتسليم ، وركعتين قبل الزوال ، وست ركعات بعد الجمعة .

وغيرها من الروايات الواردة لايسعها المقام ، و فى دلالتها على استمرار الحكم فى جميع الاعصار مالايخفى على متأمل خبير .

وأما الروايات الواردة فى غسل الجمعة فكثيرة جداً منها :

فى الخصال: باسناده عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال : الغسل فى الجمعة واجب .

اقول : ان المشهور بين الفقهاء هو استحباب غسل الجمعة ، و ذهب الصدوقان إلى الوجوب ، فمن قال بالاستحباب يحمل الوجوب على تأكده، لعدم العلم بكون الوجوب حقيقة فى المعنى المصطلح ، و من قال بالوجوب يحمل السنة على مايقابل الفرض أى ماثبت وجوبه بالسنة لابالكتاب وهذا هوالمستفاد من الاخبار ، فالاحوط عدم الترك وخاصّة من أراد صلاة الجمعة .

و فى العلل: باسناده عن محمد بن عبدالله عن أبى عبدالله عليه السلام قال : كانت الانصار تعمل فى نواضحها وأموالها ، فاذا كان يوم الجمعة جاؤا فتأذّى الناس بأرواح آباطهم وأجسادهم ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالغسل يوم الجمعة، فجرت بذلك السنة .

وفى مجالس ابن الشيخ : باسناده عن ابن عمر قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : من جاء إلى الجمعة فليغتسل .

وفى رسالة أعمال الجمعة للشهيد الثانى قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : من اغتسل يوم الجمعة و مس من طيب امرأته إن كان لها ، و لبس من صالح ثيابه ، ثم لم يتخطّ رقاب الناس ، ولم يلغ عند الموعظة كان كفارة لما بينهما .

وفى الهداية: قال الصادق عليه السلام : غسل يوم الجمعة طهور و كفارة لما بينهما من الذنوب من الجمعة إلى الجمعة .

وفى البحار : بالاسناد عن أبى البخترى عن جعفر عن أبيه عن جده عليهم السلام عن النبى عليه السلام انه قال لعلى عليه السلام فى وصيته له : ياعلىّ على الناس كل سبعة أيام الغسل ، فاغتسل فى كل جمعة ، ولوأنك تشترى الماء بقوت يومك و تطويه فانه ليس شىء من التطوع أعظم منه .

وفيه : بالاسناد عن أبى عبدالله عليه السلام قال : اغتسل يوم الجمعة الا أن تكون

مريضاً تخاف على نفسك .

وفيه: قال الصادق عليه السلام : لايترك غسل يوم الجمعة الافاسق ، ومن فاته غسل يوم الجمعة فليقضه يوم السبت .

وفى الكافى : عن أبى جعفر عليه السلام قال : لابد من غسل يوم الجمعة فى الحضر والسفر فمن نسى فليعد من الغد .

وفى العلل: باسناده عن الحسين بن خالدقال :سئلت أباالحسن الاول عليه السلام كيف صار غسل الجمعة واجباً؟قال : فقال : ان الله تبارك وتعالى أتم صلاةالفريضة بصلاة النافلة وأتم صيام الفريضة بصيام النافلة ، وأتم وضوء الفريضة بغسل يوم الجمعة فيما كان من ذلك من سهو أوتقصير اونسيان .

وفيه : باسناده عن الأصبغ بن نباتة قال : كان على عليه السلام إذا أرادأن يوبخ الرجل يقول له : أنت أعجز من التارك الغسل ليوم الجمعة ، فانه لايزال فى هم إلى الجمعة الاخرى .

وفى فقه الرضا : قال : و اعلم أن غسل الجمعة سنة واجبة لا تدعها فى السفر ولافى الحضر ، ويجزيك اذا اغتسلت بعد طلوع الفجر ، و كلما قرب من الزوال فهو أفضل ، فاذا فرغت منه فقل : «اللهم طهرنى وطهر قلبى وأنق غسلى، وأجرعلى لسانى ذكرك ،وذكر نبيك محمد ، واجعلنى من التوابين والمتطهرين» وإن نسيت الغسل ثم ذكرت وقت العصر أو من الغد فاغتسل .

وقال عليه السلام : وعليكم بالسنن يوم الجمعة ، وهى سبعة : إتيان النساء ، و غسل الرأس واللحية بالخطمى ، وأخذ الشارب ، وتقليم الاظافير ، وتغيير الثياب ومس الطيب ، فمن أتى بواحدة من هذه السنن نابت عنهن ، وهى الغسل وأفضل أوقاته قبل الزوال ، ولاتدع فى سفر ولاحضر ، وإن كنت مسافراً وتخوفت عدم الماء يوم الجمعة ، اغتسل يوم الخميس ، فان فاتك الفسل يوم الجمعة قضيت يوم السبت أو بعده من أيام الجمعة ، و انما سن العمل يوم الجمعة تتميماً لما يلحق الطهور فى سائر الايام من النقصان .

اقول : و فيها دلالة على ان أوّل وقت الاداء طلوع الفجر ، ولاخلاف فيه ، وآخره الزوال على المشهور ، وعن المحقق الاجماع على اختصاص الاستحباب بما قبل الزوال ،وقال الشيخ فى الخلاف : وقته إلى أن يصلّى الجمعة ، و يظهر من بعض الاخبار امتداء وقته الى آخر اليوم ،ولولم ينو بعد الزوال الاداء والقضاء كان أحسن .

وأما القضاء بعد الزوال ويوم السبت فهو المشهور بين الاصحاب ، وظاهر الأكثر عدم الفرق بين كون الفوات عمداً اونسياناً لعذر اوغيره ، و اذا كان تركه نسياناً لابد من القضاء فكيف اذاكان تركه عمداً ؟

وأما تقديم يوم الخميس لمن خاف عوز الماء يوم الجمعة فهو المشهور بين الاصحاب.

وفى الكافى : باسناده عن زرارة والفضيل قالا : قلنا له أيجزى اذااغتسلت بعد الفجر للجمعة ؟ قال : نعم .

و فى قرب الاسناد : بالاسناد عن إبن بكير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قلت له فى اغسال ليالى شهر رمضان ، فان نام بعد الغسل ؟ قال : فقال : أليس هو مثل غسل الجمعة اذا اغتسلت بعد الفجر كفاك .

و فى البحار : بالاسناد عن زرارة قال :قال أبو جعفر عليه السلام : لا تدع الغسل يوم الجمعة فانه سنة ، وشمّ الطيب ، وألبس صالح ثيابك ، وليكن فراغك من الغسل قبل الزوال ، فاذا زالت الشمس فقم وعليك السكينة والوقار ، وقال:الغسل واجب يوم الجمعة .

وفى الكافى : باسناده عن منصور بن حازم عن أبى عبدالله عليه السلام قال :الغسل يوم الجمعة على الرجال والنساء فى الحضر ، وعلى الرجال فى السفر .

وفى الخصال : باسناده عن جابر الجعفى عن أبى جعفر عليه السلام قال:ليس على المرأة غسل الجمعة فى السفر ويجوز لها تركه فى الحضر.

وفى الكافى : باسناده عن بعض أصحابنا قال : تقول فى غسل الجمعة :

« اللهم طهّر قلبى من كل آفة تمحق بها دينى وتبطل بها عملى »

وفى البحار: يقول بعد غسله : « أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وآل محمد ، واجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين ، والحمد لله رب العالمين »

وقد جاء الترغيب ولاسيّما للنساء استحباب الجماع ليلة الجمعة لما فيه من الحكم والاسرار الخفية على اكثر الناس :

منها: لان الشهوة مثار الغضب والخيال والوهم ، وهى القوى التى تنشأ منها مساوى الاخلاق ، والاجتماع مما يثير تلك القوى و يحركها والجماع من أشد ما يطفيها ، فاراد الله تعالى أن تموت القوى الشريرة عند الاجتماع يوم الجمعة فأمر عباده بالجماع وجعله من المستحبات المؤكدة لحكم ومصالح كثيرة . . .

ومنها: انه من البديهى ان الجماع يوجب الانبساط المطلوب فى الاجتماع ويمنع الرجال عن النظر إلى المحرمات كما ان أكل الرمان يوجب انبساط القلب ، ولما كانت الجمعة مشهداً عاماً يعظم فيه اجتماع المسلمين أراد الشارع أن يكون المجتمع على انبساط تام ، و بهذا تبين سر استحباب الزينة والترغيب فى الغسل والتنظيف وازالة الشعر والتطيب وقصّ الاظفار وأخذ الشارب يوم الجمعة وغيرها من المندوبات كلها يعين على الاجتماع ويوجب الانبساط فيه و يدفع الاضرار الصحية التى يتوقع عند الاجتماعات حدوثها .

وفى قرب الاسناد : بالاسناد عن مسعدة بن صدقة عن جعفر عن آبائه عليهم السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لرجل من أصحابه يوم الجمعة : هل صمت اليوم قال : لاقال : فهل تصدّقت اليوم بشىء ؟ قال : لاقال : قم فأصب من اهلك فانه منك صدقة عليها

أقول: أراد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « فاصب » الجماع .

﴿ التزين يوم الجمعة ﴾

وقد وردت روايات كثيرة في تزين المؤمنين يوم الجمعة عامة ، وفي السعي إلى صلاة الجمعة خاصة فنشير إلى نبذة منها :

في تفسير العياشي : عن المحاملي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » قال : الاردية في العيدين والجمعة .

وفي المجمع : عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » قال : أي خذوا ثيابكم التي تتزينون بها للصلاة في الجمعات والاعياد .

وفي وسائل الشيعة : بالاسناد عن ابن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث ـ قال : والجمعة للتنظيف والتطيب وهو عيد للمسلمين ، وهو أفضل من الفطر والاضحى . الحديث .

وفي الكافي : باسناده عن هشام بن الحكم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ليتزين أحدكم يوم الجمعة يغتسل ويتطيّب ويسرح لحيته ، ويلبس أنظف ثيابه وليتهيأ للجمعة ، وليكن عليه في ذلك اليوم السكينة والوقار وليحسن عبادة ربه ، وليفعل الخير ما استطاع فان الله يطلع على أهل الارض ليضاعف الحسنات .

وفيه : باسناده عن زرارة قال : قال أبو جعفر عليه السلام : لا تدع الغسل يوم الجمعة فانه سنّة وشمّ الطيب ، والبس صالح ثيابك ، وليكن فراغك من الغسل قبل الزوال فاذا زالت فقم ، وعليك السكينة والوقار ، وقال : الغسل واجب يوم الجمعة .

وفي قرب الاسناد : باسناده عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر

عليه السلام قال : سئلته عن النساء هل عليهن من شمّ الطيب والتزين في الجمعة والعيدين ما على الرجال ؟ قال : نعم .

وقد جاء اللعن في الاخبار على من لم يتزينن من النساء ، وأمر الرجال بالتزين لهن كما يتزين لهم ، وان الفجور شاع في نساء بني اسرائيل لترك رجالهن الزينة ، وكان يوم الجمعة يسمى يوم الزينة .

وفي الدعائم : عن الامام أبي جعفر عليه السلام قال : لا تدع يوم الجمعة أن تلبس صالح ثيابك .

وفي البحار : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اذا كان يوم الجمعة فألبس أحسن ثيابك ، ومسّ الطيب ، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا لم يصب الطيب دعا بالثوب المصبوغ فرشّه بالماء ثم مسح به وجهه .

وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قال حبيبي جبرئيل : تطيّب يوم ويوم لا ، ويوم الجمعة لابد منه أولا يترك له ، ليتطيّب أحدكم ولو من قارورة امرأته فان الملائكة تستنشق أرواحكم وتمسح وجوهكم بأجنحتها للصف الاول ثلاثاً ، وما بقي فمسحة مسحة .

———— ————

«الجمعة والاعمال المستحبة»

ان الدين الاسلامي يرغب المؤمنين ويشوقهم إلى أعمال ، فيها منافع لانفسهم ومصالح لمجتمعهم فرادى وجماعة ، وسعادتهم فى الدارين من الصلوات المندوبة لانها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والصلاة على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم تظهر بها ولايتهم ، ويسرّ بها النبى وآله عليهم السلام ، والصدقة ينال بها الفقراء ، والتحفة لاهلهم يفرحون بها ، وزيارة القبور يتنبّه بها الاحياء ، وتسرّ بها الاموات ، وتقليم الاظفار يدفع بذلك الاضرار الصحية ، وكنس المسجد لما فيه من النظافة ، وأكل الرمان لما فيه من انبساط القلب ، وأكل الهندباء لفوائد التنفس ، وغسل الرأس بالخطمى للصحة الجسمية والروحية وغير ذلك من الاعمال والمنافع . . .

فاذا فعل المسلمون ذلك فرح جميعهم يوم الجمعة ، ويتوقعونها كلهم ولا سيما الفقراء لان الصدقات فيها كثيرة ، وبذلك يكون يوم الجمعة أعز الايام و عيد المسلمين .

فى دعائم الاسلام : عن محمد بن على عليه السلام انه قال : الاعمال تضاعف يوم الجمعة ، فاكثروا فيه من الصلاة والصدقة والدعاء .

وفى البحار : صلاة علّمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لامير المؤمنين عليه السلام ولابنته فاطمة عليها السلام : إننى اريد أن أخصّكما بشىء من الخير مما علّمنى الله عزوجل ، واطلعنى الله عليه ، فاحتفظا به ، قالا : نعم يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فماهو ؟ قال : يصلى أحدكما ركعتين يقرء فى كل ركعة : فاتحة الكتاب وآية الكرسى ثلاث مرات ، وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، وآخر الحشر ثلاث مرات ، ومن

قوله : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل » إلى آخره ، فاذا جلس فليتشهد . وليثن على الله عزوجل ، وليصل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وليدع للمؤمنين ، ثم يدعو على أثر ذلك فيقول : اللهم انى أسئلك بحق كل اسم هولك يحق عليك فيه إجابة الدعاء اذا دعيت به ، وأسئلك بحق كل ذى حق عليك ، وأسئلك بحق على جميع ما هو دونك أن تفعل بى كذا كذا .

صلاة اخرى ليوم الجمعة عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : من صلى يوم الجمعة ركعتين يقرء فى إحداهما فاتحة الكتاب مرة ، و قل هو الله أحد مأة مرة ، ثم يتشهد ويسلم ويقول : « يا نور النور يا الله يارحمن يا رحيم ، يا حى يا قيوم افتح لى أبواب رحمتك ومغفرتك ، ومن على بدخول جنتك ، واعتقنى من النار » يقولها سبع مرات غفر الله له سبعين مرة واحدة تصلح دنياه وتسعة وستين له فى الجنة درجات ولايعلم ثوابه الا الله عزوجل .

وفى فقه الرضا : ويستحب يوم الجمعة صلاة التسبيح ، وهى صلاة جعفر ، وصلاة أمير المؤمنين وركعتا الطاهرة عليها السلام ، ولا تدع تسبيح فاطمة بعقب كل فريضة ، وهي المأة ، والاستغفار بعقبها سبعين مرة ، قبل أن تثنى رجلك يغفرالله لك جميع ذنوبك إن شاء .

وفى ثواب الاعمال : باسناده عن محمد بن الفضيل عن الرضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من صلى على يوم الجمعة مأة مرة قضى الله له ستين حاجة منها للدنيا ثلاثون حاجة وثلاثون للاخرة .

وفى فقه الرضا : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أكثروا الصلاة على الليلة الغراء واليوم الازهر ـ فقيل : وما الليلة الغراء واليوم الازهر ؟ ـ فقال : الليلة الغراء ليلة الجمعة واليوم الازهر يوم الجمعة فيهما لله طلقاء وعتقاء ، وهو يوم العيد لامتى أكثروا الصدقة فيهما .

وفى وسائل الشيعة : بالاسناد عن ابن أبى عمير عن غير واحد عن أبى عبدالله عليه السلام قال ـ فى حديث ـ : وما من عمل أفضل يوم الجمعة من الصلاة على

محمد وآله .

وفي المقنعة : قال : روى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : الصدقة ليلة الجمعة ويومها بألف ، والصلاة على محمد وآله ليلة الجمعة بألف من الحسنات ويحط الله فيها ألفاً من السيئات ، ويرفع فيها ألفاً من الدرجات ، وان المصلى على محمد وآله ليلة الجمعة يزهر نوره فى السموات إلى يوم تقوم الساعة ، وان ملائكة الله فى السموات ليستغفرون له ويستغفر له الملك الموكل بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن تقوم الساعة .

وفي محاسبة النفس : للسيد على بن طاوس بالاسناد عن جعفر بن محمد عليه السلام قال : اذا كان يوم الخميس عند العصر أهبط الله عزوجل ملائكة من السماء إلى الارض ، معها صحائف من فضة ، بأيديهم أقلام من ذهب تكتب الصلاة على محمد وآله إلى عند غروب الشمس من يوم الجمعة .

وفي البحار: عن الصادق عليه السلام من قال بعد صلاة الظهر وصلاة الفجر فى الجمعة وغيرها : « اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعجل فرجهم » لم يمت حتى يدرك القائم المهدى عليه السلام .

وفيه : فمن صلّى على النبى صلى الله عليه وآله بهذه الصلوات يوم الجمعة مأة قضى الله له ستين حاجة : ثلاثون من حوائج الدنيا ، وثلاثون من حوائج الاخرة .

وفي الدعائم : عن جعفر بن محمد عليه السلام : أن الله تبارك وتعالى يبعث ملائكة اذا انفجر الفجر يوم الجمعة يكتبون الصلاة على محمد وآله إلى الليل .

وفي الكافي : باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . الصلاة علىّ وعلى أهل بيتى تذهب بالنفاق .

وفيه : باسناده عن صفوان الجمال عن أبى عبد الله عليه السلام قال : كل دعاء يدعى الله عزوجل به محجوب عن السماء حتى يصلى على محمد وآل محمد .

وفي الخصال : باسناده عن هشام بن الحكم عن أبى عبدالله عليه السلام فى الرجل يريد أن يعمل شيئاً من الخير مثل الصدقة والصوم ونحو هذا قال : يستحب أن

يكون ذلك يوم الجمعة ، فان العمل يوم الجمعة يضاعف .

وفى المحاسن : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال : ان الصدقة يوم الجمعة تضاعف ، و كان أبو جعفر عليه السلام يتصدق بدينار .

وفى العلل : باسناده عن الثمالى قال :صليت مع على بن الحسين عليه السلام الفجر بالمدينة فى يوم الجمعة ، فلما فرغ من صلاته وتسبيحه نهض إلى منزله وأنا معه ، فدعا مولاة له تسمّى سكينة فقال لها : لا يعبر على بابى سائل الا أطعمتموه ، فان اليوم يوم الجمعة .

وفى المقنعة : روى عن أبى عبدالله عليه السلام انه قال : الصدقة ليلة الجمعة ، ويومها بالف .

وفى ثواب الاعمال : باسناده عن أبى عبد الله عليه السلام قال : كان أبى أقل أهل بيته مالا ، وأعظمهم مؤنة ، قال : وكان يتصدق كل يوم جمعة بدينار ، وكان يقول : الصدقة يوم الجمعة تضاعف لفضل يوم الجمعة على غيره من الايام .

وفى وسائل الشيعة : وعن الباقر عليه السلام قال : اذاأردت أن تتصدق بشىء قبل الجمعة ، فأخره إلى يوم الجمعة .

وفى عدة الداعى : عن الباقر عليه السلام قال : ان الله تعالى ينادى كل ليلة جمعة من فوق عرشه من أول الليل إلى آخره ، ألا عبد مؤمن يدعونى لدينه و دنياه قبل طلوع الفجر فاجيبه ؟ ألا عبد مؤمن يتوب إلىّ قبل طلوع الفجرفاتوب عليه ؟ ألاعبد مؤمن قد قترعليه رزقه فيسئلنى الزيادة فى رزقهً قبل طلوع الفجر فازيده واوسع عليه ؟ ألاعبد مؤمن سقيم يسئلنى أن اشفيه قبل طلوع الفجرفاعافيه ؟ ألا عبد مؤمن محبوس مغموم يسئلنى أن اطلقه من سجنه واخلّى سربه ؟ ألاعبد مؤمن مظلوم يسئلنى أن آخذ له بظلامته قبل طلوع الفجر ، فانتصر له فاخذ بظلامته ؟ قال : فلا يزال ينادى بهذا حتى يطلع الفجر .

وفى الخصال : باسناده عن السكونى عن جعفر بن محمد عن آبائهعن على عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أطرفوا اهاليكم فى كل جمعة بشىء من الفا كهة

و اللحم حتى يفرحوا بالجمعة ، و كان النبى صلى الله عليه و آله اذا خرج فى الصيف من بيت خرج يوم الخميس ، واذا أراد أن يدخل البيت فى الشتاء من البرد دخل يوم الجمعة .

قوله صلى الله عليه و آله « أطرفوا » أى اتحفوهم .

و فى عيون الاخبار : باسناده عن عبدالله بن سليمان عن الباقر عليه السلام قال: سئلته عن زيارة القبور ، قال : اذا كان يوم الجمعة فزرهم فانه من كان منهم فى ضيق وسّع عليه مابين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس يعلمون بمن أتاهم فى كل يوم ، فاذا طلعت الشمس كانوا سدى، قلت: فيعلمون بمن أتاهم فيفرحون به؟ قال : نعم و يستوحشون له إذا انصرف عنهم .

وفى الكافى : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : زوروا موتاكم فانهم يفرحون بزيارتكم .

وفى التهذيب : باسناده عن محمد بن العلا عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : من أخذ من شاربه و قلم أظفاره يوم الجمعة ثم قال : « بسم الله على سنة محمد و آل محمد » كتب الله له بكل شعرة و كل قلامة عتق رقبة ، و لم يمرض مرضاً يصيبه الا مرض الموت .

وفى الكافى : باسناده عن محمد بن طلحة عن أبى عبدالله عليه السلام قال : أخذ الشارب و الاظفار و غسل الرأس بالخطمى يوم الجمعة ينفى الفقر و يزيد فى الرزق .

و فيه : باسناده عن حفص بن البختری عن أبى عبدالله عليه السلام قال : أخذ الشارب والاظفار من الجمعة إلى الجمعة أمان من الجذام .

وفيه : باسناده عن ابن بكير عن أبى عبدالله عليه السلام قال: غسل الرأس بالخطمى فى كل جمعة أمان من البرص والجنون .

وفى الخصال : باسناده عن السكونى عن أبى عبدالله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله : من قلّم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله من أنامله

الداء وأدخل فيه الدواء .

وفي البحار : عن زيد النرسي عن أبي الحسن عليه السلام انه قال: غسل الرأس بالخطمي يوم الجمعة من السنة يدرّ الرزق، ولايضرّ الفقر، و يحسن الشعر و البشرة، وهو أمان من الصداع .

و في وسائل الشيعة : بالاسناد عن عبدالحميد عن أبي ابراهيم قال: قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كنس المسجد يوم الخميس ليلة الجمعة، فأخرج منه من التراب مايذرّ في العين غفرالله له .

و فيه : بالاسناد عن الصادق عن آبائه عليهم السلام ان رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من قمّ مسجداً كتب‌الله له عتق رقبة، ومن أخرج منه مايقذى عيناً كتب‌الله عزوجل له كفلين من رحمته .

و في المحاسن : باسناده عن زياد بن مروان قال : سمعت أباالحسن الاول عليه السلام يقول : من أكل رمّانة يوم الجمعة على الريق نوّرت قلبه أربعين صباحاً، فان أكل رمانتين فثمانين يوماً ، فان أكل ثلاثاً فمأة و عشرين يوماً و طردت عنه وسوسة الشيطان، ومن طردت عنه و سوسة الشيطان لم يعص الله ، و من لم يعص الله أدخله الله الجنة .

و غيرها من الاعمال المستحبة في يوم الجمعة وليلتها فيما ورد في أبواب عديدة ... فمن أرادها فليراجعها .

تمت سورة الجمعة ولله الحمد في الاولى والاخرة
وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون ١ اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون
٢ ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ٣ واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان
يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون
٤ واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون
٥ سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم
الفاسقين ٦ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن
السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون ٧ يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ٨ يا
ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون
٩ وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق واكن من الصالحين ١٠ ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون ١١

﴿ فضلها و خواصها ﴾

فى ثواب الاعمال : باسناده عن منصور بن حازم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : من الواجب على كل مؤمن اذا كان لنا شيعة أن يقرأ فى ليلة الجمعة بالجمعة، وسبح اسم ربك الأعلى ، و فى صلاة الظهر بالجمعة و المنافقين ، فاذا فعل ذلك فكأنما يعمل بعمل رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم وكان جزاؤه وثوابه على الله الجنة .

أقول : رواه الطبرسى فى المجمع فى فضل (سورة الجمعة) و البحرانى فى البرهان ، و الحويزى فى نور الثقلين ، والمجلسى فى البحار .

و المراد من « صلاة الظهر » : صلاة الجمعة لعدم جواز قراءة السورتين فى فريضة واحدة يومية عندنا ، وليس إحداهما سورة التوحيد .

وفى المجمع : ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم قال : و من قرأ سورة المنافقين برأ من النفاق .

أقول : ولعمرى من قرأها وتدبر فيما تحويه من ذكر المنافقين وذبذبتهم، و توبيخهم ومآل أمرهم بالهوان و الخسران يجاهد فى تزكية نفسه بالكتاب و الحكمة ، وتطهيرها من الكفر الخفى الذى هو أسوأ من الكفر الظاهر، فيبرئها من الذبذبة والنفاق .

وفى الدر المنثور : عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم انه صلّى بهم يوم الجمعة فقرأ بسورة الجمعة يحرّض بها المؤمنين ، واذا جاءك المنافقون يوبّخ بها المنافقين .

وفى البرهان : روى عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم انه قال: من قرأ هذه السورة برىء من النفاق والشك فى الدين ، وإن قرئت على الدماميل ازالتها ، وان قرات على

الاوجاع الباطنة سكنتها .

وفيه : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأ هذه السورة برىء من الشرك والنفاق في الدين ، وان قرأت على عليل اوعلى وجيع شفاه الله تعالى .

أقول : من استشفى بهذه السورة عن الامراض الروحية بالتدبر فيها ، فهي تشفيه عن الأمراض الجسمية ظاهرة كانت ام باطنة بلامراء فتدبر واغتنم .



﴿الغرض﴾

غرض السورة تفضيح المنافقين عما فى قلوبهم من النفاق على سبيل حكاية أقوالهم الكذبة ، و تكذيبهم على ماكانوا يدّعون من الايمان ، و تقرير لخبث سريرتهم وسوء نيتهم وانطباع قلوبهم على الكفر، وصميمهم على بقاء ماكانوا عليه من الكذب والعداوة و الاستكبار والفسق ، و فقدهم العقل السليم رغم ماهم عليه من الجسامة و الوسامة اللتين تعجبان الناظر ، فكأنهم أخشاب مسندة بالدعائم ، وفقدهم المعرفة والعلم بحقائق الأمور، وفى الختام إشارة إلى مايؤل إليه امرهم من الهوان والخسران على طريق حملة شديدة عليهم ، و بالجملة طردهم عن صفوف المسلمين .

وفيها تحذير للنبى الكريم ﷺ عن مواقفهم الخطيرة من كيد و عداء وضدهم الاسلام والمسلمين، وصدّهم عن سبيل الله تعالى، وعن دسائسهم ومناوئاتهم ، و تثبيت و تطمين له ﷺ لما فى ضمائرهم من اللؤم والجبن و انطماس البصائر و القلوب .

وفيها وعظ للمؤمنين بالتحرز عن النفاق ، فلايقعوا فى تبعته ، ولايجرّهم إلى الخسران والنار ، و تحذيرهم عن الاستغراق فى حب المال و الولد يلهيهم عن ذكر الله جل وعلا، تحذيراً شاملاً لهم فى كل وقت ومكان يكون ذلك خطتهم المثلى التى يسيرون عليها ، وحثهم على الانفاق فى وجوه الخير ، و هم فى سعة من الوقت والعمر .

و سميت هذه السورة باسم المنافقين لما فيها من حديث متصل عنهم يفضح مخازيهم، ويكشف سوءاتهم على أعين الناس ..

﴿النزول﴾

سورة المنافقون مدنية نزلت بعد سورة الحج ، وقبل سورة المجادلة ، و هى السورة الرابعة والمأة نزولا ، والثالثة والستون مصحفاً ، وتشتمل على إحدى عشرآية ، سبقت عليها ٥٨٤٩/ آية نزولا و٥١٨٨/ آية مصحفاً على التحقيق .

ومشتملة على ١٨٠/ كلمة ، و٧٧٣ حرفاً ، وقيل : ٧٧٦ حرفاً ، وقيل : ٩٧٦ حرفاً على ما فى بعض التفاسير .

فى الاحتجاج : عن أبى بصير عن أبى جعفر محمد بن على عليه السلام قال له طاوس اليمانى : اخبرنى عن قوم شهدوا شهادة الحق و كانوا كاذبين ؟ قال : المنافقون حين قالوا لرسول الله : « نشهد انك لرسول الله » فأنزل الله عزوجل : « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله و الله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون »

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « اذا جاءك المنافقون » الاية قال : نزلت فى غزاة المر يسيع وهى غزاة بنى المصطلق فى سنة خمس من الهجرة ، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج إليها، فلما رجع منها نزل على بئر ، وكان الماءقليلا فيها ، وكان أنس بن سيّار حليف الانصار ، وكان جهجاه بن سعيد الغفارىأجيراً لعمربن الخطاب ، فاجتمعوا على البئر فتعلق دلو ابن سيار بدلو جهجاه ، قالابن سيار : دلوى : وقال جهجاه:دلوى ، فضرب جهجاه يده على وجه ابن‌سيار ،فسال منه الدم فنادى ابن سيار : يالخزرج ، ونادى جهجاه : يـالقريش ، وأخذ الناس السلاح وكاد أن تقع الفتنة .

فسمع عبدالله بن ابى النداء ، فقال : ماهذا ؟ فاخبروه بالخبر ، فغضب غضباً شديداً ثم قال : قد كنت كارها لهذا المسير انى لا ذل العرب ما ظننت انى أبقى إلى أن اسمع مثل هذا ،فلايكون عندى تغيير ثم أقبل على أصحابه ، فقال :هذا عملكم انزلتموهم منازلكهم و واسيتموهم باموالكم و وقيتموهم بانفسكم و ابرزتم نحوركم للقتل ، فارمل نساء كم وايتم صبيانكم ، و لو أخرجتموهم لكانوا عيالا على غيركم ثم قال : « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل »

وكان فى القوم زيدبن أرقم ، وكان غلاماً قدراهق و كان رسول الله ﷺ فى ظل شجرة فى وقت المهاجرة وعنده قوم من أصحابه المهاجرين والانصار ، فجاء زيد فاخبره بماقال عبدالله بن ابى ، فقال رسول الله ﷺ : لعلك وهمت يا غلام؟ قال: لاوالله ماوهمت قال : فلعلك غضب عليه ؟ قال : لاوالله ما غضبت عليه ، قال : فلعله سفه عليك فقال :لاوالله ، فقال رسول الله ﷺ لشقران مولاه:أحدج فأحدج راحلته وركب وتسامع الناس بذلك فقالوا : ماكان رسول الله ﷺ ليرحل فى مثل هذا الوقت فرحل الناس ولحقه سعدبن عبادة فقال : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليك السلام فقال ما كنت لترحل فى مثل هذا الوقت ،فقال : أوما سمعت قولا قال صاحبكم ؟ قال : وأى صاحب لنا غيرك يارسول الله ؟قال: عبدالله بن ابى زعم انه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل ، فقال : يارسول الله فانك وأصحابك الاعز وهو وأصحابه الاذل .

فسار رسول الله ﷺ يومه كله لايكلمه أحد ، فاقبلت الخزرج على عبدالله بن ابى يعذلونه ، فحلف عبدالله انه لم يقل شيئاً من ذلك ، فقالوا : فقم بنا إلى رسول الله ﷺ حتى نعتذر (نعتذر خ) إليه ، فلوى عنقه ، فلما جن الليل سار رسول الله ﷺ ليلة كله والنهار ، فلم ينزلوا الا للصلاة فلما كان من الغد نزل رسول الله ﷺ ونزل أصحابه وقد أمهدهم الارض من السهر (السفر خ) الذى أصابهم ، فجاء عبدالله بن ابى إلى رسول الله فحلف انه لم يقل ذلك .

وانه ليشهد ان لا اله الاّ الله وانك لرسول الله ، وان زيداً قد كذب عليّ ، فقبل رسول الله منه ، و أقبلت الخزرج إلى زيد بن أرقم يشتمونه و يقولون له : كذبت على عبدالله بن ابى سيّدنا ، فلما رحل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان زيد معه يقول : اللهم انك لتعلم انى لم اكذب على عبدالله بن ابى ، فما سار الاّ قليلاً حتى أنفذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يأخذه من البرحاء عند نزول الوحى عليه ، فثقل حتى كادت ناقته أن تبرك من ثقل الوحى ، فسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و هو يسكب العرق عن وجهه (جبهته خ) ثم أخذ بأذن زيد ابن أرقم فرفعه من الرحل ثم قال : يا غلام صدق قولك و وعى قلبك ، و أنزل الله فيما قلت قرآناً .

فلما نزل جميع أصحابه وقرء عليهم سورة المنافقين: « بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون ـ إلى قوله ـ ولكن المنافقين لايعلمون » ففضح الله عبدالله بن ابى .

« المريسيع » : اسم ماء من مياه بنى المصطلق من ناحية قديد إلى الساحل.

و فيه: عن أبان بن عثمان قال : سار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً وليلة ، و من الغد حتى ارتفع الضحى ، فنزل و نزل الناس فرموا أنفسهم نياماً ، و انما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكفّ الناس من الكلام قال أبان بن عثمان ، و ان ولد عبدالله بن ابى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يارسول الله انى كنت عزمت على قتله (أى قتل أبى: عبدالله ابن ابى)فمرنى اكون انا الذى احمل اليك راسه ، فوالله لقد علمت الاوس و الخزرج انى ابرّهم ولداً بوالدى ، فاخاف أن تأمر غيرى فيقتله فلاتطيب نفسى ان انظر الى قاتل أبى ، فاقتل مؤمناً بكافر ، فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بل ليحسن لك صحابته مادام معنا .

وفى لباب التأويل : بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان بنى المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبى ضرار ، وهو أبو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى

بني المصطلق وأمكن منهم ، وقتل من قتل منهم ، ونقل رسول الله صلى الله عليه وآله أبناءهم و نساءهم و أموالهم ، فأفاءها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء اذوردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار . القصة .

و في أسباب النزول : للواحدي النيسابوري باسناده عن زيد بن أرقم قال غزو نامع النبي صلى الله عليه وآله و كان معنا ناس من الاعراب و كنا نبدر الماء ، و كان الاعراب يسبقونا ، فيسبق الاعرابي أصحابه فيملاء الحوض و يجعل النطع عليه حتى يجيىء أصحابه ، فاتى رجل من الأنصار فأرخى زمام ناقته لتشرب ، فابى أن يدعه الاعرابي ، فأخذ خشبة فضرب بها رأس الانصاري فشجه ، فاتى الانصاري عبدالله بن ابي رأس المنافقين فاخبره ، و كان من أصحابه فغضب عبدالله بن ابي ، ثم قال : لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ، يعني الاعراب ، ثم قال لاصحابه : اذا رجعتم إلى المدينة فليخرج الاعز منها الاذل قال زيد بن أرقم وأنا ردف عمي فسمعت عبدالله ، فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله فانطلق و كذبني ، فجاء إلى عمي فقال : ما اردت أن مقتك رسول الله صلى الله عليه وآله و كذبك المسلمون ؟

فوقع عليّ من الغم مالم يقع على أحد قط ، فبينا أنا أسير مع رسول الله اذ أتاني فعرك أذني وضحك في وجهي ، فما كان يسرني أن لي بها الدنيا ، فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله سورة المنافقين : « اذا جاءك المنافقون ـ إلى ـ ليخرجن الاعز منها الاذل »

وفي البحار : في حديث النعماني بالاسناد عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن الامام امير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل ـ إلى أن قال : « ومثل قصة عبدالله بن ابيّ بن سلول ، و ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرج في غزاة تبوك نزل في منصرفه منزلا قليل الماء ، و كان عبدالله بن ابي ابن سلول رجلا شريفاً مطاعاً في قومه ، وكان يضرب قبته وسط العسكر فيجتمع إليه قومه من الخزرج ، ومن كان على مثل رأيه من المنافقين .

فاجتمع الناس على بئر كانت في ذلك المنزل قليلة الماء ، وكان في العسكر

رجل من المهاجرين يقال له : جهجهان بن وبر ، فادلى دلوه و أدلى معه رجل يقال له : سنان بن عبدالله من الانصار ، فتعلق دلوه بدلو جهجهان فتواثبا و أخذ جهجهان شيئاً فضرب به رأس ابن سنان فشجّه شجّة موضحة ، و صاح جهجهان إلى قريش والمهاجرين .

فسمع عبدالله بن ابى بن سلول نداء المهاجرين فقال : ما هذا ؟ قالوا : جهجهان ينتدب المهاجرين وقريشاً على الخزرج والاوس ، فقال أو قد فعلوها قالوا : نعم قال : أما والله لقد كنت كارها لهذا المسير ، ثم أقبل على قومه ، فقال لهم : قد قلت : لاتنفقوا عليهم حتى ينفضّوا ويخرجوا عنكم ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل .

ولما سمع زيدبن أرقم ذلك جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كان ابن أرقم أصغرهم سنّاً فيمن كان في مجلس عبدالله بن أبى بن سلول ، فقال زيد : يا رسول الله قدعلمت حال عبدالله بن ابىّ بن سلول فينا و شرفه ولايمنعنى ذلك أن اخبرك بما سمعت ثم أخبره بالخبر .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمسير فقال أصحابه : والله ماهذا وقت مسير ،وان ذلك لامر حدث ، ولما بلغ الانصار ماقاله زيدبن ارقم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحق به سعدبن عبادة ، وقال : يارسول الله ان زيد بن أرقم كذب على عبدالله بن ابى بن سلول ، وان كان عبدالله قال شيئا من هذا فلاتلمه ، فانا كنا نظمنا له الجزع اليمانى تاجاً له لنتوجّه فيكون ملكا علينا ، فلما وافيت يارسول الله راى انك غلبته على امر قد كان استتبّ له .

ثم أقبل سعد على زيد فقال: يازيد عمدت إلى شريفنا فكذبت عليه ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنزل الثانى مشى قوم عبدالله بن ابى بن سلول إليه، فقالوا له : امض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يستغفر لك ، فلوّى عبدالله بن ابى بن سلول عنقه واستهزأ ، فلم يزالوا به حتى صار معهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحلف لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه لم يقل من ذلك شيئا ، وان زيدبن ارقم كذب عليه .

فانزل الله تعالى : « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله - إلى - آخر السورة » وهذا أبواب التنزيل والتأويل .

وفي المجمع : نزلت الايات في عبد الله بن ابي المنافق وأصحابه ، وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلغه ان بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث (الحارث خ) بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له : المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم من قتل ونفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابناءهم ونساءهم وأموالهم .

فبينا الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له : جهجاه ابن سعيد يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان الجهني من بني عوف بن خزرج على الماء ، فاقتتلا فصرخ الجهني يامعشر الانصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين ، فاعان الغفاري رجل من المهاجرين يقال له : جعال وكان فقيراً ، فقال عبدالله بن ابي لجعال: انك لهتاك ، فقال : وما يمنعني ان افعل ذلك ، واشتد لسان جعال على عبد الله ، فقال عبد الله : والذى يحلف به لآزرنك ويهمك غير هذا ، وغضب ابن ابي وعنده رهط من قومه فيهم زيد ابن ارقم حديث السن ، فقال ابن ابي قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه ، وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال : هذا مافعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لوامسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا أن يتحولوا من بلادكم ، ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم ، فقال زيد بن أرقم : أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين ، والله لااحبك بعد كلامك هذا فقال عبدالله : اسكت فانما كنت العب فمشى زيد بن ارقم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك بعد فراغه

من الغزو ، فاخبره الخبر فامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرحيل ،وأرسل إلى عبد الله فأتاه ، فقال : ما هذا الذى بلغنى عنك ؟ فقال عبد الله : والله انزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك قط وان زيداً لكاذب ، وقال من حضرمن الانصار : يارسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدّق عليه كلام غلام من غلمان الانصار عسى أن يكون هذا الغلام ، وهم فى حديثه ، فعذره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفشّت الملامة من الانصار لزيد .

ولما استقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسارلقيه اسيد بن الخضيرفحياه بتحيةالنبوة ، ثم قال : يا رسول الله لقد رحت فى‌ساعة منكرة ما كنت تروح فيها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ زعم انه ان رجع إلى المدينة اخرج الاعز منها الاذل ، فقال اسيد : فانت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت ، هووالله الذليل ، وانت العزيز ثم قال : يا رسول الله ارفق به ، فو الله لقد جاء الله بك ، وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجّوه ، وانه ليرى انك قد استلبته ملكا .

وبلغ عبدالله بن عبدالله بن‌ابى ما كان من أمرأبيه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله انه قدبلغنى انك تريد قتل ابى ، فان كنت‌لابد فاعلا ، فمرنى به ، فاناا‌حمل اليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ماكان بهارحل أبرّ بوالديه منى ، وانى اخشى ان تأمر به غيرى ، فيقتله فلا تدعنى نفسى ان انظر إلى قاتل عبد الله ابن ابى أن يمشى فى الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافرفادخل النار، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : بل ترفق به وتحسن صحبته مابقى معنا .

قالوا : وسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالناس يومهم ذلك حتى‌أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس، فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض وقعوا نياماً انمافعل ذلك ليشغل‌الناس عن‌الحديث الذى‌خرج من عبدالله بن ابى ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له : بقعاء ، فهاجت ريح شديدة آذتهم ، وتخوفوها ، وزلت ناقة رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك ليلا ، فقال : مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة قيل : من هو ؟ قال

رفاعة، فقال رجل من المنافقين: كيف يزعم انه يعلم الغيب ولايعلم مكان ناقته؟ ألايخبره الذى يأتيه بالوحى فأتاه جبرئيل، فاخبره بقول المنافق وبمكان الناقة، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك اصحابه، وقال: ماأزعم انى اعلم الغيب وماأعلمه، ولكن الله تعالى أخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى هى فى الشعب، فاذا هى كما قال فجاؤا بها وآمن ذالك المنافق، فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد فى التابوت أحد بنى قينقاع وكان من عظماء اليهود وقدمات ذلك اليوم.

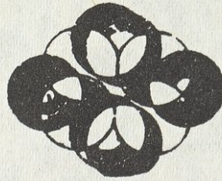
قال زيد بن أرقم فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة جلست فى البيت لما بى من الهم والحياء، فنزلت سورة المنافقين فى تصديق زيد وتكذيب عبدالله بن أبى ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأذن زيد فرفعه عن الرحل ثم قال: يا غلام صدق فوك ووعت اذناك ووعى قلبك، وقد انزل الله فيما قلت قرآناً، وكان عبدالله بن ابى بقرب المدينة، فلماأراد أن يدخلها جاءه ابنه عبدالله بن عبدالله بن ابى حتى أناخ على مجامع طرق المدينة، فقال: مالك ويلك؟ قال (فقال خ): والله لا تدخلها الا باذن رسول الله، ولتعلمن اليوم من الأعز؟ ومن الاذل؟ فشكى عبدالله ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فارسل إليه أن خل عنه يدخل، فقال: أما اذا جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنعم، فدخل فلم يلبث الا اياماً قلائل حتى اشتكى ومات.

فلمانزلت هذه الايات، وبان كذب عبدالله قيل له: نزل فيك آى شداد، فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستغفرلك فلوى رأسه ثم قال: أمرتمونى أو اؤمن فقد آمنت، وأمرتمونى أن اعطى زكاة مالى فقد اعطيت، فما بقى الا أن اسجد لمحمد فنزل: «واذا قيل لهم تعالوا - إلى قوله - ولكن المنافقين لايعلمون»

وفى الدر المنثور: عن زيد بن ارقم قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان معناناس من الاعراب، فكنا نبتدر الماء وكان الاعراب يسبقونا إليه، فيسبق الاعرابى أصحابه فيملأ الحوض، ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجىء اصحابه، فأتى رجل من الانصار اعرابيا فأرخى زمام ناقته لتشرب، فابى ان يدعه، فانتزع حجراً ففاض الماء، فرفع الاعرابى خشبة فضرب بها رأس

الانصارى فشجّه ، فاتى عبدالله بن أبى رأس المنافقين فاخبره ، وكان من أصحابه فغضب وقال : « لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا من حوله » يعنى الاعراب ، وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند الطعام ، وقال عبدالله لاصحابه : اذا انفضوا من عند محمد ، فأتوا محمداً بالطعام ، فليأكل هو ومن عنده ثم قال لاصحابه : « اذا رجعتم إلى المدينة » فليخرج الاعزّ منها الاذل قال زيد : وأنا ردف عمى فسمعت وكنا أخواله عبدالله ، فاخبرت عمى ، فانطلق فاخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فارسل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحلف وجحد فصدقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذبنى فجاء إلىّ عمى ، فقال : ما أردت إلى أن مقتك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذبك وكذبك المسلمون ، فوقع على من الهم مالم يقع على أحد قط فبينما أنا أسير وقد خفقت برأسى من الهم اذا أتانى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعرك أذنى وضحك فى وجهى فماكان يسرنى ان لى بها الخلد او الدنيا . . فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا جاءك المنافقون ـ إلى قوله ـ ليخرجن الاعز منها الاذل » .

اقول : وقد اوردنا القصة عن الكتب المتعددة لما فى بعضها ما ليس فى الاخرى .



﴿القراءة﴾

قرأ أبو عمرو وعلى عليه السلام : « خشب » بسكون الشين تخفيفاً ، والباقونَ بضمها على الأصل .

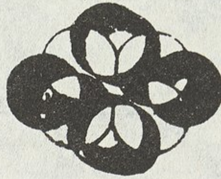
وقرأ عاصم وحمزة : « يحسبون » بفتح السين ، والباقون بكسرها .

وقرأ نافع : « لووا » بتخفيف الواو ، والباقون بتشديدها .

وقرأ أبوعمرو : « واكون » بالنصب على جواب التمنى بالفاء ، والباقون : « واكن » بالجزم عطفاً على موضع : « فاصدق » لانه فى موضع جزم على تقدير: اخرنى فانك أن تؤخرنى اصدق .

﴿الوقف والوصل﴾

« لرسول الله م » لئلا يوهم ان قوله : « والله يعلم » من مقول المنافقين . « لرسوله ط » لتمام الكلام « لكاذبون ج » لان مابعده يصلح صفة واستئنافاً « عن سبيل الله ط » لتمام الكلام « أجسامهم ط » لما تقدم « لقولهم ط » و « مسندة ط » « عليهم ط » و « فاحذرهم ط » و« قاتلهم الله ز» لابتداء الاستفهام مع اتصال المعنى « تستغفر لهم ط » و « لن يغفر الله لهم ط » « ينفضوا ط » و « الاذل ط » و « عن ذكر الله ج » للشرط مع الواو « قريب لا » لتعلق الجواب و « أجلها ط » لتمام الكلام .



﴿ اللغة ﴾

٧٣ - النفاق - ١٥٤٨

نفق الفرس ينفق نفوقاً - من باب نصر - : مات .

فى حديث ابن عباس : « والجزور نافقة » أى ميتة من نفقة الدابة اذاماتت.

ونفق رجل ماله ينفقه نفقا - بسكون الفاء وفتحها - و نفاقاً - من باب فرح ونصر - : نفد وفنى وذهب وراج فرغب فيه ، ونقص وقلّ .

ونفق البيع نفاقاً :راج ، ونفقت السلعة تنفق نفاقا - بالفتح - : غلت ورغب فيها وهو ضد الكساد .

أنفق : لازم و متعد ، يقال : أنفق اذا افتقر ، وذهب ماله ، و انفق ماله : أنفده وأفناه ؟ ومن المجاز انفقت الابل : اذا انتشرت .

أنفق ماله : أخرجه من حوزته وصرفه ، وقد يحذف المفعول وهو المال قال الله تعالى : « هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله » المنافقون : ٧)

وقد يكون الانفاق فى شئون هذه الحياة ، وتحصيل المطالب فيها ولقاء شيء يناله المنفق ، وقد يكون فى سبيل البر والخير رجاء ماعندالله من الثواب دون ابتغاء غرض فى الدنيا ، وهذا يكون واجباً كالزكاة ، و يكون مندوباً كصدقة التطوع وبذل المال فى سبيل الله تعالى ، و اذا قرن الانفاق بالصلاة ، فان بعض المفسرين يحمله على الزكاة لانها قرينة الصلاة، وبعضهم يحمله على صدقة التطوع لان الزكاة تذكر باسمها ، وبعضهم يعمّ به النوعين ، والانفاق فى البر أكثروارد

المادة فى الكتاب العزيز.

قال الله تعالى: « لوانفقت مافى الارض جميعاً ما الفت بين قلوبهم » الانفال: ٦٣)

وقال: « الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا مناً و لا أذى لهم أجرهم عند ربهم » البقرة: ٢٦٢)

الانفاق: الفقر والفاقة ونفاد المال:

قال الله تعالى: « قل لوانتم تملكون خزائن رحمةربى اذاً لامسكتم خشية الانفاق » الاسراء: ١٠٠) والمراد: خشية مغبّة انفاق المال وهو الفقر.

والانفاق: بذل المال، والوصف من الفعل بنوعيه: منفق، والجمع: منفقون

النفقة: مايبذله الرجل ويصرفه من ماله تبرّعاً اوبازاء عوض يبتغيه او ينفقه على نفسه وعياله، والجمع: نفاق ونفقات قال تعالى: « وما أنفقتم من نفقة» البقرة: ٢٧٠) وقال: « وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم » التوبة: ٥٤)

النفقة: اسم من الانفاق، وما تنفقه من الدراهم ونحوها.

المنفاق ـ بالكسر ـ: الكثير النفقة.

نافق الرجل ينافق نفاقاً ومنافقة ـ من باب ضارب ـ: أظهر الاسلام بلسانه وأبطن الكفر بقلبه وهو مأخوذ من النافقاء.

يقال: نافق فى الدين: ستر كفره بقلبه، وأظهر ايمانه بلسانه فهو منافق. وأصل ذلك نفاق اليربوع: وهو أن يخرج من حجر يستره يسمى النافقاء وذلك اذا قصد من حجره الظاهر، فاطلق النفاق من هذا على فعل من يدخل فى الاسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذى دخل فيه، ويأخذه بعضهم من النفق وهو سرب فى الارض له مخرج من موضع آخر كما سيأتى.

والنفاق فى معنى اظهار الاسلام وابطان الكفر من الكلمات الاسلامية، و قد اعتمدت على معنى قديم كما رأيت.

قال الله تعالى: « والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » المنافقون: ١)

وفى الحديث : « المنافق الذى يظهر الايمان ويتصنع بالاسلام »

النفق: طريق مستور كالحجر فى الارض ينفذ إلى موضع آخر ، والجمع أنفاق ، والنفق ككتف : السريع الانقطاع من كل شيء ، والنفق ـ محركة ـ سرب فى الارض مخرج إلى مكان .

قال الله تعالى : « فان استطعت ان تبتغي نفقاً فى الارض اوسلماً فى السماء فتأتيهم باية » الانعام : ٣٥)

نفّق اليربوع : خرج من نافقائه ودخل فيها فهو من الاضداد .

النافقاء : احدى حجرة اليربوع يكتمها ، و يظهر غيرها ، فاذا أتى من جهة القاصعاء ضرب النافقاء برأسه ، وهما حجرتا اليربوع .

النفاق : فعل المنافق .

فى المفردات : نفق الشيء : مضى ونفد ينفق اما بالبيع نحو نفق البيع نفاقاً ، ومنه نفاق الايم ، ونفق القوم اذا نفق سوقهم ، واما بالموت نحو نفقت الدابة نفوقاً ، واما بالفناء نحو نفقت الدراهم تنفق وأنفقتها ، والانفاق قد يكون فى المال ، وفي غيره ، وقد يكون واجباً وتطوعاً .

والنفق: الطريق النافذ والسرب فى الأرض النافذ فيه ، ومنه نافقاء اليربوع وقد نافق اليربوع ونفق ، ومنه النفاق ، وهو الدخول فى الشرع من باب والخروج عنه من باب ، وعلى ذلك نبّه بقوله :« ان المنافقين هم الفاسقون » أى الخارجون من الشرع و جعل الله المنافقين شراً من الكافرين .

وفى النهاية : قد تكرر فى الحديث ذكر « النفاق » و ما تصرف منه اسماً وفعلا ، وهو اسم اسلامى لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو الذى يستر كفره ، ويظهر ايمانه ، وان كان أصله فى اللغة معروفاً .

وفى حديث حنظلة « نافق حنظلة » أراد انه اذا كان عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم أخلص وزهد فى الدنيا ، واذا خرج عنه ترك ما كان عليه ورغب فيها ، فكأنه نوع من الظاهر والباطن ما كان يرضى أن يسامح به نفسه .

وفيه : « أكثر منافقى هذه الامة قرّاؤها » أراد بالنفاق ههنا الريـاء لان كليهما اظهار غير مافى الباطن .

وفى اللسان : أبوعبيد : سمى المنافق منافقاً للنفق و هو السرب فى الارض وقيل: انما سمى منافقا لانه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاء ه، يقال : قدنفق به ونافق ، وله حجر آخر يقال له :القاصعاء ، فاذا طلب قصّع ، فخرج من القاصعاء فهو يدخل فى النافقاء ، ويخرج من القاصعاء ، أويدخل فى القاصعاء ويخرج من النافقاء .

فيقال : هكذا يفعل المنافق ، يدخل فى الاسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذى دخل فيه .

وفى شرح القاموس : قال ابن برى : حجرة اليربوع سبعة : القاصعاء و النافقاء والداماء والراهطاء والعانقاء والحاثياء واللغيزى .



١٣ - الصد - ٨٤٣

صد ه عن الامر يصده صداً و صدوداً ـ من باب نصر نحو مد ـ : منعه و صرفه عنه .

قال الله تعالى : «فصدوا عن سبيل الله ـ ورأيتهم يصدون»

المنافقون : ٢ـ ٥)

الصّدّ : الاعراض والهجران والانصراف والامتناع، وقد ورد الصد بمعنى الامتناع فى الكثير الغالب فى الآيات الكريمة كما ورد استعمال الصد بمعنى المنع والصرف .

وصد يصد صداً ـ من باب ضرب ـ : استغرب ضحكا ، و صد من الشيء : ضج وعج ،وصد د الرجل : صفق ، وصد د الجرح : قيح ، والتصدية : التصفيق .و صادّه : دافعه ، تصد دله : تعرض .

والصدد: الناحية ،والصدد : ما استقبلك ، والصدد:القرب ، والصدد:القصد

و الصد ـ بالفتح والضم ـ : الجبل ، وناحية الوادى والشعب ، جمع أصداد وصدود ، والصد ـ بالفتح ـ : المرتفع من السحاب تراه كالجبل .

الصديد: ماء الجرح الرقيق المختلط بالدم ، وهو مايسيل من جلودأهل النار ، والصديد : ما حال بين اللحم والجلد من القيح .

قال الله تعالى : « ويسقى من ماء صديد » ابراهيم : ١٦)

الصداد ـ بالضم والتشديد ـ : الطريق إلى الماء ، والتصدد : التعرض .

٢٧ - الخشب - ٤١٥

خشب القوس يخشبها خشبا ـ من باب ضرب ـ : عملها عملها الاول .

وخشب السيف : بدىء صنعه وطبعه ، وقيل : صقله ، والخشيب من السيوف

الصيقل ، والخشن الذى قدبرد ولم يحكم عمله ولم يصقل ، فهو من الاضداد .

الخشب ـ محركة ـ : مايبس من الشجر ، وماغلظ من العيدان ، والواحدة خشبة تجمع على « خشب » بضم الخاء والشين وسكون الشين ، وعلى خشبان .

قال الله تعالى : « وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة » (المنافقون : ٤)

شبهوا بذلك لقلة غناءهم ، وتركهم التفقة والاستبصار ، ووعى ما يسمعون من الوحى فهم بمنزلة الخشب .

وفى حديث المنافقين : « خشب بالليل صخب بالنهار » أراد انهم ينامون الليل كأنهم خشب مطرّحة لايصلون فيه ، يقال فيهم : هم خشب بالليل لايتهجدون

الخشب ـ كالكتف ـ والاخشب : الغليظ الخشن والعيش غير المتأنق فيه.

الخشيب : السيف الذى بدىء طبعه والسيف الصقيل جمعه : خشب وخشائب وأخاشب ، سيف خشيب: قريب العهد بالصقل ، وجمل خشيب أى جديد لم يروض تشبيها بالسيف الخشيب .

الخشبان : الجبال الخشن ،والاخشب : الجبل الخشن العظيم ، والاخشبان ـ تثنية ـ : الجبلان المطيفان بمكة :ابوقبيس والاحمر ، وهو جبل مشرف وجهه على قعيقعان ، وسميا بذلك لصلابتهما .

وفى الحديث : « ان جبرئيل عليه السلام قال : يا محمد إن شئت جمعت عليهم الاخشبين فقال : دعنى انذر قومى »

وفى الحديث : « لاتزول مكة حتى يزول أخشباها » وهما من المثنيات التى لاتفرد كالرافدين لدجلة والفرات .

اخشوشب الرجل : اذا كان صلباً خشباً فى دينه وملبسه ومطعمه و جميع أحواله ، ورجل أخشب : اذاكان صاب العظام عارى اللحم ، اخشوشب فى عيشه : شظف وصبر على الجهد اوتكلف فى ذلك ليكون أجلد له .

فى المجمع : « خشب » وهو وصف للمنافقين، كان عبدالله بن ابى رجلا

جسيما فصيحاً صبيحاً ، وقوم من المنافقين فى مثل صفته ، وكانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيستندون فيه ، فشبههم الله فى عدم الانتفاع بحضورهم ، وان كانت هيا كلهم معجبة وألسنتهم ذليقة بالخشب المستندة إلى الحائط والاصنام المنحوتة من الخشب .

٨٢ ـ السند ـ ٨٤١

سند إلى الشىء يسند سنوداً ـ من باب نصر ـ : اعتمد عليه .

وسنّد الشىء تسنيداً : جعل له سنداً يعتمد عليه، فالشىء مسنّد وهى مسنّدة قال الله تعالى : « وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة » المنافقون : ٤)

وشدّد للكثرة ، شبههم الله تعالى فى عدم الانتفاع بحضورهم فى المسجد بالخشب المسندة إلى الحائط .

فكأنهم فى مجالس رسول الله ﷺ ـ و هم متكئون خالون من الايمان والخير ـ قطع من الخشب مسندة لانفع فيها .

أسند فى الجبل : رقى ، وفى حديث احد : « رأيت النساء يسندن فى الجبل أى يصعدن فيه ، وأسند فلاناً فى الجبل : أصعده لازم و متعد ، وأسند الرجل : جعله داعياً للقوم ، واسند فى العدو : اشتدّ وجدّ ،واسنده إليه : جعله متكئا له.

وفى الحديث قال الصادق عليه السلام : « اذا حدثتم بحديث فاسندوه إلى الذى حدثكم فان كان حقا فلكم ، وان كان كذباً فعليه »

والاسناد فى الحديث : رفعه إلى قائله .

استند إلى الله تعالى : لجأ ، وتساند إليه : اعتمد عليه .

السند ـ بالكسر ـ : بلاد وطائفة من الناس يتاخمون الهند وألوانهم إلى الصفرة ، والواحد : السندى ، والسند ـ محركة ـ : ماقابلك من الجبل وعلاعن السفح ، وما ارتفع من الارض فى قبل الجبل اوالوادى ، و موضع : ببلاد العرب ومعتمد الانسان أى ماastند إليه من حائط اوغيره ، ومنه : « السند » لصك الدين

وضرب من البرود جمعه : أسناد .

السناد : الناقة القوية الخلق ، وحيوان على صفة الفيل الا انه أصغرمنه جثة وأعظم من الثور ، وهو كثير فى بلاد الهند .

السندان ـ بالفتح ـ من آلات الحدادين : ما يطرق عليه الحديد معرب سندان بالفارسية جمعه : سنادين .

السندان ـ بالكسر ـ : العظيم الشديد من الرجال والذئاب ، و السندانة ـ بالكسر ـ : الاتان والسندة : نبات .

المستند : عند اهل المناظرة ، والمحدثين : السند .

٥٧ - اللى - ١٣٩٤

لوى الحبل يلويه ليا ـ بكسر اللام و فتحها ، و ليانا ـ بكسر اللام ـ من باب ضرب نحو هوى ـ : فتله أوثناه، ولوى الغريم مدينه بدينه : جحده اياه ومطله ولوى القدح والرمل يلوى لوى ـ من باب علم ـ : اعوج .

وقد استعمل هذا الفعل فى القرآن الكريم بالمعانى الاتية :

١ـ يقال : فلان لوى لسانه بالكلام لياً : لم ينطق به على الوجه الصحيح وقد يكون هذا كناية عن التحريف والكذب اوالكلام على أساس من التخرص وعدم التحرى ومن هذا : اللىّ بالالسنة :

قال الله : « وان منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب » آل عمران : ٧٨) أى يحرفون ما يقرؤن ويعدلون به عن القصد ، ولاينطقون به على الوجه الصحيح .

وقال : « واسمع غير مسمع و راعنا ليا بالسنتهم » النساء : ٤٦)أى لاوين بالسنتهم عند القراءة محرفين لما يقرؤن ، اوما قائلين به عن الصواب والاول من « لويت الحبل » فتلته حيث يضعون « راعنا » موضع« انظرنا »او يفتلون بالسنتهم

مايضمرونه إلى مايظهرونه من التوفير نفاقاً .

٢ـ يقال : لوى فلان رأسه : أماله يميناً وشمالا ساخراً غيرمكترث .

قال الله تعالى : « واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم » المنافقون : ٥)

أى لوّوها يمينا وشمالا ساخرين غيرمكترثين ، فامالوها وعطفوها اعراضاً عن ذلك واستكباراً .

٣ـ لوى الرجل يلوى : انحرف عن جادة الصواب .

قال الله تعالى : « وان تلووا اوتعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً » النساء : ١٣٥) أى وإن تنحرفوا عن طريق الحق .

٤ـ يقال :سار في طريقه لايلوى على أحد :جدّ فى سيره غير ملتفت إلى شيء ولا منبته إلى أحد .

قال الله تعالى : « اذ تصعدون ولاتلوون على أحد » آل عمران : ١٥٣)أى ممعنين فى السير ، منهزمين غير معتّدين بدعاء الرسول ﷺ لكم .

ألوى برأسه إلواء : أماله ، وألوت الناقة ذنبها : حرّكته .

إلتوى الامر : عسر ، وعن الامر ، تثاقل ، والملاوى ، الطرق الملتوية ، و التوى القدح ، اعوجّ .

تلوّى الشيء تلوّياً : انعطف ، و تلوّى البرق فى السحاب ، اضطرب على غير جهة ، وتلاووا عليه ، اجتمعوا ، واستلوى بهم الدهر ، أبادهم .

اللواية : الراية الكبيرة، ولا يمسكها الا صاحب الجيش، واللواء ـ بالكسر ـ العلم ، وهو دون اللواية ، وهو شقة ثوب تلوى وتشدّ إلى عود الرمح .

والعرب تضع اللواء موضع الشهرة ومنه قوله ﷺ ، « لواء الحمد بيدى » يريد انفراده بالحمد يوم القيامة وشهرته بهرؤس الخلائق ، ومنه الحديث: « لكل غادر لواء يوم القيامة » أى علامة يشهر بها فى الناس لان موضوع اللواء شهرة مكان الرئيس ، وجمعه : ألوية ، وأما ألويات فجمع الجمع .

في المفردات : اللىّ ، فتل الحبل ، يقال ، لويته ألويه لياً ، ولوى يده و لوى رأسه وبرأسه : أماله « لوّوا رؤسهم » ، أمالها ولوى لسانه بكذا كناية عن الكذب وتخرّص الحديث ، واللواء ، الراية ، سميت لالتوائها بالريح ، و اللوية ما يلوى فيدّخر من الطعام ، ولوى مدينه أى ماطله .

٣٦ - الفسق - ١١٥٥

فسق يفسق فسقاًوفسوقاً - من باب نصر وضرب - : ترك أمر الله تعالى وعصى وجار عن قصد السبيل ، فيشمل الكافر والمسلم العاصى ، و اصل الفسق : خروج الشىء على وجه الفساد .

من الحسى : فسقت الرطبة من قشرها : اذا خرجت ، وفسق فلان فى الدنيا فسقا : اتسع فيها ولم يضقها على نفسه ، و فسق فلان ماله : اذا أهلكه و أنفقه ، ومنه يمكن إخراج معنى المادة الذى اكسبه اياها الاسلام ، فقد نقل انه لم يسمع قط فى كلام الجاهلية فى شعر ولا كلام (فاسق) .

و من المعنوى : جاء الشرع بان الفسق : الافحاش فى الخروج عن طاعة الله تعالى، وعدت الكلمة من الالفاظ الاسلامية التى نقلت عن موضعها إلى موضع آخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت و شرائط شرطت ، و هو مثل من التطور اللغوى ، و بهذا المعنى الاسلامى للفسق استعمل فى القرآن الكريم مقابلاً للايمان كفراً :

قال الله تعالى : « وما يكفر بها الاّ الفاسقون » البقرة : ٩٩) .

ونفاقاً : قال الله تعالى : « ان المنافقين هم الفاسقون » التوبة : ٦٧) .

وضلالاً: قال الله تعالى: «فمنهم مهتد و كثيرمنهم فاسقون » الحديد: ٢٦)

وعلى أنواع من العصيان ، وبهذا كان الفسق أعم من الكفر .

والفسّاق والفسّيق : الدائم الفسق .

في المفردات : فسق فلان : خرج عن حجر الشرع ، وذلك من قولهم : فسق الرطب اذا خرج عن قشره ، وهو أعم من الكفر ، والفسق يقع بالقليل من الذنوب و بالكثير لكن تعورف فيما كان كثيراً ، و أكثر ما يقال : الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقر به ثم أخلّ بجميع أحكامه او ببعضه ، واذا قيل للكافر الاصلي : فاسق فلانه أخلّ بحكم ماألزمه العقل ، واقتضته الفطرة قال :

« ففسق من أمر ربه ـ ففسقوا فيها ـ و اكثرهم الفاسقون ـ و اولئك هم الفاسقون ـ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون » أي من يستر نعمة الله فقدخرج عن طاعته « واما الذين فسقوا فماواهم النار ـ و الذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون ـ و الله لايهدي القوم الفاسقين ـ أن المنافقين هم الفاسقون ـ و كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا ـ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقاً » .

فقابل به الايمان ، فالفاسق أعم من الكافر والظالم أعم من الفاسق « والذين يرمون المحصنات ـ إلى قوله ـ و اولئك هم الفاسقون » وسميت الفأرة فويسقة لما اعتقد فيها من الخبث والفسق ، و قيل لخروجها من بيتها مرة بعد اخرى ، وقال عليه السلام : « اقتلوا الفويسقة فانها توهي السقاء و تضرم البيت على أهله » قال ابن الاعرابي : لم يسمع الفاسق في وصف الانسان في كلام العرب ، وانما قالوا: فسقت الرطبة عن قشرها .

وفي النهاية : أصل الفسوق : الخروج عن الاستقامة والجور ، و به سمي العاصي فاسقاً، ومنه الحديث :« انه سمى الفأرة فويسقة» تصغيرها فاسقةلخروجها من جحرها على الناس وافسادها .

وفي اللسان : الفسق: الترك لامر الله عزوجل والخروج عن طريق الحق، و قيل : الفسوق : الخروج عن الدين ، و كذلك الميل إلى المعصية كما فسق ابليس عن امر ربه ، وفسق عن أمر ربه أي جار ومال عن طاعته .

وفي القاموس وشرحه: الفسق : الفجور، و الفسق أعم من الكفر، والفسق

يقع بالقليل من الذنوب و بالكثير، ولكن تعورف فيما كان بكثيره ، و أكثر مايقال الفاسق: لمن التزم حكم الشرع وأقرّ به ثم أخل بجميع أحكامه اوببعضها ، واذا قيل للكافر الاصل : فاسق فلانه أخل بحكم ماألزمه العقل ، واقتضته الفطرة، ومنه قوله تعالى : « أفمن كان مؤمنا كمن فاسقاً لا يستوون » فقابل به الايمان.

فالفاسق أعم من الكافر والظالم أعم من الفاسق ، وقد يكون الفسوق شركا، ويكون اثماً ، والفاسق هو الذى منسلخ عن الخير ، والتفسيق : ضد التعديل .



﴿النحو﴾

١ـ (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله و الله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) .

« اذا » ظرفية ، عاملها « جاء » و انما جاز أن يعمل فيها ، و إن كانت مضافة إليه لان « اذا » فيها معنى الشرط، والشرط انما يعمل فيه ما بعده لاماقبله، ومن المحتمل أن يكون العامل فيه الجزاء ، وهو « قالوا » و ضمير الخطاب فى موضع نصب مفعول به ، و « المنافقون » جمع المنافق ، فاعل الفعل ، و« قالوا» جزاء للشرط .

« نشهد » فعل تكلم مع الغير من المضارع ، والجملة مقولة القول و«انك» حرف التاكيد كسرت فى المقام بمواضع ثلاثة ... لمكان لام التأكيد فى خبرها لانها فى تقدير التقديم، فعلّقت الفعل عن العمل ، و كاف الخطاب فى موضع نصب اسم لحرف التأكيد ، و « لرسول الله » خبرها .

« والله يعلم » الو او للاستيناف والجملة معترضة ، وتحتمل الحال فالجملة فى موضع النصب « والله يشهد » عطف على سابقها .

٢ـ (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون)

« اتخذوا » فعل ماض لجمع الغيبة من باب الافتعال ، من الأخذ الآ انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال التاء، والفعل من ملحقات أفعال القلوب،و«أيمانهم» جمع يمين بمعنى الحلف ، اضيف إلى ضمير المنافقين ، والايمان مفعول به الاول، و « جنة » مفعول ثان .

ولايخفى ان « اتخذ » فى التعدى على ضربين : أحدهما ـ أن يتعدى إلى مفعول واحد . ثانيهما ـ أن يتعدى إلى مفعولين ، وأما تعديته إلى مفعول واحد فنحو قوله تعالى : « لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه » الانبياء : ١٧) .

وأما اذا تعدى إلى مفعولين ، فالثانى منهما الاول فى المعنى كقوله تعالى: « و اتخذوا ايمانهم جنة » المنافقون : ٢) وقوله : « لاتتخذوا عدوى و عدوكم اولياء » الممتحنة : ١) .

« فصدوا » الفاء سببية ، ومدخولها فعل ماض على حذف المفعول به، قيل: أى فصدوا المؤمنين عن إقامة حكم الله تعالى وبيان المعارف الاسلامية ، وقيل: أى منعوا الناس عن الجهاد، وقيل : أى فصدوا اليهود والمشركين عن الدخول فى الاسلام .

« ساء » فعل ذم على تقدير : ساء العمل عملهم ، وقوله : « ما » موصولة فى موضع رفع على كونها فاعل « ساء » ، او خبر لمحذوف هو المخصوص بالذم ، ويحتمل أن تكون مصدرية فى موضع رفع أيضاً بـ « ساء » فلاتحتاج إلى عائد ، وقيل : « ما » نكرة موصوفة فى موضع نصب ، « وكانوا يعملون » صفتها و العائد إلى الموصوف من الصفة محذوف .

و « كانوا »من أفعال الناقصة، و « يعملون » فى موضع نصب على الخبرية، على حذف المفعول به وهو عائد الصلة والجملة هى الصلة .

٣- (ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون) .

« ذلك » مبتداء ، و « بانهم آمنوا » الباء سببية ، وحرف التأكيد مع معموليها بعد الانسباك بالمصدر خبره ، و « ثم » حرف عطف و « كفروا » عطف على « آمنوا » و « فطبع » الفاء تفريعية ، و مدخولها فعل ماض مبنى المفعول و « على قلوبهم » متعلق بفعل الطبع ناب مناب الفاعل ، « فهم » الفاء للتفريع و مدخولها مبتداء ،و « لايفقهون » فعل مضارع منفى بحرف النفى خبره على حذف المفعول أى لايفقهون حقيقة الامر

٤ ـ (و اذا رأيتهم تعجبك اجسامهم و ان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون)

الواو مستأنفة، و« اذا » شرطية ، و « رأيتهم » فعل شرط ، وضمير الجمع فى موضع نصب مفعول به، وتعدى « رأيت » إلى مفعول واحد لانه بمعنى أبصرت و « تعجبك » فعل مضارع من باب الافعال، وضمير الخطاب فى موضع نصب مفعول به ، و« اجسامهم » الاجسام : جمع جسم من جمع القلة فـاعل الفعل اضيف إلى ضمير المنافقين .

و « إن » حرف شرط ، و« يقولوا » فعل الشرط ، و« تسمع » جزائه ، و « لقولهم » متعلق بفعل السمع،و« كأنهم » حرف تشبيه ، والضمير فى موضع نصب اسمها ، و« خشب »جمع خشب ـ كالاسد والاسد ـ خبرها ، و« مسندة » اسم مفعول من باب التفعيل نعت من« خشبة » والجملة فى موضع نصب حال من ضمير «لقولهم» وقيل : مستأنفة ، و« يحسبون » فى موضع نصب حال من معنى الكلام ، وقيل: فى موضع رفع على الاستيناف ، و« كل صيحة »مفعول به الاول ، و« عليهم » مفعول ثان أى يحسبونها واقعة عليهم صادرة لهم لجبنهم ، و« فاحذرهم » الفاء تفريعية ، ومدخولها فعل أمر ، وضمير الغائب فى موضع نصب على المفعول به .

« قاتلهم الله » قاتل فعل ماض من باب المفاعلة ، وضمير الجمع فى موضع نصب مفعول به ، و« الله » فاعل الفعل،و « أنى » فى موضع نصب على الحال بمعنى كيف ، فالتقدير : أجاحدين يؤفكون ، ويحتمل أن يكون فى موضع نصب على المصدر ، فالتقدير : أى افك يؤفكون ، وعن الزجاج : معناه : من أين يؤفكون أى يصرفون عن الحق بالباطل فعلى هذا يكون منصوباً على الظرفية ، و «يؤفكون» فعل المضارع لجمع الغيبة مبنى للمفعول .

٥ـ (و اذا قيل لهم تعالوا يستغفرلكم رسول الله لووا رؤسهم و رأيتهم يصدون وهم مستكبرون)

« اذا » شرطية ، و« قيل » فعل ماض مبنى للمفعول ، و « لهم » نابت مناب

الفاعل ، و « تعالوا » فعل أمر من باب التفاعل ، أصله تعاليوا ، فحذفت ضمة الياء لثقلها عليها ، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين ، و« يستغفر» فعل مضارع من باب الاستفعال مجزوم بشرط مقدم لوقوعه بعد الامر ، و« رسول الله » فاعل الفعل ، و « لوّوا » فعل ماض لجمع الغيبة من باب التفعيل ، أصله : لوّيوا و الكلام فيه هو الكلام فى « تعالوا » و «رؤسهم» جمع رأس مفعول به اضيف إلى ضمير المنافقين و « رأيتهم » ضمير الجمع فى موضع نصب مفعول به ، و الفعل تعدى إلى مفعول واحد لانه بمعنى : أبصرت ، و« يصدون » فعل مضارع على حذف المفعول به و الظرف أى يصدون الناس عن سبيل الله ، و« هم » مبتداء . و « مستكبرون » اسم فاعل من باب الاستفعال خبره .

٦- (سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفرالله لهم ان الله لايهدى القوم الفاسقين)

فى« سواء » وجوه: أحدها ـ خبر عما قبلها، وما بعدها فاعل لان سواء فى الاصل مصدر بمعنى مستو. ثانيها ـ خبر عما بعدها . ثالثها ـ مبتداء وما بعدها خبر

« أستغفرت » فعل ماض من باب الاستفعال على حذف همزة الوصل إذ كان الاصل : أإستغفرت ، فحذفت همزة الوصل ، وبقيت همزة التسوية .

« أم » متصلة وجملتا طرفيها فى تأويل الافراد ، وذلك لان « ام » المتصلة على ضربين : احدهما ـ أن تتقدم عليها همزة التسوية كالاية في المقام .

ثانيهما ـ ان تتقدم عليها همزة يطلب بها وبأم التعيين نحو : أزيد فى الدار ام عمرو .

وانما سميت فى النوعين متصلة لان ما قبلها وما بعدها لايستغنى باحدهما عن الاخر ، و« ام » الواقعة بعد همزة التسوية لاتحتاج إلى جواب لان المعنى معها ليس على الاستفهام ، وان الكلام معها قابل للتصديق والتكذيب لانه خبر ،وأنها لاتقع الاّ بين جملتين ، ولاتكون الجملتان معها الاّ فى تأويل المفردين .

٧- (هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لايفقهون)

« هم » فى موضع رفع على الابتداء راجع إلى القوم الفاسقين ، و « الذين » موصولة ، و « يقولون » صلتها على حذف المقول له اى يقولون للانصار ، والجملة خبر المبتداء والجملة فى موضع نصب نعت من « القوم الفاسقين » و « لا تنفقوا » فعل مضارع مجزوم بحرف النهى على حذف المفعول اى لاتنفقوا أموالكم . . .

« حتى » للغاية ، و « ينفضوا » فعل مضارع منصوب بـ « أن » مقدرة من باب الانفعال على حذف المفعول أى يتركوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم او على حذف الظرف أى حتى يتفرّقوا عن حوله ، و « لله » متعلق بمحذوف خبر مقدم ، و « خزائن » جمع خزينة مبتداء مؤخر أضيفت إلى « السموات » « والارض » عطف على « السموات » و « لكن » حرف استدراك ، و « المنافقين » اسمها ، و « لايفقهون » فى موضع رفع خبرها على حذف المفعول أى لايفقهون حقيقة الامر و وجه الحكمة فى ذلك .

٨ـ (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعـز منها الاذل و لله العزة ولرسوله وللمومنين ولكن المنافقين لايعلمون)

« لئن » اللام للتوطئة ، و مدخولها حرف شرط و « رجعنا » فعل ماض للتكلم مع غيره ، و « إلى المدينة » متعلق بفعل الرجوع و « ليخرجن » اللام لجواب القسم المقدر ، ومدخولها فعل مضارع من باب الافعال مؤكد بنون التقيلة ، و « الاعز » أفعل تفضيل فاعل الفعل ، و « منها » متعلق بفعل الاخراج ، والضمير راجع إلى « المدينة » و « الاذل » أفعل تفضيل مفعول به .

« و لله » الواو مستأنفة و « لله » متعلق بمحذوف خبر مقدم ، و « العزة » مبتداء مؤخر ، « ولرسوله وللمؤمنين » معطوفان على « لله » و « لكن » حرف استدراك ، و « المنافقين » اسمها ، و « لايعلمون » فى موضع رفع خبرها على حذف المفعول به أى لايعلمون ذلك .

٩ـ (يا ايها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولاأولادكم عن ذكرالله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون)

« لا تلهكم » فعل مضارع مجزوم بحرف النهى ، وضمير الخطاب فى موضع

نصب مفعول به ، و «أموالكم »فاعل الفعل ، و «عن ذكرالله » متعلق « بفعل الالهاء « و من » الواو تحتمل الحال والاستيناف،ومدخولهاشرطية و « يفعل » فعلمضارع مجزوم بكلمة الشرط ، و « ذلك » فى موضع نصب مفعول به ، و « فاولئك »الفاء جزائية ، ومدخولها مبتداء ، و« هم »ضمير فصل ، ويحتمل أن يكون مبتداءثان « و الخاسرون » خبره ، والجملة خبر لمبتداء الاول ، والجملة جزائية .

١٠- (وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن ياتى احدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فاصدق واكن من الصالحين)

الواو عاطفة ، ومدخولهافعل أمرمن بابالافعال عطف على الجملةالمنهية « لا تلهكم » و « من » فى « مما » تبعيضية ومدخولها موصولة ،و« رزقنا » فعل ماض للتكلم مع غيره ،و« كم » فى موضع نصب مفعول به والجملة صلةالموصول « أحدكم » مفعول به مقدم على الفاعل وهو « الموت » و « فيقول » عطف على « أن يأتى » وفى « لولا » وجهان :

أحدهما ــ بمعنى « هلا » فيكون استفهاماً .

ثانيهما ــ ان « لا » صلة فيكون الكلام بمعنى التمنى ، و « أخرتنى » فعل ماض للمفرد المذكر من باب التفعيل ، والنون للوقاية والياء للتكلم وحده ، و « قريب » نعت من « أجل » .

« فاصدق » منصوب بتقدير « أن » لدخول فاء السببية على الفعل الواقع بعد الطلب ، وهوالرجاء المفهوم منقوله تعالى : « لولا اخرتنى » وأصل أصّدق: أتصدق فعل تكلم مع وحده منالفعل المضارع منباب التفعل ، فقلبت التاء صاداً، وادغمت فى الصاد ، وفى « اكن » وجوه :

أحدها : مجزوم بالعطف على موضع « فاصدق » لانه فى موضع جزم على جواب التمنى .

ثانيها ــ : مجزوم حملا على المعنى أى إن أخرتنى اكن .

ثالثها ــ : مجزوم على وهم أن الاول مجزوم ، كأنّه قال : ان أخّرتنى

اصدق وأكن .

رابعها ـ : مجزوم لانه واقع فى حيزجواب الشرط المفهوم من قوله تعالى « لولا أخرتنى الخ » فهوبمعنى « لولا أخرتنى إلىأجل قريب فاصدق وان اصدق اكن من الصالحين » .

وهذا الاسلوب من النظم لايكون فى غير القرآن ، ونظمه المعجز الذى يملك بسلطانه التصريف فى الكلمات ، كما يملك سبحانه بقدرته التصريف فى كل شيء . . فلقد تسلط اسلوب الطلب : « لولا أخرتنى إلى أجل قريب » تسلطاً على الفعلين : أصدق واكن . . . جاعلا الفعل الاول مسبّبا عنه ، وجاعلا الفعل الثانى جواباً له .

والسئوال هنا : ما الحكمة من مجيء النظم فى الاية على هذا الاسلوب ؟ ولماذا لم يجيء الفعلان الواقعان فى حيز الطلب ، منصوبين معاً ، او مجزومين معاً ؟ وما سر هذه التفرقة بين الفعلين ، فيكون أحدهما مسبباً على حين يكون الاخر جواباً ؟

نقول ـ والله أعلم ـ : ان هذاالاختلاف بينالفعلين ، هو اختلاف فىأحوال النفس ، و تنقلها من حال الى حال ، فى هذا الموقف المشحون بالانفعالات والازمات . . فالموت حين يحضر هذا الانسان الذى يدافع الايام بالتسويف والمماطلة فى الرجوع إلى الله ، وعمل الصالحات ـ هذا الموت المطل على هذا الانسان ، يردّه الىصوابه ، ويوقظه من غفلته ، ولكن ذلك يكون بعد فوات الأوان ، وقد بلغت الروح الحلقوم ، فلا يجد هذا الانسان بين يديه الا الامانى ، والا الرجاء فيقول : « رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فاصدق » ان ذلك هو أقصى أمانيه وهو غاية مطلوبه . . ثم يخيل اليه من لهفته وشدة حرصه على هذا المطلوب أنه ـ وقد تمناه ـ أصبح دانياً قريباً ، وانه قد استجيب له فعلا ، وأن يد الموت قد تراخت عنه قليلا إلى أجل . .

وهنا ينطلق مع هذا الامل فرحاً مستبشراً . . انه الآن يستطيع أن يتصدق . .

وانه ان يتصدق يكن من الصالحين ، الذين يفوزون برضا الله ورضوانه . . ولهذا يخرج من باب الاماني ليدخل في باب العرض والطلب . . ان تؤخرني إلى أجل قريب أكن من الصالحين . . ولكن هذه الفرحة سرعان ما تختفي وتغرب شمسها من نفسه اذ يجيىء قوله تعالى : « ولن يؤخر الله نفساً إذ جاء أجلها » فيرده هذا إلى مواجهة الموت الذى خيّل إليه انه فرّ من بين يديه ! انّه حلم لحظة في صحوة الموت او غيبوبته ، سرعان ما يذهب كما تذهب الاحلام ...

وتحرير معنى الاية ـ على هذا المفهوم الذى فهمناها عليه هو : هلاأخرتني إلى أجل قريب فاصدق . . وإن اصدق اكن من الصالحين الناجين من هذا الهول العظيم الذى يطلّ بوجهه من قريب .

١١- (ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون)

«لن» حرف نفي للتأبيد ، و «يؤخر» فعل مضارع من باب التفعيل ، و « الله » فاعل الفعل ، و « نفساً » مفعول به ، والجملة في معنى الجزاء المتقدم ، و « اذا » شرطية ، و « جاء » فعل ماض ، و « أجلها » فاعل الفعل ، والضمير راجع إلى النفس .

« والله » الواو حالية ، و « الله » مبتداء ، و « خبير » خبره ، والجملة في موضع نصب على الحال من ضمير « أحدكم » وقيل : عطف على أول الكلام ، و يفيد فائدة التعليل ، والمعنى : لا تتلهوا وانفقوا فان الله عليم باعمالكم يجازيكم بها ، و « بما » متعلق بـ « خبير » والمجرور موصولة و « تعملون » صلتها على حذف العائد أى تعملونه .

﴿ البيان ﴾

١ـ (اذا جاءك المنافقون قالوانشهدانك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون)

قوله تعالى : « اذا جاءك ـ إلى ـ لرسول الله » حكاية لما كان المنافقون يؤكدونه مرة بعد اخرى للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم اذا جاؤا إليه من ايمانهم برسالته صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء بهم .

وفى التأكيدات دلالة على انهم كانوا كاذبين منافقين ، وانما يفعل ذلك من هو متهم فيما يخبر به عند نفسه متهم عند الناس ، وان المؤمن حقاً لا يجد فى نفسه ما يحمله على أن يعلن فى كل وقت عن ايمانه ، فهو منذ آمن عرف فى الناس بانه من المؤمنين ، فلا يحتاج بعد هذا إلى أن يردد على الاسماع مبادئاً كل من يلقاه بانه مؤمن ، فان الصادق فى قوله لايحتاج إلى أن يبر رصدقه بالحلف او توكيد ما يخبر به ، وخاصة اذا كان المخاطب هو الله تعالى العالم بالخفايا ، أو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

فالمنافقون ما كانوا مؤمنين بان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو رسول الله اذ لو كانوا على الايمان بانه رسول الله لماوقع النفاق فى قلوبهم ، ولهذا فهم لكى يبرؤا أنفسهم من تهمة النفاق التى يتهمون بها أنفسهم قبل أن يتهمهم أحد يبادرون إلى لقاء النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مؤكدين له بانهم يشهدون انه رسول الله : « انك لرسول الله » .

عن علماء المعانى : ان المراد بقول المنافقين : « نشهد انك لرسول الله » شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم كماينبئى عنه « ان » و « اللام » وكون الجملة

اسمية مع تصديرها بمايجرى مجرى القسم وهوالشهادة ، فكذبهم الله تعالى لاجل علمه بعدم المواطأة .

« والله يعلم انك لرسوله » تحقيق وتثبيت من الله تعالى لرسالة نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وانما اورده مع ان وحي القرآن وخطابه تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم كان كافيا فى تثبيت رسالته صلى الله عليه وآله وسلم ليكون قرينة مصرحة على انهم كانوا كاذبين من حيث انهم لا يعتقدون بما يقولون ، وان كان قولهم فى نفسه صادقاً ، فهم كاذبون فى قولهم كذباً مخبرياً لا خبرياً ، ففائدة اقحام قوله : « والله يعلم انك لرسوله » التنصيص على التأويل المذكور ، وإلا أمكن ذهاب الوهم إلى ان نفس قولهم : « انك لرسول الله » كذب ، مع انه لوقال : « قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون » لكان يوهم ان قولهم هذا كذب ، وليس المراد ان شهادتهم هذه كذب بل المراد انهم كاذبون فى غير هذه الشهادة أيضاً .

« والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » ردّ على المنافقين وتكذيبهم على شهادتهم وتقرير لكذبهم فى مقالتهم التى حدّثوا بها ، فالمراد بالكذب هوالكذب المخبرى لا الكذب الخبرى .

وفى الاظهار موضع الاضمار لذمهم بالنفاق والاشعار بالعلة .

قيل: الصدق و الكذب على قسمين : صدق مخبرى ، و صدق خبرى ، و كذب مخبرى ، و كذب خبرى و ذلك ان الكذب : هو عدم مطابقة الخبر للخارج فهو وصف الخبر ، وقد يعتبر فى الكذب عدم مطابقة الخبر بالنسبة إلى اعتقاد المخبر ، فهو وصف للمخبر ، فالاول كذب خبرى والثانى كذب مخبرى وكذلك الصدق ، فيقال :فلان كاذب اذا لم يطابق خبره الخارج ، وفلان كاذب اذا اخبر بما يخالف اعتقاده .

وقيل: ان المراد بقوله تعالى : « والله يشهد انهم لكاذبون » عند أنفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم :« انك لرسول الله » كذب و خبر على خلاف ماعليه حال المخبر عنه ، وهذا مذهب الجاحظ ، خلاف ماعليه الجمهور : ان مرجع

كون الخبر صدقاً او كذباً إلى طباق الحكم للواقع اولاطباقه ، ولهذا أولوا الاية بما أولوا ، وهو ان التكذيب توجه إلى ادعائهم ان قولهم قول عن صميم القلب ، ومما يدل على ان مرجع كون الخبر صدقاً الى ماقلنا لا إلى طباقه اعتقادالمخبر اوظنه ، ولا إلى عدم طباقه لذلك الاعتقاد والظن تكذيبنا اليهودى اذا قال : الاسلام باطل مع انـه مطابق لاعتقاده ، وتصديقنا لـه اذا قال : الاسلام حق مع انه غير مطابق لاعتقاده .

وقيل: ان الشهادة وإن كانت صدقاً فى الواقع ، ولكنها لما كانت من افواه من غير اعتقاد كانت سراباً خادعاً ، ولهذا جاء قوله تعالى: « والله يعلم انك لرسوله » ليقيم مكان قولهم الزائف قولة الحق من الحق تعالى فى رسوله ﷺ ولهذا أيضاً وقع التطابق اللفظى بين قولهم : « انك لرسول الله » وقوله تعالى : « انك لرسوله » « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » .

وقوله تعالى : « والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » هو فى مقابل قولهم : « نشهد انك لرسول الله » فقد شهد الله عليهم بانهم كاذبون حقيقة ما يقولون اذ كانوا يقولون مالا يعتقدون به ، وكان مايجرى على ألسنتهم مكذباً لما فى قلوبهم .

٢ ـ (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون)

تكذيب على المنافقين لما كانوا يتظاهرون من غير اعتقاد وايمان به ، و إشارة إلى سبب الاية التى نزلت عليهم ، وتقرير لكذبهم بانهم انما يتخذون أيمانهم ستراً لحقن دمائهم وحفظاً لاموالهم ، ووقاء من الفضيحة والنكال ، وذريعة إلى صد الناس عن سبيل الله تعالى ، واحتيالهم على تصديق الناس لهم بكل يمين محرجة كما تدل عليه كلمة الأيمان : جمع يمين أضيفت إلى انفسهم .

الجنة : السترة المتخذة لدفع الاذية كالسلاح المتخذ لدفع الجراح ، و المراد بها كل ما يتقى به من باب الاستعارة .

قيل : فى اليمين الكاذبة اشارة الى قولهم : « نشهد » لان الشهادة تجرى فى

إفادة التأكيد مجرى الحلف .

قوله تعالى : « فصدّوا عن سبيل » تعقيب على اتخاذهم أيمانهم الكاذبة ستراً ووقاءاً ، لمكان فاء السببية ، وتقرير لجريمة اخرى صادرة منهم ، وهى اضلال الناس وصدّهم عن طريق الحق . طريق الدين الاسلامى ، طريق الهدى والرشاد ، طريق الفطرة البشرية ، وطريق السعادة والكمال الانسانى .

وفى حذف المفعول تعميم وتنبيه الى انهم فى صميم صدّ كل من كان على غير طريقهم ومن كان على طريقهم عن طريق الحق .

« انهم ساء ما كانوا يعملون » تقبيح لما يعملون ، ووبال ما يصنعون لان أعمال سيئة لا تعقب الا سوءاً ولا تجرّ على أصحابها الا حسرة وندامة .

٣- (ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون)

تقرير لواقع المنافقين ، واعلام من الله تعالى بانهم كفروا بعد ايمانهم ، و تعليل صريح لطبع قلوبهم ، وهو الكفر بعد الايمان ، فكان ذلك مظهراً لخبث سريرتهم وسوء نيتهم .

قيل : ان تسئل : ان المنافقين ما برحوا على الكفر فكيف قال تعالى : « ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا » ؟

تجيب : ان المعنى : ذلك الكذب الذى حكم عليهم به ، أو ذلك الاخبار عنهم بانهم ساء ما كانوا يعملون بسبب انهم آمنوا بالسنتهم « ثم كفروا » بقلوبهم « فطبع على قلوبهم » كما قال تعالى فى وصفهم : « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا إلى شياطينهم » الاية . . البقرة : ١٤) او المراد به أهل الردة منهم « ذلك » فى معنى البعد فيها مع قرب العهد بالمشار اليه اشعار ببعد منزلته فى الشر ، وبعد شهادته عن الحق ، وبعد عمله عن الصلاح .

« فطبع على قلوبهم » تفريع طبع القلوب على الكفر دليل على ان سبب الطبع باختيار الانسان ، وإن امتنعت القلوب بعد الطبع عن قبول الحق ، ولكن

الامتناع بالاختيار لاينافى الاختيار .

« فهم لا يفقهون » تفريع عدم الفقه على طبع القلوب دليل على ان الطبع ختم على القلب يستتبع عدم قبوله لورود كلمة الحق فيه ، فهو آئس من الايمان محروم من الحق .

٤ـ (واذا رايتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هـم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون)

وصف تنديدى للمنافقين ، وتصوير لهم صورة تمثل ظاهرهم وباطنهم ، فهم متجملون فى ظاهرهم ، ساعون فى تزويق هذا الظاهر ، وفى طلائه بالالوان الزاهية ، حتى يخدع الناس عن باطنهم الذى يعلمون هم فساده أكثر من غيره ، ولهذا يبالغون فى تسوية مظهرهم ، وفى تجميله حتى يستروا بهذا الزيف ما يخفى باطنهم ، وحتى يغطّوا بهذا البخور الذى يطلقونه على هذا العفن الذى يفوح منهم .

وهم رغم ماهم عليه من جسامة ووسامة تروقان للناظر إليهم ، ومايقولونه من أقوال تعجب السامع له كالخشب المسندة فاقدون كل روح وعقل وقلب وايمان .

قوله تعالى: « واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم » تقرير لما تقع عليه من ظاهر المنافقين فيما يبدو من تسوية هندامهم وحسن زيهم . وان الخطاب وإن كان للنبى ﷺ ولكنه عام يشمل لكل من رآهم وسمع كلامهم لكونهم فى أزياء حسنة وبلاغة من الكلام .

وقوله تعالى : « وإن يقولوا تسمع لقولهم » بيان لما يتجمّل به حديثهم من طلاوة الاسلوب ، وتأنق العبارة ورقة اللفظ ، وهذا ضرب من الخداع والتزييف حيث يدسّ السم فى العسل ، وحيث تروج العملة الزائفة بلمعانها وبريقها .

وقوله تعالى : « كأنهم خشب مسندة » وصف للمنافقين بالجبن والذلة وذم لهم بحسب باطنهم ، واشارة إلى ان هذا الذى يبدو من المنافقين من حسن

المظهر ، ورقة الكلام ، ونعومة اللفظ لا يعدو هـذا الظاهر من القوم انهم أشبه بالخشب المسندة لاحياة فيها ، ولاوزن لها ، وان زينت بالحلى و كسيت بالحرير . .

ثم ان المنافقين ، وان بدوا فى ظاهرهم على صورة واحدة فانهم أشتات متفرقون فى حقيقتهم لا تجمعهم مشاعر الود ، ولا تؤلف بينهم صلات هذا المعتقد الفاسد الذى يدينون به تماماً كالخشب المسندة كل كتلة منها قائمة إلى جوار غيرها لا تشعر بها ولا تحس بوجودها فشبهوا فى استنادهم ـ وماهم الا أجرام فارغة عن الايمان والخير ـ بالخشب المستندة إلى الحائط ، ويحتمل أوتكون الخشب أصناماً منحوتة شبهوا بها فى حسن صورهم وقلة جدواهم .

ومن المحتمل : أن يكون وجه التشبيه مجرد عدم الانتفاع لان الخشب المنتفع بها هى التى تكون فى سقف او جدار أو غيرهما ، فاما المسندة الفارغة المتروكة فلا نفع فيها ، فعلى هذا لايكون لتخصيص الخشب بالذكر فائدة لاشتراكها فى هذا الباب مع الحجر والمدر المتروكين وغيرهما .

وقوله تعالى : «يحسبون كل صيحة عليهم» هذا ذم آخر لهم ووصف بالجبن والهوان ، كاشف لما يموج به باطنهم من وساوس وتصورات لا تقيمهم أبداً الاعلى فزع وتخوف لانهم دائماً متلبسون بجرائم من الكذب والبهتان ، فهم لهذا مطاردون من أنفسهم يريدون الافلات من قبضة هذه المشاعر المستولية عليهم ، ولهذا أيضاً تراهم على حذر وتوقع لتلك الايدى الكثيرة الممتدة إليهم تحاول أن تدهمهم فى أية لحظة . . « يحسبون كل صيحة عليهم » سواء اتجهت إليهم اولم تتجه وسواء أكانوا هم المقصودين بها أم غيرها . . وهكذا المجرم لايفارقه أبداًوجه جريمته فى يقظة أو منام .

وقوله تعالى : « هم العدو » اخبار من الله تعالى بعداوة المنافقين للنبى الكريم ﷺ وللمؤمنين حقيقة : خبر كاشف عن حقيقتهم ، وانهم على مايبدو منهم من ظاهر مغلّف بالتلطف والتودد ـ هم العدو الذى تتجسم فيه العداوة كلها حتى لكأنهم العدو وحدهم للنبى ﷺ والمؤمنين دون غيرهم ، و دون الناس جميعاً ، كما تدل كلمة « العدو » إفراداً على ذلك .

وقيل : هذا من باب اطلاق المفرد ، وإرادة الجمع .

وقوله تعالى : « فاحذرهم » تعقيب على الخبر المتقدم عن المنافقين ،لان الفاء لترتيب الامر بالحذر على كونهم أعدى الاعداء ، فكأنه لاشأن لعداوة غيرهم تجاه عداوتهم ، فاذا علم انهم هم العدو الذى يخفى وراء ظاهره كيداً ، و يضمر فى باطنه سوءاً ، فيجب الحذر منهم ، والحيطة من الامان لهم ، والاتهام لكل قول يقولونه اوودّ يظهرونه .

وقوله تعالى : « قاتلهم الله » دعاء على المنافقين يحمل التهديد لهم من الله تعالى أن يلعنهم ويخزيهم ، أى أحلهم الله جل وعلا محل من قاتله عدو قاهر ،فهم فى عرضة النقمة من الله عزوجل ، وان حرباً من الله أعلنت عليهم ، و انه ليس وراء حرب الله لهم الآ الهلاك والدمار ، والآ الخسران والنار ، ودعاء عليهم بالقتل وهو أشد شدائد الدنيا ، و كان استعمال المقاتلة دون القتل للدلالة على الشدة ، او تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك اى ادعوا عليهم بهذا .

وقوله تعالى : « أنى يؤفكون » استفهام تعجيبى من حالهم يراد به التوبيخ و التقريع والانكار عليهم لهذا الطريق أخذوه إلى مواقع الضلال أى كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل ، عن الايمان إلى الكفر ، عن الهدى إلى الضلال ، عن الصلاح إلى الفساد ، وعن السعادة والكمال إلى الشقاء والانحطاط . .

٥- (واذا قيل لهم تعالـوا يستغفرلكم رسول الله لووا رؤسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون)

حكاية لما كانوا يقابلون به الدعوة الى المجيء إلى رسول الله ﷺ للاعتذار

والاستغفار حيث يلوون رؤسهم ويرفضون استكباراً ، فان قوله تعالى : « لووا رؤسهم » كناية عن التكبر والاعراض كما يفصح عن ذلك قوله جل وعلا : « و رأيتهم يصدون وهم مستكبرون »

٦- (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفرالله لهم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين)

رد تنديدى على المنافقين ، وتيئيس لهم ، وإشارة إلى خروجهم عن دائرة الاهتداء ، وتطمين النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين: فسواء استغفر لهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم أم لا ، فلن يغفرالله لهم لانه لايمكن أن يوفق الفاسقين أمثالهم و يرضى عنهم ، فانهم ماجاؤا إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم الا على طريق من نفاق ، و لا تحدثوا إليه بألسنة منافقة .

وتساوى الاستغفار وعدمه كناية عن عدم إفادته فائدة مطلوبة منه .

وقوله تعالى : « لن يغفرالله لهم » دفع دخل كأن قائلا يقول : لما ذا يتساوى الاستغفار لهم وعدمه ؟ فاجيب لن يغفرالله تعالى لهم .

وقوله تعالى : « ان الله لايهدى القوم الفاسقين » فيه تعليق الحكم المنفى على الصفة الثابتة مشعراً بالعلية بان الفسق مانع من الهداية لان الفاسق خارج عن دائرة الاستصلاح للهداية .

٧- (هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لايفقهون)

حكاية لاقوال صدرت منهم حيث كانوا يحرضون على عدم الانفاق على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومساعدتهم حتى ينفضوا من حوله ، وهم حينما يقولون : لاتنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غاب عنهم ولم يدركوا ان خزائن السموات والارض هى لله جل وعلا .

قوله تعالى : « هم الذين يقولون لاتنفقوا » مستأنف سيق لبيان علامة من علائم الفسق لن يترتب على متصفه المغفرة ، وإضافة « رسول » إلى « الله » تشريف

وتعظيم له صلى الله عليه وآله وسلم

وقوله تعالى : « ولله خزائن السموات والارض » ردّ وإبطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدى إلى انفضاض الفقراء من حول النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ببيان ان خزائن الارزاق بيدالله تعالى خاصة يعطى من يشاء ويمنع من يشاء .

قيل : هذه استعارة فان المراد بخزائن السموات و الارض مواضع أرزاق العباد من مدارّ السحاب و مخارج الاعشاب ، وما يجرى مجرى ذلك من الارفاق وقال بعضهم :المراد بالخزائن ههنا مقدورات الله تعالى لان فيها كل مايشاء اخراجه من مصالح العباد ومنافع البلاد .

وقوله تعالى : « ولكن المنافقين لايفقهون » تسفيه لهم بانهم جاهلون بسنن الله تعالى فى خلقه اذ نفى عن المنافقين الفقه أولا ، وهو معرفة غوامض الاشياء ثم نفى عنهم العلم رأساً كأنه قال : لافقه لهم بل لاعلم اونقول : ان معرفة كون الخزائن لله تعالى مما يحتاج إلى تدبر و تفقه لمكان الاسباب والوسائط و الروابط المفتقرة فى رفعها من البين إلى مزيد توجه و كمال نظر ، فاما كون الغلبة والقوة لدين الاسلام فذلك بظهور الامارات وسطوح الدلائل بلغ مبلغاً لم يبق فى وقوعه شك لمن به أدنى مسكة وقليل علم ، فلا جرم أوردَ فى خاتمة كل آية مايليق بها ، وعن بعض الصالحات و كانت فى هيئة رثة ألست على الاسلام وهو العز الذى لاذل معه والغنى الذى لافقر بعده .

٨- (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون)

اخبار من الله تعالى بما يقاوله المنافقون بينهم ، و ماكانوا فى صميم عند المراجعة من السفر ، وردّ عليهم وتسفيه لهم ، فانهم أرادوا بمقالهم تهديد النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين باخراجهم من المدينة بعد المراجعة إليها ، اذ قالوافى سفرة من السفرات انهم ان رجعوا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ، و كانوا يعنون بالقول انهم هم الاعز ، وان النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه هم الاذل ، و هم حينما

يقولون ليخرجن الاعز منها الاذل غاب عنهم ، ولم يعلموا ان العزة انما هى لله تعالى ورسوله والمؤمنين .

قوله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » رد على المنافقين مقالهم وقصر العزة فى نفسه تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والمومنين ، فلا يبقى لغيرهم الا ذلة و هوان ، و ان الجملة مطلقة تظل مستمرة التلقين بما يوجده الايمان فى نفس المؤمن من القوة ، وتظل كذلك مستمرة فيض يستمد منه المسلمون شعور العزة ، ويحضرهم إلى إباء كل ضيم وهوان ، واعتبارهما متنافيين مع ماقرره لهم القرآن من عزة و كرامة واستعلاء .

قوله تعالى : « ولكن المنافقين لايعلمون » نفى العلم عنهم بعد مانفى الفقه عنهم ، فلم يبق لهم الا سفه وجهالة كما لم يبق لهم الا ذلة وهوان .

٩- (ياايها الذين آمنوا لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون)

فصل جديد خطاب شامل للمؤمنين فى كل وقت ومكان ليكون ذلك خطتهم المثلى التى لابد أن يسيروا عليها : وتحذيرهم من بعض صفات يورث النفاق من إلهاء أموالهم وأولادهم لهم عن ذكر الله تعالى أى لاتشتغلوا باموالكم و اولادكم كما فعل المنافقون اذقالوا - شحاً باموالهم و تفاخراً باولادهم - : لاتنفقوا على من عند رسول الله ، وحثهم على مافيه ايمان ويقين وطمأنينة من ذكر الله تعالى فى كل حال بحيث لايشغلهم عنه التصرف فى الأموال ، والسرور بالاولاد اذ كل ما سوى الله حقير فى جنب ما عند الله تعالى .

قوله تعالى : « ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون » وعيد شديد مطلق مستمر المدى شامل لكل من كان هذا شأنه فانه من الخاسرين .

١٠- (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين)

حث للمؤمنين على الانفاق اطلاقاً فى وجوه البر خاصة ، قبل فوات الاوان

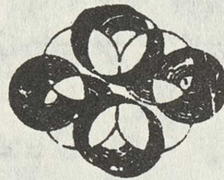
حين يهجم الموت على غرة اودون انذار سابق ، وعلى المبادرة بطاعة الله تعالى و الاعداد لليوم الآخر عامة ، وهم فى فسحة من الوقت والعمر ، وقبل أن يداهمهم الموت ، فيندموا ويتمنوا على الله تعالى أن يؤخر أجلهم حتى يتصدقوا ويكونوا من الصالحين .

قوله تعالى : « لولا اخرتنى إلى أجل قريب» فى تقييد الاجل بالقريب إشعار بانه قانع بقليل من التمديد ـ وهو مقدار ما يسع الانفاق من العمر ـ ليسهل اجابته ، ولان الاجل أيا ما كان فهو قريب .

١١ـ (ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون)

تأييس لهم من استجابة دعاءمن يتمنى تأخير الاجل بعد حلوله ، والموت بعد نزوله وظهور آيات الاخرة ، وتنبيه لهم بان الندم والتمنى لن يجد ياهم شيئاً لان الله تعالى لن يؤخر نفساً اذا جاء أجلها ، وتحذير وانذار لهم بانه تعالى رقيب عليهم فى كل ما يأتون وما يذرون وانه جل وعلا لخبير بنوا ياهم وأعمالهم .

قوله تعالى : « والله خبير بما تعملون » يفيد التعليل لما تقدم فتدبر جيداً



﴿ الاعجاز ﴾

ان هذه السورة تصف المنافقين نحو عشرين صفة من ذميم الصفات ، وتخبر عن المغيبات الماضية والآتية بمافى واقعهم ، قد خرست ألسنتهم تجاهه ، واضطربت مشاعرهم ، واختلطت أفكارهم وتبلد احساسهم ، وطاش صوابهم . .

فمايدرون ماذا يقولون أويفعلون حتى اذا أفاقوا شيئاً من ذهولهم ، جعلوا يضربون ضربات طائشة ، ويهذون هذياناً محموماً اذكان عليهم أن يفعلوا شيئاً ـ أى شيء ـ ليدفعوا هذا القضاء الذى لا يملك أحد دفعه . . شأن الغريق وقد احتواه الماء ، وجرفه التيار، انهم يضربون بأيديهم وأرجلهم ضربات طائشة يائسة وان كانوا على يقين انهم من المغرقين .

ففضحتهم السورة فضيحة مجلجلة ، وضبطتهم متلبسين بهذا الكيد الصبيانى و كشفت تدبيرهم هذا على الملأ ، فجائت به على أعين الناس ، ثم طلعت عليهم بقول الله تعالى على لسان نبيه الكريم ﷺ :

« اذا جاءك المنافقون قالوانشهد انك لرسول الله ـ والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله ـ يحسبون كل صيحة عليهم ـ واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم لوّوارؤسهم ـ هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله ـ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل » .

فداروا هؤلاء المنافقون باعينهم هنا وهناك ، فلم يجدوا شيئاً يلقون به تلك الاخبار ، ويفتحون أفواههم بحديث يعترض على هذه المغيبات : ماضيها و آتيها . . . بل خرست الالسنة وخضعت الاعناق ، وانكفأت الرؤس ، وهمدوا همود

الاموات ، اذقامت عليهم الحجة، وبهم تحققت المعجزة، فكانواهم زللاً فى الرأى، وقليلى نظر فى العاقبة ، وانما كانت الزلة مع العجلة إذنفخوا بافواههم فى هذا النور الذى كان يمدّ أنفسهم بالهدى والحياة ، بالسعادة و الكمال ، و بالعزة و الجلال ... فأرادوا باطفاء ه فضلّت أنفسهم وشردت شروداً لايجدونها بعده أبداً .

فبهذه النفوس الضالة الضائعة الخاسرة استقبل المنافقون دعوة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، فهم لايؤمنون بها لانهم خسروا أنفسهم من قبل أن يلتقوا بهذه الدعوة وهم من أجل هذا لايؤمنون به ، وكانوا يضمرون له صلى الله عليه وآله وسلم العداوة ، ويتربصون به وبالمسلمين الذين استجابوا له صلى الله عليه وآله وسلم دوائر السوء .

فهؤلاء المنافقون هم الذين كندت نفوسهم ، وأظلمت قلوبهم وعقولهم لن يذعنوا للحق أبداً ، وإن جاءهم مجيء الشمس فى رائعة النهار لانهم خرجوا عن طريق الهدى وابتعدوا تمام البعد « ان الله لايهدى القوم الفاسقين » والفسق :هو الصفة التى تصف السورة بها المنافقين : هو الخروج من حال إلى حال ، وهم قد فسقوا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قلباً وإن شهدوا لساناً ، فخرجوا بذلك من الايمان إلى الكفر ، من الهدى إلى الضلال ، من النور إلى الظلمات ، من الحق الى الباطل ، ومن الصواب إلى الخطأ . . .

وقد أفحمت السورة هؤلاء الاغبياء الذين يجعلون حساب الأنسان فى الانسانية ، وحظه من الكمال البشرى مقدراً بما بين يديه من أموال كثيرة ورجال جسمية ، وجاه ومقام واشتهار ، دون نظر إلى تلك المعانى السامية فى الانسان.. المعانى التى تتصل منه بمعالم الحق : من صدق وايمان وأمانة وعفة وايثار ، و إلى غير ذلك مما تخف إزاء الدراهم المعدودة منه موازين القناطير المقنطرة من مال وولد وحطام . . .

وفى اختتامها تملاء قلوب المؤمنين أمناً فى مجال الروع والفزع يثبت بها الاقدام على الحق فى مواطن الجبن والخور ، وفى مواقف الخزى والهوان ، و دعتهم إلى مافيه الصلاح والكمال من ذكر الله تعالى الذى تاوى إليه النفوس ، و

تسكن عنده الارواح ، وتطمئن به القلوب . . .

ثمّ تأمل عجيب نظم هذه السورة واسلوبها ، واختتام آيها بصيغ الجمع المختتمة بالنون : خمسة منها بصيغ جمع اسم الفاعل ـ لكاذبون ، مستكبرون ، الفاسقين ، الخاسرون والصالحين .

وستة منها بصيغ جمع المستقبل ـ يعملون ، لايفقهون ، يؤفكون ، لايفقهون لايعلمون وتعملون .

وقد جاء القرآن الكريم منفرداً بنظمه بهذا الاسلوب الفريد العجيب من النظم . . اذ كانت العرب تعرف الشعر الموزون المقفى ، وتعرف النثر المرسل كما تعرف النثر المسجوع ـ طبعاً لاتكلفا ـ في خطب الخطباء ومجاورة الحكماء او متكلفا في سجع العرافين والكهان . . ولكنما لم تعرف هذا الاسلوب الذي يأخذ فيه الكلام هذه السورة التي يقيم منه آيات تختتم فيه كل آية بفاصلة ذات نغم ورنين ، فيجد الصدر لذلك راحة عند الوقوف عليها ، والذي ينظر إليه في مثل هذه الفواصل أن تقع الفاصلة موقعها الذي يقتضيه المعنى أتم اقتضاء . .

وهذا في القرآن الكريم على أتم صورة وأكملها ، فلم يكن في اقامة الفاصلة على الوجه الذي تتوازن أو تتوازى فيه مع غيرها جور على المعنى من بعيد او قريب .

ومن عجيب نظم القرآن : وضع الكلمة بموضعها الذي هي له . . بحيث لو قدمت أو أخرت لذهب شيء كثير مما كان لما في اقامة المعنى على الوجه الذي أخرجه القرآن عليه من الكمال والدقة والروعة .

﴿ التكرار ﴾

سبع سور افتتحت بكلمة « اذا » دخلت اربعة منها على الفعل الماضى :

١ـ الواقعة ٢ـ المنافقون ٣ـ الزلزلة ٤ ـ النصر .

ودخلت ثلاثة منها على الاسم :

١ـ التكوير ٢ـ الانفطار ٣ـ الانشقاق .

وخمس سور يشتمل كل واحدة منها لاحدى عشرة آية وهى :

١ـ سورة الجمعة ٢ـ سورة المنافقون ٣ـ سورة الضحى ٤ـ سورة العاديات ٥ ـ سورة القارعة .

ونشير فى المقام إلى صيغ ست لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة ـ الصيغ التى جاءت فى هذه السورة ، وفى غيرها من السور القرآنية :

١ـ جاءت كلمة (النفاق) على صيغها فى القرآن الكريم نحو : ١١١مرة .

٢ـ جاءت كلمة (الصد) « « « : ٤٢ مرة .

٣ـ جاءت كلمة (الخشب) « « «: مرة واحدة :

وهى فى سورة المنافقون : ٤) .

٤ ـ جاءت كلمة (السند) « « « : مرة واحدة

وهى فى سورة المنافقون : ٤) .

٥ ـ جاءت كلمة (اللى) « « « : خمس مرات

١ـ ٢ـ النساء : ٤٦ ـ ١٣٥) ٣ـ ٤ ـ آل عمران : ٧٨ـ١٥٣) ٥ ـ المنافقون : ٥)

٦ـ جاءت كلمة (الفسق) « « « : ٥٤ مرة .

﴿ التناسب ﴾

ان البحث فى المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولا .

ثانيها ـ التناسب بينها وسابقتها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى: فان هذه السورة نزلت بعد سورة الحج ، فلما جاءت سورة الحج بدعوة الناس عامة إلى التوحيد والايمان بيوم البعث والحساب ، ورفع الشبهات العارضة عليهم عنهم فيها على طريقى الانذار والتدليل على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء ، وتوبيخ المشركين والكافرين على صدّ الناس عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ، ودفع شرهم عن المؤمنين وعن الاماكن المقدسة ، وبالتشكيك فى ايمان بعض الناس بانهم يعبدون الله تعالى على حرف فان أصابهم خير اطمأنوا به ، وان اصابتهم فتنة انقلبوا على وجههم ، وان قلوبهم قاسية ، وهم فى عرضة الفتنة والشقاق وانهم فى مرية حتى تأتيهم الساعة بغتة ، وبدعوة المؤمنين خاصة إلى العبادة لله وحده ، وإلى خير الافعال ، والجهاد حق جهاده ، والاعتصام بالله تعالى ، إذ من لم يكن مؤمناً لايصح عنه ذلك وان كان مكلفا عليه .

جاءت هذه السورة ـ المنافقون ـ بتفضيح المنافقين الذين كانوا يعبدون الله جل وعلا على حرف ، وتكذيبهم على ما كانوا يدّعون من الايمان وتقرير خبث سريرتهم وانطباع قلوبهم على الكفر ، ودسائسهم ومناوراتهم ، وصدّهم الناس عن سبيل الله ، وتحذير النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن مواقفهم وتحذير المؤمنين عما يوجب

النفاق من حب المال والولد يشغلهم عن ذكر الله تعالى وحثهم على الانفاق في وجوه الخير وهم في سعة من الوقت والعمر .

واما الثانية : فلما جاءت سورة الجمعة بذكر بعثة النبي الكريم ﷺ إلى الاميين يتلوا عليهم آيات الله تعالى ، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وتحذيرهم عن مواقف الذين مثلهم كمثل حمار يحملون أسفاراً ، وأمرهم بالصلاة وترك البيع وقت النداء ، واشير فيها إلى أن من الناس من لم يؤمن وإن كانوا يدّعون ذلك فانهم لو كانوا مؤمنين حقا لما تركوا الرسول ﷺ في الصلاة او في الخطبة قائماً ، وما انفضوا إلى التجارة اذا رأوها .

جاءت سورة المنافقين لتفضيحهم فيما كانوا عليه من النفاق والذبذبة ، و تكذيب دعواهم ، وان شهادتهم كاذبة ، ولا شأن لأيمانهم التي اتخذوها وقاية عن دمائهم واموالهم التي كانوا يحبونها حباً جماً .

وتحذير النبي الكريم ﷺ عن مواقفهم الخطيرة ، وتحذير المؤمنين عما يوجب النفاق من تدبير الاموال ، والعناية بشؤون الاولاد ، ومن ثم كان الرسول ﷺ يقرأ سورة الجمعة في الركعة الاولى من صلاتها ليحرض بها المؤمنين على ذكر الله تعالى ، ويقرأ سورة المنافقين في الركعة الثانية منها ليقرّع بها المنافقين .

فختام سورة الجمعة كاشف عن وجه من وجوه المنافقين الذين كانوا يشهدون صلاة الجمعة مع النبي الكريم ﷺ حتى اذا سمعوا لهواً اوأحسوا قدوم تجارة أسرعوا إليهما ، دون أن يشعروا بانهم بين يدى النبي ﷺ وفي مقام ذكر الله تعالى .

وذلك لخلو قلوبهم عن هذه المشاعر التي تصلهم بالله تعالى وبرسوله ﷺ اذ ما جاؤا رغبة في مرضاة الله ولاشهوداً لذكر الله ، وانما جاؤا ليراهم المؤمنون انهم على ايمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ مداراة لنفاقهم وستراً لكفرهم .

فقد ناسب ذلك أن تجيء سورة المنافقين عقيب سورة الجمعة لتكشف عن

أكثرمن وجه من وجوه المنافقين كما ترى ذلك فيما تحدث به السورة من نفاقهم وسوء سريرتهم وخبث باطنهم .

فما جاء فى ختام سورة الجمعة عن المنافقين تلميح ، وما جاء به سورة المنافقين عنهم تصريح يكشف عن هذا التلميح ، وهذا من أروع وأعجب مايرى من إعجاز القرآن الكريم ، حيث يمسك ختام سورة الجمعة وبدء سورة المنافقين بالصورة الكاملة للمنافقين فى ظاهرهم وباطنهم جميعاً .. فهم مؤمنون ظاهراً ، يشهدون مشاهد المؤمنين فى الصلاة وغيرها ، وكافرون حقيقة يقفون مواقف الكفار فى العداوة والعناد وغيرهما . . .

ولما اشير أيضاً فى سورة الجمعة إلى فرار أهل الكتاب من الموت لما قدّمت أيديهم من سيّىء الاعمال ، ولابدلهم من لقائه ، حثّ الله تعالى المؤمنين فى سورة المنافقين على صالح الاعمال ، وهم فى سعة من العمر والوقت ، فلا يفرّون مما لابد من لقائه . فتدبر واغتنم جداً .

واما الثالثة : فان الله تعالى لما وصف المنافقين بصفات ذميمة : من الكذب واتخاذهم الأيمان وقاية لدمائهم وأموالهم ، وصدهم الناس عن سبيل الله تعالى ، وكفرهم بعد ايمانهم ، وطبع قلوبهم ، وفقدهم المعرفة من قوله تعالى : « اذا جاءك المنافقون - إلى - فهم لايفقهون » وصفهم بحسن الصورة ، وجميل الهيئة ولين المقالة ، فكأنه تعالى يقول : ان المنافق كالحية ، ليّن ظاهرها ، وفى باطنها سمّ قاتل ، فاحذروها .

فصورة المنافقين بريقة ، وأجسامهم عظيمة معجبة مضلة ولكن سريرتهم خبيثة لاينبغى للمؤمنين أن يقفوا عند حد النظر إلى تلك الصور المتحركة بين أعينهم فلا بد من الحذر عما فى باطنها .

ثم أخذ بذكر علائم النفاق والمنافقين ومواقفهم الخطيرة فى الاسلام من قوله تعالى : « واذا قيل لهم تعالوا - إلى - ولكن المنافقين لايعلمون » ليكون للمؤمنين فيها عبرة وعظة .

ثم نهى المؤمنين عما يوجب النفاق والغفلة عن الله تعالى من التلهى بالاموال والاولاد الذى يستتبعه الخسران فى الدنيا و الاخرة وأمرهم بما فيه الخير والصلاح لهم فى الدارين .

واما قوله تعالى : « ولكن المنافقين لايفقهون » وبعده : « لايعلمون » فان الاول متصل بقوله : « ولله خزائن السموات والارض » وفى معرفتها غموض يحتاج إلى فقه ، والمنافق لافقه له ، والثانى متصل بقوله : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون » بان الله معز لاوليائه ومذل لاعدائه .



﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

لم أجد من الباحثين كلاماً يدل على ان فى هذه السورة ناسخاً او منسوخاً.

وقد ذهب أصحاب الظواهر إلى أن قوله تعالى: « ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون » المنافقون: ٣) من المتشابهات.

اقول: سيظهر لك انشاء الله تعالى فى البحث المذهبى ان الاية من المحكمات فانتظر.

﴿ تحقيق فى الاقوال ﴾

١- (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون)

فى « نشهد » قولان : أحدهما ـ قيل : أى نحلف ، فعبّر عن الحلف بالشهادة لان كل واحد من الحلف والشهادة اثبات لامر مغيّب .

ثانيهما ـ قيل : ذلك محمول على ظاهره ، وذلك انهم يشهدون انّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله اعترافاً بالايمان ، ونفياً للنفاق عن أنفسهم .

اقول : وعلى الثانى جمهور المفسرين .

و فى قوله تعالى : « و الله يشهد ان المنافقين لكاذبون » أقوال : ١ ـ أى لكاذبون فيما أظهروا من شهادتهم وحلفهم بالسنتهم .

٢ ـ عن الفراء : أى لكاذبون بضمائرهم ، فالتكذيب راجع إلى الضمائر ، وهذا يدل على ان الايمان تصديق القلب ، فكان اكذابهم فى اعتقادهم ، و انهم يشهدون ذلك بقلوبهم ولم يكذبوا فيما يرجع إلى السنتهم لانهم شهدوا بذلك وهم فيه صادقون ، ويدل على ان الكلام الحقيقى كلام القلب ، ومن قال شيئاً و اعتقد خلافه فهو كاذب .

٣ـ قيل : أكذبهم الله تعالى فى أيمانهم وهوقوله تعالى : « ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم » التوبة : ٥٦)

٤ـ قيل : أى لكاذبون عند أنفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم : انك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذب وخبر على خلاف ماعليه حال المخبر عنه .

٥- قيل : أى لكاذبون فى ادعائهم : ان قولهم هذا قول عن صميم القلب.

اقول : والثانى هو المؤيد بالاية الكريمة والرواية الصحيحة .

٢- (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون)

فى قوله تعالى: « فصدوا عن سبيل الله » أقوال :

١- أى فصدوا هؤلاء المنافقون الناس عن الجهاد ، بانهم كانوا يتخلفون فيه فيقتدى بهم غيرهم .

٢- أى فصدّوا الناس عن الانفاق .

٣- قيل : أى فصدوا الناس عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ .

٤- قيل : أى فصدوا عن الايمان والاسلام بالقاء الشبهة وبالتنفير .

٥- قيل : أى صرفوا المؤمنين عن اقامة حكم الله تعالى عليهم من القتل والسبى وأخذ الاموال فهو من الصد .

٦- قيل : أى أعرضوا عن دين الاسلام فهو من الصدود .

٧- قيل : اى فصدوا اليهود والمشركين عن الدخول فى الاسلام بان يقولوا: ها نحن كافرون بهم ، ولو كان محمد حقاً لعرف هذا منا ولجعلنا نكالا ، فبين الله أن حالهم لايخفى عليه ولكن حكمه أن من أظهر الايمان أجرى عليه فى الظاهر حكم الايمان .

٨- قيل : أى منعوا غيرهم عن اتباع سبيل الحق بان دعوهم إلى الكفر فى الباطن ، وهذا من خواص المنافقين يصدون العوام عن الدين كما تفعل المبتدعة.

اقول : ولكل وجه والعموم هو المستفاد من الاطلاق ،

٣- (ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون)

« ذلك » فى المشار إليه أقوال :

١- قيل : إشارة الى ما مر من التسجيل عليهم انهم مقول فى حقهم : ساء ما كانوا يعملون لسوء سريرتهم وخبث طويتهم .

٢- قيل : إشارة إلى النفاق الذى كان فى المنافقين هو بسبب انهم آمنوا

ثم كفروا .

٣ـ قيل : إشارة إلى ما مرّ من اوصافهم السيئة واخلاقهم الذميمة مماتقدم من كذبهم واستجنانهم بالايمان الكاذبة ، وصدهم الناس عن سبيل الله تعالى ومساءة أعمالهم .

٤ـ قيل . إشارة إلى كذب اخبارهم بما في ضميرهم وشهادتهم .

اقول : وعلى الثالث اكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : « بانهم آمنوا ثم كفروا » أقوال :

١ـ عن قتادة : أي أقروا باللسان ثم كفروا بقلوبهم لما كذبوا بها .

٢ـ قيل : أي نطقوا بالشهادتين ، فدخلوا بهما في الأسلام كغيرهم من المسلمين ثم كفروا أي ظهر كفرهم بعد ذلك ، وتبين بما اطلع عليه من قولهم : « إن كان مايقول محمد حقا فنحن حمير » وقولهم في غزوة تبوك : « أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات » ونحوه قوله تعالى : « يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد اسلامهم » التوبة : ٧٤) أي وظهر كفرهم بعد مادخلوا في الأسلام بالشهادتين ، ونحوه قوله تعالى : « لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم »

٣ـ قيل : ان الآية الكريمة نزلت في قوم آمنوا ثم ارتدوا .

٤ـ قيل : أي آمنوا ظاهراً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ثم كفروا اذاخلوا بالمشركين ، وانما قال : ثم كفروا لانهم جدّدوا الكفر بعد اظهار الايمان .

٥ـ قيل : ان المراد من كفرهم بعد ايمانهم : اظهارهم للشهادتين أعم من أن يكون عن ظهر القلب اوبظاهر من القول ثم كفرهم باتيان أعمال تستصحب الكفر كالاستهزاء بالدين وردّ بعض الاحكام .

٦ـ قيل : أي نطقوا بالايمان عند المؤمنين كما قال تعالى حكاية عنهم : « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا » ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام فيقولون لهم : « انا نحن مستهزؤن » فهذا اخبار من الله تعالى بان المنافقين كفار

على أن المراد بأيمانهم : ايمانهم بالسنتهم ظاهراً بالشهادتين ثم كفرهم بخلوّ باطنهم عن الأيمان .

٧ ـ قيل : كان فى المنافقين من آمن حقيقة ثم ارتدو كتم ارتداده ، فلحق بالمنافقين يتربص بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وبالمؤمنين الدوائر كما يظهر من قوله تعالى : « فاعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه » التوبة : ٧٧) وقد عبّر تعالى عمن لم يدخل الايمان فى قلبه منهم بمثل قوله : « و كفروا بعد اسلامهم » التوبة : ٧٤) .

أقول: ان الاول والسادس هما المؤيد ان بظاهر السياق ، ولايخفى عليك من تداخل بعض الاقوال فى بعض .

وفى قوله تعالى : « فطبع على قلوبهم » أقوال :

١ ـ أى ختم عليها بسمة تميز بها الملائكة بينهم وبين المؤمنين على الحقيقة .

٢ ـ عن أبى مسلم : لما ألفوا الكفر والعناد ، ولم يصغوا إلى الحق ، ولا فكروا فى المعاد خلاهم الله واختيارهم وخذلهم ، فصار ذلك طبعاً على قلوبهم وهو الفهم إلى ما اعتادوه من الكفر .

٣ ـ قيل : أى ختم على قلوبهم بانها لاتقبل الايمان ولاتستجيب له .

أقول: والثالث هو الظاهر ، والثانى قريب منه .

٤ـ (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هـم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يوفكون)

فى قوله تعالى : « وان يقولوا تسمع لقولهم » اقوال :

١ـ عن ابن عباس : كان عبدالله بن ابى وسيما جسيماً صحيحاً صبيحاً ذلق اللسان ، فاذا قال : سمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم مقالته ، وصفه الله تعالى بتمام الصورة وحسن الابانة .

٢ـ قال الكلبى : اريد بهم ابن ابى وجدّ بن قيس ومعتب ابن قشير كانت

لهم أجسام ومنظر وفصاحة .

٣ ـ قيل : هم عبد الله بن ابى وأضرابه .

أقول: والاخير هو المؤيد بما ورد فى النزول وبظاهر الاطلاق .

فى تشبيه المنافقين بالخشب فى قوله تعالى : « كانهم خشب مسندة » أقوال :

١ـ قيل : شبهوا فى استنادهم وخلوهم عن الايمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط ، لان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف اوجدار اوغيرهما من مظان الانتفاع ، وما دام متروكاً فارغاً غير منتفع به اسند إلى الحائط فشبهوا به فى عدم الانتفاع .

٢ ـ قيل : اريد بالخشب الاصنام المنحوتة المسندة إلى الحائط ، فشبهوا فى أحسن صورهم وقلة جدواهم .

٣ـ قيل : الخشب المسندة اذا كانت غصناً طرياً يصلح لان يكون من الاشياء المنتفع بها ، فاذا صارت غليظة يابسة ، فلا تصلح لذلك فكذلك المنافق والكافر لانهم على طبيعتهم الاولية والغريزة يصلحون للايمان والخير والهداية ولكنهم اذا خرجوا من مدار الايمان وعن طريق الهداية ، ودخلوا فى الكفر والشهوات تسلب عنهم الصلاحية .

٤ ـ قيل : الكفرة من جنس الانس حصب جهنم كقوله تعالى : « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون » الانبياء : ٩٨) فالخشب المسندة هى الحطب .

٥ ـ قيل : الخشب المسندة إلى الحائط أحد طرفيهما إلى جهة والاخر إلى جهة اخرى ، فكذلك المنافقون لانهم فى احد طرفيهم وهو الباطن مع الكافرين ، وفى طرفهم الاخر ، وهو الظاهر مع المسلمين .

٦ـ قيل : ان الخشب المسندة لاتكون من النباتات ولامن الجمادات يعتمد على أحد منهما الانسان فكذلك المنافقون .

٧ ـ قيل : انهم كالخشب المسندة فى عدم استماعهم حقاً كالخشب .

٨ ـ قيل : الخشب جمع أخشاب مسندة إلى الحائط ، فشبههم بالاخشاب في كونهم أشباحاً خالية عن العلم .

٩ـ قيل : الخشب جمع خشباء ، وهي الخشبة التي فسد جوفها ، فشبهوا بها في حسن النظر وقبح المخبر .

١٠ ـ قيل : كان هؤلاء المنافقون رجالا أجمل شيء كأنهم خشب مسندة شبههم بخشب مسندة إلى الحائط لايسمعون ولايعقلون أشباح بلا أرواح وأجسام بلاأحلام .

١١ـ قيل : شبههم بالخشب التي قد تآكلت فهي مسندة بغيرها لا يعلم ما في بطنها .

١٢ـ قيل : أي كانهم أشباح بلا أرواح شبههم الله تعالى في خلوهم من العقول والافهام بالخشب المسندة إلى شيء لا أرواح فيها .

١٣ـ قيل : شبههم بخشب نخرة متآكلة لاخيرفيها ، ويحسب من رآهاانها صحيحة سليمة من حيث ان ظاهرها يروق وباطنها لايفيد ، فكذلك المنافق ظاهره معجب رائع وباطنه عن الخير زائغ .

اقول: ولكل وجه ولكن العاشر مؤيد بالرواية الآتية .

وفي قوله تعالى: « يحسبون كل صيحة عليهم » أقوال :

١ـ عن مقاتل والسدي : انهم اذ سمعوا صوتاً في العسكر بان ينادي مناد أو تنفلت دابة او تنشد ضالة كانوا يظنون بذبذبتهم انهم يرادون بذلك لنفاقهم كانوا دائماً مضطر بين لما في قلوبهم من الرعب .

٢ ـ قيل : انهم في خوف ووجل من أن ينزل فيهم امر يهتك أستارهم و يبيح دماءهم .

٣ ـ قيل : انهم في ترقب فرارهم من بين المسلمين بما يوجب الفرار لهم من الهزم .

٤ ـ قيل : انهم يحسبون كل واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم كما نرى المنافقين

الذين يحسبون ان الوعاظ فى خطبهم يقصدونهم فى بيان أحكام الدين ، فالسارق يحسب ان الخطيب يقصده فى ذكر أحكام السرقة وقباحتها ، والزانى يظن كذلك وهذا من علائم النفاق .

٥ ـ قيل : أى يحسبون كل صيحة عليهم انهم قد فطن بهم وعلم بنفاقهم لان للريبة خوفاً .

٦ـ قيل : يحسبون كل صيحة يسمعونها فى المسجد انها عليهم ، وان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر فيها بقتلهم فهم أبداً وجلون من أن ينزل الله فيهم امراً يبيح به دمائهم ويهتك به أستارهم .

٧ـ قيل : أى يظنون كل صيحة يسمعونها كائنة عليهم ، والمعنى : يحسبون انها مهلكتهم وانهم هم المقصودون بها جبناً ووجلا ، وذلك مثل أن ينادى مناد فى العسكر او يصيح أحد بصاحبه او انفلتت دابة او انشدت ضالة .

٨ ـ قيل : اذا سمعوا صيحة ظنوا انها آية منزلة فى شأنهم ، وفى الكشف عن حالتهم لما عرفوا من الغش والخيانة فى صدورهم ولذلك قيل : المريب خائف .

اقول : ان الرواية الاتية تؤيد الاول والسابع من الاقوال وفى تداخل بعضها فى بعض ما لايخفى على المتأمل الخبير .

وفى قوله تعالى : « قاتلهم الله » أقوال :

١ـ عن ابن عباس وأبى مالك : أى لعنهم الله تعالى وهى كلمة ذم وتوبيخ .

٢ـ قيل : أى أخزاهم الله تعالى .

٣ـ عن ابن عيسى : أحلهم الله جل وعلا محل من يقاتله عدو قاهر له لان الله تعالى قاهر لكل معاند ، وهذا أشد مايكون من الذم والبلاء الذى ينزل بهم وأبلغ ما يكون فى البيان عن مكروههم .

٤ ـ قيل : انه دعاء عليهم بالهلاك لان من قاتله فهو مقتول ومن غالبه فهو مغلوب .

٥ ـ قيل : يكون تعليماً للمؤمنين أى ادعوا عليهم بهذا .

اقول : وعلى الرابع جمهور المفسرين من غير تناف بينه وبين غيره من الاقوال .

وفى قوله تعالى : « أنى يؤفكون »أقوال:

١ ـ عن ابن عباس : أى كيف يكذبون من الافك .

٢ـ عن قتادة : أى يعدلون عن الحق .

٣ـ عن الحسن وأبى مسلم : أى يصرفون عن الرشد والحق مع كثرة الدلالات

٤ ـ قيل : معناه كيف تضلّ عقولهم عن هذا مع وضوح الدلائل وهو من الافك وهو الصرف و « انى » بمعنى كيف .

اقول : مآل الاقوال الثلاثة الاخيرة واحد وعليه أكثر المفسرين .

٥ـ (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون)

« واذا قيل لهم تعالوا » فى القائل والمقول له أقوال :

١ ـ عن ابن عباس والكلبى : لما نزل القرآن بصفة المنافقين مشى إليهم عشائرهم من المؤمنين ، وقالوا لهم : افتضحتم بالنفاق وأهلكتم أنفسكم ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتوبوا إليه من النفاق ، واطلبوا منه أن يستغفر لكم ، فأبوا ذلك وزهدوا فى الاستغفار فنزلت الاية .

٢ـ عن ابن عباس ايضا قال : لما رجع عبدالله بن أبى من احد بكثير من الناس مقته المسلمون وعنفوه واسمعوه ما يكره فقال له بنو أبيه: لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يستغفر لك ويرضى عنك قال : لا أذهب إليه ولا اريد أن يستغفر لى وجعل يلوى رأسه ، فنزلت الاية .

٣ ـ عن قتادة قال : قال لعبد بن ابى قومه : لو أتيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاستغفر لك ، فجعل يلوى رأسه فنزلت فيه الاية .

اقول : والاول هو المؤيد بالرواية الاتية لوجعلنا « من المؤمنين » قيداً لها من غير تناف بينه وبين الثانى لوكان المراد من « عشائرهم » بنى أبيه ، ومن

هنا يظهر عدم التنافى بينهما وبين الثالث أيضاً فتدبر جيداً .

إن قلت : كيف اخبر عنه بفعل الجمع ؟ تجيب : يجوز ذلك عند الكناية عن الانسان ، ويحتمل أن يكون هذا اخباراً عنه وعمن فعل او يفعل فعله .

وفى قوله تعالى : « لووا روسهم » أقوال :

١ـ عن ابن عباس : أى حرّكوا رؤسهم استهزاءاً واباء .

٢ـ قيل : أى أكثروا تحريكها بالهزء لها استهزاء بدعائهم إلى ذلك .

٣ـ قيل : أى أمالوها اعراضاً عن الحق ، وكراهة لذكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم و ذلك لكفرهم واستكبارهم .

٤ ـ قيل : أى حوّلوها استهزاءاً .

٥ ـ قيل : أى أداروا رؤسهم يميناً وشمالا فى حركة مجنونة حتى لكانهم انما يتعاطون شراباً مراً لايجدون له مساغاً .

أقول : والثالث هو الانسب بمعناهاللغوى .

وفى قوله تعالى : « يصدون » أقوال :

١ـ قيل : أى يعرضون عما دعوا إليه من الاستغفار بذنوبهم . من الصدود .

٢ـ قيل : أى يصدون الناس عنطريق الهدى ويدعونهم إلىسبيل الشقاء . من الصد .

٣ـ قيل : أى يعرضون عن النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم متكبرين عن الايمان به وما جاءهم .

٤ ـ قيل : قال ابن ابى لما لوّى رأسه : أمرتمونى أن اومن فقد آمنت ، وان اعطى زكاة مالى فقد اعطيت ، فما بقى الا أن أسجد لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم .

٥ ـ قيل : أى يعرضون عن القائل وهم مستكبرين عن إجابة قوله .

٦ـ قيل : أى يمتنعون ويرفضون استكباراً وعتواً .

أقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق .

٧ـ (هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون)

فى قوله تعالى : «هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله» أقوال :

١ـ عن ابن عباس والضحاك : هم المنافقون الذين يقولون : لاتطعموا محمداً وأصحابه حتى تصيبهم مجاعة فيتركوا نبيّهم ، والمراد من الانفاق : الاعانة لا الزكاة المفروضة .

٢ ـ عن قتادة : ان هذا قول عبد الله بن ابى لاصحابه المنافقين : لا تنفقوا أموالكم على محمد وأصحابه من المهاجرين والانصار حتى يدعوه فانكم لو لا انكم تنفقون عليهم لتركوه وأجلوا عنه .

واما ضمير الجمع وجمع الموصول والفعل فباعتبار سالكى مسلكه .

٣ـ قيل : هم المنافقون الذين يقولون للانصار : لاتطعموا محمداً وأصحابه المهاجرين حتى تصيبهم مجاعة ، فيتركوا نبيّهم حين يعضّهم الجوع بنابه .

أقول : وقد كانت الآيات السابقة تحدث عن المنافقين عامة ، وعن الصفات النفسية والجسمية التي يستدل بها عليهم دون أن تشير إلى معين منهم بالذات او الاسم ، فهذه الاية وما بعدها لتواجه وجهاً منكراً من وجوه المنافقين ، ولتقرع رأساً عفناً من رؤسهم ، وهو عبدالله بن أبى بن سلول .

وفى قوله تعالى : « ولله خزائن السموات والارض » أقوال :

١ـ قيل : أى مفاتيح الرزق وأسبابه من المطر . . .

٢ـ قيل : خزائن الله تعالى أى مقدوراته لان فيها كل ما يشاء ، وما يريد إخراجه .

٣ـ عن الجنيد : خزائن الله فى السموات : الغيوب ، وفى الارض : القلوب وهو علام الغيوب ومقلب القلوب .

٤ ـ قيل : خزائن الله : الارزاق والاموال : والاعلاق . . .

أقول: وعلى الاخير أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « ولكن المنافقين لايفقهون » أقوال :

١ـ قيل : أى لايفقهون ذلك على الحقيقة لجهلهم بوجوه حكمة ما تقدم ،

وجهلهم بسنن الله تعالى فى خلقه .

٢- قيل : أى لايفقهون ان أمره تعالى اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون

٣- قيل : ان المنافقين لايفقهون ان خزائن السموات والارض بيدالله تعالى وهوالرازق لا رازق غيره ، فلوشاء لاغناهم لكنهم يزعمون ان الغنى والفقر بيد الاسباب ، فلو لم ينفقوا على هؤلاء الفقراء من المؤمنين لم يجدوا بعد رازقاً يرزقهم .

٤- قيل : أى لايفقهون انه اذا أراد أمراً يسّره .

أقول : وعلى الاول اكثر المحققين وقريب منه الثالث .

٨- (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون)

فى قوله تعالى حكاية عن المنافقين : « يقولون لئن رجعنا الخ » قولان :

أحدهما - عن إبن عباس قال : قال ذلك عبدالله بن ابى ابن سلول الانصارى رأس المنافقين ، وناس معه من المنافقين .

ثانيهما - عن عكرمة وقتادة والحسن وابن زيد قالوا : قال ذلك عبدالله بن ابى ، فانه كان يريد ان يشعل نيران الحرب بين المهاجرين والانصار ، وهم خارج المدينة فى غزوة بنى المصطلق بقيادة النبى الكريم ﷺ فلما بلغوا المدينة أخذ ابنه - عبدالله بن عبدالله بن ابى - السيف فقال لابيه : أنت تزعم لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعزمنها الاذل فوالله لاتدخلها حتى يأذن لك رسول الله ﷺ وانما عبّر عن الافراد بصيغة الجمع تشريكاً لاصحابه الراضين بقوله معه .

أقول : والثانى هو المؤيد بما ورد فى النزول وعليه أكثر المفسرين ، و إن كان الاول ايضاً مؤيداً بظاهر السياق .

وفى قوله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » أقوال :

١- قيل : « ولله العزة ولرسوله » باعلاء كلمته واظهار دينه على الاديان ، « وللمؤمنين » بنصرته اياهم فى الدنيا وادخالهم الجنة فى العقبى .

٢- قيل: «ولله العزة» بالربوبية «ولرسوله» بالنبوة «وللمؤمنين» بالعبودية

٣- قيل: «ولله العزة» أى الشدة والقوة والمنعة «ولرسوله» اذ أظهر دينه على الدين كله «وللمؤمنين» اذ نصرهم الله تعالى على أعدائهم وجعل رعبهم فى قلوب أعدائهم.

أقول: ولكل وجه فتأمل.

٩- (يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون)

فى «ذكر الله» أقوال:

١- قيل: ذكر الله أى شكر نعم الله تعالى والصبر على بلائه، والرضا بقضائه، فهو إشارة إلى انه لا ينبغى لمؤمن أن يغفل عن ذكر الله جل وعلا فى بؤس كان او فى نعمة فان احسانه لاينقطع فى حال.

٢- قيل: ذكر الله، تعظيم بذكر صفاته العليا وأسمائه الحسنى.

٣- عن الكلبى: ذكر الله هو الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٤- قيل: ذكر الله هو الحمد لله.

٥- عن الحسن: ذكر الله هو جميع فرائض الله تعالى من الصلاة والزكاة والحج

٦- عن أبى مسلم: ذكر الله هو جميع طاعة الله تعالى.

٧- قيل: ذكر الله هو قراءة القرآن الكريم.

٨- عن الضحاك: ذكر الله هو الصلوات الخمس المفروضة.

٩- قيل: عن ذكر الله أى عن ادامة الذكر.

١٠- قيل: هذا خطاب للمنافقين أى آمنتم بالقول فآمنوا بالقلب.

١١- قيل: ذكر الله هو توجه الانسان إلى الله تعالى بحيث لاينساه بحال سواء يذكره بلسانه ام لا، وان اشتغال القلب بالاموال والاولاد يوجب خلو القلب عن ذكر الله تعالى فينساه سواء يذكر الله بلسانه ام لا.

أقول: والاخير هو حقيقة الذكر وغيره من مصادقه.

وفى قوله تعالى : « ومن يفعل ذلك » اقوال :

١ـ قيل : أى ومن تلهاه الاموال والاولاد عن ذكر الله تعالى .

٢ـ قيل : أى ومن أعرض عن ذكر الله جل وعلا .

٣ـ قيل : أى من يهتم بتدبير الاموال والعناية بشؤون الاولاد .

٤ ـ قيل : أى من اشغلته الدنيا عن الاخرة .

أقول: والاول هو الظاهر .

وفى قوله تعالى : « اولئك هم الخاسرون » أقوال :

١ـ قيل : هذا كقوله تعالى : « ومن اعرض عن ذكر الله فان له معيشة ضنكا»

٢ـ قيل :اى هم الخاسرون فى تجارتهم حيث باعوا الشريف الباقى بالخسيس الفانى ، اذ قال تعالى فى صفة المنافقين : « اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم »البقرة : ١٦) .

٣ـ قيل : أى هم الخاسرون فى انكار ماقال به رسول الله ﷺ من التوحيد والبعث .

٤ ـ قيل : أى هم الخاسرون فى إنكار القرآن الكريم .

٥ـ قيل أى هم الخاسرون فى انكار حكم الجهاد .

٦ـ قيل : أى هم الخاسرون فى تركهم النظر فى القرآن والتدبر فيه .

٧ـ قيل : أى خسروا ثواب الله ورحمته .

٨ـ قيل : أى هم الخاسرون فى التلهى بالاموال والاولاد الذى أوجب خلو القلب عن ذكر الله تعالى ونسيان العبد اربه يستعقب نسيانه تعالى : « نسوا الله فنسيهم » وهو الخسران المبين .

أقول : والاخير هو الانسب بظاهر السياق وقريب منه الثانى من الاقوال ...

١٠ ـ **(وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين)**

فى الخطاب أقوال .

١ـ عن مقاتل : خطاب للمنافقين .

٢ـ قيل : خطاب للمطيعين لله تعالى فى زمن الخطاب خاصة .

٣ـ عن ابن عباس : خطاب للمؤمنين عامة فى طوال الاعصار .

٤ ـ قيل : خطاب لكل من خوطب به من المنافق والمؤمن .

اقول : والثالث هو المؤيد بظاهر السياق والاطلاق .

وفى قوله تعالى : « وانفقوا مما رزقنا كم » أقوال : ١ـ قيل : اريدبالانفاق : الانفاق المندوب . ٢ـ قيل :الانفاق الواجب .٣ـ قيل :أعم من الانفاقالواجب فيدخل فيه الز كوات وسائر الحقوق الواجبة ، والكفارات ، والمندوب فىوجوه البر.

أقول: وعلى الاخير أكثرالمفسرين،وان كانالاول مؤيداًبظاهر«فاصدق» من الصدقة المندوبة ولكن قوله : « واكن من الصالحين » يؤيد الثانى .

وفى قوله تعالى : « من قبل أن يأتى احدكم الموت » أقوال :

١ـ قيل : أى من قبل أن يأتى احد كم دلائل الموت وعلائمه و أسبابه .

٢ـ قيل : أى قبل حظهم من إدامة الذكر.

٣ـ قيل : أى من قبل أن يعاينمايبأس معه من الامهال ويضيق بهالخناق، ويتعذر عليه الانفاق ، ويفوت قبل القبول ، فيتحسّر على المنع ويعض أنامله على فقد ما كان متمكنا منه .

٤ـ قيل : أى من قبل أن تصدقوا ، و قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولاعمل .

أقول: والاول هو الظاهر وقريب منه الثالث من الاقوال .

وفى قوله تعالى « فاصدق » قولان : أحدهما ـ قيل : أى فاحج . ثانيهما ـ قيل : أى فاتصدق من الصدقة .

اقول: والاخير هوالظاهر.

وفي قوله: « واكن من الصالحين » قولان: أحدهما - عن إبن عباس والضحاك وسفيان: أى فاحج على أن الصلاح هنا بمعنى الحج أواريد به الحج.

ثانيهما - قيل: أى من المؤمنين الذين يعملون الاعمال الصالحة.

أقول: والاخير هو المؤيد بالآيات الكريمة...



﴿التفسير والتأويل﴾

١- (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله و الله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون)

« اذا جاءك » يامحمد وحضر مجلسك « المنافقون » الذين تنطق ألسنتهم بغير ما في قلوبهم ، وهم الذين يظهرون الايمان ويضمرون الكفر إذ « قالوا » بألسنتهم على خلاف ما في : قلوبهم : « نشهد » شهادة لا نشك في صدقها « انك لرسول الله » حقاً اوحى إليك وحيه ، و أنزل عليك كتابه رحمة منه بعباده « والله يعلم » يامحمد « انك لرسوله » على الحقيقة إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً لتنقذهم من ظلمات الكفر إلى نور الايمان ، من ظلمات الضلال إلى نور الهدى ، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم . . .

اعتقد بذلك المنافقون اولم يعتقدوا به ، « والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » في اخبارهم عن أنفسهم انها تشهد انك لرسول الله ﷺ ، وذلك انها لا تعتقد ذلك ، ولا تؤمن به فهم كاذبون في خبرهم عنها بذلك اذلا تواطىء قلوبهم ألسنتهم في هذه الشهادة ، وان كانوا صادقين ظاهراً .

قال الله تعالى : « يحذر المنافقون أن تنزّل عليهم سورة تنبئهم بمافي قلوبهم - وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم » التوبة: ٤٦ - ١٠١)

٢- (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون)

« اتخذوا » هؤلاء المنافقون « ايمانهم » أحلافهم الكاذبة بانهم مؤمنون

« جنة » وقاية لانفسهم وأموالهم وأعراضهم، وسترة يستترون بها كما يستتر المستجن بجنته فى حرب وقتال ، فيمنعون بها أنفسهم عن الدماء و ذرارتهم عن السبى و أموالهم عن الاخذ ، فكانوا يحلفون بالله انهم لمنكم حتى لايجرى عليهم أحكام الكفار من القتل والاسر و اخذ الاموال غنيمة . . و أقروا باللسان خوفاً من السيف ودفع الجزية .

« اقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم » المائدة : ٥٣)

« فصدوا » بها الناس ومنعوهم « عن سبيل الله » عن اتباع الحق ، عن سبيل الحق، وعن طريق النجاة . . . « انهم ساء ما كانوا يعملون » من اتخاذهم الأيمان جنة لهم وقاية وستراً لدمائهم وأموالهم وأعراضهم مع إبطان الكفر وصد الناس عن اتباع الحق ، وعن سبيل الهدى ، فبئست أعمالهم السيئة ونياتهم الفاسدة وسريرتهم ، الخبيثة، واولئك فى ضلال بعيد ولهم عذاب مهين قال الله تعالى : « الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجا اولئك فى ضلال بعيد » ابراهيم :)

وقال : « اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين »

المجادلة : ١٦)

٣- (ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون) .

« ذلك » الذى تقدم ذكره من قبيح أوصافهم وذميم أخلاقهم وسوء أعمالهم بسبب « أنهم آمنوا » بالسنتهم ولم يدخل الايمان فى قلوبهم « ثم كفروا » بقلوبهم «واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا و اذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن » البقرة: ١٤) وقال: « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد اسلامهم » التوبة: ٧٤) « فطبع على قلوبهم » بسبب اظهارهم الايمان وابطانهم الكفر لمرض فى قلوبهم « فهم لا يفقهون » حقيقة الايمان ، ولا يعرفون واقع الحق ، ولايعلمون الخير لانهم لا يتفكرون حتى يميزوا بين الايمان و الكفر ، ويميزوا الحق من الباطل ، والخير من الشر ، والصواب من الخطاء ، والنور من

الظلمة ، والهداية من الضلالة ، والسعادة من الشقاء ، والفضائل من الرذائل .. .

قال الله تعالى فيهم : « و اما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ـ واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لايفقهون » التوبة : ١٢٥ـ ١٢٧)

وقال : « لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون » الاعراف : ١٧٩) .

٤ـ (واذا رايتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهـم قاتلهم الله أنى يؤفكون) .

« واذا رأيتهم » هؤلاء المنافقين يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم « تعجبك أجسامهم » لاستواء خلقها وحسن صورتها وهيئاتها ومناظرها « وان يقولوا » يتكلموا « تسمع لقولهم » كلامهم واصغيت إليه لحسن منطقهم وفصاحة لسانهم وبلاغة بيانهم أو لغرض اخر « كانهم خشب مسندة » لاتعقل ولاتفهم ، فهم مع عظم أجسامهم في ترك التفهم والاستبصار بمنزلة الخشب التي لافقه لها ولا علم ، و انما هي صور بلا أحلام و أشباح بلاعقول كالخشب .

قال الله تعالى : « ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلاً » الفرقان : ٤٤) .

« يحسبون » يزعم هؤلاء المنافقون لخبث سريرتهم وسوء ظنهم وقلة يقينهم « كل صيحة » واقعة « عليهم » صادرة لهم لجبنهم لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم مايبيح دمائهم، فانهم كانوا على وجل أن ينزل الله تعالى فيهم أمراً يهتك به أستارهم ويفضحهم ويبيح للمؤمنين قتلهم و سبي ذراريهم وأخذ أموالهم ، فهم في خوف من ذلك اذ كلما نزل بهم من الله جل وعلا وحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظنوا انه نزل بهلاكهم وعطبهم .

« هم » هؤلاء المنافقون يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هم « العدو » لك وللمؤمنين في

الحقيقة فلاتأمنهم ، وإن كانوا معك ويظهرون تصديقك ولكنهم أعداء لك ولدينك ولمن تبعك من المؤمنين ، فلاتغتر بظاهرهم فانهم يفشون سرك للكفار .

« فاحذرهم » توقهم يا محمد ﷺ فلاتأمنهم على أسرارك لانهم عيون لاعدائك من الكفار ينقلون إليهم الاسرار ، و يحيون من قدروا عليه من أهل الكفر ، فلا تثق بقولهم اللين ، ولا تمل إلى كلامهم الفصيح فانهم يلتهمون لاعدائك ، ويخذلون أصحابك إذأ لسنتهم معك اذا لقوك وقلوبهم عليك .

« قاتلهم الله » أخزاهم الله جل وعلا وأذلهم « أنى يؤفكون » إلى أىء وجه يصرفون عن الحق إلى الباطل ، عن الهدى الى الضلال ، عن السعادة إلى الشقاء ، عن النور إلى الظلمة ، وعن الايمان إلى الكفر بعد قيام الدليل والبرهان .

٥- (و اذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) .

« واذا قيل لهم » بطريق النصيحة لهؤلاء المنافقين عند ظهور نفاقهم وفسقهم وجنايتهم: « تعالوا » هلموا معتذرين إلى رسول الله ﷺ « يستغفر لكم رسول الله» يطلب لكم من ربكم غفران ذنوبكم « لوّوا » حرّكوا « رؤسهم » و أما لوها يميناً وشمالاً ساخرين غير مكترثين ، و عطفوها اعراضاً عن ذلك و استكباراً ، وهزّوها استهزاء برسول الله ﷺ وباستغفاره .

« ورأيتهم » هؤلاء المنافقين « يصدون » يعرضون عتواً واستكباراً عما دعوا إليه من الاستغفار بذنوبهم « وهم مستكبرون » عن اتباع الحق وعن المصير إلى رسول الله ﷺ والاعتذار فيستغفر لهم ، مظهرون انه لاحاجة لهم إلى الاستغفار.

قال الله تعالى : « اذا قيل لهم تعالوا إلى ما انزل الله و إلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً و لوانهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما » النساء : ٦١-٦٤) .

٦- (سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لايهدى القوم الفاسقين) .

« سواء عليهم » على المنافقين « استغفرت » أيها الرسول « لهم » للمنافقين « ام لم تستغفرلهم » أى يتساوى الاستغفارلهم وعدم الاستغفار « فلن يغفرالله لهم » لانهم يبطنون الكفر ـ و ان أظهروا الايمان ـ و رسوخ الكفر فيهم، و يصرّون على الفسق ، و ينهمكون فى الشهوات لان الله تعالى « لايهدى القوم الفاسقين » إلى طريق الجنة مع وجود النفاق ، وقذارة الكفر فى قلوبهم إلى السعادة .

قال الله تعالى : « ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفرلهم ولاليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم عـذابا أليما الـذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين » النساء : ١٣٧ ـ ١٣٩)

وقال : « استغفرلهم اولا تستغفرلهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفرالله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لايهدى القوم الفاسقين »

التوبة : ٨٠)

وما ورد فى المقام فمن باب التأويل فتدبر واغتنم .

٧ـ (هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لايفقهون)

« هم » المنافقون « الذين يقولون» بعضهم لبعض : « لاتنفقوا » أموالكم ولا لا تطعموا ولاتحسنوا « على من عندرسول الله » من المؤمنين الذين لازموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واجتمعوا عنده لاعلاء كلمة الله ونصرة رسوله وإنفاذ أمـره واجـراء مقاصده « حتى ينفضوا» يتفرقوا عن حوله لفقرهم وحاجتهم ، فيرجعوا إلى عشائرهم فلا يتحكموا علينا .

قال الله تعالى فيهم واولياءهم الكافرين : « فلما اتاهم من فضله بخلوا به و تولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بمـا أخلفوا الله مـا وعدوه وبما كانوا يكذبون ـ ومن الاعراب من يتخذما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء » التوبة : ٧٦ ـ ٩٨)

وقال : « واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا

أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان انتم الا فى ضلال مبين » يس : ٤٧) .

« و لله » وحده « خزائن السموات والارض » مما خزن فيهما و ما بينهما و ما بطن من أرزاق خلقه ينزله بقدر معلوم يرزق به المؤمن و الكافر يرزق به الذئب والغنم ، يرزق به العاصى والمطيع ، يرزق به العالم والجاهل ، وبالجملة يرزق به الحيوان والانسان .

وهذا التحريم الاقتصادى لايضرك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولامن تبعك من المؤمنين الذين يسبب الله تعالى قوتهم اذبيده رزق خلقه يرزق لمن يشاء ويقدر ، ولو كان الرزق بيد غيره لامسك خشية الانفاق والاملاق ولكن الله تعالى فعل ما هو أصلح لعباده وتعبّد المؤمنين بالصبر على ذلك لينالوا منزلة الثواب والجزاء .

قال الله تعالى :« وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم» الحجر : ٢١)

و قال : « هل من خالق غيرالله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون » فاطر : ٣)

وقال : « له مقاليدالسموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم ـ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدرمايشاء انه بعباده خبير بصير » الشورى : ١٢ ـ ٢٧)

وقال : « ويعبدون من دون الله ما لايملك لهم رزقاً من السموات والارض شيئاً ولايستطيعون » النحل : ٧٣)

وقال : « وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين » هود : ٦)

وقال : « قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذاً لامسكتم خشية الانفاق» الأسراء : ١٠٠)

« ولكن المنافقين لايفقهون » ذلك على الحقيقة ووجوه الحكمة وان الرزق بيدالله تعالى ، فترك الانفاق لايضر أحداً غيرهم .

٨- (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون)

يقول عبدالله بن ابى رأس المنافقين وأذنابه : والله « لئن رجعنا » من غزوة بنى المصطلق « إلى المدينة ليخرجن الاعز » يعنون أنفسهم « منها » من المدينة « الاذل » يعنون رسول الله ﷺ والمؤمنين « و » الحال ان « لله العزة » المنعة يرد بها كيد الاعداء ، ويغلب على ماسواه ويقهر على من خالفه ، « و لرسوله » العزة اذ أظهر دينه على الاديان كلها « وللمؤمنين » العزة اذنصرهم الله تعالى على أعداءهم وجعل رعبهم فى قلوب أعداءهم دائما .

ووجه الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى : « ولايحزنك قولهم ان العزة لله جميعاً » يونس : ٦٥)

ان عزة الرسول ﷺ وعزة المؤمنين من جهته تعالى عزته جل و علا و انما تحصل بالطاعة فلله تعالى العزة باجمعها يعز من يشاء ويذل من يشاء قال الله تعالى : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً » فاطر : ١٠)

وقال : « وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير » آل عمران : ٢٦)

« ولكن المنافقين لايعلمون » ذلك ،فيظنون ان العزة فى الاموال الكثيرة والاتباع العديدة وتوليهم الكافرين والاجسام العظيمة التى كانت لهم ، فكانوا يدّعون : ان هؤلاء الخشب المسندة والحمر المستنفرة هم الاعزة ، وان اولئك الاولياء المكرمين هم الاذلة ، فعكس الله تعالى ما ادّعوا فلم يدخلوا المدينة هؤلاء الاذلة المنافقون الا باذن الاعزة المؤمنين اذ قدسل مؤمن عزيز سيفه على منافق بباب المدينة ـ وهو أبوه رأس المنافقين ـ قائلا : والله لاتدخل المدينة أبداً حتى تقول : رسول الله الاعز وأنا الاذل وذلك لما بلغ عبدالله بن ابى و من معه مدينة الرسول ﷺ أخذ ابنه السيف فقال لابيه : انت تزعم لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ، فوالله لاتدخلها حتى يأذن لك رسول الله ﷺ .

قال الله تعالى :« بشر المنافقين بان لهم عذاباً اليما الذين يتخذون الكافرين

اولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعاً» النساء: ١٣٨ـ١٣٩)
وحقاً ضربت عليهم واولياءهم الكافرين الذلة والمسكنة لعدم اهتداءهم الى صراط مستقيم ومحادتهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم

قال الله تعالى: « ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز » المجادلة: ٢٠ ـ ٢١)

٩ـ (يا ايها الذين آمنوا لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون)

يا ايها الذين آمنوا لاتشغلكم اموالكم واولادكم ـ كما فعلت بالمنافقين ـ « عن ذكر الله » عن التوجه إلى الله تعالى فى كل حال « ومن يفعل ذلك » ومن يشغله تدبير الاموال والعناية بشؤون الاولاد وما إليهما مما يوجب الغفلة عن الله وخلوّ القلب عن ذكر الله جل وعلا « فاولئك » المتلهّون المنافقون « هم الخاسرون » فى الحياة الدنيا والآخرة لغفلتهم بمتاع الحياة الدنيا عن الله تعالى، وهذه صفة المنافقين واخوانهم الكافرين.

قال الله تعالى: « من كفر بالله من بعد ايمانه ـ ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة ـ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم واولئك هم الغافلون لاجرم انهم فى الاخرة هم الخاسرون » النحل: ١٠٦ ـ ١٠٩)

وقال: « ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير إطمأنّ به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين »
الحج: ١١)

وقال: « فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الاّ الحياة الدنيا »
النجم: ٢٩)

وقال: « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين »
الزخرف: ٣٦)

وقال : « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » طه : ١٢٤)

وأما المؤمنون حقا فلا تلهيهم الاموال والاولاد عن ذكرالله تعالى بحال ، قال الله تعالى فيهم : « رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكرالله واقام الصلاة وايتاء الزكوة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار » النور : ٣٧)

وقال : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » آل عمران : ١١٩)

١٠ـ (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى احدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين)

وأنفقوا أيها المؤمنون بالله ورسوله وباليوم الاخر بعض مارزقناكم فى وجوه البر من قبل أن يأتى أحدكم علائم الموت ، فيقول اذا نزل عليه الموت : يارب هلا اخرتنى فتمهل لى فى الاجل إلى أجل قريب ، فأتصدّق من مالى فى وجوه البر وأنفقه فى سبيل الله تعالى ، واكن من المؤمنين الذين يعملون الصالحات...

وانما هذا منطق المنافقين و اخوانهم الكافرين لاينبغى ان يكون منطق المومنين.

قال الله تعالى : « حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت » المؤمنون : ٩٩ ـ ١٠٠)

وقال : « ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل» فاطر : ٣٧)

وقال : « فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك و نتبع الرسل » ابراهيم : ٤٤)

١١ـ (ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون)

اذا جاء أجل نفس لايؤخّره الله أبداً ، والمراد من الاجل هنا الاجل المطلق الذى حكم بان الحى يموت عنده لا الاجل المقيد الذى يحكم بان العبد يموت عنده إن لم يقتطع دونه اولم يزد عليه أولم ينقص منه على ما يعلمه الله من المصلحة.

قال الله تعالى : « ان اجل الله إذا جاء لايؤخر لو كنتم تعلمون » نوح :٤)
وقال : « فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون » النحل : ٦١)
« والله خبير بما تعملون » خبير بنوايا كم عليم بأعمالكم: خيرها وشرها ،
فيجازيكم بها فعليكم بالتقوى وذكرالله تعالى فى كل حال فلا تكونوا منافقين
قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقواالله ولتنظر نفس ما قدّمت لغد
واتقواالله ان الله خبير بما تعملون ولاتكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم
اولئك هم الفاسقون » الحشر : ١٨ ـ ١٩)



﴿ جملة المعانى ﴾

٥١٨٩- (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون)

اذا جاءك المنافقون الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر إذ قالوا بألسنتهم على خلاف مافى قلوبهم : نشهد شهادة لانشك فى صدقها انك لرسول الله حقاً اوحى إليك وحيه ، والله يعلم يامحمد انك لرسوله على الحقيقة إلى الناس والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فيما يخبرون بما فى ضمائرهم .

٥١٩٠- (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون)

اتخذهؤلاء المنافقون أحلافهم الكاذبة بانهم مؤمنون وقاية لدمائهم وحفظاً لأموالهم ، فمنعوا الناس عن اتباع الحق وطريق النجاة ، ان المنافقين بئس الذى كانوا يعملونه من إظهار الايمان مع إبطان الكفر ، واتخاذهم الايمان الكاذبة وقاية لدمائهم واموالهم وصدّهم الناس عن اتباع الحق .

٥١٩١- (ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون)

الذى تقدم ذكره بسبب ان المنافقين بالسنتهم ولم يدخل الايمان فى قلوبهم ثم كفروا بقلوبهم ، فطبع بسبب كفرهم بعد ايمانهم على قلوبهم ، فهم لا يعرفون واقع الحق .

٥١٩٢- (واذا رايتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون)

وإذا رأيت يامحمد ﷺ هؤلاء المنافقين تعجبك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن صورتها ، وإن يتكلموا بكلام تسمع لكلامهم كأنهم خشب مسندة لاتعقل ولا تفهم ، يزعم هؤلاء المنافقون لاضطرابهم كل صيحة واقعة عليهم لما فى قلوبهم من الرعب ، هم المنافقون العدو لك وللمؤمنين فى الحقيقة ، فاحذرهم فلا تأمنهم على أسرارك لانهم عيون لاعدائك من الكفار ، أخزاهم الله تعالى ، إلى أى وجه يصرفون عن الحق إلى الباطل .

٥١٩٣- (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون)

وإذا قيل للمنافقين بطريق النصيحة : هلمّوا معتذرين إلى رسول الله ﷺ يطلب لكم من ربكم غفران ذنوبكم ، أمالوا رؤسهم يميناً وشمالا ساخرين معرضين عن ذلك ، ورأيت يامحمد هؤلاء المنافقين يعرضون عتواً واستكباراً عما دعوا اليه من الاستغفار ، وهم مستكبرون عن اتباع الحق ، وعن المصير إلى النبى الكريم ﷺ والاعتذار فيستغفر لهم .

٥١٩٤- (سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لايهدى القوم الفاسقين)

سواء على المنافقين ايها الرسول ﷺ أإستغفرت للمنافقين ام لم تستغفر لهم، فان الله تعالى لن يغفر لهم لاظهارهم الايمان وابطانهم الكفر و تصميمهم على بقاء ذلك فخرجوا بذلك عن طريق الهدى ان الله لايهدى القوم الذين خرجوا عن صراط مستقيم وأصرّوا على ماكانوا عليه .

٥١٩٥- (هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لايفقهون) .

ان المنافقين هم الذين يقول بعضهم لبعض : لاتنفقوا أموالكم على المؤمنين الذين لازموا رسول الله ﷺ و اجتمعوا عنده حتى يتفرقوا عن حوله فيتركوه فرداً وحيداً ولله وحده خزائن السموات والارض ، فلايضر هذا التحريم الاقتصادى

محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا المؤمنين ، ولكن المنافقين لايعرفون واقع الامر.

٥١٩٦- (يقولون لئن رجعنا الـى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة و لرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون) .

يقول عبدالله بن ابى رأس المنافقين وأذنابه : والله لئن عدنا من غزوة بنى المصطلق إلى المدينة ليخرجن الاعز - يعنون أنفسهم - من المدينة الاذل - يعنون النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ومن تبعه ، والحال ان لله تعالى المنعة يردّ بها كيدالاعداء و لرسوله العزة غلب بها على من خالفه و للمؤمنين العزة اذنصرهم الله تعالى على أعدائهم ، ولكن المنافقين لايعلمون ذلك .

٥١٩٧- (يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون) .

يا أيها الذين آمنوا لاتشغلكم اموالكم ولا اولادكم عن التوجه إلى الله تعالى قلباً ولساناً فى كل حال، ومن يشغله تدبير الأموال والاهتمام بشئون الاولاد عن ذكر الله ، فاولئك المتلهون هم الذين خسروا في الدنيا والآخرة .

٥١٩٨- (وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل فاصدق واكن من الصالحين) .

و أنفقوا أيها المؤمنون بعض ما رزقناكم في وجوه البر من قبل أن يأتى أحدكم علائم الموت ، فيقول عندئذ : يارب هلا أخرتنى فتمهل لى فى الاجل إلى أجل قريب ، فاتصدّق من مالى فى سبيل الله واكن من المؤمنين الذين يعملـون الصالحات ...

٥١٩٩- (ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون) .

واذا جاء أجل نفس لايؤخره الله تعالى أبداً و الله خبير بنواياكم ، عليم باعمالكم فيجازيكم بها .

﴿ بحث روائي ﴾

في الاحتجاج : عن أبي بصير قال : كان مولانا أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام جالساً في الحرم وحوله عصابة من اوليائه إذ أقبل طاووس اليماني في جماعة من أصحابه ثم قال لابي جعفر عليه السلام : ائذن لي بالسؤال قال : أذنّا لك فسل ! ـ إلى أن قال ـ : فاخبرني عن قوم شهدوا شهادة الحق ، وكانوا كاذبين قال : المنافقون حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله : « نشهد انك لرسول الله » فانزل الله عزوجل : « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » .

وفي الكافي : باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال : قلت له : « ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا » ؟

قال : ان الله تبارك وتعالى سمّى من لم يتبع رسوله في ولاية وصيّه منافقين وجعل من جحد وصيه امامته كمن جحد محمداً ، وأنزل بذلك قرآناً فقال : يا محمد اذا جاءك المنافقون بولاية وصيك قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين بولاية عليّ لكاذبون ، اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله والسبيل هو الوصي انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا برسالتك ، وكفروا بولاية وصيك فطبع الله على قلوبهم فهم لايفقهون ، قلت ما معنى « لايفقهون » ؟ قال : يقول : لايعقلون نبوتك . الحديث .

وفيه : باسناده عن الامام علي عليه السلام ـ في حديث طويل ـ قال : « و انما أتاكم الحديث من اربعة ليس لهم خامس ، رجل منافق يظهر الايمان متصنع بالاسلام

لايتأثم ولايتحرج أن يكذب على رسول الله ﷺ متعمداً ، فلو علم الناس انه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدق ، ولكنهم قالوا : هذا قد صحب رسول الله ﷺ ورآه وسمع منه وأخذوا عنه ، وهم لايعرفون حاله ، وقد أخبر الله تعالى عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عزوجل : « واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم » ثم بقوا بعدهم فتقربوا إلى أئمة الضلالة و الدعاء الى النار بالزور والكذب والبهتان ، فولوهم الاعمال ، وحملوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا ، وانما الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم الله فهذا أحد الاربعة .

وفي تفسير القمي : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « كأنهم خشب مسندة » يقول : لايسمعون ولايعقلون « يحسبون كل صيحة عليهم » يعني كل صوت « هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون » فلما أنبأ الله رسوله خبرهم مشى إليهم عشائرهم : وقالوا افتضحتم ويلكم فأتوا رسول الله يستغفر لكم فلوّوا رؤسهم ، وزهدوا في الاستغفار يقول الله : « واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤسهم ورأيتهم يصدّون وهم مستكبرون » .

وفي البحار : في قوله تعالى: « واذا قيل لهم تعالوا » أي هلمّوا « يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤسهم » أي أكثروا تحريكها إستهزاء ، و قيل : أمالوها إعراضاً عن الحق « و رأيتهم يصدون » عن سبيل الحق « و هم مستكبرون » أي متكبرون مظهرون انه لاحاجة لهم إلى استغفاره « سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم » أي يتساوى الاستغفار لهم وعدمه « لن يغفر الله لهم » لانهم يبطنون الكفر « ان الله لايهدي القوم الفاسقين » أي لايهدي القوم الخارجين عن الدين والايمان إلى طريق الجنة .

قال الحسن : أخبره سبحانه أنهم يموتون على الكفر فلم يستغفر لهم « هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله » من المؤمنين المحتاجين « حتى ينفضوا » أي يتفرقوا عنه « ولله خزائن السموات والارض » ومابينهما من الارزاق

والأموال والاعلاق ، فلو شاء لأغناهم ، ولكنه تعالى يفعل ما هو الاصلح لهم و يمتحنهم بالفقر ويتعبدهم بالصبر ليصبروا فيوجروا وينالوا الثواب و كريم المآب « ولكن المنافقين لايفقهون » ذلك لجهلهم بوجوه الحكمة .

« يقولون لئن رجعنا إلى المدينة » من غزوة بنى المصطلق « ليخرجن الاعز » يعنون نفوسهم « منها الاذل » يعنون رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين « ولله العزة و لرسوله » باعلاء كلمته ، واظهار دينه على الاديان « وللمؤمنين » بنصرته إياهم فى الدنيا ، وإدخالهم الجنة فى العقبى « ولكن المنافقين لايعلمون » فيظنون ان العزة لهم .

وفى الكافى : باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبى الحسن الماضى عليه السلام - فى حديث - قال : قلت : « واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله » ؟ قال : واذا قيل لهم ارجعوا إلى ولاية على يستغفر لكم النبى من ذنوبكم « لووا رؤسهم » قال الله : « ورأيتهم يصدون » عن ولاية على « وهم مستكبرون » عليه ثم عطف القول من الله بمعرفته بهم ، فقال : « سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لايهدى القوم الفاسقين » يقول : الظالمين لوصيك .

وفى كنز الفوائد : للكراجكى : قال رجل للحسين بن على عليه السلام : ان فيك كبراً ، فقال : كلا ، الكبر لله وحده ، ولكن فى عزة قال الله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمومنين » .

وقال بعض الظرفاء : ان العزة غير الكبر ، ولايحل للمؤمن أن يذل نفسه وان العزة معرفة الانسان بحقيقة نفسه و إكرامها عن أن يضعها لاقسام عاجلة فانية ، كما ان الكبر جهل الانسان بنفسه وإنزالها فوق منزلها ، فالعزة تشبه الكبر من حيث الصورة ، ولكن تختلف فى الحقيقة كاشتباه التواضع بالضعة لان التواضع ممدوح والضعة مذمومة ، والكبر مذموم والعزة ممدوحة .

وفى المجمع : وقيل : عز الله خمسة : عز الملك والبقاء ، وعز العظمة و الكبرياء ، وعز البذل والعطاء ، وعز الرفعة والعلاء ، وعز الجلال والبهاء . وعز

الرسول خمسة : عز السبق والابتداء ، وعز الاذان والنداء ، وعز قدم الصدق على الانبياء ، وعزالاختيار والاصطفاء ، وعزالظهور علىالاعداء . وعزالمؤمنين خمسة عز التأخير بيانه نحنالاخرون السابقون ، وعزالتيسير بيانه ولقد يسرنا القرآن للذكر يريد الله بكم اليسر ، وعز التبشير وبشّر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيراً ، وعز التوقير بيانه وأنتم الاعلون ، وعز التكثير بيانه انهم أكثر الامم .

وفى الخصال : باسناده عن عبد المؤمن عن أبى جعفر عليه السلام قال : ان الله عز وجل اعطى المؤمن ثلاث خصال : العزة فى الدنيا ، والفلج فى الآخرة و المهابة فى صدور الظالمين ثم قرأ « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

أقول : « الفلج ـ محركة ـ : الظفر والفوز والفلاج والنجاة والبقاء فى الخير

وفيه : باسناده عن عبد المؤمن الانصارى عن أبىجعفر عليه السلام قال : ان الله عزوجل اعطى المؤمن ثلاث خصال : العز فى الدنيا والدين ، والفلج فىالاخرة ، والمهابة فى صدور العالمين .

وفى تفسير النيسابورى :عنالحسن بن على رضىاللهعنه : أن رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيهاً ، فقال : ليس بتيه ، ولكنه عزة وتلا الاية : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون » .

و فى ربيع الابرار : للزمخشرى : قيل للحسن بن على عليه السلام : فيك عظمة قال : لابل فى عزة قال الله سبحانه وتعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» .

وفى الكافى : باسناده عن أبى الحسن الاحمسى عن أبى عبد الله عليه السلام قال : ان الله عزوجل فوّض إلى المؤمن اموره كلها ولم يفوّض اليه أن يكون ذليلا ، أما تسمع قول الله عز وجل يقول : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » فالمؤمن يكون عزيزاً ولايكون ذليلاثم قال : ان المؤمن أعزمن الجبل انالجبل يستقلّ منه بالمعاول والمؤمن لايستقل من دينه .

قوله عليه السلام : « ولم يفوض إليه أن يكون ذليلا » أى ينبغى للمؤمن أن لا

يذل نفسه ، ولو صار ذليلا بغير اختياره فهوفى نفس الامر عزيز بدينه ، ويحتمل أن يكون المعنى : ان الله تعالى لم يفوض إليه ذلته لانه جعل له دينا لايستقل فيه

وفيه : باسناده عن سماعة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ان الله عزّ وجل فوّض الى المؤمن اموره كلها ، ولم يفوض إليه أن يذل نفسه ألم تسمع لقول الله عزوجل : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » فالمؤمن ينبغي أن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلا ، يعزّه الله بالايمان والاسلام .

وفيه : باسناده عن داود الرقى قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : لاينبغى للمؤمن أن يذل نفسه ، قيل له : وكيف يذل نفسه ؟ قال : يتعرض لما لايطيق .

وفيه : باسناده عن مفضل بن عمر قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : لاينبغي للمؤمن أن يذل نفسه ، قلت : بما يذل نفسه ؟ قال : يدخل فيما يتعذّر منه .

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « لو لا اخرّتنى إلى أجل قريب فاصدق » قال : يعنى بقوله « اصدق » أى أحج « واكن من الصالحين » يعنى عند الموت فرد الله عليه .

وفى الفقيه : وسئل عن قول الله تعالى : « فاصدق واكن من الصالحين » قال : اصدق من الصدقة واكن من الصالحين أحج .

وفى المجمع : عن ابن عباس قال : ما من أحد يموت ، وكان له مال فلم يؤدّ زكاته ، واطاق الحج فلم يحج الأسئل الرجعة عند الموت ، قالوا : ياابن عباس اتق الله فانما نرى هذا الكافر يسئل الرجعة ؟ فقال : أنا أقرأ به عليكم قرآناً ثم قرء هذه الاية إلى قوله : « من الصالحين » قال : الصلاح هنا الحج ، وروى ذلك عن أبى عبد الله عليه السلام .

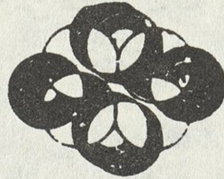
وفى الدر المنثور : عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه الزكاة فلم يفعل سئل الرجعة عند الموت .

وفى تفسير القمى : باسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله :

« ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها » قال : ان عند الله كتبا موقوفة يقدّم منها ما يشاء ، و يؤخر ما يشاء فاذا كان ليلة القدر أنزل الله فيها كل شيء يكون إلى ليلة مثلها ، فذلك قوله : ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها » اذا انزله الله و كتبه كتّاب السموات ، وهو الذى لايؤخره .

وفى وسائل الشيعة : عن الصادق عن آبائه عليهم السلام فى وصية النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام قال : يا على كفر بالله العظيم من هذه الامة عشرة ، وعدّ منهم مانع الزكاة ثم قال : يا على ! ثمانية لايقبل الله منهم الصلاة وعدّ منهم مانع الزكاة ، ثم قال : يا على ! من منع قيراطاً من زكاة ماله فليس بمؤمن ولا بمسلم ولا كرامة يا على تارك الزكاة يسئل الله الرجعة إلى الدنيا وذلك قوله عزوجل : « حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب اجعون » الاية .

وفيه : محمد بن على بن الحسين قال ، سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزوجل : « فاصدق واكن من الصالحين » قال : أصدق من الصدقة . وأكن من الصالحين أى أحج .



﴿ بحث فقهي ﴾

ينعقد القسم بصيغ : اقسم ، واحلف ، و اشهد ، و اعزم بالله ، و كان يميناً لغة وعرفاً .

واختلفت كلمات الفقهاء فى الصيغ مجردة عن لفظ الجلالة أوما هو بمنزلته فقال بعضهم : ان « اشهد » ليس بيمين لان لفظ الشهادة لاتسمى يميناً ولم يطرد به عرف اللغة ولا الشرع .

قال الشيخ قدس سره فى المبسوط : ان أراد باشهد اليمين كان يميناً و الا فليس بيمين .

اقول: والصواب ان « اشهد » حلف ان اراد به اليمين لوجهين :

أحدهما ـ ان الله تعالى حكى عن المنافقين انهم قالوا : « نشهد انك لرسول الله » ثم جعل هذا الاطلاق يميناً من غير أن يقرنه باسم الله تعالى بقوله : « اتخذوا أيمانهم جنة » كما فى قوله تعالى : « فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله » النور : ٦)

ثانيهما ـ انه لما أخرج ذلك مخرج القسم وجب أن لايختلف حكمه فى حذف اسم الله تعالى، وفى اظهاره ، وقد ذكر الله تعالى القسم فى كتابه فاظهر تارة الاسم وحذفه اخرى ، والمفهوم باللفظ فى الحالين واحد بقوله تعالى : « واقسموا بالله جهد ايمانهم » الانعام : ١٠٩)

وقال فى موضع آخر : « اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين » القلم : ١٧)
فحذفه تارة اكتفاء بعلم المخاطبين باضماره ، وأظهره تارة اخرى .

نعم : لاينبغي الحكم باليمين مع اطلاق اللفظ ، وعدم قرينة تدل على ارادة الحلف لاصالة عدم ترتب أحكام اليمين مع عدم العلم بقصدها بعد عدم دلالة اللفظ عليه .

وفي التبيان : قال الشيخ قدس سره في قوله تعالى : « وأنفقوا مما رزقنا كم الخ » المنافقون : ١٠) : في الاية دلالة على ان الحرام ليس برزق من الله تعالى لان الله لايأمر بالمعصية بالانفاق ، ولانه ينهى عن التصرف فيه بلا خلاف .

اقول: وقد سبق بحث الرزق : الحلال والحرام منه تفصيلا في تفسير سورة الذاريات فراجع .

واستدل بعض الفقهاء والمفسرين بقوله تعالى : « وانفقوا مما رزقنا كم من قبل أن ياتي أحد كم الموت » على وجوب تعجيل أداء الزكاة ، وعدم جواز تأخيرها أصلا ، و كذلك سائر العبادات اذا تعيّن وقتها .

اقول: هذا اذا أخذنا بعموم الاية في انفاق الواجب خاصة دون النفل .



﴿بحث مذهبي﴾

وقد اختلف الكلمات في حقيقة الايمان : هل هو تصديق قلبي ، ام تصديق لساني ، اولابد منهما فيه عند التمكن ، فذهب الى كل طائفة ، واستدل الاولون بقوله تعالى : « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » المنافقون : ١)

وذلك لان الله تعالى كذّبهم فيما كانوا يدّعون لانفسهم من الايمان، وان كانوا يشهدون بالسنتهم .

في المجمع : قال : « وفي هذا دلالة على ان حقيقة الايمان انما هو بالقلب ومن قال شيئاً واعتقد خلافه فهو كاذب »

وفيه: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : الاسلام علانية والايمان في القلب وبقوله تعالى « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا و لما يدخل الايمان في قلوبكم » الحجرات : ١٤)

بناءاً على أن الايمان معنى قائم بالقلب من قبيل الاعتقاد ، فما يشهد باللسان من اعتقاد قلبي فهو الاسلام فانه أمر قائم باللسان .

قال الله تعالى : « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا » الحجرات : ١٥)

أى لم يشكوا في حقية ما آمنوا به .

واستدلت الطائفة الثانية بقوله تعالى : « ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا » المنافقون : ٣) على كفاية الشهادة باللسان في الايمان ، اذ جعل الله تعالى المنافقين

أهل ايمان ، وهم ما كانوا يعتقدون بما يظهرون كما فى‌قوله تعالى: « ان‌الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفرلهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان‌لهم عذاباً أليما »النساء : ١٣٧ـ ١٣٨)

اجيب عنه بان المنافقين آمنوا ظاهراًعند النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ثم كفروا بقلوبهم اذا خلوا إلى شياطينهم‌ويؤيد ذلك قوله تعالى : « يا ايهاالذين آمنوا آمنوا بالله‌ورسوله‌والكتاب الذى نزّل‌على‌رسوله‌والكتاب الذى‌انزل من‌قبل النساء : ١٣٦) على أن المراد من الايمان الاول إظهاره ، ومن الثانى الاعتقاد و التصديق القلبى .

واما الاخرون فاستدلوا بروايات كثيرة منها :

وفي ألكافي : باسناده عن سماعة قال : قلت لابى عبدالله عليه السلام : أخبرنى عن الاسلام والايمان أهما مختلفان ؟ فقال : ان الايمان يشارك الاسلام والاسلام‌لا يشارك الايمان ، فقلت : فصفهمالى،فقال:الاسلام : شهادة‌أن لا اله الا الله‌والتصديق بـرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به حقنت الدماء وعليه جـرت المناكح والمواريث ، وعلى ظاهره جماعة الناس والايمان الهدى ، وما يثبت فى القلوب من صفة الاسلام،وما ظهر من العمل به والايمان أرفع من الاسلام‌بدرجة ، ان الايمان يشارك الاسلام فى الظاهر ، والاسلام لايشارك الايمان فى الباطن وإن اجتمعا فى القول والصفة.

وفيه : باسناده عن أبى عبدالله عليه السلام قال :الايمان هوالاقرار باللسان وعقد فى القلب وعمل بالاركان .

وفيه : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سئلته عـن الايمان فقال : شهادة ان لااله الاّ الله وان محمداً رسول الله والاقرار بما جاء من عندالله ، وما استقرّ فى القلوب من التصديق بذلك قال : قلت : الشهادة أليست‌عملا قال : بلى قات : العمل من الايمان ؟ قال : نعم ، الايمان‌لايكون الاّ بعمل‌والعمل منه ولا يثبت الايمان الا بعمل .

و فى الدر المنثور : باسناده‌عن على بن ابيطالب عليه السلام قال : قال‌رسول

الله ﷺ : الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان .
ويدل على ذلك قوله تعالى : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا »الانفال : ٢ ـ ٤)
وقد ذهبت الاشاعرة الى ان الكفر والايمان بيدالله سبحانه ، فلا اختيار للانسان فيهما ، واستدلوا على ذلك بآيات منها :
قوله تعالى : « فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون » المنافقون : ٣)
اقول: ومن البديهى ان الباطل لما كان لايبتنى على اساس كان هدمه بأقل شيء ، وكذلك المقام، اذ فى الاية الكريمة نفسها مايرد عليهم ،وهوحرف الفاء ، حيث ان تفريع طبع القلوب على الكفر رد عليهم .
وانما المراد من طبع قلوب المنافقين : أن يحدث فى أنفسهم هيأة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصى واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهما كهم فى التقليد ، واعراضهم عن النظر الصحيح ، فتجعل قلوبهم بحيث لاينفذفيها الحق، واسماعهم تعاف استماعه ، فتصير كانها مستوثق منها بالطبع ، و ابصارهم لاتجتلى الايات المنصوبة لهم فى الانفس والآفاق كما تجتليها أعين المستبصرين ، فتصير كأنها غطى عليها ، وحيل بينها وبين الابصار وسماه ـ على الاستعارة ـ طبعاً .
و أما نسبة إحداث هذه الهيئة إلى الله تعالى فهى من حيث أن الممكنات بأسرها مستندة إلى الله جل وعلا ، واقعة بقدرته اسندت إليه ، و من حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى : « بل طبع الله عليها بكفرهم » النساء : ١٥٥) وقوله تعالى: « ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم » المنافقون: ٣) وردت ناعية عليهم شناعة صفتهم و وخامة عاقبتهم .
و هكذا الايات التى جاء فيها ذكر الطبع على القلوب ، تعبيراً آخر عن نفس تلك الحالة الجافة الجافية التى تعرض نفوس اولئك الجاحدين للحق المعاندين له ممن أصروا على منابذة طرق الهدى والصلاح، وصمدوا على العتو والاستكبار..

انها حالة قسوة هم عملوا فى تكوينها وتربيتهافى نفوسهم العاتية مما خطيئاتهم اغرقوا .

قال الله تعالى : « كذلك نطبع على قلوب المعتدين » يونس : ٧٤) .

وقال : « كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » الاعراف : ١١)

وقال : « كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » غافر : ٣٥) .

وغيرها من آيات الطبع الذى أسنده تعالى إلى نفسه نظراً لان الله تعالى هو الذى أقدرهم على ذلك، وجعل لهم الاختيار فى الرفض والقبول تحقيقاً لحكمة التكليف والاختبار .

و فى الحقيقة انه اخبار عن واقعية سوداء هم عملوا فى تكوينها ، و فى تمهيد أسباب و جودها ، بما اعرضوا عن ذكر الله تعالى و نسوا الاخرة ، و فى الايات مايشف عن هذا الجانب فى ذوات أنفسهم ، كان هو السبب العامل لتكوين الحالة المذكورة .

.وعلى نفس المنهج تعابير آخر ، كالرين والختم والاكنة على القلوب ، و الحؤول دونها وتقليبها واغفالها وتعميتها ، وما اليها من كونها غلفاً او مقفلة او محتجبة او مريضة او زائغة ... كلها تعابير عن تلكم القسوة والجفاء التي انطوت عليها قلوب جاحدة ماتت حيويتها ، ووقفت نبضاتها عن الفعالية والادراك الانسانى النبيل ، ومن ثم جاء التعبير بالخشب المسندة من الجماد ايضاً فضلا عن التعبير عنهم بالحيوانات البهم .

قال الله تعالى: « كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم» المنافقون: ٤) و بعبارة اخرى : ان الطبع على القلب جعله بحيث لايقبل الحق ، ولايتبعه فلامحالة يتبع الهوى كما قال تعالى : « طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواء هم» محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ١٦) و ان الطبع لايكون من الله تعالى الا مجازاة لانه اضلال والذى ينسب إليه سبحانه من الاضلال ، انما هو اضلال على سبيل المجازاة دون الاضلال الابتدائى

و في قوله تعالى : « فيقول رب لولا أخرتني ... الاية » المنافقون:١٠) دلالة على ان الله سبحانه لن يخلق الكفر والنفاق في أحد لانه سبحانه لو فعل ذلك لما كان لتمني التأخير والرد معنى ، بل كان الواجب أن يطلبوا منه تعالى أن يكف عنهم الكفر والنفاق ، بل يخلق فيهم الايمان بدل الكفر .

وقد استدل بعض المحققين بهذه الآية على صحة الرجعة فقال : لو لم تكن الرجعة ممكنة لما كان السائل يسئل عنها إلى الدنيا ليعمل صالحاً .



﴿النفاق والمنافقون﴾

قال الله تعالى : « اذاجاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » المنافقون : ١) .

وقد اختلفت الكلمات فى تعريف النفاق اختلافاً كثيراً كلها ناش عن اطلاق المنافق على الكافر تارة ، وعلى المسلم تارة اخرى ، وعلى الفاسق ثالثة فى الايات القرآنية ...

فكأنه خفى عليهم : ان الاطلاق لا يغيّر الواقع اذ كان بين النفاق وبين الاولين من عموم الاطلاق ، وبينه والاخير من عموم الوجه .

ومن المفسرين : الشيخ قدس سره قال فى (التبيان) : ان المنافق هوالذى يظهر الاسلام بلسانه وينكره بقلبه .

ومنهم : من قال : ان المنافق من يظهر الايمان ، ويبطن الكفر إمالضعفه فى الاعتقاد ، واما بقصد الافساد .

ومنهم : من قال : ان المنافق هو الذى يخالف قوله فعله وسره علانيته ، ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه .

ومنهم : من قال : ان النفاق تزيين الظاهر باركان الاسلام ، وتعطيل الباطن عن أنوار الايمان والقلب المعطل عن نور الايمان يكون مزينا بظلمة الكفر و الطغيان لان من يحب الدنيا ، فلا يرضى الا بوجدانها ويسخط بفقدانها .

ومن اللغويين : من قال : ان النفاق ككتاب : فعل المنافق ، وهوالدخول فى الاسلام من وجه والخروج عنه من وجه آخر .

وان النفاق وما تصرف منه اسماً وفعلا : هو اسم اسلامى لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وإن كان اصله فى اللغة معروفاً .

وان المنافق : هو الذى يستر كفره ويظهر ايمانه .

وعن ابن الانبارى انه قال فى تسمية المنافق منافق : ثلاثة أقوال :

احدها : انه سمى به لانه يستر كفره ويغيبه ، فشبه بالذى يدخل النفق وهو السرب يستتر فيه .

ثانيها : انه نافق كاليربوع فشبه به لانه يخرج من الايمان من غير الوجه الذى دخل فيه .

ثالثها : انه سمى به لاظهاره غيرما يضمر تشبيهاً باليربوع فكذلك المنافق ظاهره ايمان وباطنه كفر .

فعلى هذا يحمل حديث : « أكثر منافقى هذه الامة قرّاؤها » أراد بالنفاق هنا الرياء لان كلاهما اظهار غير ما فى الباطن .

ولايخفى ان المنافق يطلق على معان :

منها : من أظهر الاسلام وأبطن الكفر ، وهذا هو المعنى المشهور .

ومنها : من عمل عملا صالحاً رئاء الناس .

ومنها : من يظهر الحب ويكون فى الباطن عدواً .

ومنها : من أظهر الصلاح ويكون فى الباطن فاسقاً .

ومنها : من يدعى الايمان ولم يعمل بمقتضاه ، ولم يتصف بالصفات التى ينبغى أن يكون المؤمن عليها ، فكان باطنه مخالفاً لظاهره .

أما الروايات الواردة :

ففى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المنافقين : « مستكبرون ، لايألفون ولايؤلفون خشب بالليل ، صخب بالنهار » .

وفى رواية : اذا قال العبد : « لااله الا الله » فينبغى أن يكون معه تصديق وتعظيم وحلاوة وحرمة ، فاذا قال : « لااله الاالله » ولم يكن معه تصديق فهو منافق ،

واذا لم يكن معه تعظيم فهو مبتدع ، واذا لم يكن معه حلاوة فهو مراء ، واذا لم يكن معه حرمة فهو فاسق .

وفي الكافي : باسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال ـ في حديث ـ : رجل منافق يظهر الايمان متصنّع بالاسلام ، لايتأثم ولا يتجرّح أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . الحديث .

وفي معاني الاخبار : باسناده عن عبدالله بن سنان قال : كنّا جلوساً عند أبي عبدالله عليه السلام إذ قال له رجل : أتخوف أن أكون منافقاً ، فقال له : اذا خلوت في بيتك نهاراً أوليلاً أليس تصلّي ؟ فقال : بلى ، فقال : فلمن تصلّي؟ قال: لله عزوجل ، فقال : فكيف تكون منافقاً ، وأنت تصلي لله عزوجل لالغيره .

وفي تفسير العياشي : عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : كتبت إليه أسأله عن مسئلة ، فكتب إلي : ان الله يقول : « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم إلى قوله سبيلاً » ليسوا من عترة رسول الله ،وليسوا من المؤمنين ، وليسوا من المسلمين ،يظهرون الايمان ، ويسرّون الكفر والتكذيب لعنهم الله

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الناس على خمس مراتب : منهم من يرى ان الرزق من الكسب فهو كافر ، ومنهم من يرى ان الرزق من الله ، وان الكسب سبب فلايدري يعطيه أم لا ، فهو منافق شاك ، و منهم من يرى ان الرزق من الله وان الكسب سبب فلايؤدي حقه ، و يعصى الله من أجل الكسب ، فهو فاسق ، ومنهم من يرى ان الرزق من الله ويرى الكسب سبباً ، ويؤدي حقه، ولايعصى الله لاجل الكسب فهو مؤمن مخلص .

و في جامع البيان : عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرّة و إلى هذه مرّة لاتدري ايّتهما تتبع » .

أقول : الشاة العائرة أي المتحيرة المترددة لاتدري لأيّ الغنمين تتبع

كما ان المنافق مرة مع المؤمنين، واخرى مع الكافرين او ظاهره مع المومنين وباطنه مع الكافرين.

و فى الدر المنثور: قال قتادة فى قوله تعالى: «مذبذبين بين ذلك لامن هؤلاء ولامن هؤلاء» يقول: ليسوا بمؤمنين مخلصين ولامشركين مصرحين بالشرك قال: وذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يضرب مثلاً للمؤمن و الكافر و المنافق كمثل رهط ثلاثة دفعوا إلى نهر، فوقع المؤمن فقطع ثم وقع المنافق حتى كاديصل إلى المؤمن ناداه الكافر! ان هلمّ إليّ فانى اخشى عليك، وناداه المؤمن! ان هلمّ إليّ، فان عندى و عندى يحض اه ماعنده، فما زال المنافق يتردد بينهما حتى أتى عليه الماء فغرقه، و ان المنافق لم يزل فى شك و شبهة حتى اتى عليه الموت وهو كذلك.

وفى تفسير ابن كثير: عن أبى الدرداء قال: ان رجلاً يقال له: حرملة أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: الايمان ههنا وأشار بيده إلى لسانه، والنفاق ههنا،وأشار بيده إلى قلبه، ولم يذكر الله الاّ قليلاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم اجعل له لساناً ذاكراً و قلباً شاكراً، وارزقه حبى وحب من يحبنى و صيّر امره إلى خير» فقال: يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان لى أصحاب من المنافقين و كنت رأساً فيهم أفلا آتيكهم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أتانا استغفر ناله، ومن أصرّ فالله اولى به ولا تخرقن على أحد ستراً»

اقول: ومن ظاهر كلامه صلى الله عليه وآله وسلم ان النهى راجع إلى من لم يصرّ ولم يرسخ النفاق فى قلبه فيرجى اهتدائه، و اما المصرّون الذين رسخ النفاق فى قلوبهم بحيث لايرجى اهتدائهم فيجوز خرق سترهم وغيبتهم و و و.

وفى الدر المنثور: عن الامام امير المؤمنين على عليه السلام قال: ان الايمان يبد لمحظة بيضاء فى القلب، فكلما ازداد الايمان عظماً ازداد ذلك البياض، فاذا استكمل الايمان ابيض القلب كله، وان النفاق لمحظة سوداء فى القلب فكلما ازداد النفاق عظما ازداد ذلك السوداء فاذا استكمل النفاق اسود القلب، وايم الله

لو شققتم على قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ،و لوشققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود .

فالمنافقون على فريقين :

فريق عرفوا باقوال قالوها ، وأعمال عملوها ، وفريق مـردوا على النفاق وحذقوه حتى صار أملس ناعماً لايكاد يشعر أحد بشيء يستنكره منه ، فيظهـر عليه ، و كل من الفريقين يوجد فى كل وقت وعصر ، ولا سيما منافقى السياسية فى عهدنا هذا وهم الذين يتخذهم الغربيون المعتدون على منافع و منابع مادية بلاد الاسلام ، ويتخذهم الشرقيون المتجاوزون على معنويات المسلمين دعاة وولائج واعواناً على استعباد الامة الاسلامية ، واستعمار أوطانهم و تخدير أفكارهم ، فما من قطر من هذه الاقطار التى رزئت بالاجانب الاعداء الأولهم فيها أعوان وأنصار من أهلها يزعمون انهم يخدمون امتهم ووطنهم من طريق استمالتهم واسترضائهم وانهم لولاهم لما وقفوا من الظلم وهضم الحقوق عند الحد الذى هم عليه ، ومنهم من يخدمون الأعداء المعتدين خدماً خفية لاتشعر بها الامة المسلمة لانهم مردوا على النفاق ، وانما تحتاج الخونة الخادمون للاجانب إلى النفاق ، وتلبيس خيانتهم واخفائها بالكذب والاختلاف اذا كان للرأى العام فطنة وقوة يخشونها وأما البلاد التى استحوذ عليها الجهل والضعف فلا يبالى الخائنون برضاء أهلها ولا بسخطهم وأشد المنافقين مردوا واتقاناً للنفاق أعوان الملوك والامراء المستبدين ، وشرّهم وأضرّهم الذين يلبسون لباس علماء الدين .

قال الله تعالى : « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضائت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لايبصرون ـ او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد و برق ـ يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا . . . » البقرة : ١٧ ـ ٢٠)

جعلهم الله تعالى طائفتين : طائفة ضرب لهم مثلا نارياً ، وهم صم بكم عمى لايرجعون ، و طائفة يترددون تارة فيظهر لهم لمع الايمان ويخبو تارة اخرى و

هم أصحاب المثل المائى ، وهم اخف جالا من الطائفة الاولى .

فمنهم منافق خالص لا يرجى منه الايمان ، ومنافق فيه شعبة من نفاق يرجى فيه الاهتداء كالجهل على نحوى البسيط والمركب .

وفى تفسير ابن كثير : عن عبدالله بن عمر قال :قال النبى ﷺ : « ثلاث من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كان فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : من اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان»

فالاية الاولى للدعاة الذين هم فى جهل مركب، والثانية لذوى الجهل البسيط من الاتباع والمردة .

وقد ثبت ان للنفس الانسانى حالات مختلفة :

منها: ما اشتدت عليها الصفة الحيوانية والغرائز الشهوانية ، فصارت طلاقة العنان بحيث لايمكن استيلاء العقل عليها ، ولا يقدر بانقاذها من تبعاتها ، و هى النفس الكافرة الصميمة على بقاءها على تلك الحالة ، فلاترى لها سعادة الا الانهماك فى الشهوات ، ولاعزة الا فى متاع الدنيا من المآكل والمشارب والملابس والمساكن وما اليها . . . فلاتستقر عند المعارف،ولا تسكن لدى الحكمة ، ولاتتعظ بالمواعظ ولا تقبل النصائح ،ولاتجيب دعوة الحق ، ولاتهتدى إلى سواء السبيل ، فلاتزكى ولاتطهر كابى جهل ومن سلك مسلكه قال الله تعالى فيهم: « لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون » الاعراف : ١٧٩) .

و منها : مالم تصل بهذا الحد، فهى قابلة للاهتداء فتستضيىء بنور الايمان وتسكن لدى الحكمة فتزكى وتطهر كأكثر المسلمين فى صدر الاسلام وآخرين من دونهم لحقوا بهم وهم الذين قال الله تعالى فيهم : « انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون » الانعام : ٦٥) .

و كذلك الحال فى المنافق مع شدة خباثتها اذبها يظهر الايمان و يبطن الكفر، فالمنافقون أيضاً على طائفتين : طائفة يرجى أن تبصر يوماً، فيطهر قلوبهم

من الكفر بانشراح الصدر بنور ربها ، ويغلب عقلهم هواهم فيخرجوا عن كونهم ذوى لسانين قال الله تعالى فيهم : « واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً واخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم » التوبة :١٠٢) وطائفة لايرجى منهم الايمان لغلبة السواد قلبهم ، ولا الاهتداء لاستيلاء أهواء هم عقولهم ، قال الله تعالى فيهم: « فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون ـ و هم مستكبرون ـ ان الله لايهدى القوم الفاسقين » المنافقون : ٣ ـ ٦) وقال بعض المحققين : ان للقلوب أربعة أحوال:

أحدها : الاعتقاد الذى يستفاد عن الدليل ، ويطابق الواقع ، فهوالعلم به.

ثانيها : الاعتقاد المطابق للواقع من غير استفادة عن دليل ، و هو اعتقاد تقليدى .

ثالثها : الاعتقاد الذى لايطابق الواقع وهو الجهل .

رابعها : خلو القلب عن ذلك كله .

وان للسان أحوالاً ثلاثة : الاقرار ، و الانكار ، و السكوت ، فيحصل من ضرب الاربعة فى الثلاثة اثناعشر قسماً :

أما الاول : فبان يحصل العلم ، فحينئذ إما أن ينضمّ اليه الاقرار باللسان، او الانكار او السكوت ، فعلى الاول : بان حصلت معرفة قلبية و كان معها الاقرار اختيارياً فصاحبها المؤمن حقاً بالاتفاق ولو كان الاقرار اضطرارياً ـ و هو ما اذا عرف بقلبه ولكنه يجد من نفسه انه لو لاخوف الدم و المال والعرض لما أقرّ بل انكر ـ فهذا يعدّ منافقاً لانه مكذّب بقلبه ، و إن كان مقراً بلسانه .

وعلى الثانى بان حصلت معرفة قلبية و كان معه الانكار اللسانى ، فلو كان هذا الانكار اضطرارياً لكان صاحبه مسلماً قطعا لقوله تعالى : « الاّ من اكره و قلبه مطمئن بالايمان » النحل : ١٠٦)

ولو كان الانكار اختيارياً لكان كافراً معانداً .

وعلى الثالث بان حصلت معرفة قلبية مع السكوت عن الاقرار ، فلو كان السكوت اضطرارياً لكان مسلماً ، ولو كان اختيارياً ، فهذا محل اختلاف، وقال

الغز الى : انه مؤمن .

وأما الثانى : فبان يحصل الاعتقاد التقليدى و كان معه الاقرار فلو كان هذا الاقرار اختياراً فمحل اختلاف بان المؤمن المقلد هل هو مؤمن واقعاً أم لا ؟ وان كان اضطرارياً يتوقف على الصورة الاولى هل هو مؤمن أم منافق ؟ .

وعلى الثانى : بان حصل هذا الاعتقاد مع الانكار باللسان ، فلو كان هذا الانكار اختيارياً فهو كافر قطعاً، وان كان اضطرارياً، فان قلنا بايمان المقلد، فهو مؤمن والاّ فلا .

و على الثالث : بان كان مع هذا الاعتقاد السكوت ، فكان حكمه حكم الثالث من النوع الاول ، سواء كان السكوت اختيارياً أم اضطرارياً .

وأما الثالث : فبان كان للقلب جهل ، فان كان معه الاقرار اللسانى،فلو كان هذا الاقرار إضطرارياً فهو منافق ، وان كان اختياراً فهو منافق أيضاً .

وعلى الثانى بان كان مع الجهل انكار لسانى فهو كافر ، وليس بمنافق لانه لم يظهر شيئاً بخلاف باطنه .

وعلى الثالث بان يكون مع الجهل سكوت فهو كافر .

وأما الرابع : فبان يكون القلب خالياً عن جميع الاعتقادات ، فلووجد معه الاقرار و كان اختيارياً فصاحبه فى مهلة من النظر ، ولم يلزمه الكفر ،وان كان اضطرارياً لم يكفر صاحبه أيضاً اذله المهلة فى النظر .

وعلى الثانى : بأن يكون مع القلب الخالى انكارلسانى فحكمه على العكس من حكم القسم العاشر .

وعلى الثالث : بان يكون مع القلب الخالى سكوت عن الاقرار والانكار ، فهذا فى مهلة من النظر.

وفى رواية: «القلوب أربعة :قلب أغلف ، فذلك قلب الكافر ، وقلب منكوس فذلك قلب رجع إلى الكفر بعد الايمان ، وقلب أجرد مثل السراج يزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب مصفح اجتمع فيه النفاق والايمان فمثل الايمان فيه كمثل بقلة يمدّها الماء العذب، ومثل النفاق فيه كمثل قرحة يمدها القيح والدم وهو لا يهما غلب»

﴿علائم المنافقين وآثار النفاق﴾

وقد وردت روايات كثيرة في المقام نشير إلى نبذة منها :

١ـ في الكافي باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاث من كنّ فيه كان منافقاً وإن صام وصلّى وزعم انه مسلم : من اذا ائتمن خان ، واذا حدّث كذب ، واذا وعد أخلف ، ان الله عزوجل قال في كتابه : « ان الله لايحب الخائنين » و قال : « ان لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين » وفي قوله عزوجل : « واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً » .

٢ـ وفيه باسناده عن يزيد الصايغ قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : رجل على هذا الامر إن حدّث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن ائتمن خان ، مامنزلته؟قال: هي أدنى المنازل من الكفر وليس بكافر .

قوله عليه السلام : « على هذا الامر » أي مصدق بفرض إطاعتكم ، و « ليس بكافر » أي ظاهراً .

٣ـ وفيه باسناده عن محمد بن الفضيل قال : كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسئله عن مسئلة فكتب إليّ : « ان المنافقين يخادعون الله و هو خادعهم و اذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولايذكرون الله الاّ قليلاً مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضل الله فلن تجدله سبيلا ، ليسوا من الكافرين ، و ليسوا من المؤمنين ، و ليسوا من المسلمين ، يظهرون الايمان و يصيرون إلى الكفر والتكذيب لعنهم الله » .

٤- فى تحف العقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال - فى حديث - : وأماعلامة المنافق فاربعة : فاجر دخله يخالف لسانه قلبه ، وقوله فعله ، وسريرته علانيته ، فويل للمنافق من النار .

٥ - وفيه فى كتابه إلى محمدبن أبى بكر وأهل مصر - إلى أن قال - :وان استطعتم ياأهل مصر أن يصدق قولكم فعلكم وسركم علانيتكم ولا تخالف ألسنتكم أفعالكم فافعلوا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « انى لا اخاف على امتى مؤمناً ولا مشركا ، أما المؤمن فيمنعه الله بايمانه ، وأما المشرك فيخزيه الله ويقمعه بشركه ، ولكنى اخاف عليكم كل منافق حلو اللسان يقول : ما تعرفون ويفعل ماتنكرون » ليس به خفاء .

٦ - فى أمالى صدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن ابى حمزة الثمالى عن سيد العابدين على بن أبيطالب عليه السلام قال - فى حديث - : و المنافق ينهى و لاينتهى ، ويأمر بما لايأتى اذاقام فى الصلاة اعترض ، واذا ركع ربض ، واذاسجد نقر ، واذا جلس شغر ، يمسى وهمه الطعام وهو مفطر ، ويصبح و همه النوم ولم يسهر ، إن حدثك كذبك ، وان وعدك أخلفك ، وإن ائتمنته خانك ، وان خالفته اغتابك .

٧- فى نهج البلاغة قال الامام امير المومنين على عليه السلام : « للمنافقين علامات يعرفون بها : تحيتهم لعنة ، وطعامهم تهمة ، وغنيمتهم غلول ، لايعرفون المساجد الاّ هجراً ، ولايأتون الصلاة الاّ دبراً ، مستكبرون لايألفون ولا يؤلفون خشب باالليل صخب بالنهار .

٨- وفيه قال عليه السلام : « والمنافق اذا نظر لها ، واذا سكت سها ، واذاتكلّم لغى ، و اذا أصابه شدة شكى فهو قريب السخط بعيد الرضا ، يسخطه على الله اليسير ، ولايرضيه الكثير ، قوته تبلغ ، و نيته لاتبلغ ، مغموسة فى الشريده ، ينوى كثيراً من الشر ، و يعمل بطائفة منه ، فيتلهف على مافاته من الشر كيف لم يأمر به ، و كيف لم يعمل به ، على لسان المؤمن نور يسطع ، و على لسان

المنافق شيطان ينطق .

٩ ـ في مصباح الشريعة : قال الصادق عليه السلام : المنافق قد رضى ببعده من رحمة الله تعالى لانه ياتى بأعماله الظاهرة شبيهاً بالشريعة ، وهو لاغ باغ لاه بالقلب عن حقها ، مستهزىء فيها ، وعلامة النفاق قلة المبالاة بالكذب والخيانة والوقاحة والدعوى بلامعنى ، وسخنة العين والسفه والغلط ، وقلة الحياء واستصغار المعاصى و استيضاع أرباب الدين ، واستخفاف المصايب فى الدين ، والكبر وحب المدح و الحسد ، و ايثار الدنيا على الاخرة والشر على الخير ، و الحث على النميمة ، وحب اللهو ، ومعونة أهل الفسق والبغى و التخلف عن الخيرات ، وتنقص أهلها واستحسان مايفعله من سوء ، واستقباح مايفعله غيره من حسن ، وأمثال ذلك كثيرة.

وقد وصف الله تعالى المنافقين فى غير موضع فقال عزمن قائل: « ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصحابه خير اطمأن به و ان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين » .

وقال عزوجل فى صفتهم : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الاخر وماهم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم ومايشعرون فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا » ،

قوله عليه السلام : « سخنة العين » السخنة ـ بالضم ـ : الحرارة وهى كنايه عن الحزن والبكاء .

١٠ ـ و فيه : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : المنافق من اذا وعد أخلف ، و اذا فعل أساء ، واذا قال كذب ، واذا ائتمن خان ، واذا رزق طاش ، واذا منع عاش

١١ ـ وفيه : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : من خالفت سريرته علانيته فهو منافق كائناً من كان ، وحيث كان ، وفى أى ارض كان ، وعلى أى رتبة كان .

١٢ ـ فى الكافى باسناده عن مسعدة بن صدقة قال : كتب أبوعبدالله عليه السلام إلى رجل : « بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان المنافق لايرغب فيما قد سعد به المؤمنون ، والسعيد يتعظ بموعظة التقوى وإن كان يراد بالموعظة غيره .

١٣ ـ فى رواية عن أبى حيان انه قال : ارتحلت إلى مكـة وجئت سعيد بن جبير ، فقلت له جئتك من خراسان فى تأويل قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « علامة المنافق ثلاث اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان » ولارى انهافى نفسى فتبسّم سعيد ، وقال : وقع فى سرّى ماوقع فى سرّك ، فأتيت عبدالله بـن عباس وقت القيلولة فوجدته عندالبيت فسئلته عن تأويل هذاالحديث فتبسّم ، وقال أشكل علىّ ماأشكل عليك ، فذهبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقت القيلولة ، فاذن لنا فذكرناله صلى الله عليه وآله وسلم هذا فتبسم صلى الله عليه وآله وسلم وقال : ألستما على شهادةأن لا اله الاالله ؟ قلنا: بلى فقال : هل رجعتما عن ذلك ، فقلنا : لاقال : لقد قلتما وصدقتما ، ثم قال : ألستما على ما قررتكما عليه من الايمان بالله وملائكته و كتبه و رسله والجنة والنار و البعث ؟ قلنا : نعم كأنها رأى العين ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم هذا من الانجاز ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم ألستما تصليان وتسجدان فى الصلوة فى الخلوة؟ فقلنا : نعم فقال صلى الله عليه وآله وسلم : هى الأمانة لا خيانة فيها .

١٤ ـ فى تفسير العياشى عن زرارة عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال : لاتقم إلى الصلاة متكاسلا ولامتناعساً ولامتثاقلا ، فانها من خلل النفاق قـال الله تعالى للمنافقين : « واذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس الخ »

١٥ ـ فى وسائل الشيعة : عـن السكونى عـن ابى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سيأتى على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم ، وتحسن فيه علانيتهم طمعا فى الدنيا لايريدون به ما عند ربهم ، يكون دينهم رياء الاّ يخالطهم خوف يعمهم الله بعقاب ، فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم .

١٦ـ وفيه : عن مسمع عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مازاد خشوع الجسد على ما فى القلب فهو عندنا نفاق .

١٧ـ فى المجالس باسناده عن السكونى عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : من سمع النداء فى المسجد فخرج من غيرعلة فهومنافق الا أن يريد الرجوع إليه .

١٨ـ فى الفقيه : باسناده عن جعفرابن محمد عن أبيه فىوصية النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام قال : ياعلى النوم أربعة : نوم الانبياء على أقفيتهم ، ونوم المؤمنين على أيمانهم ، ونوم الكفار والمنافقين على يسارهم ، ونوم الشياطين على وجوههم .

١٩ـ فى الكافى : باسناده عن احمد بن اسحق قال : دخلت على أبى محمد عليه السلام ـ إلى أن قال ـ : فقلت : يا سيدى روى لنا عن آبائك ان نوم الانبياء على أقفيتهم ، ونوم المؤمنن على أيمانهم ، ونوم المنافقين على شمائلهم ، ونوم الشياطين على وجوههم ، فقال عليه السلام : كذلك هو ، فقلت : يا سيدى انى أجهد ان انام على يمينى فما يمكننى ولايأخذنى النوم عليها ، فسكت ساعة ثم قال : يا أحمد ادن منى ، فدنوت منه ، فقال : ادخل يدك تحت ثيابك فادخلتها ، فاخرج بيده من تحت ثيابه وأدخلها تحت ثيابى ، فمسح بيده اليمنى على جانبى الايسر ، وبيده اليسرى على جانبى الايمن ثلاث مرات قال أحمد: فما أقدرأن انام على يسارى منذ فعل عليه السلام ذلك بى وما يأخذنى نوم عليها أصلا .

٢٠ ـ وفيه : باسناده عن سعيد ابن يسار عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مثل المنافق مثل جذع النخل أراد صاحبه أن ينتفع به فى بعض بنائه فلم يستقم له فىالموضع الذى أراد ، فحوله فى موضع آخر فلم يستقم له ، فكان آخر ذلك أن أحرقه بالنار .

٢١ ـ فى مجالس المفيد رحمة الله تعالى عليه باسناده عن احمد بن عيسى عن محمد بن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خلتان لاتجتمعان فى منافق : فقه فى الاسلام ، وحسن سمت فى الوجه .

٢٢ـ فى الاختصاص : قال الصادق عليه السلام : أربع من علامات النفاق : قساوة القلب ، وجمود العين ، والاصرار على الذنب ، والحرص على الدنيا .

٢٣ـ فى وسائل الشيعة : قال امير المؤمنين عليه السلام : من ذكرالله عزوجل فىالسر فقد ذكرالله كثيراً ، ان المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولايذكرونه فى السر فقال الله عزوجل : « يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا » .

٢٤ ـ في المحاسن: باسناده عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: صلاة الجمعة فريضة والاجتماع إليها فريضة مع الامام، فان ترك رجل من غير علة ثلاث جمع فقد ترك ثلاث فرائض، ولا يدع ثلاث فرائض من غير علة الا منافق.

٢٥ـ في التهذيب: باسناده عن عبد الله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفجر، فأقبل بوجهه على أصحابه فسئل عن اناس يسميهم بأسمائهم، فقال: هل حضروا الصلاة؟ فقالوا: لا يا رسول الله فقال: أغيب هم؟ قالوا: لا، فقال: أما انه ليس من صلاة أشد على المنافقين من هذه الصلاة والعشاء، ولو علموا أى فضل فيهما لاتوهما ولو حبواً.

٢٦ـ في روضة الكافي: باسناده عن الفضيل بن عياض عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ان المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط.

٢٧ـ في اصول الكافي: باسناده عن الحسن الصيقل قال: قال أبوعبدالله عليه السلام ان الفحش والبذاء والسلاطة من النفاق.

٢٨ـ في وسائل الشيعة: بالاسناد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اياك وما تعتذر منه، فان المؤمن لا يسيىء ولا يعتذر، والمنافق يسيء كل يوم ويعتذر.

٢٩ ـ في مكارم الاخلاق: عن عبد الله بن مسعود قال: دخلت أنا وخمسة رهط من أصحابنا يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أصابتنا مجاعة شديدة، ولم تكن رزقنا منذ أربعة أشهر الا الماء واللبن وورق الشجر، فقلنا: يا رسول الله إلى متى نحن على هذه المجاعة الشديدة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - إلى أن قال - يا ابن مسعود! سيأتي من بعدى أقوام يأكلون طيبات الطعام وألوانها، ويركبون الدواب ويتزينون بزينة المرأة لزوجها، ويتبرجون تبرج النساء، وزيهم زى الملوك الجبابرة: هم منافقو هذه الامة في آخر الزمان، شاربو القهوات، لاعبون بالكعبات، راكبون الشهوات، تاركون الجماعات، راقدون عن العتمات،

مفرطون فى الغدوات يقول الله تعالى : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » .

يا ابن مسعود ! مثلهم الدفلى ، زهرتها حسنة ، وطعمها مرّ ، كلامهم الحكمة ، وأعمالهم داء لا تقبل الدواء : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » .

يا ابن مسعود ! ما ينفع من يتنعم فى الدنيا اذا أخلد فى النار ؟ « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » يبنون الدور ، ويشيدون القصور ، ويزخرفون المساجد ، ليست همتهم الا الدنيا ، عاكفون عليها ، معتمدون فيها ، آلهتهم بطونهم ، قال الله تعالى : « و تتخذون مصانع لعلكم تخلدون و اذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون » .

وقال الله تعالى : « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » .

وما هو الا منافق ، جعل دينه هواه والهه بطنه ، كل ما اشتهى من الحلال والحرام لم يمتنع منه ، قال الله تعالى : « وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع » .

يا ابن مسعود ! محاريبهم نساؤهم ، وشرفهم الدراهم والدنانير ، وهمّتهم بطونهم ، اولئك هم شر الاشرار ، الفتنة منهم وإليهم تعود - إلى أن قال - : يا ابن مسعود ! اولئك يظلمون الابرار ويصدقون الفجار والفسقة الحق عندهم باطل ، والباطل عندهم حق ، هذا كله للدنيا ، وهم يعلمون أنهم على غير حق ، ولكن زين الشيطان لهم أعمالهم فصدهم عن السبيل ، فهم لا يهتدون « رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون »

يا ابن مسعود ! قال تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاء نا قال : ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين » .

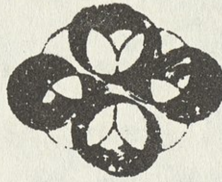
يا ابن مسعود ! انهم ليعيبون على من يقتدى بسنتى وبفرائض الله ، قال الله تعالى : « فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون انى جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون » .

٣٠- فى رواية : عن عبدالله بن عمر ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر » .

أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان من جمع هذه الخصال كان منافقاً ، وخبره صدق

٣١- فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خمس لا يكون فى المنافق : الفقه فى الدين ، والورع فى اللسان ، والسمت فى الوجه ، والنور فى القلب ، والمودة للمسلمين .

٣٢ - وفى الحديث : « ان المنافقين اذا مرض ثم أعفى كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه ، فلم يدر لم عقلوه ولم أرسلوه » أعفى المريض بمعنى عوفى .



﴿موجبات النفاق وعلاجه﴾

ومن البديهي : ان لكل شيء سبباً يستند في وجوده اليه ، فاذا حصل السبب ولم يقم مانع حصل المسبب كموت الانسان من شرب السموم وشفائه من تناول الدواء ، وان خالق هذا السبب و المسبب وإن كان بيد الله تعالى ولكن لا يكون وجود السبب علة تامة لوجود المسبب اطلاقاً .

وقد ثبت ان سنن التأثير والتأثر من الامور المعنوية كسنن التأثير والتأثر في الامور المادية ، وان الله تعالى كما جعل للامور المادية أسباباً جعل للامور المعنوية أسباباً توجد مسبباتها عند حصول الاسباب...

وقد اشير في الايات القرآنية والروايات الكثيرة إلى أسباب النفاق ، فاذا حصلت باختيار الانسان حصل النفاق : من البخل والحسد وحب الدنيا ومتاعها من الاموال والاولاد وحب الجاه ، والاماني والآمال واتباع الهوى والتهاون في أمر الدين والحمية والطمع والمراء والخصومة واللهو والغناء واكل الطين وغيبة المسلم . . .

قال الله تعالى : « فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » التوبة : ٧٦ ـ ٧٧)

وقال : « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظروا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم

أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء امرالله وغركم بالله الغرور »
الحديد : ١٣ـ ١٤)

في الكافي : باسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال ـ في حديث ـ : النفاق على أربع دعائم : على الهوى والهوينا و الحفيظة والطمع .

فالهوى على أربع شعب : على البغي والعدوان والشهوة والطغيان ، فمن بغى كثرت غوائله وتخلّى منه وقصر (نصرخ) عليه ، ومن اعتدى لم يؤمن بوائقه ، ولم يسلم قلبه ، ولم يملك نفسه عن الشهوات ، ومن لم يعدل نفسه في الشهوات خاض في الخبيثات ، ومن طغى ضلّ على عمد (عمل خ) بلاحجة .

والهوينا على أربع شعب : على الغرة والأمل والهيبة والمماطلة وذلك بان الهيبة تردّ عن الحق والمماطلة تفرّط في العمل حتى يقدم عليه الأجل ، ولو لا الأمل علم الانسان حسب ما هوفيه ، ولوعلم حسب ما هوفيه مات خفاتاً من الهول والوجل والغرة تقصر بالمرء عن العمل :

والحفيظة على اربع شعب : على الكبر والفخر والحميه والعصبية ، فمن استكبر أدبر عن الحق ، ومن فخرفجر ، ومن حمى أصرّ على الذنوب ومن أخذته العصبية جار ، فبئس الامر أمربين إدبار وفجور وضرار وجور على الصراط .

والطمع على أربع شعب: المرح والفرح واللجاجة والتكاثر ، فالفرح مكروه عندالله والمرح خيلاء واللجاجة بلاء لمن اضطرّته إلى حمل الاثام والتكاثر لهو ولعب وشغل واستبدال الذى هو أدنى بالذى هوخير .

فذلك النفاق ودعائمه وشعبه ، والله قاهر فوق عباده تعالى ذكره وجل وجهه وأحسن كل شيء خلقه وانبسطت يداه ووسعت كل شيء رحمته وظهر أمره وأشرق نوره وفاضت بركته واستضاءت حكمته وهيمن كتابه وفلجت حجته وخلص دينه، واستظهر سلطانه وحقت كلمته واقسطت موازينه وبلّغت رسله ، فجعل السيئة ذنباً ، والذنب فتنة ، والفتنة دنساً ، وجعل الحسنى عتبى ، والعتبى توبة ، والتوبة

طهوراً ، فمن تاب اهتدى ومن افتتن غوى ما لم يتب إلى الله ويعترف بذنبه و لا يهلك على الله الا هالك الله فما اوسع مالديه من التوبة والرحمة والبشرى والحلم العظيم ، وما أنكل ما عنده من الانكال والجحيم والبطش الشديد ، فمن ظفر بطاعته اجتنب كرامته ، ومن دخل في معصيته ذاق وبال نقمته وعما قيل ليصبحن نادمين .

اقول: قوله عليه السلام : « الهوينا » تصغير الهونى تأنيث الاهون ، وهو من الهون ، والمراد هنا : التهاون في أمر الدين ، وترك الاهتمام فيه و قوله عليه السلام : « الحفيظة » : الغضب والحمية و « حسب » بالتحريك : القدر والعدد و« خفاتا » بضم الخاء ـ : الموت فجأة و « هيمن كتابه » : صار كتابه رقيباً حافظاً شاهداً على كل شيء اذ فيه تبيان كل شيء « وفلجت حجته » : غلبت حجته الدالة على التوحيد و كمال القدرة وغاية الحكمة «وخلص دينه » عن الكذب والباطل والغش

وفيه: باسناده عن مسعدة ابن صدقة عن ابى عبدالله عليه السلام قال : قال امير ـ المؤمنين عليه السلام : اياكم والمراء والخصومة، فانهما يمرضان القلوب على الاخوان وينبت عليها النفاق .

وفيه: باسناده عن عنبسة العابد عن أبى عبدالله عليه السلام قال : اياكم والخصومة فانها تشغل القلب وتورث النفاق وتكسب الضغاين .

و فى وسائل الشيعة : بالاسناد عن كليب الصيداوى قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : ضرب العيدان ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الخضرة .

وفيه : عن عنبسة عن أبى عبدالله عليه السلام قال : استماع اللهو والغناء ينبت النفاق كما ينبت الماء الزرع .

وفى العلل : باسناده عن أبى بكر الحضرمى عن أحدهما عليه السلام قال: الغناء غش النفاق

وفى المحاسن : باسناده عن طلحة ابن زيد عن ابى عبدالله عليه السلام قال : أكل الطين يورث النفاق .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الغيبة على اربعة أوجه : الاول ينجر الى الكفر والثانى إلى النفاق ، و الثالث إلى المعصية ، والرابع الى المباح : أما ان الغيبة تنجر إلى الكفر ، من اغتاب مسلماً قيل له : لم تغتاب ؟ قال : ليس هذا غيبة فهو كفر ، و اما انه ينجر إلى النفاق ، من اغتاب مسلماً ولم يذكر اسمه ، و المستمعون يعرفونه ، وامّا انه ينجر إلى المعصية من اغتاب مسلما بشيء ، واذا استمع إلى شيء ، وأما انه ينجر إلى المباح فغيبة الأمير الفاسق الجائر .

و غيرها من الروايات الواردة التى لايسعها المقام ، و أما علاج النفاق ـ مالم يرسخ فى القلب و لم يسودّ كله و لم يطبع عليه ـ فبامور اشير إليها فى روايات كثيرة .. .

منها : فى وسائل الشيعة ، بالاسناد عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال: من قرأ سورة الانفال وسورة براءة فى كل شهر لم يدخله نفاق أبداً و كان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام .

ومنها: فى الكافى باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الصلاة عليّ وعلى أهل بيتى تذهب بالنفاق .

ومنها: و فيه بهذا الاسناد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ فانها تذهب بالنفاق .

ومنها: فى وسائل الشيعة :عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ـ فى حديث ـ : من صلى فى الليلة الثالثة عشر ركعتين بالحمد والتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته امّه، و كأنما أعتق مأتى رقبة من ولد اسمعيل واعطى براءة من النفاق ، وموافقة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وابراهيم . الحديث .

أقول: وان التدبر فى تبعات النفاق ، وحسرات المنافقين ، وخسرانهم فى الدنيا والاخرة يعالجه مالم يسود به القلب ، و على كل عاقل مسلم أن يجتنب موجبات النفاق حتى لايبتلى بدائه وعلاجه .

﴿ ذو اللسانين وأكل المنافق مع سبعة أمعاء ﴾

وقد اشير في كثير من الايات الكريمة والروايات الشريفة إلى المنافقين هم ذو الوجهين يترددون بين المتعادين فيتكلمون كل واحد بكلام يوافقه، وهم ذو اللسانين ليسوا بمسلمين ولا بكافرين مذبذبين بين ذلك لامن هؤلاء ولامن هؤلاء ولاقرار لهم ولااستقرار، وهم الذين يأكلون مع سبعة أمعاء...

قال الله تعالى فيهم: « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن » البقرة: ١٤ »

وقال: « ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون » التوبة: ٥٦)

وقال: « الم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم احداً ابداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون » الحشر: ١١ ـ ١٢)

وقال: « الم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولامنهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون » المجادلة: ١٤)

وقال: « مذبذبين بين ذلك لاإلى هؤلاء » النساء: ١٤٢)

وقال « اتخذوا أيمانهم جنة » المنافقون: ٢)

وقال: « هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ماليس في قلوبهم » آل عمران: ١٦٧)

في معاني الاخبار : باسناده عن أبي شيبة الزهري عن الباقر عليه السلام قال: « بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري أخاه شاهداً ويأكله غائبا إن اعطى حسده وإن ابتلي خذله »

وفي الخصال : باسناده عن زيدبن علي عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه وآخر من قدامه يلتهبان ناراً حتى يلهبا جسده ثم يقال : هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين يعرف بذلك يوم القيامة .

و في ثواب الاعمال : مرفوعاً قال : قال الله عزوجل لعيسى ابن مريم : يا عيسى ليكن لسانك في السرّ والعلانية لساناً واحداً ، و كذلك قلبك اني احذرك نفسك و كفى بي خبيراً ، لايصلح لسانان في فم واحد ، ولاسيفان في غمد واحد، ولا قلبان في صدر واحد و كذلك الاذهان .

أقول: وذلك لانه لاتجتمع في قلب محبتان متضادتان كحب الدنيا وحب الاخرة ، وحب الله تعالى وحب اعدائه ومعاصيه ، وحب المؤمنين وحب الكافرين وحب الحق وحب الباطل . . .

و في الخصال : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :المؤمن يأكل في معاء واحدة ، والمنافق يأكل في سبعة أمعاء .

وفي الكافي : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ في حديث ـ : سيكون من بعدي سمنة يأكل المؤمن في معاء واحد ، ويأكل الكافر في سبعة أمعاء .

وفيه : باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السلام قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : المؤمن يأكل بشهوة عياله (أهله خ) و المنافق يأكل أهله بشهوته .

وفي تفسير صدر المتالهين : قال : « ان المؤمن على طبع الرجال ، و الكفار على طبع الاناث ، و المنافق على طبع الخنثاء ، وطبع الخنوثة أقبح من

الانوثية ، وذلك لان الآخرة دار المبادى الفعالة ، والدنيا موضع القوابل المنفعلة فموطن المؤمن يكون عالم القدس ، وهو موطن الرجال ، وموطن الكافر الدنيا وهى عروسة غدّارة رعنا موطن النسوان ، و المنافق ذوالوجهين مذبذبين بين ذلك لا من ذاك ولامن هذا ، فعاقبته البوار والهلاك وانقطاع النتيجة » .



شر الناس المنافقون

وأسوأ حالاً من الكافرين وخوفهم

حقاً ان المنافقين شر الناس ، وأسوأ حالاًمن الكافرين ،فانهم يخدعونهم كما يخدعون المؤمنين« الم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع احداً أبداً و ان قوتلتم لننصرنكم و الله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون » الحشر : ١١ ـ ١٢)

وهم الذين يلقون الى الكافرين شبهات بحيث لولاهم لامن أكثر الكافرين جداً ، اذ كانوا يصدونهم عن سواء السبيل « اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون » المنافقون : ٢)

ويسعون فيافساد أذهان الشبان وعوام المسلمين ، ويعملون بما كان طعناً على الاسلام والمسلمين فيرى الاعداء أعمالهم نقصاً في الاسلام .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اني لاأخاف عليكم أحد الرجلين : مؤمناً قد تبين ايمانه ، و كافراً قد تبين كفره ، ولكن أخاف عليكم منافقاً يتعوذ بالايمان و يعمل بغيره » .

وان النفاق هوالمانع الوحيد من نشرمعارف الاسلام ، والموجب لتشويش الخواطر والأذهان واضطراب العوام في امور دينهم . . .

ولعمري ان ضرر المنافقين على الامة المسلمة والممالك الاسلامية يفوق

بمرات على ضرر الكافرين عليهم ، فانهم خير وسيلة لهم للاستثمار والاستعباد حيث ان المسلمين قلما يتأثرون بمن يخالفهم فى الاعتقاد إذ يرونه عدواً مخالفاً لعقيدته ، بخلاف المنافق فانه بانتحاله إلى الاسلام صار من أهل الدار وضرر أهلها عليهم أكثر من غيرهم اذ لايعلم من أسرارها مايعلم أهلها .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى وصيته لابن ذر الغفارى :

« يا أباذر ! سيكون ناس من امتى يولدون فى النعيم ، ويغذون به ، همهم ألوان الطعام والشراب ، ويمحدحون بالقول اولئك شرار امتى » .

وفى الخبر : « من شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه آخر ومن كان ذا وجهين فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار » .

وهذا شأن المنافقين فى كل وقت وعصر ، يخادعون ، يكذبون ، يكيدون يغشون ، ويقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم ، ويتولون أعداء ملتهم ويتخذون لهم يداً عندهم واولياء لهم ، وبهم تشيع الفواحش ، ويمنع بهم نشر المعارف ...

وهم ليسوا صنفاً خاصاً بل هم فى كل صنف من أصناف الامة الاسلامية فلا بد للمسلمين من حذارهم قال الله تعالى : « هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله » المنافقون : ٤)

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « ولقد قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « انى لا أخاف على امتى مؤمناً ولا مشركاً ، أما المؤمن فيمنعه الله بايمانه ، و أما المشرك فيقمعه الله بشركه ، ولكنى أخاف عليكم كل منافق الجنان ، عالم اللسان ، يقول ما تعرفون ، ويفعل ما تنكرون » .

أقول : وذلك لان المؤمن يمنعه الله تعالى بايمانه أن يضل الناس ويصدهم عن سواء السبيل او يخونهم ويخدعهم او يشيع بينهم الفاحشة ويدعوهم بالمنكر وينهاهم عن المعروف ، والمشرك مظهر الشرك يقمعه الله جل وعلا باظهار شركه ويخذله ، ويصرف قلوب العباد عن اتباعه لانهم ينفرون عنه لاظهاره كلمة الكفر، فلا تطمئن قلوبهم إليه ، ولا تسكن نفوسهم إلى مقالته ولا تجيب دعوته .

وأما المنافق الذى يظهر الايمان ويفعل صالح الاعمال ، ويسر الكفر و الضلال فيكون مع ذلك ذالسن وفصاحة ، يقول بلسانه ما تعرفون صوابه ، ويفعل سراً ما تكفرونه لواطلعتم عليه ، وذاك أن من هذه صفته تسكن نفوس الناس اليه لان الانسان انما يحكم بالظاهر فيقلّده الناس فيضلّهم ويوقعهم فى المفاسد .

قال الله تعالى : « واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غروراً » الاحزاب : ١٢) .

وقال : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة » النور : ١٩) .

وقال : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المنكر ويقبضون أيديهم » التوبة : ٦٧) .

وقال : « هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا» المنافقون : ٧)

وقال : « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهوألدّ الخصام واذاتولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل » البقرة : ٢٠٤ ـ ٢٠٥)

و قال : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم » التوبة : ٧٩)

وقال: « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً و كفراً وتفريقاً بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله و رسوله من قبل و ليحلفن إن أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون » التوبة : ١٠٧)

فى تفسير الجامع لاحكام القرآن : سئل حذيفة بن اليمان عن المنافق فقال الذى يصف الاسلام ولايعمل به ، و هو اليوم شرمنهم على عهد رسول الله ﷺ لانهم كانوا يكتمونه وهم اليوم يظهرونه .

وأمّا خوف المنافقين فقال الله تعالى : « يحسبون كل صيحة عليهم »

المنافقون : ٣)

وقال : « لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله » الحشر : ١٣)

و قال : « او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت » البقرة : ١٩)

حيث ان الصيب مثل لظاهر ماأظهره المنافقون بألسنتهم من الاقرار، والتصديق والظلمات هى التى كانت فى هذا الاقرار من استبطانهم الكفر والتكذيب والمرض فى قلوبهم ، واما الرعد والصواعق فلما هم عليه من الوجل بهم مع شكهم فى ذلك هل هو كائن اوغير كائن ؟ وهل له حقيقة ام لا ؟

فهم من وجلهم أن يكون ذلك حقاً يتقونه بالاقرار بما جاء به النبى صلى الله عليه وآله وسلم بألسنتهم مخافة على أنفسهم من الهلاك والدمار ، ونزول النقمات كما يتقى الخائف أصوات الصواعق بتغطية اذنيه ، وتصيير اصابعه فيها حذراً من نفسه فيها .

قال الله تعالى : « يحذر المنافقون أن تنزّل عليهم سورة تنبّئهم بما فى قلوبهم » التوبة : ٦٤)

وفي وسائل الشيعة: بالاسناد عن بكر بن محمد عن ابى عبدالله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول لاصحابه : من سجد بين الأذان والاقامة ، فقال فى سجوده : سجدت لك خاضعاً خاشعاً ذليلا ، يقول الله : ملائكتى وعزتى وجلالى لاجعلنّ محبته فى قلوب عبادى المؤمنين ، وهيبته فى قلوب المنافقين .

قال الله تعالى : « واذا ماانزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لايفقهون » التوبة : ١٢٧)

وفي نهج البلاغة: قال الامام على عليه السلام فى خطبة ـ : « ومن نهى عن المنكر أرغم انوف المنافقين »

المنافقون واليهود وموالاتهم

و اخراجهم من مسجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم

و لوتدبّرنا فى آيات تولّى المنافقين أعداء الاسلام والمسلمين لوجدنا أكثرهم اليهود كما فى قصة اجلاء اليهود من بنى النضير : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم . . . » الحشر : ١١)

كما كانت اليهودا كثر نفاقاً من غيرهم قال الله تعالى فيهم : « ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم و فى العذاب هم خالدون ولو كانوايؤمنون بالله والنبى وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهودوالذين اشر كوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى »

المائدة : ٨٠ ـ ٨٢)

فكأن ذلك من باب الجنس مع الجنس يميل ، فنشير إلى بعض ما جاء فى نفاق اليهود ، واخراجهم من مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم إلى مايعلم به ازدياد المنافقين بالمدينة المنورة بحيث توهم بعض المفسرين : انه لم يكن بمكة نفاق ولامنافق .

فى السيرة النبوية : لابن هشام ملخصاً : وتعوّذ طوائف من أحباراليهود بالاسلام ، ودخلوا فيه و كانوا هم منافقين :

من بني قينقاع : سعدبن حنيف ، وزيدبن اللصيت ، و نعمان ابن أوفى ، و عثمان بن أوفى

وزيدبن بن اللصيت هو الذى قال - حين ضلّت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - : يزعم محمد انه يأتيه خبر السماء ، وهو لايدرى أين ناقته ، فجائه صلى الله عليه وآله وسلم الخبر بما قال عدوالله فى رحله ، ودلّ الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم على ناقته ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ان قائلا قال : يزعم محمد ان يأتيه خبر السماء ، وهولا يدرى أين ناقته ؟ وانى والله ما أعلم الا ما علّمنى الله تعالى ، وقد دلّنى الله جل وعلا عليها ، فهى فى هذا الشعب ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فذهب رجال من المسلمين ، فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كما وصف .

ومنهم : رافع بن حر يملة ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - حين مات - : قدمات اليوم عظيم من عظماء المنافقين .

ومنهم : رفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين هبّت عليه الريح، وهو قافل من غزوة بنى المصطلق، فاشتدّت عليه حتى أشفق منها المسلمون فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لاتخافوا فانما هبّت لموت عظيم من عظماء الكفار ، فلما قدم رسول الله المدينة وجد رفاعة بن زيد مات ذلك اليوم الذى هبّت فيه الريح وسلسلة بن برهام ، و كنانة بن صوريا .

و كان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ، فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزون بدينهم ، فاجتمع يوماً فى المسجد منهم ناس ، فرآهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتحدّثون بينهم خافضى أصواتهم ، قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخرجوا من المسجد اخراجاً عنيفاً ، فقام أبوأيوب إلى عمرو بن قيس أحد بنى غنم بن مالك بن النجار ، فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه من المسجد ، وهو يقول : أتخرجنى يا أبا ايوب من مربد بنى ثعلبة ؟

ثم أقبل أبو أيوب أيضاً إلى رافع بن وديعة أحد بنى النجار فلببه بردائه، ثم جذبه جذباً شديداً ولطم ، وجهه ثم أخرجه من المسجد ، و أبوأيوب يقول

له : أفٍّ لك منافقاً خبيثاً أدراجك ـ اى اخرج من حيث جئت ـ يا منافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمر و ، و كان رجلاً طويل اللحية،فأخذ بلحيته فقاده بها قوداًعنيفاً حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه فلدمه بهما فى صدره لدمة خرَّ منها قال : يقول : خد شتننى يا عمارة؟ قال : أبعدك الله يامنافق ، فما أعدَّ الله لك من العذاب أشد من ذلك ، فلاتقربنَّ مسجد رسول ـ الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقام أبو محمد رجل من بنى النجار كان بدرياً ، وأبو محمد مسعود بن أوس الى قيس ابن عمرو بن سهل ، و كان قيس غلاماً شاباً ، و كان لا يعلم فى المنافقين شاب غيره ، فجعل يدفع فى قفاه حتى أخرجه من المسجد .

وقام رجل من بنى الخدرة بن الخزرج رهط أبى سعيد الخدرى يقال له : عبدالله بن الحارث حين أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باخراج المنافقين من المسجد إلى رجل يقال له : الحارث بن عمرو ، و كان ذاجمة ، فأخذ بجمته فسحبه بهاسحباً عنيفاً على ما مرَّ به من الارض حتى أخرجه من المسجد قال : يقول المنافق : لقد أغلظت يابن الحارث فقال له : انك أهل لذلك أى عدوَّ الله لما أنزل الله فيك ، فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانك نجس .

وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه زوىّ بن الحارث ، فأخرجه من المسجد اخراجاً عنيفاً ، وأفّف منه ـ أى قال له : افٍّ ـ وقال : غلب عليك الشيطان ، وامره فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باخراجهم .

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لو ان مؤمناً دخل قرية فيها ألف رجل كلهم كفار ، وفيهم مؤمن واحد ، فلا يسكن قلبه مع أحد حتى يجد المؤمن ولو ان منافقاً دخل قرية فيها ألف رجل كلهم مؤمن ، وفيهم منافق واحد لم يسكن قلب المنافق مع أحد ما لم يجد المنافق ... » الحديث .

قال الله تعالى : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا» الحشر : ١١)

وذلك لان التعارف فى عالم الارواح يوجب التأليف فى عالم الاشباح ، فالطائفتان ـ المنافقون واليهود ـ على طبيعة واحدة فى كل زمان ومكان ، تختلف أفعالهم وأقوالهم ، وليس مطابقة بما فى قلوبهم ، ولكنها ترجع إلى طبع واحد، وتنبع من معين واحد ، سوء الطوية ، ولؤم السريرة ، والغمز والدس والضعف عن المواجهة والجبن عن المصارعة ، تلك سماتهم الاصيلة ، وسلوكهم الامر بالمنكر وطريقتهم النهى عن المعروف ، وسبيلهم البخل بالمال الا أن يبذلوه رياء الناس.

ويفعلون كل ذلك لعدم رسوخ الايمان فى قلوبهم ، واستمرار الكفر وبقائه فى بالهم ، وهذه الطبيعة الفاسقة المنحرفة الضالة ليست جديدة ، ففى تاريخ البشرية لها نظائر وأمثال ، ولقد حوى تاريخ المجتمع من قبل هؤلاء نماذج كثيرة من هذا الطراز ...

وهم الذين انحرفت قلوبهم عن مصدر القوة والنعمة ، فهم يبطرون ويفجرون فى الارض ، ويتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام ، وان النفس المنحرفة تبطرها القوة ، فلا تذكر ، وتعميها النعمة فلا تنظر وما تنفع عظات الماضى ولا عبره ، ولا تتفتح البصائر لادراك سنة الله تعالى التى لاتتخلف ولا تتوقف ولاتحابى أحداً من الناس فلا يبصرون مصارع الاقوياء قبلهم ، ولا يستشعرون مصير البغاة الطغاة من الغابرين وهم فى نعمائهم يتقلبون ، وبقوتهم يتخايلون ، وهم فى الغفلة والعمى والجهالة دائمون ، وهم عن النعمة والقوة من الله تعالى كافرون ، هذه هى طبيعة المنافقين والكافرين وخاصة اليهود .

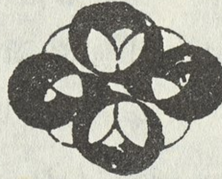
كما ان المؤمنين على طبيعة واحدة : « انما المؤمنون اخوة » الحجرات : ١٠)

طبيعتهم واحدة ، وتكافلهم وتضامنهم فى تحقيق الخير ، ودفع الشر متفردة لاتدخل بينهم عوامل الفرقة ـ مسيرهم إلى الحق ، ومآلهم إلى السعادة ، وتظامنهم

للصواب ، وتعيشهم واكتسابهم وتعلمهم وتعليمهم لرضا الحق، وعبادتهم ونومهم و وأكلهم وتكلمهم للحق، وتفكرهم وتعقلهم وتدبرهم للحق ، ورجائهم و آمالهم و توكلهم على الحق، ومن ثم نهجهم واحد، هدفهم واحد ، مقصدهم واحد طريقتهم واحدة، وعبادتهم لله الواحد ومايظهر منهم ، وما فى ضمائرهم واحد .

فههنا طبيعتان : طبيعة النفاق والكفر والضعف والاستخذاء .

وطبيعة الايمان والتوحيد ، والقوة والبلاء ، وهنا خطتان : خطّة الالتواء والتخلف والرضا بالدون ، وخطة الاستقامة والبذل و الكرامة ، وليس فى خطة الايمان كيد وخديعة وتشعباً « و ان هـذا صراطى مستقيماً فاتبعوه » وفى خطة النفاق والكفر كيد وخديعة ومكر ، وتتشعب بشعب ، وتتلون بألوان و تتشكل باشكال . . . « ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون » الانعام : ١٥٣)



﴿المنافقون بمكة﴾

وقد اختلفت كلمات المفسرين في ظهور النفاق بين المسلمين ، فمنهم من قال : لايعرف النفاق بمكة ، وانما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية لان مكة لم يكن فيها نفاق ، بل كان خلافه من الناس من كان يظهر الكفر مستكرهاً وهو في الباطن مؤمن ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة و كان بها الانصار من الاوس و الخزرج و كانوا في جاهليتهم يعبدون الاصنام على طريقة مشركي العرب ، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة اسلافهم ، و كانوا ثلاث قبائل :

بنو قينقاع حلفاء الخزرج ، وبنو النضير ، وبنو قريظة حلفاء الاوس ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وأسلم من أسلم من الانصار من قبيلتي الاوس والخزرج وقل من أسلم من اليهود الا عبدالله بن سلام ، ولم يكن اذ ذاك نفاق ايضاً لانه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف بل قد كان عليه صلى الله عليه وآله وسلم وادع اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب حوالي المدينة . . .

فلما كانت وقعة بدر العظمى ، وأظهر الله كلمته واعز الاسلام وأهله قال عبدالله بن ابي سلول ، و كان رأساً في المدينة ، وهو من الخزرج و كان سيد الطائفتين في الجاهلية . و كانوا قدعزموا على أن يملكوه عليهم فجاء هم الخير وأسلموا و اشتغلوا عنه فبقي في نفسه من الاسلام وأهله فلما كانت و قعة بدر ، قال : هذا امر قد توجه ، فأظهر الدخول في الاسلام ، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته و آخرون من أهل الكتاب .

فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة و من حولها من الاعراب . فاما

المهاجرون فلم يكن فيهم أحد منافق لانه لم يكن أحد هاجر مكرهاً بل كان يهاجر، ويترك ماله وولده و أرضه رغبة فيما عندالله من الدار الاخرة .

و منهم: من قال : ان الله تعالى لما جمع لرسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمره في دار هجرته ، واستقر بها قراره ، وأظهرالله بها كلمته وفشى في دور أهلها الاسلام وقهر بها المسلمون من فيها من أهل الشرك من عبدة الاوثان ، وذلّ بها من فيها من أهل الكتاب أظهر احبار يهودها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الضغائن ، وأبدوا له العداوة والشنآن حسداً وبغياً الا نفراً منهم هداهم الله تعالى للاسلام ، فاسلموا كما قال الله تعالى : « ودّ كثيرمن اهل الكتاب لويردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبيّن لهم الحق »

وطابقهم سراً على معاداة النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أصحابه ، و بغيهم الغوائل قوم من أراهط الأنصار الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصروه و كانوا قدعتوافي شركهم وجاهليتهم وظاهرهم على ذلك في خفاء غيرجهار حذار القتل على أنفسهم والسباء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وركوناً إلى اليهود لماهم عليه من الشرك ،وسوء البصيرة بالاسلام ، فكانوا اذا لقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل الايمان به من أصحابه قالوا لهم : حذاراً من أنفسهم .

انا مؤمنون بالله تعالى وبرسوله ، وبالبعث واعطوهم بألسنتهم كلمة الحق ليدرؤا عن أنفسهم حكم الله جل وعلا فيمن اعتقد ماهم عليه مقيمون من الشرك لوأظهروا بألسنتهم ماهم معتقدوه من شركهم واذا لقوا اخوانهم من اليهود ، و أهل الشرك والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به فخلوا بهم قالوا : « انا معكم انا نحن مستهزؤن » ولذانبّه الله تعالى بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله جل وعلا : « ومن الناس من يقول آمنا »

ومن المفسرين : من قال : كان النفاق بمكة مستدلا بما في (رسالة المحكم والمتشابه) للسيدالمرتضى رضوان الله تعالى عليه نقلا من تفسير النعماني باسناده عن جابر عن جعفربن محمد عن آبائه عن علي عليه السلام في بيان الناسخ والمنسوخ

قال : « ان الله عزوجل لما بعث محمداً (ص) أمره في بدو أمره أن يدعوابالدعوة فقط ، وانزل عليه : « ولاتطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم » فلما أرادوا ما همّوا به من تبييته امره الله بالهجرة ، و فرض عليه القتال فقال : « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا »

و منهم: من قال : يهتمّ القرآن بأمر المنافقين اهتماماً بالغاً، ويكرّ عليهم كرّة عنيفة بذكر مساوى أخلاقهم وأكاذيبهم وخداعهم ودسائسهم والفتن التى أقاموهم على النبى (ص) وعلى المسلمين ، وقدتكرّر ذكرهم فى السورالقرآنية كسورة البقرة وآل عمران والنساءوالمائدة والانفال والتوبة والعنكبوت والاحزاب والفتح والحديد والحشر والمنافقون والتحريم .

وقد أوعدهم الله فى كلامه أشدّ الوعيد ففى الدنيا بالطبع على قلوبهم ، و جعل الغشاوة على سمعهم وعلى ابصارهم وإذهاب نورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، وفى الآخرة بجعلهم فى الدرك الاسفل من النار ، وليس ذلك الا لشدّة المصائب التى أصابت الاسلام والمسلمين من كيدهم ومكرهم ، وأنواع دسائسهم فلم ينل المشركون واليهود والنصارى من دين الله ما نالوه ، و ناهيك فيهم قوله تعالى لنبيه (ص) يشير إليهم : « هم العدو فاحذرهم » المنافقون : ٤)

وقد ظهر آثار دسائسهم ومكائدهم أوائل ماهاجر النبى (ص) إلى المدينة فورد ذكرهم فى سورة البقرة وقد نزلت - على ما قيل - على رأس ستة أشهر من الهجرة ، ثم فى السور الاخرى النازلة بعد بالاشارة الى امور من دسائسهم وفنون من مكائدهم كانسلالهم من الجند الاسلامى يوم احد ، وهم ثلثهم تقريباً، وعقدهم الحلف مع اليهود ، واستنهاضهم على المسلمين وبنائهم مسجد الضرار و إشاعتهم حديث الافك ، وإثارتهم الفتنة فى قصّة السقاية وقصة العقبة إلى غير ذلك مما تشير إليه الايات حتى بلغ أمرهم فى الافساد وتقليب الامور على النبى (ص) إلى حيث هدّدهم الله بمثل قوله :«لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الاّ قليلا ملعونين أينما ثقفوا اخذوا

وقتلوا تقتيلا » الاحزاب : ٦١)

وقد استفاضت الأخبار ، وتكاثرت في ان عبدالله بن ابى بن سلول و أصحابه من المنافقين ، وهم الذين كانوا يقلبون الامور على النبى ﷺ ويتربصون به الدوائر و كانوا معروفين عند المؤمنين يقربون من ثلث القوم ، وهم الذين خذلوا المؤمنين يوم احد ، فانمازوا منهم و رجعوا الى المدينة قائلين لو نعلم قتالا لا تبعناكم وهم عبدالله بن ابى واصحابه .

ومن هنا ذكر بعضهم ان حركة النفاق بدأت بدخول الاسلام المدينة ، واستمرت إلى قرب وفاة النبى ﷺ

هذا ماذكره جمع منهم لكن التدبر فى حوادث زمن النبى ﷺ والامعان فى الفتن الواقعة بعد الرحلة والاعتناء بطبيعة الاجتماع الفعالة يقضى عليه بالنظر:

أما أولا فلا دليل مقنعاً على عدم تسرب النفاق فى متبعى النبى ﷺ المؤمنين بمكة قبل الهجرة ، وقول القائل : ان النبى ﷺ والمسلمين بمكة قبل الهجرة لم يكونوا من القوة ، ونفوذ الامر ، وسعة الطول بحيث يهابهم الناس ويتقوهم اويرجوا منهم خيراً حتى يظهروا لهم الايمان ظاهراً ويتقربوا منهم بالاسلام وهم مضطهدون مفتتنون معذبون بايدى صناديد قريش ومشركى مكة المعادين لهم المعاندين للحق بخلاف حال النبى ﷺ بالمدينة بعد الهجرة فانه ﷺ هاجر إليها ، وقد كسب أنصاراً من الاوس والخزرج ، و استوثق من أقويا رجالهم أن يدفعوا عنه كما يدفعون عن أنفسهم وأهليهم ، وقد دخل الاسلام فى بيوت عامتهم ، فكان مستظهراً بهم على العدة القليلة الذين لم يؤمنوا به و بقوا على شركهم ، ولم يكن يسعهم أن يعلنوا مخالفتهم ويظهروا شركهم فتوقوا الشر باظهار الاسلام، فآمنوا به ظاهراً وهم على كفرهم باطناً فدسوا الدسائس ومكروا مامكروا .

غير تام فما القدرة والقوة المخالفة المهيبة ورجاء الخير بالفعل والاستدرار المعجل علة منحصرة للنفاق حتى يحكم بانتفاء النفاق لانتفائها فكثيراً ما نجد

فى المجتمعات رجالا يتبعون كل داع ، ويتجمّعون إلى كل ناعق ، ولا يعبؤن بمخالفة القوى المخالفة القاهرة الطناحة ، ويعيشون على خطر مصرّين على ذلك رجاء أن يوفّقوا يوماً لاجراء مرامهم ، ويتحكّموا على الناس باستقلالهم بادارة رحى المجتمع والعلو فى الارض ، وقد كان النبى ﷺ يذكر فى دعوته لقومه أن لو آمنوا به ، واتبعوه كانوا ملوك الارض .

فمن الجائز عقلا أن يكون بعض من آمن به يتّبعه فى ظاهر دينه طمعاً فى البلوغ بذلك إلى امنيّته وهى التقدم والرئاسة و الاستيلاء ، والاثر المرتب على هذا النوع من النفاق ليس هو تقليب الامور ، وتربّص الدوائر على الاسلام والمسلمين وافساد المجتمع الدينى بل تقويته بما أمكن ، وتفديته بالمال والجاه لينتظم بذلك الامور ، ويتهيّأ لاستفادته منه واستدراره لنفع شخصه .

نعم يمكر مثل هذا المنافق بالمخالفة و المضادة فيما اذا لاح من الدين مثلا ما يخالف امنيّة تقدّمه وتسلّطه إرجاعاً للامر إلى سبيل ينتهى إلى غرضه الفاسد .

وأيضاً من الممكن أن يكون بعض المسلمين يرتاب فى دينه فيرتدّ ويكتم ارتداده كما مرّت الاشارة إليه فى قوله تعالى : « ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا » الاية ، وكما يظهر من لحن مثل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم » المائدة : ٥٤)

وأيضاً الذين آمنوا من مشركى مكة يوم الفتح لايؤمن أكثرهم أن لا يؤمنوا ايمان صدق وإخلاص ، ومن البديهى عند من تدبّر فى حوادث سنى الدعوة أن كفار مكة ، وما والاها ، وخاصة صناديد قريش ما كانوا ليؤمنوا بالنبى ﷺ لولا سواد جنود غشيتهم ، وبريق سيوف مصلتة فوق رؤسهم يوم الفتح ، وكيف يمكن مع ذلك القضاء بانه حدث فى قلوبهم ، والظرف هذا الظرف نور الايمان ، و فى نفوسهم الاخلاص واليقين ، فآمنوا بالله طوعاً عن آخرهم ، و لم يدبّ فيهم دبيب النفاق أصلا .

وأما ثانياً فلأن استمرار النفاق إلى قرب رحلة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وانقطاعه عند ذلك ممنوع نعم انقطع الخبر عن المنافقين بالرحلة وانعقاد الخلافة ، و انمحى أثرهم فلم يظهر منهم ما كان يظهر من الآثار المضادة والمكائد والدسائس المشؤمة.

فهل كان ذلك لان المنافقين وفّقوا للاسلام ، وأخلصوا الايمان عن آخرهم برحلة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتأثرت قلوبهم من موته مالم يتأثر بحياته ؟ أو انهم صالحوا اولياء الحكومة الاسلامية على ترك المزاحمة بان يسمع لهم ما فيه امنيّتهم مصالحة سرّية بعد الرحلة او قبلها ؟ او انه وقع هناك تصالح اتفاقى بينهم وبين المسلمين فوردوا جمعاً فى مشرعة سواء فارتفع التصاك والتصادم ؟

ولعل التدبر الكافى فى حوادث آخر عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم و الفتن الواقعة بعد رحلته يهدى إلى الحصول على جواب شاف لهذه الاسئلة .

أقول : ان الايات التى نزلت فى المنافقين و تهديداتهم مدنية ، و ذلك لانا لو تدبرنا فيما ظهر من بعض مسلمى مكة قبل الهجرة وحينها وبعدها ، وفيما ظهر بعد النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بعين الانصاف لوجدنا النفاق أوائل الاسلام ، ثم ازداد واحداً بعد واحد ، ولكن لم يكن جوّ مكة مستعداً لاظهار المنافقين نفاقهم ، ولما هاجر النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ، وكان فيها اخوانهم اليهود الذين من طبيعتهم النفاق تآلفوهم وتعانقوهم ، فظهر واحداً بعد واحد فتدبر وانصف .

قال الله تعالى : « وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق » التوبة : ١٠١)

المنافقون بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وتوليهم أمر المسلمين اطلاقاً والافساد في الارض

في نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام في خطبة: يصف المحدثين «وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس: رجل منافق مظهر للايمان، متصنع بالاسلام، لايتأثم ولايتحرّج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمداً، فلو علم الناس انه منافق كاذب لم يقبلوا منه، ولم يصدّقوا قوله، ولكنهم قالوا: صاحب رسول صلى الله عليه وآله وسلم رآه وسمع منه، ولقف عنه، فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده، فتقرّبوا إلى أئمّة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور و البهتان، فولوهم الاعمال، وجعلوهم حكّاماً على رقاب الناس، فأكلوا بهم الدنيا، وانما الناس مع الملوك والدنيا الّا من عصم الله فهذا أحد الاربعة» الخطبة.

قال ابن أبي الحديد في الشرح: «واعلم ان هذا التقسيم صحيح، وقد كان في أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منافقون و بقوا بعده، وليس يمكن أن يقال: ان النفاق مات بموته، والسبب في استتار حالهم بعده انه صلى الله عليه وآله وسلم كان لايزال يذكرهم بما ينزل عليه من القرآن، فانهم مشحون بذكرهم، ألا ترى ان أكثر ما نزل بالمدينة من القرآن مملوء بذكر المنافقين، فكان السبب في انتشار ذكرهم وأحوالهم وحركاتهم هو القرآن، فلما انقطع الوحي بموته صلى الله عليه وآله وسلم لم يبق من ينعى عليهم سقطاتهم ويوبّخهم على أعمالهم، ويأمر بالحذر منهم، ويجاهرهم تارة ويجاملهم

تارة، و صار المتولى للامر بعده يحمل الناس كلهم على كاهل المجاملة، و يعاملهم بالظاهر وهو الواجب فى حكم الشرع والسياسة الدنيوية، بخلاف حال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فانه كان تكليفه معهم غير هذا التكليف، ألا ترى انه قيل له: «ولا تصل على أحد منهم مات أبداً»

فهذا يدل على أنه كان يعرفهم بأعيانهم، و الا كان النهى له عن الصلاة عليهم تكليف مالا يطاق، والوالى بعده لايعرفهم بأعيانهم، فليس مخاطباً بما خوطب به صلى الله عليه وآله وسلم فى امرهم، ولسكوت الخلفاء عنهم بعده خمل ذكرهم، فكان قصارى أمر المنافق أن يسر ما فى قلبه، و يعامل المسلمين بظاهره، و يعاملونه بحسب ذلك.

ثم فتحت عليهم البلاد، و كثرت الغنائم فاشتغلوا بها عن الحركات التى كانوا يعتمدونها أيام رسول الله، وبعثهم الخلفاء مع الامراء إلى بلاد فارس والروم فألهتهم الدنيا عن الامور التى كانت تنقم منهم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم من استقام اعتقاده، وخلصت نيته، لما رأوا الفتوح وإلقاء الدنيا أفلاذ كبدها من الاموال العظيمة، والكنوز الجليلة إليهم، فقالوا: لو لم يكن هذا الدين حقاً لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه.

وبالجملة لما تركوا تركوا، وحيث سكت عنهم سكتوا عن الاسلام وأهله الا فى دسيسة خفية يعملونها، نحو الكذب الذى أشار اليه أمير المؤمنين عليه السلام فانه خالط الحديث كذب كثير، صدر عن قوم غير صحيحى العقيدة، قصدوا به الاضلال، وتخبيط القلوب والعقائد، وقصد به بعضهم التنويه بذكر قوم كان لهم فى التنويه بذكرهم غرض دنيوى» انتهى كلامه.

قال الله تعالى فى افسادهم فى الارض: «و من الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على ما فى قلبه و هو ألدّ الخصام و اذا تولّى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد» البقرة: ٢٠٤-٢٠٥) أى اذا تمكن المنافق من العمل، واوتى سلطاناً وتولى أمر الناس سعى فى الارض،

و يفسد فيها باهلاك الحرث و النسل لان قوام الانسان من جهة الحياة و البقاء يكون بالتغذى و التوليد، فهما ركنان أصيلان لاغناء عنهما للانسان فى حال لان بالتغذى يركن الانسان فيه إلى الحيوان و النبات، والحيوان يركن إلى النبات، فالنبات هو الاصل و يستحفظ بالحرث، و يتوقف به التوليد، و لذلك علّق الفساد على الحرث و النسل، فالمعنى ان المنافق اذا تولى أمر المسلمين يفسد فى الارض بافناء ها وأبادة هذا النوع باهلاك الحرث والنسل.

ولقد رأينا ذلك فى زماننا هذا كيف كان السطان المنافق يفسدفى الحرث بالمنع، والتغيير بما لايحتاج إليه المجتمع و و و ... ويفسد فى النسل بالتقليل والتحديد عن طريق الادوية المضرةوغيرها، والتبليغ الفاسد وترغيب الناس إليهما، وإشاعة الفحشاء بينهم، وغيرها من أسباب الاضلال والافساد ... وهكذا الامر اذا تولى المنافقين والفاسقين أمر المسلمين فى كل وقت ومكان . . . و لو كان المراد بالافساد فى الارض واهلاك الحرث والنسل: الافساد فى الامور التشريعية ـ على ماقيل ـ لكان الامر أهم: و كان هذا هو الغرض الغائى للشيطان من الامة الاسلامية، وقد بدأ من بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاستمرّ إلى ايامنا...

فى روضة الكافى: باسناده عن سليم بن قيس الهلالى قال: سمعت سلمان الفارسى رضى الله عنه يقول: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصنع الناس ماصنعوا، وخاصم أبوبكر وعمر وأبوعبيدة بن الجرّاح، الانصار، فخصموهم بحجة على عليه السلام قالوا: يامعشر الانصار! قريش أحق بالامر منكم لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قريش والمهاجرين منهم ان الله تعالى بدأبهم فى كتابه، وفضّلهم وقدقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الائمة من قريش، قال سلمان رضى الله عنه:

فأتيت علياً عليه السلام وهو يغسّل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته بما صنع الناس وقلت: ان أبابكر الساعة على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و الله ما يرضى الناس أن يبايعوه بيد واحدة انهم ليبايعونه بيديه جميعاً بيمينه وشماله، فقال لى: يا سلمان هل تدرى من أوّل من بايعه على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قلت. لا أدرى إلاّ انى رأيت فى

ظلّة بني ساعدة حين خصمت الانصار ، وكان أوّل ما بايعه بشير بن سعد وأبو عبيدة بن الجرّاح ثم عمر ثم سالم ، قال : لست أسئلك عن هذا ولكن تدرى أوّل من بايعه حين صعد على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

قلت : لا ، ولكنى رايت شيخاً كبيراً متوكّئاً على عصاه بين عينيه سجّادة شديد التشمير ، صعد إليه اوّل من صعد ، وهو يبكى ، و يقول : الحمدلله الذى لم يمتنى من الدنيا حتى رأيتك فى هذا المكان ، أبسط يده فبايعه ثم نزل فخرج من المسجد ، فقال على عليه السلام : هل تدرى من هو ؟ قلت : لا ولقد سائتنى مقالته كأنه شامت بموت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال عليه السلام :

ذاك ابليس لعنه الله ، أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ابليس ورؤساء أصحابه شهدوا نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إياى للناس بغدير خم بأمر الله عزوجل ، فأخبرهم أنى أولى بهم من أنفسهم وأمرهم أن يبلّغ الشاهد الغائب ، فأقبل إلى ابليس أبالسته ومردة أصحابه فقالوا : ان هذه امة مرحومة ومعصومة ، ومالك ولالنا عليهم سبيل قد أعلموا إمامهم و مفزعهم بعد نبيّهم ، فانطلق ابليس لعنه الله كئيباً حزيناً ، و أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه لو قبض أن الناس يبايعون أبابكر فى ظلة بنى ساعدة بعد ما يختصمون ، ثم يأتون المسجد ، فيكون أوّل من يبايعه على منبرى ابليس لعنه الله فى صورة رجل شيخ مشمّر يقول : كذا و كذا .

ثم يخرج فيجمع شياطينه وأبالسته ، فينخر ويكسع ويقول : كلا زعمتم ان ليس لى عليهم سبيل ، فكيف رأيتم ما صنعت بهم حتى تركوا أمر الله عزوجل وطاعته وما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قوله عليه السلام : « و خاصم أبوبكر و عمر و ابوعبيدة بن الجراح الانصار فخصموهم بحجة على عليه السلام » أى غلب هؤلاء الثلاثة على الانصار فى المخاصمة بحجة هى تدل على كون الامر لعلى عليه السلام دونهم لانهم احتجوا عليهم بقرابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و كان على عليه السلام أقرب منهم ، و قد كان على عليه السلام يحتجّ عليهم بذلك فى مواطن ذكروها .

وقوله عليه السلام : « شديد التشمير » أي الجد والاجتهاد في العبادة و« فينخر »: النخير : صوت الانف و « يكسع » أي كان يضرب دبره بيده او بصدر قدمه، وانما كان يفعل ذلك نشاطاً وفرحاً .

وفيه : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام يوم الغدير صرخ ابليس في جنوده صرخة ، فلم يبق منهم أحد في برّ ولابحر الاّ أتاه فقالوا: ياسيدهم ومولاهم ماذا دهاك فما سمعنا لك صرخة أوحش من صرختك هذه؟ فقال لهم : فعل هذا النبي فعلاً إن تمّ لم يعص الله أبداً، فقالوا : ياسيدهم انت كنت لآدم ، فلما قال المنافقون : انه ينطق عن الهوى ، و قال أحدهما لصاحبه : أما ترى عينيه تدوران في رأسه كأنه مجنون ، يعنون رسول الله صلى الله عليه وآله صرخ ابليس صرخة بطرب .

فجمع أوليائه فقال : أما علمتم اني كنت لادم من قبل؟ قالوا : نعم قال : آدم نقض العهد ولم يكفر بالرب ، وهؤلاء نقضوا العهد ، و كفروا بالرسول فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأقام الناس غير علي عليه السلام لبس ابليس تاج الملك ونصب منبراً وقعد في الوثبة ، وجمع خيله ورجله ثم قال لهم : اطربوا لايطاع الله حتى يقوم الامام .

قوله عليه السلام : « فقالوا : ياسيدهم و مولاهم » أي ياسيدنا ويامولانا ، وانما غيّره لئلايوهم انصرافه اليه عليه السلام وهذا شايع في كلام البلغاء في نقل أمر لايرضى القائل لنفسه كما في قوله تعالى : « ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين » و قوله عليه السلام : « وقعد في الوثبة » أي الوسادة .

﴿ المنافقون و بغض الامام على عليه السلام ﴾

و لقد وردت روايات كثيرة باسانيد عديدة عن طريق العامة أوردناها في محلها المناسب: ان من علائم نفاق المسلم أن يبغض علياً عليه السلام وان من لاولاية له فلن يقبل الله تعالى اعماله و إن صلى و صام ألف عام ، و اذا مات ، مات على كفر و نفاق .

و نكتفي في المقام بذكر بعض ماورد عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية:

١ ـ في العلل : باسناده عن ابراهيم القرشي قال : كنا عند ام سلمة رضى الله عنها ، فقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلى عليه السلام : لايبغضكم الا ثلاثة : ولدزنا ، ومنافق ، ومن حملت به امه وهى حائض .

٢ ـ وفيه : باسناده عن جابر قال : قال أبوأيوب الانصارى : أعرضوا حب على عليه السلام على أولادكم ، فمن أحبه فهومنكم ، من لم يحبه فاسئلوا امه من أين جائت به : فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلى بن أبيطالب عليه السلام : لايحبك الا مؤمن ، ولا يبغضك الا منافق او ولد زنية او حملته امه وهى طامث .

٣ ـ في وسائل الشيعة : بالاسناد عن الحسن بن على الخزاز قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : ان ممن ينتحل مودتنا أهل البيت من هو أشد فتنة على شيعتنا من الدجال فقلت : بماذا ؟ قال : بموالاة أعدائنا ، ومعاداة أو ليائنا انه اذا كان كذلك اختلط الحق بالباطن ، و اشتبه الامر، فلم يعرف مؤمن من منافق .

٤ ـ في البحار: بالاسناد عن اسحق بن عمارعن جعفر بن محمد عن أبيه محمد ابن على عن أبيه على بن الحسين من أبيه الحسين بن على عن أخيه الحسن عليهم السلام قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الائمة بعدي بعدد نقباء بني اسرائيل، وحواريي عيسى، من أحبهم فهومؤمن، ومن أبغضهم فهو منافق، هم حجج الله في خلقه وأعلامه في بريته.

٥ ـ في الكافي: باسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: كل من دان الله عزوجل بعبادة يجهد فيها نفسه، ولا إمام له من الله، فسعيه غيرمقبول، وهوضال متحير، والله شانئ لاعماله ـ الى أن قال ـ وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق، و اعلم يا محمد ان أئمة الجور و أتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلّوا وأضلّوا، فاعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هوالضلال البعيد.

٦ـ في المحاسن: باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث ـ قال: ذروة الامر وسنامه و مفتاحه، و باب الاشياء ورضا الرحمن: الطاعة للامام بعد معرفته، امّا لو ان رجلاقام ليله وصام نهاره، وتصدّق بجميع ماله، وحجّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حق في ثوابه ولاكان من أهل الايمان.

٧ ـ في الفقيه: باسناده عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال لنا علي بن الحسين عليه السلام: أيّ البقاع أفضل؟ فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال لنا: أفضل البقاع مابين الركن والمقام، ولو ان رجلا عمرما عمر نوح في قومه، ألف سنة الاخمسين عاماً، يصوم النهار، و يقوم الليل في ذلك المكان، ثم لقي الله بغيرولا يتنا لم ينفعه ذلك شيئا.

٨ ـ في الروضة: باسناده عن أبي العلاء عن أبي عبدالله عليه السلام ـ في حديث ـ قال: والله ولو ان ابليس سجدلله بعد المعصية والتكبرعمر الدنيا مانفعه ذلك، و لا قبله الله عزوجل مالم يسجد لادم كما أمره الله عزوجل أن يسجدله، و كذلك هذه الامة العاصية المفتونة بعد نبيها صلى الله عليه وآله و بعد تركهم الامام الذي نصبه نبيهم صلى الله عليه وآله لهم، فلن يقبل الله لهم عملا، ولن يرفع لهم حسنة حتى يأتوا الله من حيث أمرهم، ويتولوا الامام الذي امروا بولايته، ويدخلوا من الباب الذي

فتحه الله ورسوله لهم .

٩ ـ في وسائل الشيعة : باسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال : نزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا محمد الله يقرؤك السلام ، و يقول : خلقت السماوات السبع وما فيهن والارضين السبع و ما عليهن ، وماخلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام ، ولو ان عبداً دعاني منذ خلقت السموات والارضين ثم لقيني جاحداً لولاية علي لاكببته في سقر .

١٠ ـ في العلل : باسناده عن محمد بن عيسى عمن ذكره قال : قال الرضا عليه السلام : ما العلة في التكبيرة على الميت خمس تكبيرات فقلت رووا انها قد اشتقت من خمس صلوات فقال : هذا ظاهر الحديث ، فاما باطنه فان الله عزوجل فرض على العباد خمس فرائض : الصلاة و الزكاة والصيام والحج والولاية ، فجعل للميت من كل فريضة تكبيرة واحدة ، فمن قبل الولاية كبر خمساً ، ومن لم يقبل الولاية كبر أربعاً ، فمن أجل ذلك تكبرون خمساً ، ومن خالفكم يكبر أربعاً .

١١ ـ وفيه : باسناده عن ابراهيم بن محمد بن حمران قال : خرجنا إلى مكة فدخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فذكر الصلاة على الجنائز ، فقال : كان يعرف المؤمن والمنافق بتكبير رسول الله صلى الله عليه وآله على المؤمن خمساً ، و على المنافق اربعاً .

١٢ ـ في الفقيه : باسناده عن صفوان بن مهران الجمال عن أبي عبدالله عليه السلام قال : مات رجل من المنافقين ، فخرج الحسين بن علي عليه السلام يمشي فلقاه مولى له ، فقال له : إلى أين تذهب ؟ فقال أفر من جنازة هذا المنافق أن اصلي عليه ، فقال له الحسين : قم إلى جنبي فما سمعتني أقول فقل : مثله ، قال : فرفع يديه فقال : اللهم أخز عبدك في عبادك و بلادك ، اللهم أصله أشد نارك اللهم أذقه حر (أحر) عذابك ، فانه كان يتولى أعدائك ، ويعادي اولياءك ، و يبغض أهل بيت نبيك

١٣ ـ في التهذيب باسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لمامات عبد الله بن ابن بن سلول حضر النبي صلى الله عليه وآله جنازته فقال عمر : يا رسول الله ألم ينهك الله أن تقوم على قبره ؟ فسكت ، فقال : ألم ينهك الله أن تقوم على قبره ؟

فقال له : و يلك و ما يدريك ما قلت ؟ إني قلت : اللهم احش جوفه ناراً و املأ قبره ناراً ، و أصله ناراً ، قال ابوعبد الله عليه السلام : فأبدى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يكره .

١٤ ـ في الكافي : باسناده عن حمّادبن‌عثمان وهشام بن سالم جميعاً عن‌أبي عبدالله عليه السلام قال :كان رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم يكبّر على قوم خمساً،و على قوم‌آخرين أربعاً ، فاذا كبّر على‌رجل أربعاً اتّهم ، يعني بالنفاق .

١٥ ـ في وسائل الشيعة : بالاسناد عن اسمعيل بن سعد الاشعري عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سئلته‌عن الصلاة على الميت ، فقال : أما المؤمن فخمس تكبيرات ، وأما المنافق فاربع ، ولا سلام فيها .

١٦ ـ و فيه : بالاسناد عن أبي بصير قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام لايّ علة تكبّر على‌الميت خمس تكبيرات ، و يكبّر مخالفونا باربع تكبيرات ؟ قال: لان الدعائم التي بني‌عليها الاسلام خمس : الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية لنا أهل البيت ، فجعل الله للميت من كل دعامة تكبيرة و انكم أقررتم بالخمس كلها ، و أقرّ مخالفوكم باربع ، و انكروا واحدة ، فمن ذلك يكبرون على موتاهم أربع تكبيرات و تكبّرون خمساً .

١٧ ـ في‌المقنعة : روى عن‌الصادقين عليهم السلام انهم قالوا: كان رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي على المؤمنين ، ويكبّر خمساً،يصلي على أهل النفاق سوى من وردالنهي عن الصلاة عليهم ، فكبّر أربعاً ، فرقاً بينهم وبين أهل الايمان ، و كانت الصحابة اذارأته قد صلّى على ميت و كبّر أربعاً قطعوا عليه النفاق .

﴿ تفضيح المنافقين ومواقفهم الخطيرة ﴾

ولما كانت مواقف المنافقين خطيرة فى الاسلام أراد الله تعالى أن يفضحهم فى كل خطوة، ومن هنا نجدهم فى حذار أن ينزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ما ينبئه صلى الله عليه وآله وسلم و المؤمنين بما كان فى قلوب المنافقين من النفاق و البخل والعداوة والغدر والمكر والحيلة والخدعة والخيانة والحقد والحسد والشح والطمع والسفه... وما كانوا عليه من الذبذبة والدسية والوسوسة فى صدور الناس، و صدّهم عن سواء السبيل، و الغواية و الفجور ونقض العهد و كذب القول وخلف الوعد والوقاحة والرياء والبذاء والجور والظلم والمراء والدنائة والملق والجلافة وعدم الغيرة على حليلته، والتحريم الاقتصادى على المؤمنين، وغير ذلك من رذائل الاخلاق وأضداد الفضائل...

وان النزول وإن انقطع بعد النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ولكن التفضيح مستمر المدى فى طوال اعصار...

قال الله تعالى: «والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدّوا عن سبيل الله ـ يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو ـ هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله ـ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل» المنافقون: ١ـ ٨)

وقال: «ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الاخر و ما هم بمؤمنين ـ واذا لقوا الذين آمنوا قالوا امنا واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انامعكم انما نحن مستهزؤن» البقرة: ٨ ـ ١٤)

وقال : « وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله اوادفعوا قالوا لونعلم قتالالاتبعنا كم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لوأطاعونا ما قتلوا قل فادرؤاعن انفسكم الموت ان كنتم صادقين» آل عمران : ١٦٧-١٦٨)

وقال : « الم ترإلى الذين يزعمون انهم آمنوا بماانزل إليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت و قد امروا أن يكفروا بـه ـ اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم ـ ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم او اخرجوا من ديار كم مافعلوه الا قليل منهم » النساء : ٦٠ ـ ٦٦)

وقال : « انما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ـ قل انفقوا طوعاً او كرهاً لن يتقبل منكم انكم كنتم قوماً فاسقين ـ ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولاينفقون الا وهم كارهون ـ ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجاً او مغارات اومد خلا لولوا إليه و هم يجمحون ـ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم ـ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ـ يحلفون بالله ماقالوا ولقدقالوا كلمة الكفر و كفروا بعد اسلامهم وهموا بمالم ينالوا ـ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات ـ يعتذرون إليكم اذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قدنبأنا الله من أخبار كم ـ ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً و يتربص بكم الدوائر ـ وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم ـ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً و كفراً وتفريقاً بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون ـ لا يزال بنيانهم الذى بنواريبة فى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم » التوبة : ٤٥ ـ ١١٠)

وقال : « ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى فى الله جعل فتنة الناس

كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين »

العنكبوت : ١٠ ـ ١١)

وقال : «واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً واذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعورة ان يريدون الا فراراً ـ أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد » الاحزاب : ١٢ ـ ١٩)

وقال : « سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم ماليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً ـ سيقول المخلفون اذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل » الفتح : ١١ ـ ١٥)

في الفقيه : باسناده عن الحسين بن زيد عن الصادق عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ في حديث المناهي ـ قال : اذا اغتسل أحدكم في فضاء من الارض فليحاذر على عورته ، وقال : لايدخل أحدكم الحمام الا بميزر ، ونهى أن ينظر الرجل إلى عورة أخيه المسلم ، وقال : من تأمل عورة أخيه المسلم لعنه سبعون ألف ملك ، ونهى المرأة أن تنظر إلى عورة المرأة ، و قال : من نظر إلى عورة أخيه المسلم اوعورة غير اهله متعمداً أدخله الله مع المنافقين الذين كانوا يبحثون عن عورات الناس ، ولم يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله الا أن يتوب .

وفي السيرة النبوية : لابن هشام على سبيل الاختصار : ومن المنافقين جلاس بن سويد بن الصامت من بني حبيب بن عمرو بن عوف ـ و كان جلاس ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك ـ وهو يقول : لئن كان هذا الرجل

- يعنى محمداً صلى الله عليه وآله - صادقاً لنحن شر من الحمر ، فرفع ذلك من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عمير بن سعد أحدهم ، و كان فى حجر جلاس خلف جلاس على امه بعد أبيه ، فقال له عمير بن سعد : والله يا جلاس انك لاحب الناس إلىّ وأحسنهم عندى يداً ، وأعزّهم على أن يصيبه شىء يكرهه ، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لافضحنّك ، ولئن صمتّ عليها ليهلكن دينى ، ولا حداهما أيسر علىّ من الاخرى ، ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر له ماقال جلاس فحلف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وآله : لقد كذب علىّ عمير ، وما قلت: ماقال عمير بن سعد، فانزل الله عزوجل فيه:« يحلفون بالله ماقالوا ـــــــ ولقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد اسلامهم وهمّوا بمالم ينالوا وما نقموا الاّ أن اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذّبهم الله عذاباً أليماً فى الدنيا والاخرة ومالهم فى الارض من ولى ولا نصير» و كان جلاس بن سويد بن صامت ومعتّب ابن قشير ورافع بن زيد وبسر ، و كانوا يدعون بالاسلام ، فدعاهم رجال من المسلمين فى خصومة كانت بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فدعوهم إلى الكهان ، حكّام أهل الجاهلية ، فانزل الله عزوجل فيهم : « ألم تر إلى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك و ما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد امروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلّهم ضلالا بعيداً » الخ .

ومن المنافقين : أخو جلاس : الحارث بن سويد الذى قتل المجذّر بن زياد البلوى أحد بنى ضبيعة يوم احد خرج مع المسلمين ، و كان الحارث منافقاً فلما التقى الناس عدا على المجذّر ، فقتله ثم لحق بقريش و كان المجذّر بن زياد قتل سويد بن زياد وقتل سويد بن صامت أبي الحارث فى بعض الحروب التى كانت بين الاوس والخزرج ، فلما كان يوم احد طلب الحارث ابن سويد غرّة المجذّر بن زياد ليقتله بأبيه فقتله وحده .

ومن المنافقين : نبتل بن الحارث من بنى لوذان وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل ابن الحارث، و كان

رجلا جسيماً ، أسود طويلا ، مسترخي الشفتين ، منتشر الشعر ، أحمر العينين ، أسفع الخدين - حمرة تضرب إلى السواد - وكان يأتى رسول الله ﷺ يتحدث إليه فيسمع منه ثم ينقل حديثه إلى المنافقين وهو الذى قال : انما محمد اذن من حدّثه شيئا صدّقه ، فانزل الله عزوجل فيه : « ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم »

وفي الخبر: ان جبرئيل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ فقال له : انه يجلس اليك رجل أدلم - أسود طويل - ثائر شعر الرأس ، أسفع الخدين ، أحمر العينين كأنهما قدران من صفر ، كبده أغلظ من كبد الحمار ، ينقل حديثك إلى المنافقين فاحذره ، وكانت تلك صفة نبتل بن الحارث فيما يذكرون .

ومن المنافقين : أبوحبيبة بن الازعر من بنى ضبيعة ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وثعلبة بن حاطب ، ومعتّب بن قشير ، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الخ .

ومعتّب هو الذى قال يوم احد : لوكان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله : « وطائفة قدأهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون لو كان لنا من الامر شيء ماقتلنا ههنا » الخ .

وهو الذى قال يوم الاحزاب : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لايأمن أن يذهب إلى الغائط ، فأنزل الله عزوجل فيه : « واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غروراً »

ومنهم : جارية بن عامر بن العطّاب ، وابناه زيد ، ومجمّع ابنا جارية من بنى ثعلبة بن عمر وبن عوف ، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار ، وكان مجمّع غلاماً حدثاً قدجمع من القرآن أكثره ، وكان يصلّى بهم فيه ، ثم انه لما أخرب المسجد ، وذهب رجال من بنى عمر و بن عوف ، كانوا يصلّون ببنى عمر و بن عوف فى مسجدهم ، وكان زمان عمر بن الخطاب كلّم فى مجمّع ليصلّى بهم.

فقال : لا ، أوليس بامام المنافقين في مسجدهم الضرار ؟ قال لعمر : ياأمير المؤمنين و الله الذى لا اله الا هو ما علمت بشىء من أمرهم ولكنى كنت غلاماً قارئاً للقرآن ، وكانوا لاقرآن معهم ، فقدموني اصلي بهم ، وما ارى أمرهم الا على أحسن ماذكروا ، فتركه عمر فصلى بقومه .

ومنهم : وديعة بن ثابت من بنى امية بن زيد بن مالك ، وهو ممن بنى مسجد الضرار ، وهو الذى قال : انما كنا نخوض ونلعب ، فانزل الله تعالى : «ولئن سئلتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن» الخ.

ومنهم : خذام بن خالد من بنى عبيد بن زيد بن مالك ، وهو الذى أخرج مسجد الضرار من داره ، وبشر ورافع ابنا زيد .

ومنهم : مربع بن قيظى من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين اجاز فى بستانه ، و رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عامد إلى احد : لااحل لك يا محمد إن كنت نبياً أن تمر فى بستانى ، وأخذ فى يده حفنة من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لااصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : دعوه فهذا الاعمى ، أعمى القلب ، أعمى البصيرة ، فضربه سعد بن زيد أخو بنى عبد الاشهل بالقوس فشجه ، وأخوه أوس بن قيظى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق : يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان بيوتنا عورة فاذن لنا ، فلنرجع إليها ، فانزل الله تعالى فيه : « يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ان يريدون الا فراراً »

ومنهم : بشير بن ابيرق ، وهو أبو طعمة سارق الدرعين الذى انزل الله تعالى فيه : « ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لايحب من كان خواناً أثيما»

وقصة ذلك : ان بنى ابيرق كانوا ثلاثة نفر : بشير ومبشر وبشر نقبوا مشربة - قيل : نقبها بشر وحده - وكانت المشربة لرفاعة بن زيد ، وسرقوا أدراعاً له وطعاماً ، فعثر على ذلك ، فجاء ابن أخيه قتادة بن النعمان يشكوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء أسيد بن عروة ابن ابيرق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يارسول الله

ﷺ ان هؤلاء عمدوا إلى أهل بيت ، هم أهل صلاح ودين ، فابنوهم بالسرقة ورموهم بها مـن غير بينة وجعل يجادل عنهم حتى غضب رسول الله ﷺ على قتادة ورفاعة ، فأنزل الله الاية .

وأنزل : « ومن يكسب خطيئة اواثمائم يرم به بريئاً » وكان البرىء الذى رموه بالسرقة لبيدبن سهل ، قالوا : ماسرقناه ، وانما سرقه لبيد بن سهل ، فبرأه الله ، فلما انزل الله تعالى ما أنزل هرب ابن ابيرق السارق إلى مكة ، و نزل على سلافة بنت سعد بن شهيب ، وأخذت رحله و طرحته خارج المنزل ، فهرب إلى خيبر ثم انه نقب بيتاً ذات ليلة فسقط الحائط عليه فمات .

ومنهم : عبدالله بن ابى بن سلول رأس المنافقين من بنى عوف بن الخزرج و كان المنافقون إليه يجتمعون ، وهوالذى قال :«لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل » فى غزوة بنى المصطلق ، وفى قوله ذلك نزلت سورة المنافقين بأسرها ، وفيه وفى وديعة ـ رجل من بنى عوف ـ ومالك ابن أبى قوقل وسويد وداعس ، وهم من رهط عبدالله بن ابى بن سلول، وهو وهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسّون إلى بنى النضير حين حاصرهم رسول الله ﷺ : ان اثبتوا، فوالله لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلتم لننصرنكم، فانزل الله تعالى فيهم : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ـ إلى قولـه ـ انى أخاف الله رب العالمين »

وغيرهم من المنافقين وافتضاحهم فى كل خطوة . . . فاحذروا ايها المنافقون فانكم فى عرضة الافتضاح فى كل وقت ومكان . . . واحذروا أيها المؤمنون منهم لئلا تمسكم نارهم .

﴿الحذر الحذر من المنافقين﴾

و قد جائت آيات كريمة ، و وردت روايات كثيرة في تحذير المؤمنين عن مجالسة المنافقين و مخالطتهم لما يوجب القرب منهم حصول ما كانوا عليه من رذائل الاخلاق ، و أضداد الفضائل للمؤمنين . .

قال الله تعالى : « هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله » المنافقون : ٤)

وقال : « فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بماكانوا يكسبون» (التوبه - ٩٥)

وقال : « فلاتقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم » (النساء : ١٤٠)

في نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة : «اوصيكم عباد الله بتقوى الله و احذّركم أهل النفاق ، فانهم الضالون المضلون ، و الزالّون المزلّون ، يتلوّنون ألواناً ، ويفتنون افتناناً »

و في الكشاف : قال بعض المنافقين - قيل : هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج ، و قيل:هو-أبو الجواظ - : ألاترون إلى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ، و هو يزعم انه يعدل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا ابالك أما كان موسى راعياً ، أما كان داود راعياً ، فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : احذروا هذا و أصحابه فانهم منافقون .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اياكم و تخشّع النفاق ، و هو أن يرى الجسد خاشعاً ، والقلب ليس بخاشع »

وفي رواية : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان بني يعقوب حدّثوا فكذبوا ، و وعدوا فاخلفوا ، وأئتمنوا فخافوا .

أقول : و هذا انذار للمؤمنين وتحذير لهم أن يعتادوا تلك الخصال الذميمة : شفقاً أن تفضي بهم إلى النفاق .

وفي الكافي : باسناده عن ابراهيم الكرخي قال : قال أبوعبد الله عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو أن مؤمناً دعاني إلى طعام ذراع شاة لأجبته ، و كان ذلك من الدين ولو ان مشركا او منافقاً دعاني إلى جزور ما أجبته ، و كان ذلك من الدين أبى الله عزوجل لي زبد المشركين والمنافقين و طعامهم .



الغيبة و اللعنة وحرمان الجنة

وعذاب النار على المنافقين

ولم أجد فى الايات القرآنية والروايات الواردة ما يجوّز الغيبة للمنافقين بصراح الآباعتبار دخولهم فى الفسق والكفر ، فتجوز عندئذ لجوازها للفاسقين والكافرين لما جاء فى الروايات بصراح ستقرأها فيهم انشاء الله تعالى .

فى تفسير سهل بن عبدالله تسترى (متوفى ٢٨٣هـ) قال ابن عباس : « للمنافق غيبة ، و ليس للفاسق غيبة لان المنافق كتم نفاقه والفاسق افتخر بفسقه »

اقول : و قد جاء بعكس ذلك : ان لاغيبة للمنافق ما لم يظهر فسقه ، والغيبة للفاسق لاظهاره الفسق و إشاعته و على أى حال فتجوز الغيبة لدخول المنافقين فى الكافرين والفاسقين بلاريب .

واما اللعن على المنافقين فقد جاء فى كثير من الايات والروايات . . .

قال الله تعالى : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أين ما ثقفوا اخذوا وقتّلوا تقتيلا » الاحزاب : ٦٠ - ٦١) وقال : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعدالله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله و لهم عذاب مقيم « التوبة : ٦٧ - ٦٨)

وقال : « رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من

الموت فاولى لهم ـ اولئك الذين لعنهم الله فاصمّهم وأعمى أبصارهم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها » محمد (ص) : ٢٠ ـ ٢٤)

وقال : « ويعذب المنافقين و المنافقات و المشركين و المشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء و غضب الله عليهم و لعنهم و أعدلهم جهنم وسائت مصيراً » الفتح : ٦)

فى رواية : قال رسول الله (ص) : ان الله تعالى يدنى المؤمن ،فيضع عليه كفنه وستره من الناس ، و يقرّره بذنوبه فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أى رب ، حتّى اذا قرّره بذنوبه و رأى فى نفسه انه قد هلك قال : فانى قد سترتها عليك فى الدنيا و أنا أغفرها لك اليوم ، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه ، و أما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد :«هؤلاء الذين كذّبوا على ربهم ألالعنة الله على الظالمين »

وفى مكارم الاخلاق : فى وصية النبى الكريم (ص) لابن مسعود ـ فى حديث ـ قال فى المنافقين: يا ابن مسعود ! عليهم لعنةٌ منى و من جميع المرسلين والملائكة المقربين، و عليهم غضب الله ، وسوء الحساب فى الدنيا والاخرة الحديث .

وفى المجالس : باسناده عن أبى عبدالله (ع) قال : جاء نفر من اليهود الى رسول الله (ص) فسئلوه عن مسائل ـ إلى أن قال ـ : وما من مؤمن يصلّى على الجنائز الاّ اوجب الله له الجنة الاّ يكون منافقاً اوعاقاً .

و فى الفقيه : عن أبى الحسن موسى بن جعفر (ع) : اذا دخلت المقابر فطاء القبور ، فمن كان مؤمناً استراح إلى ذلك ، ومن كان منافقاً وجد ألمه .

وفى العيون : عن الرضا (ع) قال : قال رسول الله (ص) : لا تضيّعوا صلاتكم فان من ضيّع صلاته حشر مع قارون و هارون ، و كان حقا على الله أن يدخله النار مع المنافقين ، فالويل لمن لم يحافظ على صلاته و أداء سنته (سنة نبيه) .

و فى امالى الصدوق : رحمة الله تعالى عليه باسناده عن أبى سعيد هاشم

عن أبى عبدالله الصادق عليه السلام قال : اربعة لا يدخلون الجنة الكاهن والمنافق و مدمن الخمر والقتات وهو النمام .

قال الله تعالى : « بشر المنافقين بان لهم عذاباً أليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ـ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذاً مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا » النساء: ١٣٨ ـ ١٤٠)

ان الله تعالى بيـّن سوء حال المنافقين فى الأخرة تنفيراً لقلوب المؤمنين عن موادتهم بقوله تعالى : « ان المنافقين » يوم القيامة مستقرون « فى الدرك الأسفل من النار » ثـم بيـّن انقطاع طمعهم عن الخلاص بقوله جل وعلا : « ولن تجد لهم نصيراً » لما أوعدهم الله باشد العذاب .

و قال فيهم : « فاليوم لا يؤخذ منكم فدية و لا من الذين كفروا مأواكم النار » الحديد : ١٥)

وفى تفسير فتح الغدير : عن عبدالله بن عمر قال :« ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة والمنافقون وآل فرعون » .

قال الله تعالى فيهم : « ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار و لن تجد لهم نصيراً » النساء : ١٤٥)

و فيه دليل قاطع على عدم شمول الشفاعة لهـم ، و لعل شدة عذابهم من الكافرين لان المنافق مثل الكافر فى الكفر مع انضمام الاستهزاء بالاسلام وأهله .

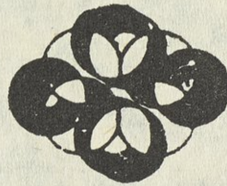
وفى التبيان : فى قوله تعالى : « مثلهم كمثل استوقد نارا » الخ روى عن ابن عباس انه قال : هذا الاية مثل ضربه الله تعالى للمنافقين انهم كانوا يعتزّون بالاسلام فينا كحهم المسلمون ، ويوالدونهم و يقاسمونهم الفيء ، فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوئه وتركهم فى عذاب .

قال الشيخ قدس سره : و هو أحسن وجوه .

قال الله تعالى : « و ممن حولكم من الاعراب منافقون و من أهل المدينة

مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردّون إلى عذاب عظيم » التوبة : ١٠١)

و قال : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض و الجبال فابين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا ليعذّب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات » الاحزاب : ٧٢ ـ ٧٣) .



﴿ كلمات قصار في النفاق ﴾

درر كلم و غرر حكم فى المقام عن الامام أمير المؤمنين على عليه السلام نشير إلى نبذة منها :

١ـ قال على عليه السلام : «ان المؤمن يرى يقينه فى عمله ، وان المنافق يرى شكه فى عمله» .

٢ ـ قال عليه السلام : « الكذب يؤدّى إلى النفاق »

٣ ـ قال عليه السلام : « الغيبة آية المنافق »

٤ ـ قال عليه السلام : « المنافق مكور مصر مرتاب »

٥ ـ قال عليه السلام : « المنافق لسانه يسرّ و قلبه يضرّ »

٦ ـ قال عليه السلام : « المنافق قوله جميل و فعله الداء الدخيل »

٧ ـ قال عليه السلام : « الخيانة رأس النفاق »

٨ ـ قال عليه السلام : « بالكذب يتزين أهل النفاق »

٩ ـ قال عليه السلام فى وصفهم : « حسدة الرخاء ومؤكدو البلاء ، و مقنعو الرجاء ، لهم بكل طريق صريع ، و إلى كل قلب شفيع و لكل شجو دموع »

١٠ ـ قال عليه السلام فى وصفهم أيضاً : « قد أعدوا لكل حق باطلاً ، و لكل قويم مائلاً ، و لكل حيّ قاتلاً ، و لكل باب مفتاحاً ، ولكل ليل صباحاً »

١١ ـ قال عليه السلام : « التكليف من أخلاق المنافقين »

١٢ ـ قال عليه السلام : « النفاق أخو الشرك »

١٣ ـ قال عليه السلام : « النفاق توأم الكفر »

١٤ ـ قال عليه السلام : « النفاق يفسد الايمان »

١٥ ـ قال عليه السلام : « كثرة الوفاق نفاق »

١٦ ـ قال عليه السلام : « من كثر نفاقه لم يعرف و فاقه »

١٧ ـ قال عليه السلام : في وصفهم : يمشون الخفاء ، ويدبّون الضعران ، قولهم الدواء ، و فعلهم الداء العياء ، يتقارضون الثناء ، و يتراقبون الجزاء إن سئلوا الحفوا ، و إن عدلو اكشفوا، و إن حكموا أسرفوا ، يتوصلون إلى الطمع باليأس، ويقولون فيشبهون ، ينافقون في المقال ، و يقولون فيمو هون »

١٨ ـ قال عليه السلام : « كل منافق مريب »

١٩ ـ قال عليه السلام : « علم المنافق في لسانه »

٢٠ ـ قال عليه السلام : « النفاق من أثا في الذل » الاثافي : جمع الاثفية ، وهي الحجر توضع عليه القدر .

٢١ ـ قال عليه السلام : « النفاق شين الأخلاق » الشين : ضد الزين .

٢٢ ـ قال عليه السلام : « أحذروا أهل النفاق، فانهم الضالون المضلون ، والزالون المزلون قلوبهم دوية و صفاحهم نقية »

٢٣ ـ قال عليه السلام : « اياك والنفاق فان ذاالوجهين لايكون وجيهاً عندالله»

٢٤ ـ قال عليه السلام في وصفهم: « منعكفون على العصيان ، مصطلحون على الادهان، فتاهم عارم و شيخهم آثم ، و عالمهم منافق و قاريهم مماذق، لايعظم صغيرهم كبيرهم ، و لايعول غنيهم فقيرهم »

٢٥ ـ قال عليه السلام : « عادة المنافقين تهزيع الاخلاق »

٢٦ ـ قال عليه السلام : « لاتكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، و يسوف التوبة بطول الامل ، يقول في الدنيا بقول الزاهدين ، و يعمل فيها بعمل الراغبين ، لا تلتمس الدنيا بعمل الآخرة، ولاتؤثر العاجلة على الآجلة ، فان ذلك شيمة المنافقين وسجية المارقين »

٢٧ - قال عليه السلام : « أظهر الناس نفاقاً من أمر بالطاعة ولم يعمل بها ، و نهى عن المعصية ولم ينته عنها »

تمت سورة المنافقين و الحمدلله رب العالمين
وصلوات الله على نبينا محمد و آله المعصومين

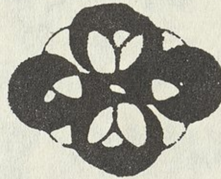
فهرس ماجاء في تفسير سورة الصف

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول: في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :



الفصل الثانی : فی مواضیع الحکم القرآنیة والمعارف الاسلامیة المبحوث عنها فی سورة الصف وفیها أربعة امور:



فهرس ماجاء فى تفسير سورة الجمعة

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثاني : فى مواضيع الحكم القرآنية و المعارف الاسلامية المبحوث عنها فى سورة الجمعة وفيها بصيرتان :

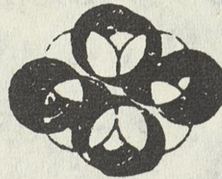
البصيرة الاولى: وفيها أحد عشر أمراً :

البصيرة الثانية : وفيها خمسة عشر أمراً :

فهرس ماجاء فى تفسير سورة المنافقون

يدور البحث حولها على فصلين :

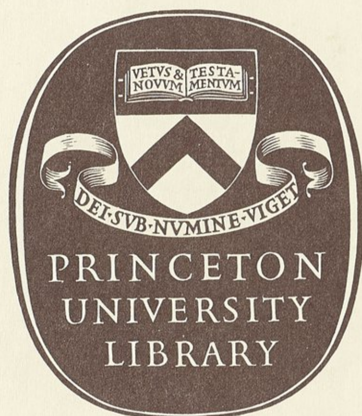
الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :



الفصل الثاني : في مواضيع الحكم القرآنية و المعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة المنافقون وفيها :

بصيرة واحدة : وفيها ثلاثة عشر أمراً :




VETUS & NOVUM TESTA-MENTUM
DEI·SUB·NUMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

